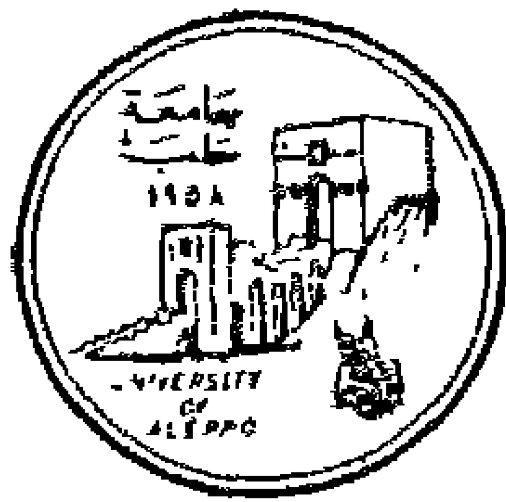
جامعة حلب

معهد التراث العلمي العربي

عاديات حلب

حولية تبحث في تراث العرب العلمي والحضاري
تصدر عن جامعة حلب بالتعاون مع جمعية العاديات



الكتابين السادس والسابع

١٩٩٢

عاديات حلب

تقبل البحوث بالعربية أو الانكليزية أو الفرنسية

* * *

المراسلات باسم : رئيس جامعة حلب ـ سورية

جامعة حلب

معهد التراث العلمي العربي

عاديات حلب

حولية تبحث في تراث العرب العلمي والحضاري
تصدر عن جامعة حلب بالتعاون مع جمعية العاديات



الكتابين السادس والسابع
١٩٩٢

مجلس إدارة مجلة عاديات حلب

هيئة تحرير مجلة عاديات حلب

المحتوى

الملخصات العربية للمقالات الاجنبية



كلمـة التحـرير

الحضارة عطاء إنساني تجود به الشعوب خير البشرية في كل مكان، ولكل شعب اسهامه ونصيبه في اغناء الحضارة، وزيادة حلقاتها المتصلة، إذ كان الشرق في العصور القديمة رائد الحضارة ومبدعها. ثم تلقفها الغرب منه زمن اليونان والرومان، ثم عاد الشرق فاستعاد دوره في زمن بزوغ شمس الحضارة العربية الإسلامية، ليعود الغرب ثانية إلى تمثل دور المبادر في العصر الحديث، ولتتواصل وتتضافر جهود الانسان في كل مكان في سبيل سعادته ورفاهيته وتوسيع أفقه وإغناء فكره.

وقلما يجد المرء بقعة في العالم تتصل فيها حلقات الحضارة الأنسانية مثلما يظهر جلياً في أرض سورية التي عثر فيهـا على كنوز حقيقية، تساعد على معرفة أصول التراث الإنساني، هذا التراث الذي يعود في سورية إلى عشرة آلاف عام من تاريخنا، وهـو أقـدم تاريخ ابتـدأ فيه الانسان بالاستقرار وبتشييد القرى والبيوت بالحجارة والفخار، كما ابتدأ بفهم معنى الإلـه، وبناء المعابد. . .

فتبدو في سورية آثار العصر الحجري واضحة في المريبط والشيخ حسن على الفرات. وفي تل خلف (رأس العين) ظهرت بداية الحضارة السورية القديمة. وفي نهاية الألف الرابع قبل الميلاد ظهرت في سورية المدن والحواضر الأولى، كما بدأت الكتـابة الأولى في الظهور، ومعها المدن الكبيرة مثل مدينة ماري (تل الحريري)، ومدينة إبـلا (تل مرديخ) ثم ظهرت مدن كنعانية على الساحل السوري، مثل مدينة اوغـاريت (رأس الشمـرة) التي ابتـدعت الكتـابـة الأبجدية الأولى، ولحقتها مدن الآراميين وحواضرهم في الداخل والتقت قوى الشرق القديم فوق أرض سورية، من بابلية وآشـورية وحثية ومصرية، وتصـارعت فوق ترابهـا، وظهـر الفـرس واليونان والرومان البيزنطيون، وخلّف كل منهم بصمات واضحة، ما زلنا نرى آثارها المعمارية متناثرة على الأرض: من تدمر إلى بصرى وأفاميا والرصافة وقلعة سمعان، وغيرها من الحواضر التي امتزج فيها الفن المحلي بفنون الشعوب الأخرى، ثم نرى الفن العربي الإسلامي الأصيل يتميز على كل الفنون السابقة وينتشر في كل الأنحاء، ويتشعب من بعد إلى عصور متلاحقة من العصر الأموي إلى العباسي، إلى الفاطمي والأيوبي والمملوكي والعثماني.

لم تكن سورية معبراً للحضارات المجاورة ـ كما كان يشاع قبل إكتشاف إبلا ـ بل أنها كانت صانعة للحضارة، والباحثون أثبتوا أصالة الحضارة السورية، والآثار نفسها هي التي تبرهن على وحدة الحضارة التي تنتشر أوابدها في مناطق بلاد الرافدين وبلاد الشام، بين دجلة والفرات والساحل السوري وما حولها.

وحولية عاديات حلب، التي تعنى بالحضارة العربية وتراثها ذي الجوانب المتعددة فضلاً عن الحضارة الإنسانية تعود للصدور ثانية، حيث تأخر صدورها لفترة من الزمن نتيجة ظروف قاهرة، تعود إلى قرائها بالعددين السادس والسابع معاً، وتشتمل موضوعات غنية تتصل بالآثار والتاريخ واللغة، وبالحضارة عامة، وتتناول دور الحضارات الرائدة التي ظهرت على امتداد ساحة الوطن العربي وفي مختلف العصور.

وقد عمدنا أيضاً إلى نشر بعض الأبحاث المقتطعة من (مجلة العاديات) التي كانت تصدر مع بداية الثلاثينات من قبل جمعية العاديات وكان مديرها المسؤول العلامة المؤرخ الشيخ كامل الغزي رئيس الجمعية وعضو المجمع العلمي حيث صدر العدد الأول منها في شهر ذي الحجة سنة ١٣٤٩ هجرية الموافق شهر ايار سنة ١٩٣١ ميلادية. وقمنا بنشر مقدمة ذلك العدد حيث يتم من خلاله ذكر الأهداف والغاية المقصودة من اصدار تلك المجلة في ذلك الوقت. بالاضافة إلى مقالة منبر المسجد الأقصى للمؤرخ الشيخ راغب الطباخ كانت قد نشرت في العدد العدد الثالث من مجلة العاديات سنة ١٩٣١ وذلك بهدف التعريف بأصالة هذه الحولية وتوثيق بعض مقالاتها الهامة والتي نشرت فيها في فترة مبكرة من بدايات الاهتمام الوطني بموضوع تراث الأمة وآثارها.

والعاديات إذ تعود إلى قرائها اليوم بهذا العدد الجديد، فإن أسرة تحريرها تأسف لغياب اثنين من الأعضاء الذين وافتهم المنية في غفلة من الزمن، ففقدنا الأستاذ محمد الإمام عام ١٩٨٨، أمين جامعة حلب السابق، والدكتور المهندس عبدالمنعم حربلي عام ١٩٩٠، اللذين واكبا مسيرة المجلة وكانا رحمهما الله يجودان بخبرتهما، ولا يتوانيان عن الاسهام في إخراجها في أحسن حلة.

إن المجلة تعتز بالتعاون القائم بين جامعة حلب وجمعية العاديات، فهي ثمرة خيرة لهاتين المؤسستين العلميتين: الجامعة التي تهيء الدارسين والمختصين في مجالات العلوم المختلفة، وتخلق في نفوسهم حب العلم والسعي إلى تطويره، وتغرس في أفئدتهم حب الوطن والتراث العلمي الذي خلفه الجدود، فيسعون إلى تمثّله والسير على خطى السلف الصالح، فأنشأت معهد التراث العلمي العربي الفريد في الأقطار العربية لهذا الغرض.

وأن جمعية العاديات التي تدين بوجودها لتراث الأمة العربية وآثارها وتحرص على التعريف بانجازات الأجداد الحضارية، والحث على صيانة الأوابد التاريخية والتنبيه إلى خطر التهاون في شأنها، وزرع هواية الآثار في نفوس أعضائها الذين ينتشرون في أوساط المثقفين في الجامعة، وفي المؤسسات العلمية، ويجتمعون في أوقات معلومة لزيارة معالم حلب الآثارية، وشد الرحال إلى آثار الوطن الخالدة. ويتنادون إلى المشاركة في برامج الجمعية الثقافية.

فلتكن هذه المجلة المنبر العلمي الذي يشهد على تعزيز أهداف المؤسستين ويعمل على توفير الأسباب اللازمة لابراز الحقيقة، حقيقة الحضارة العربية العريقة الخالدة.

هيئة التحرير

جامعـة حلـب وجمعيـة العاديات

د. عبدالهادي نصري

جامعـة حلب

مع اطـلالة فجر الاستقلال سنة ١٩٤٦، صدر المرسوم /١٠٠٤/ القاضى بإحداث كلية الهندسة المدنية في حلب، والتي كانت مرتبطة بالجامعة السورية بدمشق.

وكانت تلك النواة التي قامت عليها جامعة حلب حين صدر القانون رقم ١٨٤ لعام ١٩٥٨ والذي تضمن أحداث جامعة حلب.

ومنذ عام ١٩٦٠ بدأت جامعة حلب تظهر إلى حيز الوجود الفعلي بإحداث كلية للزراعة فيها ثم كلية للحقوق سنة ١٩٦١ إضافة إلى كلية الهندسة.

تطورت جامعة حلب تطوراً كبيراً في ظل ثورة الثامن من آذار حيث اتسعت مبانيها واحدثت فيها:

- كلية التجارة ١٩٦٣.
- كلية الطب ١٩٦٧.
- كلية الآداب والعلوم الإنسانية ١٩٦٦.
- كلية العلوم الاقتصادية ١٩٦٧.
- كلية العلوم ١٩٦٧.

والحـركـة التصحيحية بقيادة الرئيس المناضل حافظ الأسد منذ قيامها أولت اهتمامها البالغ بالجامعات، ونالت جامعة حلب من ذلك القسط الوفير، حيث انصب الاهتمام على استكمال البناء العلمي للجامعة وأحدث فيها:

- معهد التراث العلمي العربي سنة ١٩٧٦ وهو المعهد الوحيد المتخصص في تاريخ العلوم بالوطن العربي.
- كلية الزراعة الثانية في دير الزور سنة ١٩٧٦ وهي تتبع لجامعة حلب.
- كلية طب الأسنان سنة ١٩٧٩.

ـ كلية الهندسة الميكانيكية وكلية الهندسة المعمارية وكلية الهندسة الكهربائية والألكترونية وكلية الهندسة المدنية عام ١٩٨٢.

ـ كلية الصيدلة عام ١٩٩١.

والحق بالجامعة العديد من المعاهد المتوسطة في مختلف الاختصاصات العلمية، وتم التوسع في البناء الجامعي الذي شيد في منطقة جميلة ومتكاملة ومتصلة تمثل الاشعاع العلمي ومنارة للعلم والمعرفة في ربوع محافظة حلب وقطرنا العربي السوري والوطن العربي. كما انصب الاهتمام على تطوير أجهزة التدريس والادارة والمنشآت الجامعية والمختبرات والمكتبات والمناهج والأنظمة وقيام الدراسات العليا ومنح العديد من درجات الماجستير والدكتوراه وافتتاح المشافي التعليمية والمراكز الاستشارية لتعليم اللغات الأجنبية، مع التوسع في عدد أعضاء الهيئة التعليمية والطلاب الدارسين كماً ونوعاً.

وفضلاً عن ذلك فإن جامعة حلب تتابع دورها الثقافي الرائد سواءً على الصعيد العربي أو العالمي من خلال مئات الكتب والنشرات الدورية ومن خلال العلاقات الثقافية مع مختلف المنظمات العربية والدولية.

كما تشارك الجامعة في المؤتمرات والندوات العلمية والدولية وتستضيف دائماً العديد منها والتي تعقد في رحابها.

وجامعة حلب اليوم. . . إذ تواصل رسالتها الثقافية وريادتها المتميزة إنما تأتي في سبق المؤسسات العلمية العربية التي أضاءت سماء الدنيا في العصور الوسطى كبيت الحكمة في بغداد، والزيتونة في تونس، والأزهر ودار الحكمة بالقاهرة، والقرويين في المغرب ومدرسة الفردوس بحلب. . . ومدارس العلم والمعرفة في دمشق والقدس والمدينة والبصرة وغيرها من الحواضر العربية.

إن دور جامعة حلب يؤكد استمرار الدور الفاعل للأمة العربية ورسالتها المتجددة.

جمعيـة العاديـات

قبل سبع وستين عاماً، وفي الثاني من شهر آب ١٩٢٤ تأسست جمعية العاديات

بحلب، وهي بذلك أول جمعية أثرية تاريخية في القطر العربي السوري والجمعية الرائدة على مستوى الوطن العربي وساهم في تأسيسها لفيف من الأعلام والعلماء أبرزهم(المؤرخ الشيخ كامل الغزي والأب جبرائيل رباط والمؤرخ راغب الطباخ والمهندس صبحي مظلوم وعبدالوهاب طلس وأسعد عنتابي . . . وغيرهم . . .)

حملت الجمعية في البداية اسم (جمعية أصدقاء المتحف والقلعة)، حيث كان سبب تأسيسها الشعور الوطني نحو حماية التراث والآثار مع بداية الانتداب الفرنسي على البلاد، وتمكنت الجمعية وبمساعدة بعض المخلصين من إنشاء متحف حلب سنة ١٩٢٦.

وفي شهر كانون الثاني لسنة ١٩٣٠ حملت جمعية (أصدقاء القلعة والمتحف) اسم (جمعية العاديات)، وهو اسم اقترحه آنذاك رئيسها الشيخ كامل الغزي للدلالة على مهمة الشمول الأثري لرسالتها.

وكلمة العاديّات بتشديد الياء جمع لكلمة عاديّ . . . أي ما هو منسوب إلى قوم عاد . . . وأصبحت كلمة عاديّ أو عاديّة وجمعها «العاديّات» دلالة لكل شيء قديم وعريق من التراث، وجاء في كتاب الأمالي لابن علي القالي «العاديّ القديم»، وفي معجم لسان العرب لابن منظور «كل قديم ينسبونه إلى عاد وإن لم يدركهم».

وأصدرت جمعية العاديات في شهر ايار ١٩٣١ مجلة باسم (العاديات السورية) والتي استمرت إلى بداية الحرب الكونية الثانية. وكان الاشتراك السنوي بالمجلة مائة قرش سوري وقد وزعت موضوعاتها إلى قسمين: الأول باللغة العربية، والثاني باللغة الفرنسية، وضمت الموضوعات والتحقيقات عن آثار سورية ونتائج أعمال التنقيب الأثري.

ترأس الشيخ كامل الغزي الجمعية منذ تأسيسها حتى وفاته سنة ١٩٣٣ حيث خلفه الأب جبرائيل رباط في الرئاسة ومن بعده المؤرخ راغب الطباخ.

واستطاعت الجمعية خلال هذه الفترة حماية الكثير من الآثار الوطنية وإعادة بعض ما سرق منها من أوربا مثل شباك جامع الانصاري بحلب.

وخلال الحرب العالمية الثانية والفترة التي تليها توقف نشاط الجمعية وضُمت مكتبتها إلى مكتبة المتحف الوطني بحلب.

وبفضل جهود الأعضاء المخلصين أمثال الدكتور عبدالرحمن كيالي وجبرائيل غزال وسامي الكيالي وقيصر صادر وخيرالدين الأسدي وفؤاد عنتابي وصبحي الصوّاف

وغيرهم. . . عاودت الجمعية نشاطاتها بموجب المرسوم التشريعي رقم (٤٧) لعام ١٩٥٠ وتولى رئاستها المرحوم الدكتور عبدالرحمن الكيالي ثم تابعت الجمعية نشاطاتها. مع بداية السبعينات واصدرت بالتعاون مع جامعة حلب سنة ١٩٧٥ العدد الأول من حولية (عاديات حلب) وبذلك حققت الجمعيةحلماً راودها بمتابعة اصدار تلك المجلة.

وأخذت الجمعية بوضع برامج ثقافية دورية لالقاء المحاضرات وعقد الندوات مع برنامج سنوي حافل لزيارة المواقع الأثرية والتاريخية في مدينة حلب القديمة ومختلف المناطق الأثرية والسياحية من القطر العربي السوري.

ساهمت الجمعية بالعديد من المؤتمرات والندوات ولا سيما الندوة العالمية الأولى خزانة حلب سنة ١٩٨٣ ومؤتمرات المدن العربية. ولها علاقات ثقافيةمع بعض المنظمات العربية والدولية لا سيما جامعة حلب ومعهد التراث العلمي العربي والجمعية السورية لتاريخ العلوم والمديرية العامة للآثار والمتاحف.

ولم يقتصر نشاط جمعية العاديات على مدينة حلب بل أنها أحدثت لها العديد من الفروع في محافظات اللاذقية وديرالزور وطرطوس وحمص وحماه.

وحققت الجمعية قفزة نوعية في تاريخها من خلال اتساع قاعدتها بين جماهير المثقفين وتمثيلها في مختلف اللجان والهيئات المتعلقة بتراثنا وآثارنا.

وبفضل دعم قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي والدولة فقد تم تقديم مقر للجمعية مع بداية عام ١٩٨٨ في بناء جميل يحمل الطابع الأثري. حيث تم تخصيص جزء هام منه لمكتبة الجمعية الأثرية.

إن جمعية العاديات وهي تواصل نشاطاتها المتنوعة لتحقيق رسالتهاالسامية تؤكد أنه لا يمكن لنا تثبيت مواقع اقدامنا في الحاضر وامتلاك نظرية نحو المستقبل دون إدراك واع للماضي. . . والدوحة الباسقة مهما سمت ليس في وسعها التنكر جذورها. . . والفكر الإنساني في عظمته الراهنة ليس سوى سلسلة من حلقات الابداع آخذ بعضها برقاب بعض. . . وكذلك هي رسالة العاديات.

قناة حيلان

فرات الشهباء في العصور الماضية

د. عبد الهادي نصري
رئيس جميعة العاديات
الموجه الاختصاصي للتاريخ بمحافظة حلب

ارتبـطت أهميـة قناة حيلان بالنسبة إلى حلب القديمة . . . كارتباط مياه الفرات إلى حلب المعاصرة وكارتباط قطرة الماء عند العربي القديم على أنها الحياة . . وهي لاتزال كذلك عند العربي الحفيد، والعرب قالت منوهةء بأهمية الماء .

ـ الرجل الكريم هو البحر في عطائه، والسماحة هي غمامةٌ، والارض القاحلة أجدب من كف لئيم . . . والجمل سفينة الصحراء، وهو حيوان كريم وقد شرب جنود العرب المسلمين الاوائل من مخزون الماء في بطون الإبل.

أساطير بلاد ما بين النهرين ترى العصر الذهبي للإنسانية بعد الطوفان، حيث الأرض جنة قطوفها دانية وعد العرب القدماء في الجزيرة عصرهم الذهبي في اليمن السعيد حيث الوفرة في الماء والزرع . . . قصة الماء هي قصة الحياة، بالماء بدأ تكوين الخلق ومن الماء كل شيء حي.

. الشاعر بدوي الجبل شبه صوت الحبيبة بقطر الماء:

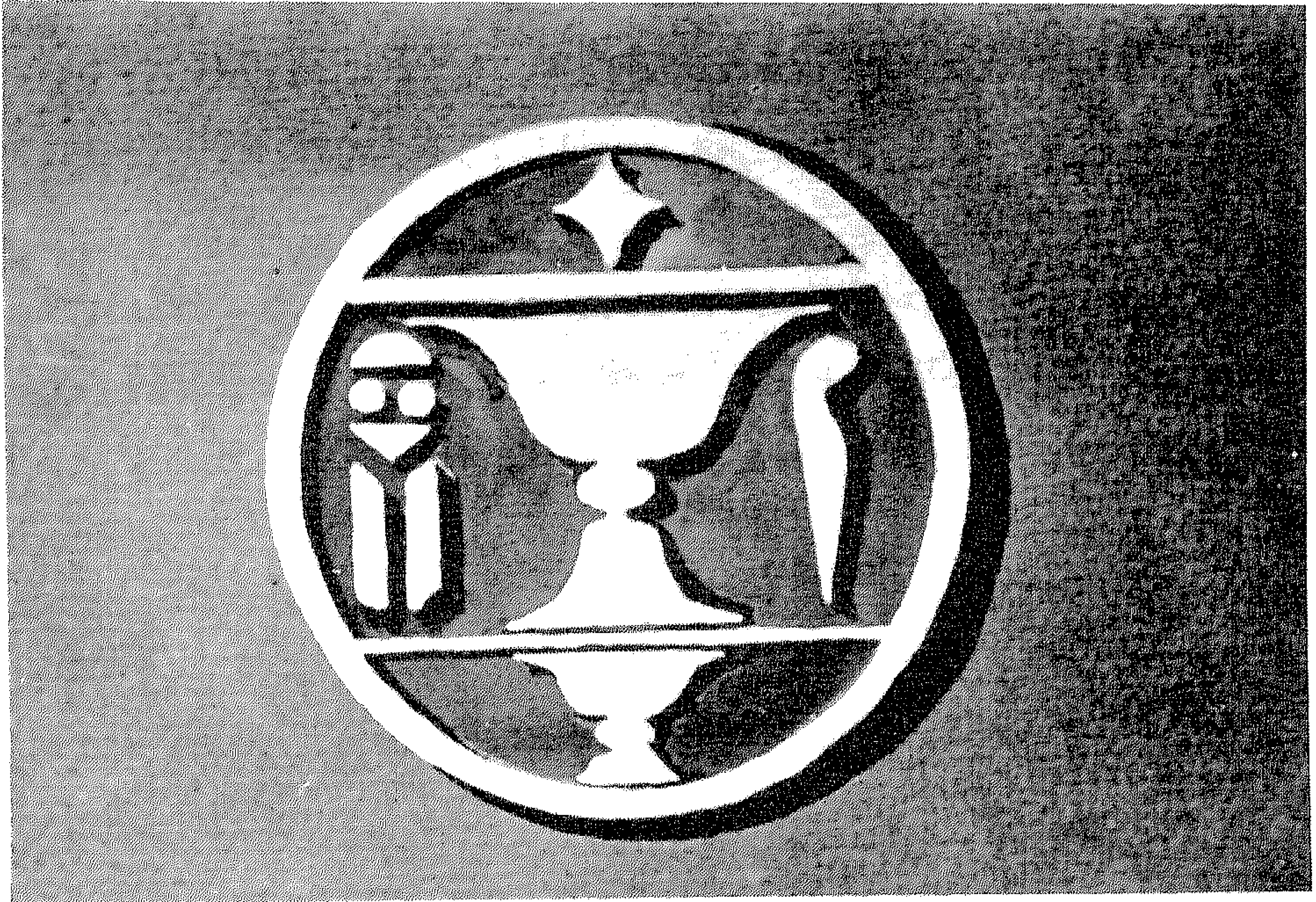
وحديثها كالقطر يسمعه   راعي السنين تتابعت جدبا

وكان الإله **بعل أو بعل شمين** (سيد السموات) من أبرز الآلهة التي عبدها العرب القدماء وهو إله الأمطار، بل إن الارض التي تعتمد في ريها على مياه الأمطار نطلق عليها حتى اليوم اسم الأراضي البعلية كما كان الإله حدد الإله الوطني في حلب

منذ عهد العموريين إله الأمطار والصواعق.
والقرآن الكريم أشار في أكثر من موضع إلى أهمية المياه وأثرها في أمور الحياة والمسائل التعبدية.

يقول الله تعالى **«وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماءً فراتاً»**

وكان للساقي في عهد المماليك مرتبة هامة فقد صنف ضمن الرتب العسكرية في تسلسل المراتب التي يرتقي إليها العسكري المملوك . . ولها رنك خاص . . ، ويزين ذلك الرنك معظم الواجهات للخانات والابواب في العمارة المملوكية في مصر وبلاد الشام انظر الشكل ذا الرقم (١).



شكل رقم (١)
رنك مملوكي ويظهر فيه الكأس رمز الساقي

والفرات لم يبق مجرد نهر. . فقد أصبح عند العرب في التاريخ الحديث . . رمز الحرية ونهر المعرفة . . فأول صحيفة رسمية صدرت في حلب سنة ١٨٦٧ كان اسمها (غدير الفرات) وبعد سنتين خلفتها صحيفة أخرى باسم (الفرات) حرر فيها المجاهد الشهيد عبد الرحمن الكواكبي.

أما بالنسبة إلى مدينة حلب . . . فبقيت مسألة المياه من الأمور الهامة الحاسمة في تاريخ المدينة نظرا إلى عدم توفر مصدر ثابت لها. . وكانت تشكل صداعا دائما للأهالي والإدارة الحكومية، لذلك نجد أنه عندما يجف الضَرْعُ وييبّسُ الزرع والسماء ما تكاد تبض بقطرة، يرتفع الصوت من أعماق الارض من أعماق النفس الإنسانية إلى أعالي السماء في فاصل (اسق العطاش) على لسان (أحمد الأوبري) طالبا الغيث. . المطر. . لاستمرار الحياة. . .

مولاي أجفاني جفاهن الكرى — والشوق لاعجه بقلبي خيما
مولاي لِي عملٌ ولكن موجبٌ — لعقوبتي فاحنن عليَّ تكرما
يا ذا العطا يا ذا الوفا يا ذا الرضا — يا ذا السخا اسق العطاش تكرما

ولنعد إلى موضوع بحثنا إلى قناة حيلان. . . .

الدلالة اللغوية لقناة حيلان:

القناة لغة تعني **الرمح الأجوف**[١]، **أو مجرى الماء الضيق أو الواسع** كما يحدد ذلك معجم المغرب **للمطرزي**[٢] بأنها «مجرى الماء تحت الأرض» **ولعل الأصل في الكلمة** بحسب رأي (هرزفلد) من كلمة (**قانو**) الآكادية بمعنى القصبة أو العصا وانتقلت إلى اللغات العربية القديمة وإلى الإغريقية واللاتينية باسم (CANAL)

أما حيلان فهي قرية صغيرة تقع شمالي حلب وتبعد عنها مسافة /١٢/ كم وهي مركز الينابيع التي تغذي القناة[٣]، واسمها آرامي الاصل من (الحيل) أي القوة وتعني ايضاً مركز الجيوش أو مكان الرجال.

قناة حيلان في المصادر التاريخية:

ورد ذكر قناة حيلان عند معظم المؤرخين والباحثين الذين كتبوا عن تاريخ حلب، **فابن شداد في كتابه (الأعلاق الخطيرة) يتحدث في الباب الخامس عشر عن القناةالعظمى** والقني المتفرعة عنها[٤].

وفي كتـاب الدر المنتخب المنسوب إلى ابن الشحنة نص مفصل عن (القناة العظمى التي تدخل المدينة وما يتفرع عنها) في الباب السادس عش[٥].

ويفرد الشيخ كامل الغزي مؤسس جميعة العاديات في كتابه القيم (نهر الذهب في تاريخ حلب) بحثاً مستفيضاً عن قناة حيلان[٦]، ناقلا بعض نصوصه من الأعلاق والدر المنتخب، ومؤرخا للقناة في العهود التي تلت زمني ابن شداد وابن الشحنة، مقدما وصفا للقناة كما عرفها في زمانه.

والمؤرخ الحلبي الشيخ محمد راغب الطباخ والرئيس الثالث لجمعية العاديات يتحدث في كتابه الهام (إعلام النبلاء)عن القناة[٧] ناقلا في بعض نصوصه أيضا عن الدر المنتخب ومشير إلى القساطل التي شيدت في عهد الملك الظاهر غازي كما يؤرخ للإصلاحات التي تعاقبت على القناة في العهود المتلاحقة.

وبرغم أن الباحث الفرنسي جان سوفاجيه الذي خصص معظم دراساته عن حلب، قد أغفل القناة من (إحصاء آثار حلب الإسلامية) والذي أجراه سنة ١٩٣٠ فقد اشار في القائمتين الأولى والثانية من إحصائه إلى بعض القساطل في حلب، كما أن القنـاة لقيت عنايته في أطروحة الدكتوراة التي تقدم بها وطبعها في باريس سنة ١٩٤١ بعنوان (حلب) فقد تحدث عن القناة في عهد الدولتين النورية والأيوبيـة ثم في عهد المماليك والعثمانيين[٨].

وفي كتـاب (مدونة الخطوط العربية) لهرزفلد نجد عناية كبيرة بقناة حيلان وأصل كلمة القناة ودراسة عن تاريخ القناة في العهود القديمة ثم الكلاسيكية[٩]، ويتحدث هرزفلد في الجزء الثاني من كتابه المجلد الأول عن أسماء ثمانية عشر قسطلا وسبيلا للمياه في حلب، وهي القساطل والأسبلة التي حفرت عليها كتابات عربية تسجل اسماء بناتها وتاريخ البناء[١٠].

والدكتور محمد أسعد طلس تحدث في كتابه (الآثار الإسلامية والتاريخية) عن قنـاة حيلان[١١]نـاقلا عن إحصاء سوفاجيه وعن الدر المنتخب ونهر الذهب وإعلام

النبلاء معرفا بعشرة من القساطل والأسبلة التي لم ترد في إحصاء سوفاجيه وهي الأسبلة (الناصري ـ ورجب باشا ـ والجاويش ـ ورقبان ـ وجب القبه ـ والأسود ـ والبيك ـ والمستدامية ـ والمشط ـ والحوار).

كما اعد الزميل الاستاذ فريد جحا دراسة مخطوطة عن **قناة حيلان وقساطلها** خص بها الفصل السابع من كتابه الذي اعده عن تاريخ حلب من الصفحة ١٥١ إلى ٢٨٤ حيث قسم البحث إلى أربعة أقسام هي : وصف القناة ـ والقساطل والأسبلة ـ وتاريخ القناة ـ والقناة في الوقت الحاضر.

ـ إلا أن قناة حيلان لقيت عنايتها الكاملة عند **المهندس المرحوم صبحي مظلوم** العضو المؤسس في جمعية العاديات في الثلاثينات في الكتاب القيم الذي وضعه عن القناة والذي اعتمدته اعتماداً رئيسياً بالإضافة إلى دراستي الميدانية للقناة.

والكتاب مطبوع باللغة الفرنسية ومن منشورات المعهد الفرنسي بدمشق (institut Français de Damas) وهو مطبوع سنة ١٩٣٤ بالمطبعة الكاثوليكية، وصدر بعنوان :

الشبكة القديمة للمياه في حلب

(قنـــاة حيـــلان)

LANCIENNE CANAL ISATION

D'EAU D'ALEP

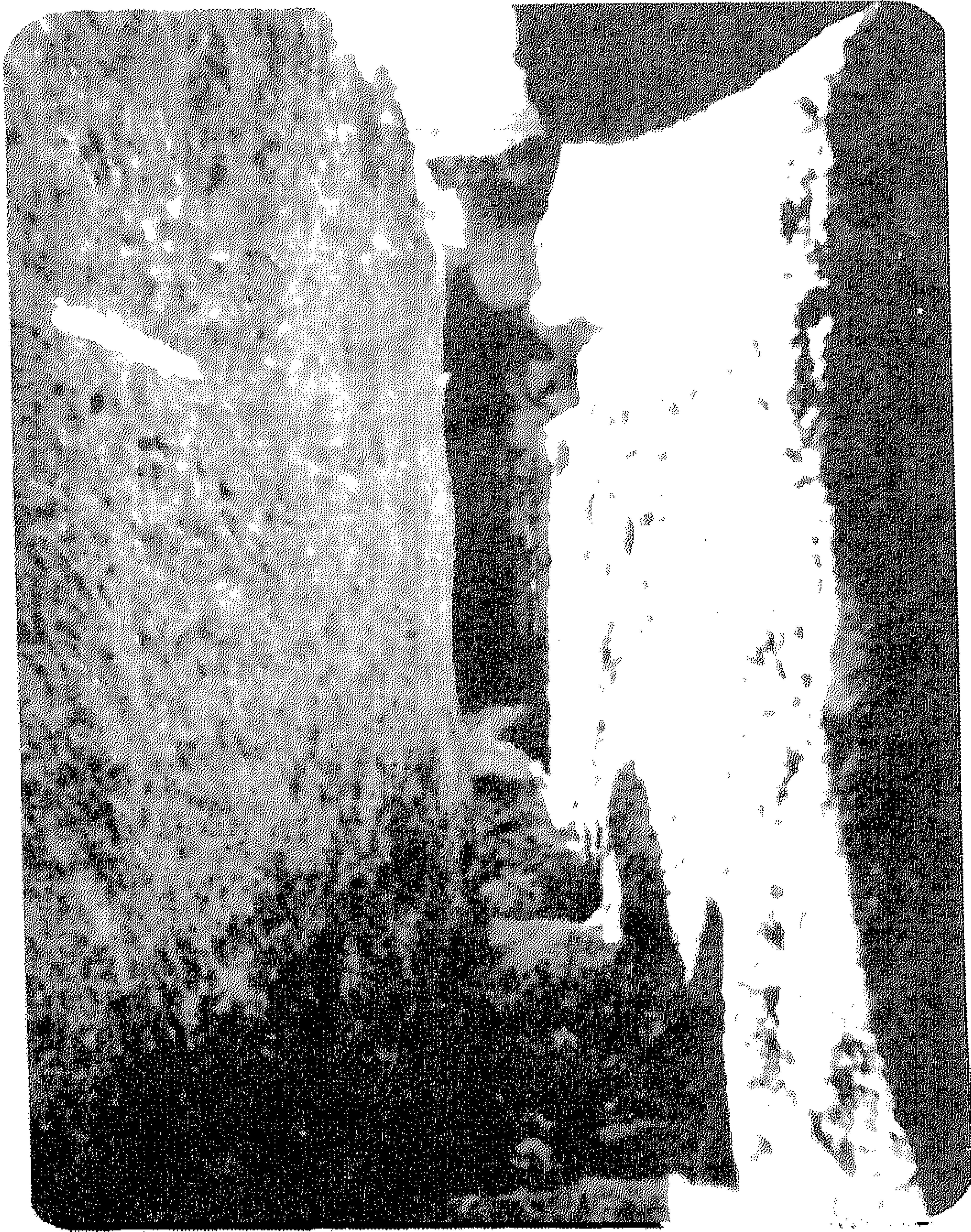
(LE QANÁYÉ DE HAILAN)

ويعد الكتاب من أفضل المصادر العلمية التي وضعت عن القناة فقد درسها من النواحي التاريخية والهندسية والمائية والقانونية والنظام الشرعي لتوزيع المياه **والعدانات**، وهو مزود بالوثائق والمخططات الدقيقة والصور الفوتوغرافية مع مقترحات هادفة حول مستقبل القناة، مع مخططات لمقطع طولي لقناة جر المياه، ومخطط أفقي للقناة خارج المدينة، ومخطط ثالث يضم شبكة التوزيع للمياه في حلب لقناة حيلان ومياه عين التل.

وأقوم حاليا بالتعاون مع الأستاذ جبرائيل غزال في تحقيق الكتاب وتعريبه وإعادة طباعته باللغة العربية.

تاريخ قناة حيلان:

يرى الأستاذ صبحي مظلوم أن نظام حصر مياه حيلان وجرها يشبه كثيراً النظام الذي كان معروفا قبل العصور الكلاسيكية عند الآشوريين والفرس من بعدهم[١٢]، ويرجع وجود القناة القديمة لحيلان المحفورة في الصخر إلى عهد الاشوريين[١٣]، انظر الشكل ذا الرقم (٢).



شكل رقم (٢)
القناة المحفورة في الصخر قسم من قناة حيلان
القديمة والتي يطلق عليها اسم القناة الأشورية

ومن المؤكد وجود القناة في القرن الرابع قبل الميلاد فعندما سيطر اليونانيون بزعامة الإسكندر المقدوني على حلب سنة ٣٣٢ ق م يذكر الفيلسوف **أرسطو** الذي كان بصحبة تلميذه الإسكندر في كتاب البيان، أنه تخلف عن موكب الإسكندر وأقام عند قناة حيلان مدة أسبوعين حتى شفي من مرض ألم به.

وفي عهد **سلوقي نيكاتور** أقام اليونانيون في حلب «القرن الثالث قبل الميلاد» مستعمرة مقدونية داخل الأسوار في منطقة العقبة والجلوم ونظموا شوارعها على شكل شطرنجي حيث نجد الشارع الرئيس الممتد من باب انطاكية إلى الساحة العامة (الايغورا)، وأصبحت تلك المستعمرة محتاجة إلى الماء، وهذا ما دفع إلى إعادة جر المياه من حيلان إلى حلب[١٤]، ويذكر ابن شداد[١٥] أن **الملك الذي بنى حلب وزن ماءها إلى وسط المدينة وبنى عليها**، ولعل المقصود بوسط المدينة الايغورا امام المعبد الكبير (المدرسة الحلوية اليوم) وبالملك سلوقي نيكاتور.

ولاصحة لبعض الروايات من أن القناة من عمل إبراهيم الخليل أو الملكة هيلانة نظرا لتشابه اسمها مع حيلان ويرجح الباحث صبحي مظلوم أن القناة قد أُصلحت في عهد الرومان ووسعت مشير إلى أعمدة التوازن المنشأة على التحويلات الثانوية وتطوير شبكة التوزيع داخل المدينة وهي تشهد بالتكنيك المتقدم في عهد حكم الرومان للبلاد[١٦].

ويربط سوفاجيه نهاية مشروع القناة داخل السور القديم بالمستعمرة المقدونية اليونانية في عهد نيكاتور بينما يعيد إنشاءها ونظام جرها إلى العصور التاريخية القديمة.

ـ وتردنا أول إشارة إلى القناة بعد الفتح العربي الإسلامي للمدينة تعود إلى العهد الاموي عندما كان **عبد الملك بن مروان** واليا على حلب بين عامي (٦٦ و٧٣ هـ) فقد عمل عبد الملك على تجديد القناة بعد خرابها[١٧] وفي عهد **نور الدين محمود بن زنكي** وسع شبكة القناة باتجاه سوق السلاح (سوق الحدادين اليوم) غربي الجامع الاموي الكبير ونحو باب أنطاكية وعمل منها قسطلاً للماء عند المدرسة الشعيبية. كما ساق قسماً منها نحو باب قنسرين[١٨].

ويظهر أن القناة قد اضطرب سيرها بعد نور الدين ولم يعد يصل من مائها إلى حلب سوى الثمن فقرر الملك المعمار الظاهر غازي بن صلاح الدين الايوبي القيام بعمل إصلاحي وتجديدي رئيس للقناة أضيف إلى مآثره الجليلة والكبيرة التي أسبغها على المدينة(١٩).

وقد أحضر بعض الصناع من دمشق وأخد يباشر العمل بنفسه وجمع الأمراء والصناع والعمال . . وأحضر الحجارة والكلس والقنب والزيت ونصب خيامه ظاهر المدينة وقام بقياس طولها من نبع حيلان إلى حلب فكان خمسة وثلاثين ألف ذراع بذراع النجارين وهو ذراع ونصف . . فقسمها بالتساوي على أمرائه وأوكل إلى كل أمير إصلاح القسم المخصص له وترميمه . . . وكان يشرف عليهم حتى تم إنجازها في ثمانية وخمسين يوماً .

وعندما اتصل مجرى القناة بحلب أمر ببناء القساطل والأسبلة . . وأولها القسطل الذي شيده على باب الأربعين شمالي القلعة . . كما أمر بتغطية القناة بطوابيق من الحجارة وجعل لها فتحات للتهوية والتنظيف . . ووسع شبكتها داخل المدينة وأقام **ستة وستين قسطلاً**(٢٠) وكثرت الحمامات العامة . . وارتفع المستوى الصحي والاجتماعي للسكان . وامتدت أعمال تشييد تفريعات القناة وشبكتها إلى عهد حفيده **الملك الناصر** (٢١) وسعدت المدينة بذلك الإنجاز سعادة لاحدّ لها . . فخرجوا في مسيرة يتقدمها العلماء والفضلاء لاستقبال مياه القناة وسط فرحة عارمة وأنشد شاعرهم في مديح الملك الشجاع المعمار الظاهر الغزي يقول :

روي ثرى حلب فعادت روضة — أنفاً وكانت قبلة تشكو الظما
أحيا موات رفاتها فكأنه — عيسى - بإذن الله أحيا الأعظما
لا غرو إن أجرى القناة جداولاً — فلطالما بقناته أجرى الدما

وأزدهرت الحياة الاجتماعية والصحية في المدينة وسط هذا العدد الكبير من الحمامات والقساطل والمدارس . . حتى إن حياً واحداً من مدينة حلب كان يفوق بعدد مرافقه مدنا كثيرة في أوربة في العصور الوسطى . . ولا ننسى أن قصر فرساي حتى القرن التاسع عشر كان خاليا من تلك المرافق ودورات المياه والحمامات . .

إن امتـداد المـدينـة المستمّر بعد المرحلة الأيوبية وظهور أحياء جديدة خارج الأسوار وحاجة الصناعة والزراعة المتزايدة إلى الماء خلق مشكلة جديدة، هي عدم كفاية ماء القناة وهذا ما دفع بالأمير **سيف الدين سودون الناصري** نائب السلطنة على حلب سنة ٧١٣ هـ/١٣١٢م للقيام بعمل جديد **هو جرّ قسم من مياه نهر الساجور إلى نهر قويق**(٢٢) **وجعلها تصب في قناة حيلان** ولكن المنية وافته قبل اتمام عمله هذا سنـة ٧١٤هـ. فأكمـل الأمير سيف الدين أرغون (دوادار الناصري) ذلك العمل ويتحدث الشيخ كامل الغزي رحمه الله في نهر الذهب عن ذلك بقوله :(٢٣)

هندم قناة عظيمة تجري من الساجور وتصب في نهر قويق واستلم ماءها عند قرية حيلان وصرفهـا إلى قناة حلب. . وقد حفر نهر الساجور ووسع مضيقه وجمع الناس على ذلك بحيث كمل العمل في ستة أشهر وكان يوم وصوله مشهودا فقد خرج (الأمير أرغون) والأمراء والأعيان لتلقيه مشيا إلى ظاهر البلد بالتكبير والتهليل فرحين مسرورين.

وقال القاضي شرف الدين الحسيني في تلك المناسبة :

لما أتـى السـاجـور قلت له ماذا التـأخـر من حين إلى حين
فقـال أخـرني ربي ليجـعـلني من بعض معروف سيف الدين أرغون

وقام أحد التجار المماليك وهو / **بردبك**/ بأخذ قسم من مياه القناة ونظم شبكة كاملة لتوزيع المياه على الأحياء الشمالية خارج الأسوار(٢٤).

وبقي السـاجـور يزود حلب بالمـاء حتى حدثت زلـزلـة شديدة سنـة ٩٤٠هـ/١٥٤٤م فتهدمت الجسور التي بناها أرغون وانقطع الماء(٢٥). . وبقي الأمر كذلك حتى اجتهد أحد الأثرياء في حلب ويقال له (نعسان آغا)(٢٦) بأصلاح القناة والجسور ورتب أوقافاً كبيرة لصيانة ذلك الأمر ولكن أيدي المتسلطين أمتدت ثانية إلى تلك الأوقاف. . فأخذت الجسور تخرب شيئاً فشيئاً حتى تعطلت وانقطع الماء سنة ١١٣٥هـ/١٧٢٢م(٢٧) وجرت بعد ذلك محاولتان في **عهد الدولة العثمانية** حيث جمعت الأموال الكثيرة لاصلاح الجسور ولكنها لم تحققا الهدف(٢٨).

منذ عام ١٨٩٣ بقيت حلب تعتمد على مياه حيلان اعتماداً أولاً. وأخذت الحكومة تبحث عن مصادر أخرى للمياه.. واتجهت الأنظار نحو مياه **نبع عين التل**.. وكان أول من فكر بجرّ مياهها أبو حنا الأروفلي الذي كان يساعد المهندسين الألمان في مدّ الخط الحديدي من أسطنبول إلى حلب سنة ١٩١٥ وتحدث مع بشير معين رئيس ديوان الأشغال العامة بحلب ووافق الوالي عبد الخالق بك على الفكرة ومدت المياه..

وتابعت فرنسة بعد انتدابها على سورية مشروع توسيع شبكة المياه والاعتماد على مياه عين التل وإقامة صنابير المياه وساعات العدادات وحنفيات داخل الأحياء بدلاً من مياه القساطل وأخذ هذا الأمر شكلاً وطنياً.. إذ قاطع بعض الأهليين الشركة مفضلين الاعتماد على مياه حيلان وخطب أحد أئمة المساجد وهو الشيخ أحمد الصابوني في الجامع الأموي يندد بسياسة فرنسا ومقاطعة شركتها ويطالب بالاعتماد على مياه حيلان.. وهذا ما دفع الشركة الفرنسية إلى تقديم عداد الماء والشبكة مجانا تشجيعاً للأهليين.

مما لا شك فيه أن (للقنواتية) وهم الرجال الذين يشرفون على توزيعات قناة حيلان من تنظيم العدان وفتح الماء واغلاقه أثراً في دفع المعارضة نحو الأمام لأن تمديد مياه شركة عين التل يقضي على مكاسبهم وامتيازاتهم داخل الأحياء.. وكانوا أشبه بموظفين المواد المقننة الذين يلتمس الناس رضاهم دائماً..

وبنهاية الأربعينات من قرننا الحالي أصبحت قناة عين التل عاجزة عن تأمين حاجة المدينة التي أخذت تتسع.. والتي بدأت تعاني أزمة العطش كما أثبت الفحص المجهري ارتفاع نسبة العصيات الكولونية [٢٩] فأسرعت سنة ١٩٤٨ **شركة جيب الإنكليزية** في إنجاز أعمال مسح الأراضي جواً لمنطقة الفرات ووضعت تقريرها عن جرّ مياه الفرات إلى حلب.

وفي ٢١ أيار ١٩٤٩ أصدر مجلس الوزراء بناء على اقتراح من الأستاذ **فتح الله صقال** وزير الأشغال في حكومة الزعيم مرسوماً بالبدء بجرّ مياه الفرات إلى حلب.

وتحقق الحلم الـذهبي الـذي طالما صبت إليه الشهباء بوصول مياه الفرات العذبة يوم الأحد في العاشر من نيسان ١٩٥٥.

أهمية القنـــاة:

تبرز أهمية قناة حيلان من حيث.

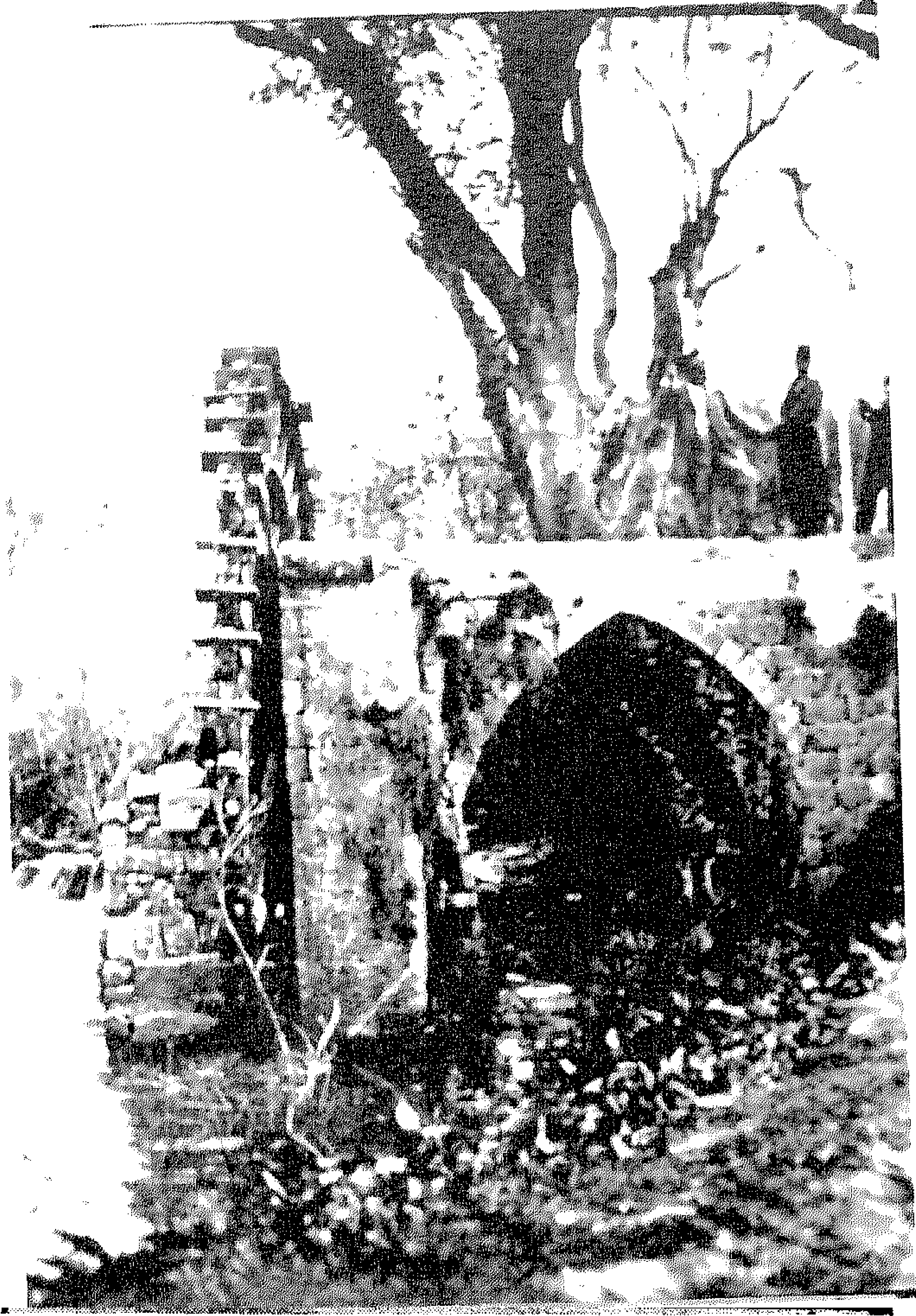
١ ـ إن فقر الوسط الطبيعي لمدينة حلب من مصدر ثابت للمياه وانخفاض معدلات الأمطار التي تقترب من حول / ٣٧٠/ مم في كميتها السنوية. . وندرة الأيام المثلجة. . بالإضافة إلى قلة الينابيع المحيطة بها وفقرها. . وارتفاع نسبة الملوحة في بعض الآبار ولاسيما أحياء قلعة الشريف والكلاسة. . وقد أعطى ذلك كله للقناة أهمية كبيرة.

ولعل من أبرز الينابيع التي كانت جارية نبع **اشمونيت أو عين مبارك** عند قرية الوضيحي جنوب حلب وكان يبلغ صبيبها / ٥٤/ ليتراً في الثانية **ونبع عين العصافير ونبع عين التل**.

أما نهر **قويق** فقد كان المصدر الرئيسي للسقاية وعرف في المصادر القديمة باسم **شالوس** وقال **دارفيو: إنه كان يسمى بنهر سيفا أو سيكويم** وورد عند المؤرخ اليوناني **كزانفون باسم خاليس** ـ وكان غنياً بثروته المائية قبل إقدام الحكومة التركية على تغيير مجراه وهو يسير بانحدار طفيف من الشمال إلى حلب (مقداره ٤/ بألف) ليصب بعد ذلك في مستنقعات المطخ وكانت تقام عليه النواعير والغرافات انظر الشكل ذا الرقم (٣) وهو غير ثابت الجريان يفيض في الشتاء والربيع ويكاد يجف في الصيف وقد فاض مرة في عهد سيف الدولة الحمداني وأحاط بقصره الحلبة في منطقة الفيض حتى شبهه المتنبي بالبحر

وقد تستغربون الآن وانتم تعلمون ما آل إليــه حالة النهر من وصف موفق الدين البغدادي له حين زار حلب:

لقد طفت في الآفاق شرقاً ومغرباً وقلبت طرفي فيها متقلباً
فلم أر كالشهباء بين المنازل منزلاً ولا كقويق في المشارب مشرقاً

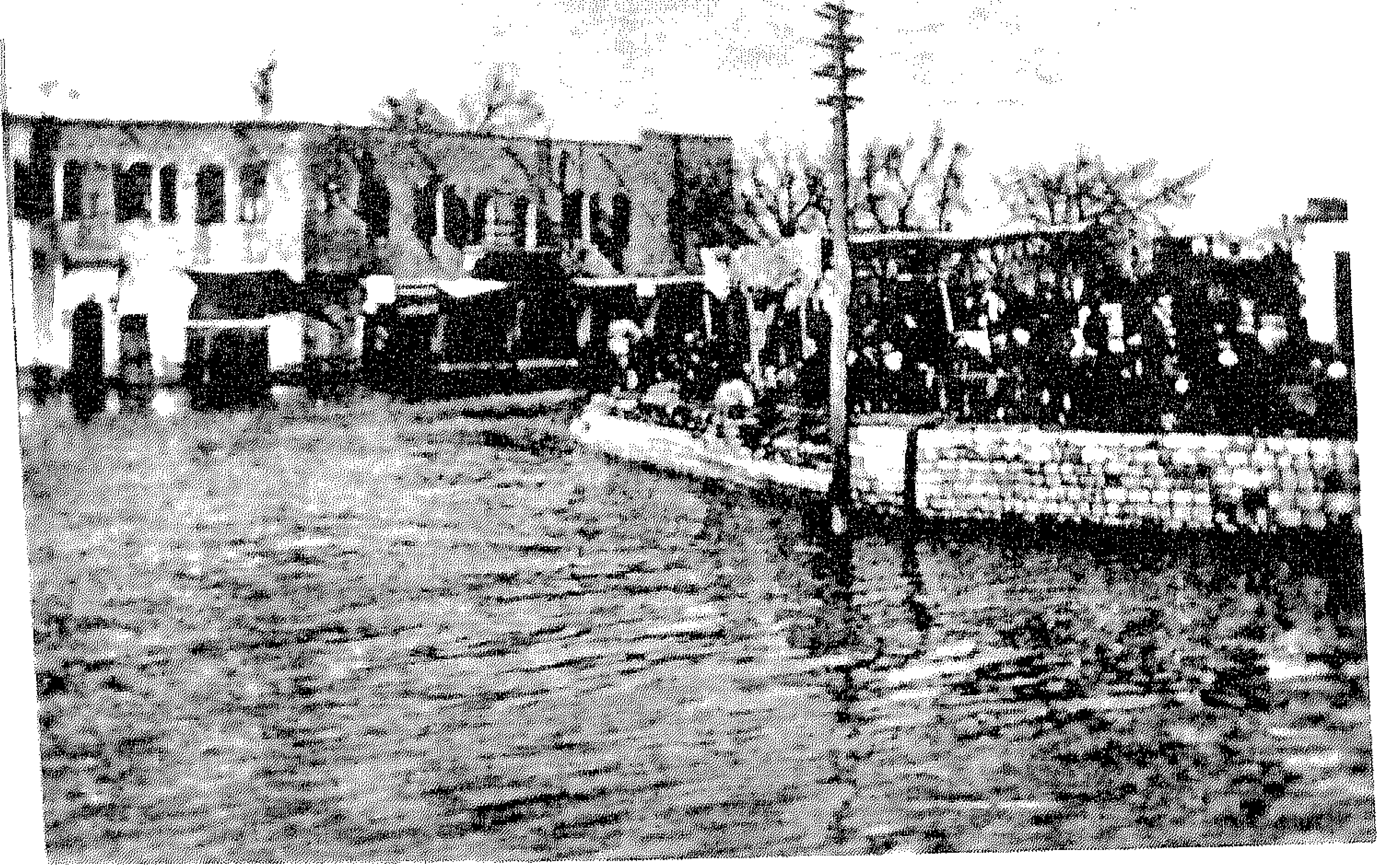


شكل رقم (٣)
إحدي النواعير التي كانت مقامة على نهر قويق بحلب

ويذكر الحلاق في كتابه حلبيات:

كان نهر قويق غزيراً لايقوى على السباحة فيه إلّا السباحون الماهرون لكثرة الدوارات فيه وإذا فاض كان يملأ السهول والطرقات والبساتين وفي عام ١٩٣٣ لم يقذف سوى بـ ٨٤ مليون من الأمتار المكعبة. بينما كان يقذف في فيضان عام ١٩٣٨ بستين متراً مكعباً في الثانية حتى إذا ما أقبل فصل الصيف وأيام التحاريق تحول إلى نهر صغير يصدق فيه قول الشاعر:

قويق إذا شم ريح الشتا أظهر تيهاً وكبراً عجيباً
وإن أقبل الصيف أبصرته ذليلاً حقيراً حزيناً كئيباً
إذا ما الضفادع نادينه قويق قويق أبى أن يجيبا
تغوص البعوضة في قعره فتأبى قوائمها أن تغيبا



شكل رقم (٤)
صورة وثائقية لإحدى فيضانات نهر قويق في مدينة حلب في القرن العشرين حيث كان يغرق الطرقات والساحات العامة والبساتين

٢ ـ الناحية الثانية في أهمية قناة حيلان . .

إنها تمثل أمامنا إنجازاً علمياً تقنياً لم يتجاوزه الزمن بعد وهي تعبر عن مقدرة كبيرة في تقدم نظام توزيع المياه والصرف الصحي والتكنيك العالي الذي تمت وفقه توزيع شبكة السقاية داخل المدينة وهي تعطينا فكرة **عن سعة المعارف الهيدروليكية في المجتمع القديم**. وأستطيع أن أوكد ـ بحسب ما وصلت إليه معرفتي ـ أن قناة حيلان هي المؤسسة العلمية التراثية الوحيدة الباقية من الحضارة العربية الإسلامية ولا نجد لها مثيلاً في أنحاء العالم ومن هنا تبرز أهميتها وأهمية حمايتها وصيانتها انظر الشكل ذا الرقم (٥).



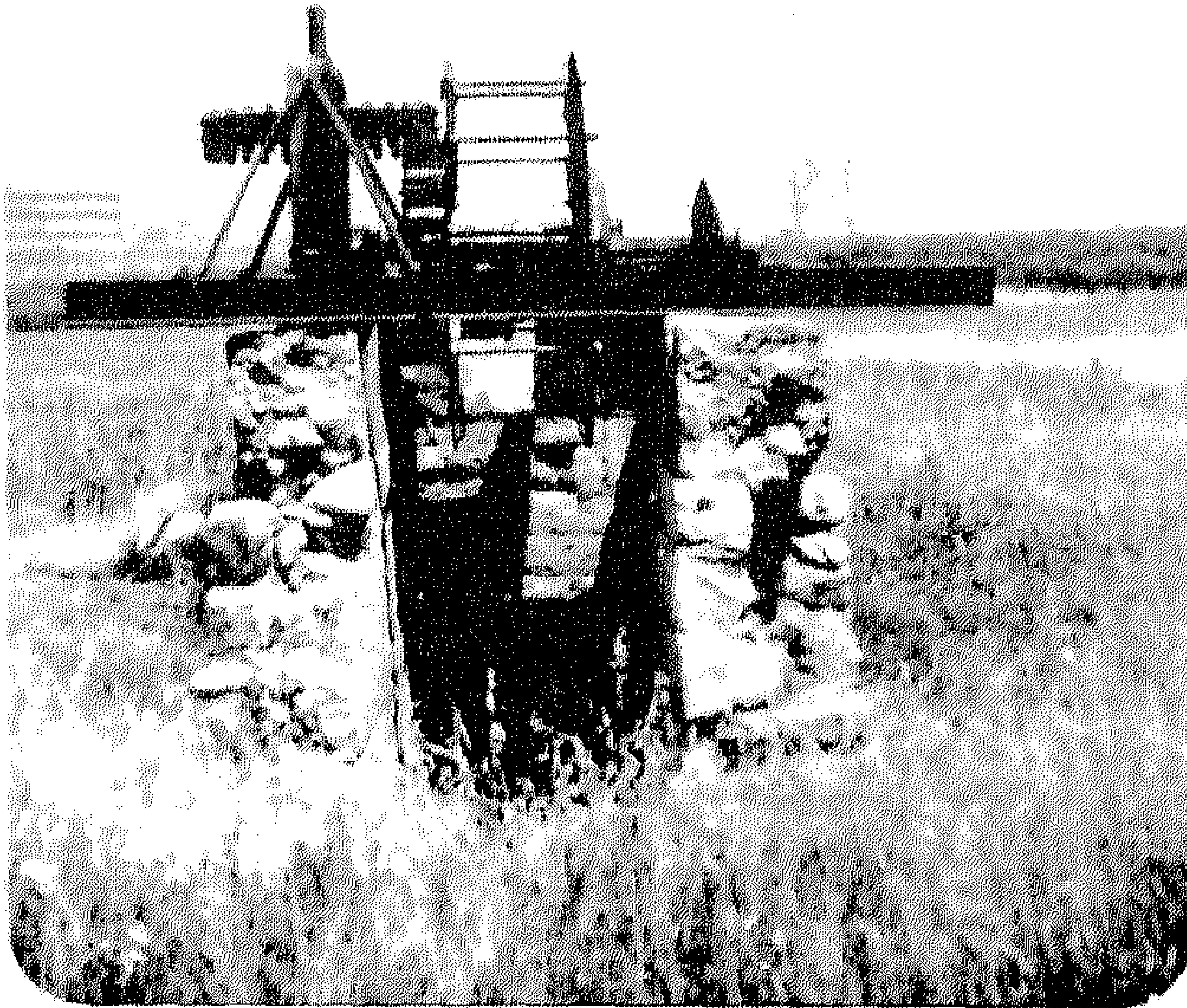
شكل رقم ([illegible])
القناة تحت الأرض وهي تتسع لسير رجل في منتصف القامة وما يزال البناء بحالة جيدة

نظام حصر مياه القناة وجرها وتوزيعها :

تستمد قناة حيلان مياهها من ينابيع عدة تمتد من حيلان إلى قرية **بابنس** إلى الشمال الشرقي منها. . وتقع تلك الينابيع وسط حوض طوبغرافي يعود إلى منخفض يمتد من جبال طوروس إلى جنوبي وادي نهر قويق[٣٠] وأغفل معظم الباحثين أثر ينابيع بابنس وذكر لي أحد المواطنين خلال زيارتي للمنطقة لدراستها بمهمة للجنة المعجم الجغرافي التابعة لوزارة الدفاع وهو (محمد البوصي) أنهم كانوا يضعون التبن في ينابيع بابنس فيظهر على مياه برك حيلان. وأما برك حيلان مكان رشح المياه وحصرها فإنها تقع في حوض يحاذي مجرى نهر قويق خلف سجن المسلمية الحالي ونصل إليها عن الطريق الرئيس بين حلب والمسلمية حيث ينحرف طريق ترابي شرقاً نحو جسر حيلان

فوق مجرى النهر. . عند ذلك يظهر أمامنا تل أثري قائم وسط السهول غني بكسيرات الفخار تبينا فيه سوراً محيطاً به بعرض مترين يعود إلى مراحل موغلة في القدم وإلى جانبه موقع حيلان القديمة. . لأن مالك القرية أيام الانتداب الفرنسي وهو السيد اسعد بن فؤاد العادلي قام بنقل القرية القديمة إلى سفح جبل الشواخ شرقاً وفكر في إزالة التل وتعبيد الأرض ولكن ذلك لم يتمّ له. وماتزال أطلال حيلان القديمة ماثلة أمامنا.

أما برك حيلان فانها تقع وسط ذلك السهل المنبسط الخصيب المجاور لمجرى النهر وضرب المثل بخصبه بأن المثل فيه يعطي مائة مثل، ومنه اتت تسمية المنطقة بالمسلمية. وماتزال الغرافات في ذلك السهل تضخ المياه العذبة إلى وقتنا هذا انظر الشكل ذا الرقم (٦).



شكل رقم (٦)
غراف لنتح المياه من بقايا الغرافات الكثيرة التي كانت في سهل المسلمية وقرب منابع حيلان

وهذه البـرك هـــي :

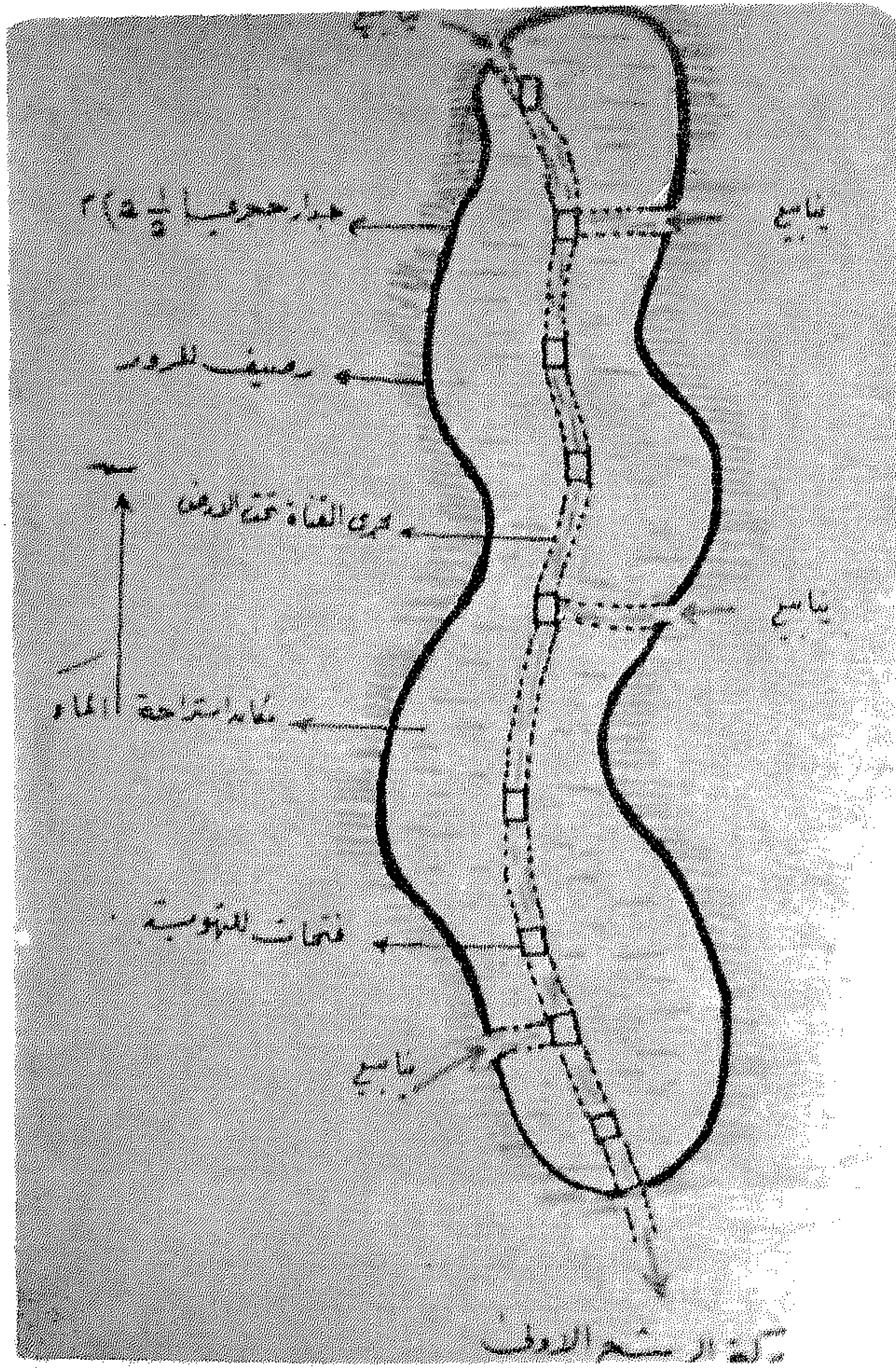
١ ـ بركة الرشح الكبرى أو بركة حيلان :

وهي كبرى الـبرك . . تمتـد على شكـل السبحـة انظر الشكل ذا الرقم (٧) المتطاولة من الشمال إلى الجنوب يحيط بها جدار حجري له رصيف بارتفاع /٣/ أمتار وفي جدرانها اربع فتحات لرشح الينابيع بالماء الذي يملأ ارض البركة ويرتاح ويرسب حمولته من الاتربة وعندما ترتفع سويته يصب في فتحات حجرية ترتفع حافتها عن سطح البركة بحدود /٣٠/ سم وتتصل تلك الفتحات بسّرابات وقنوات ، تمتد ارض البركة بعمق ثلاثة أمتار تقريباً . . وتتصل تلك السرابات بقنوات إلى فتحات رشح الينابيع انظر الشكل ذا الرقم (٨) وعدد فتحات القناة داخل بركة الرشح عشر وتقدر المسـافة بين كل فتحة واخرى بخمسة وعشرين متراً . . وتبلغ مساحة بركة الرشح الأولى /٢٠٩٩/ م٢ وتتجمع المياه لتخرج إلى قناة جامعة تحت الأرض باتجاه الجنوب نحـو بركة العبد حيث نجد لها فتحات عدة للتعزيل والتنظيف والتهوية . ويتراوح معدل دفق المياه فيها ما بين /١٨ و١٧/ ليتراً في الثانية[٣١] انظر الشكل ذا الرقم (٩) .

٢ ـ بركة العبد : أو بركة النيلوفر :

وتقع إلى الشرق من خط سير القناة الرئيس الآتي من بركة الرشح وتتصل بها قنـاة تخرج من أسفل أرض بركة العبد انظر شكل ذا الرقم (١٠)، والبركة دائرية الشكل محاطة بسور حجري يزيد ارتفاعه على أربعة امتار ومساحتها/ ٤٥٠/ م٢ .

وتتلقى بركة العبد بالإضافة إلى ماء ينبوعها تحويلاً من نهر قويق يعادل ٣/١ مياهه وتصب تلك المياه في البركة لتستريح وترقد ثم تأخذ طريقها إلى القناة الرئيسة . وكان يستفاد من ذلك التحويل ايام التحاريق والصيف وعندما حولت تركيا مجرى النهر توقف العمل في ذلك التحويل . . ويبلغ معدل الرشح ما بين /١٢ و١٨/ ليتراً في الثانية[٣٢] .



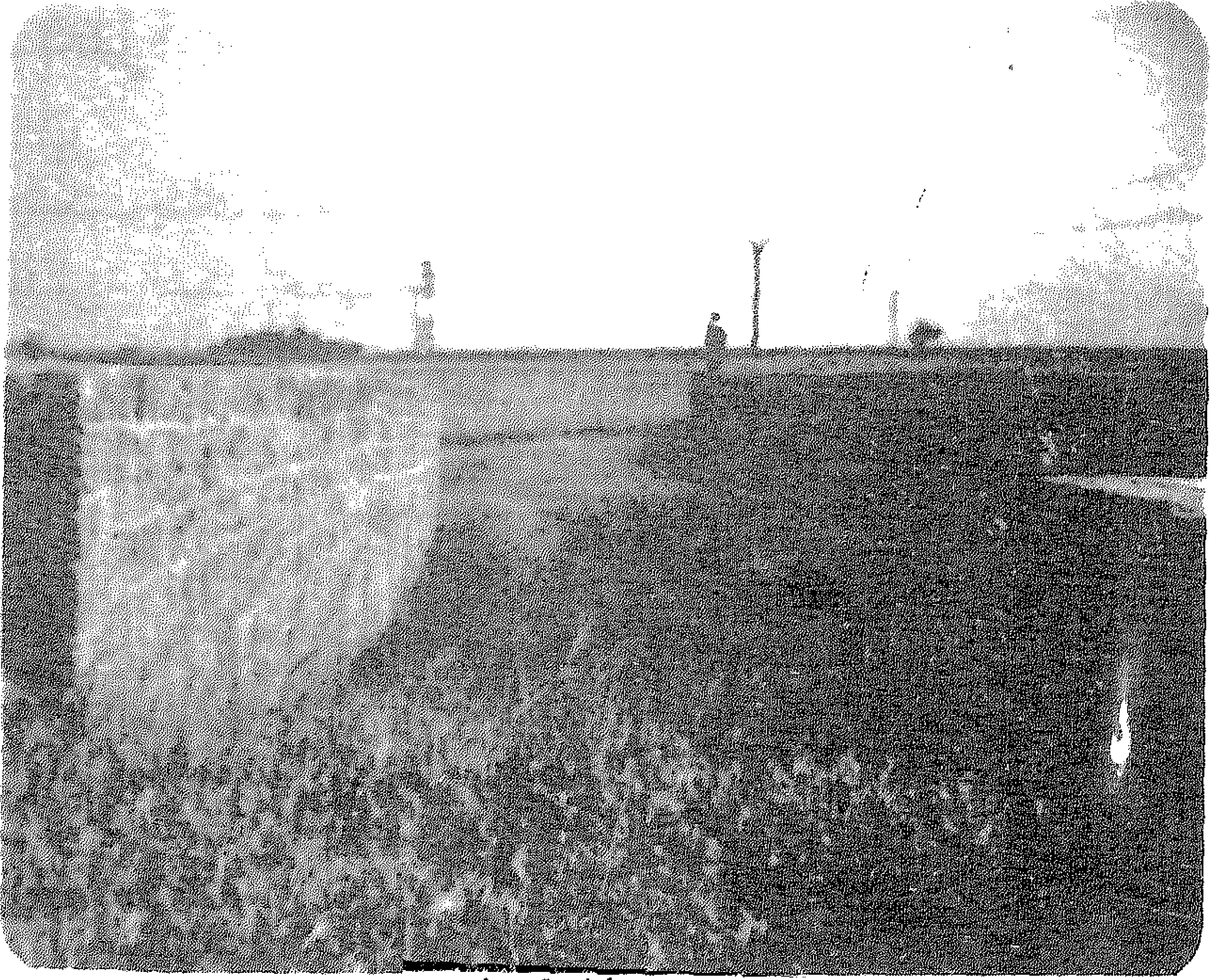
شكل رقم (٧)
بركة الرشح الأولى على شكل السبحة



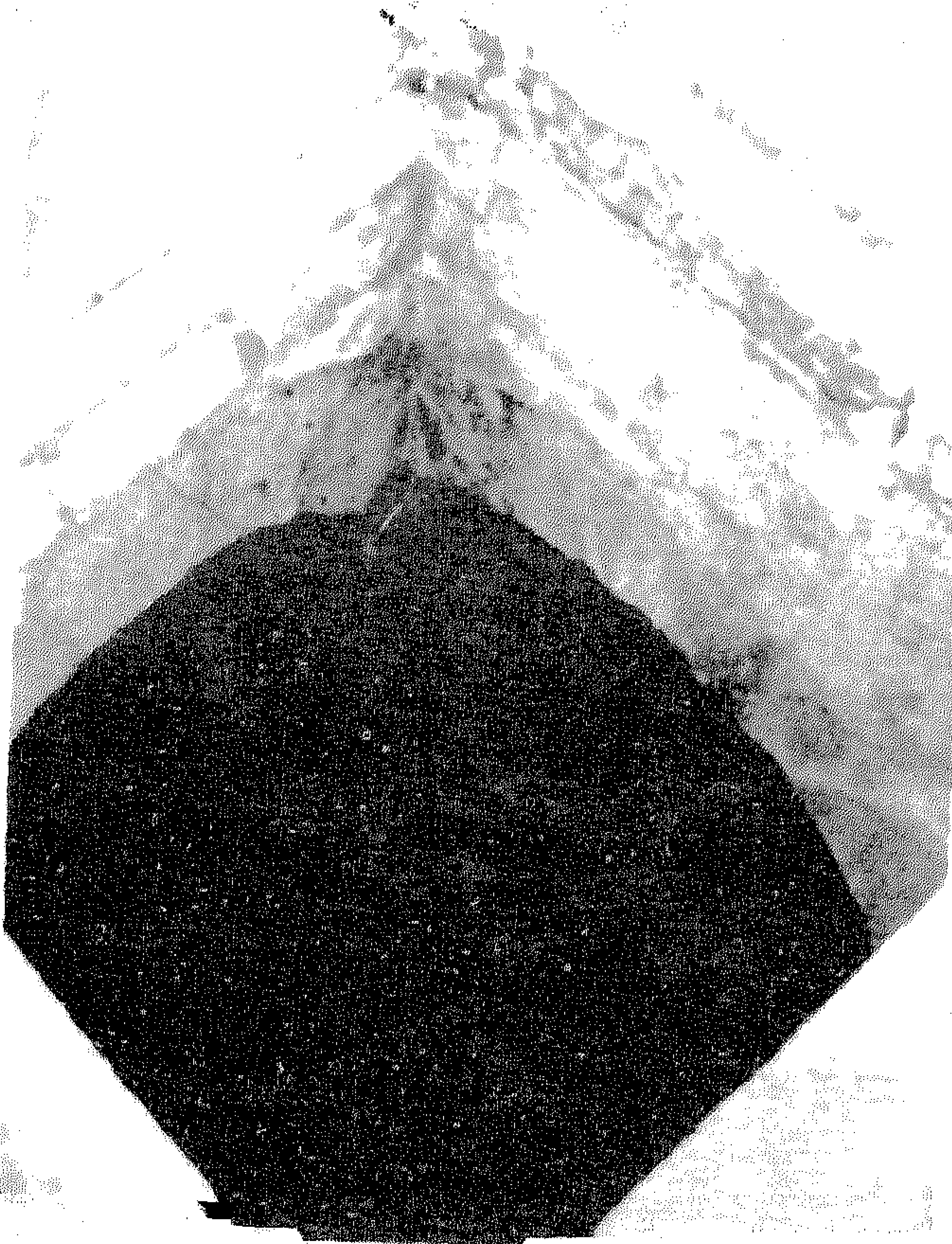
شكل رقم (٨)
بركة الرشح الأولى على شكل السبحة
وتبدو فتحات القناة التي تسير تحت الأرض داخل البركة



شكل رقم (٨) مكرر
صورة قديمة لتجمع المياه في بركة الرشح الكبرى



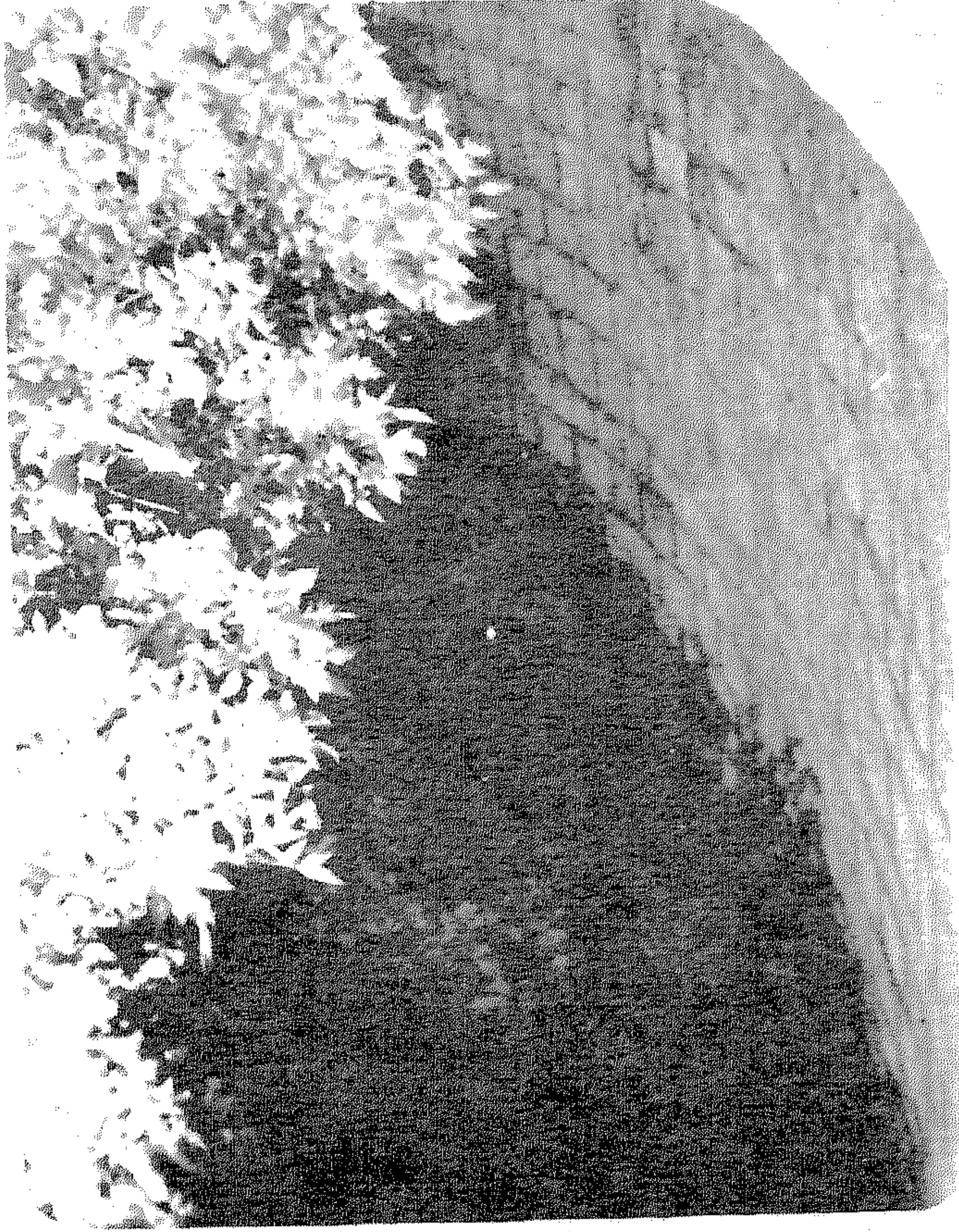
شكل رقم (٩)
جدار بركة الرشح الأول أو بركة السبحة
المصدر الأساسي في الماء لقناة حيلان



شكل رقم (١٠)
مشهد علوي لقناة حيلان بشكلها
المركب حيث تتصل القناة الأساسية
بقناة فرعية تحت الأرض

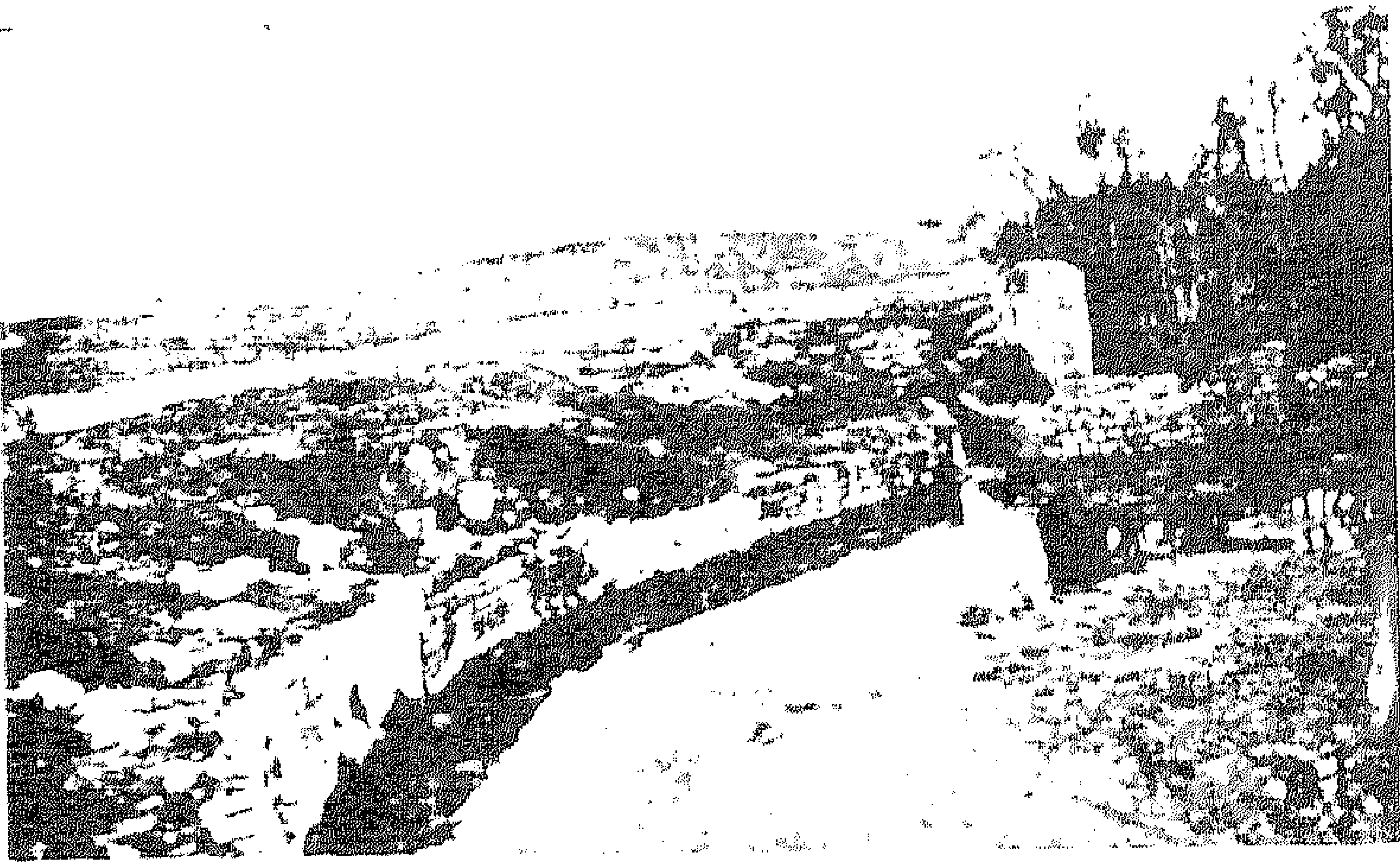
- بركـــة الخليل:

وسميت بذلك نسبة إلى مزار مجاور لها اسم صاحبه الشيخ خليل وهي أصغر البرك ودائرية الشكل يحيطها جدار حجري ومساحتها / ٣٥٠/ م٢ تخرج المياه من ينبوعها بقناة فرعية تلتقي والقناة الرئيسة. ومعدل رشح ما بين /١٤ و٢٤/ ليتراً في الثانية وقد تحولت ارض بركتي الخليل والعبد إلى غابة من الأشجار العالية اليوم يتعذر النزول إليها. أما أرض بركة الرشح فهي خالية من الأشجارانظر الشكل ذا الرقم (١١).



شكل رقم (١١)
الجدار الداخلي لبركة الخليل وتبدو الأشجار قدنبتت في قاع البركة

وبذلك يكون المعدل الوسطي لمياه حيلان بين مراحل التدفق ومراحل الرشح زمن التحاريق من ٤٣ إلى ١١٢ ليتراً في الثانية أي ما يساوي ٧٠٠٠/ م٣ في اليوم.



شكل رقم (١١) مكرر
صورة قديمة لتجمع المياه في بركة الخليل

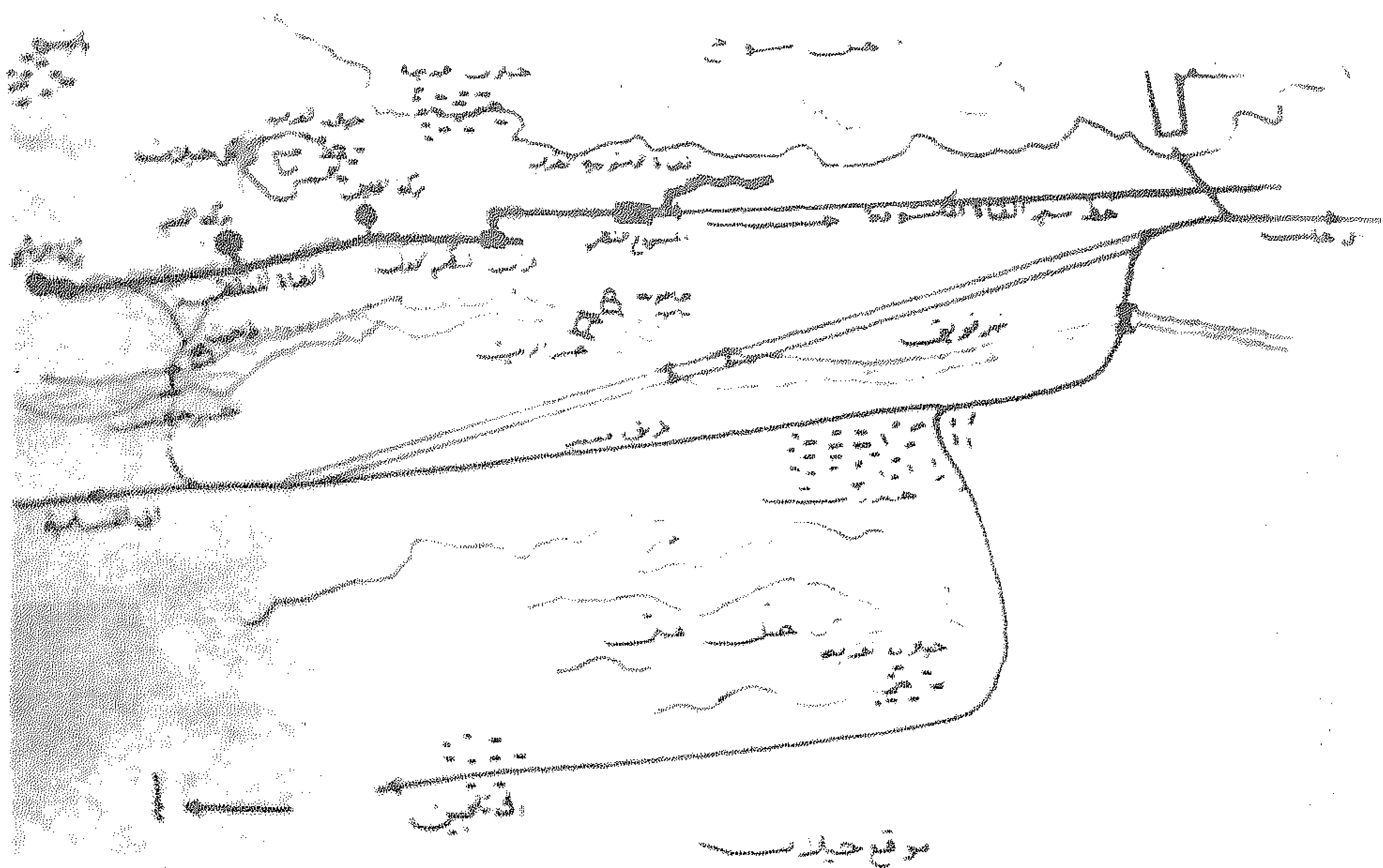
أما كمية المياه التي كانت تتلقاها من الساجور عن طريق قويق فيتراوح معدلها ما بين / ٢٤٠ و٣٢٠/ ل / ثا أي ما يساوي ٧٥٠٠ م^{3} في اليوم[٣٣].

وفي خلال الإتفاقات المعقودة بين حلب وعنتاب يجب أن يكون معدل جريان النهر في المنطقة الشمالية في الصيف وسطياً ٧٢٠ ل في الثانية وكان قويق يزود القناة بـ ٢٤٠ ل/ثا[٣٤].

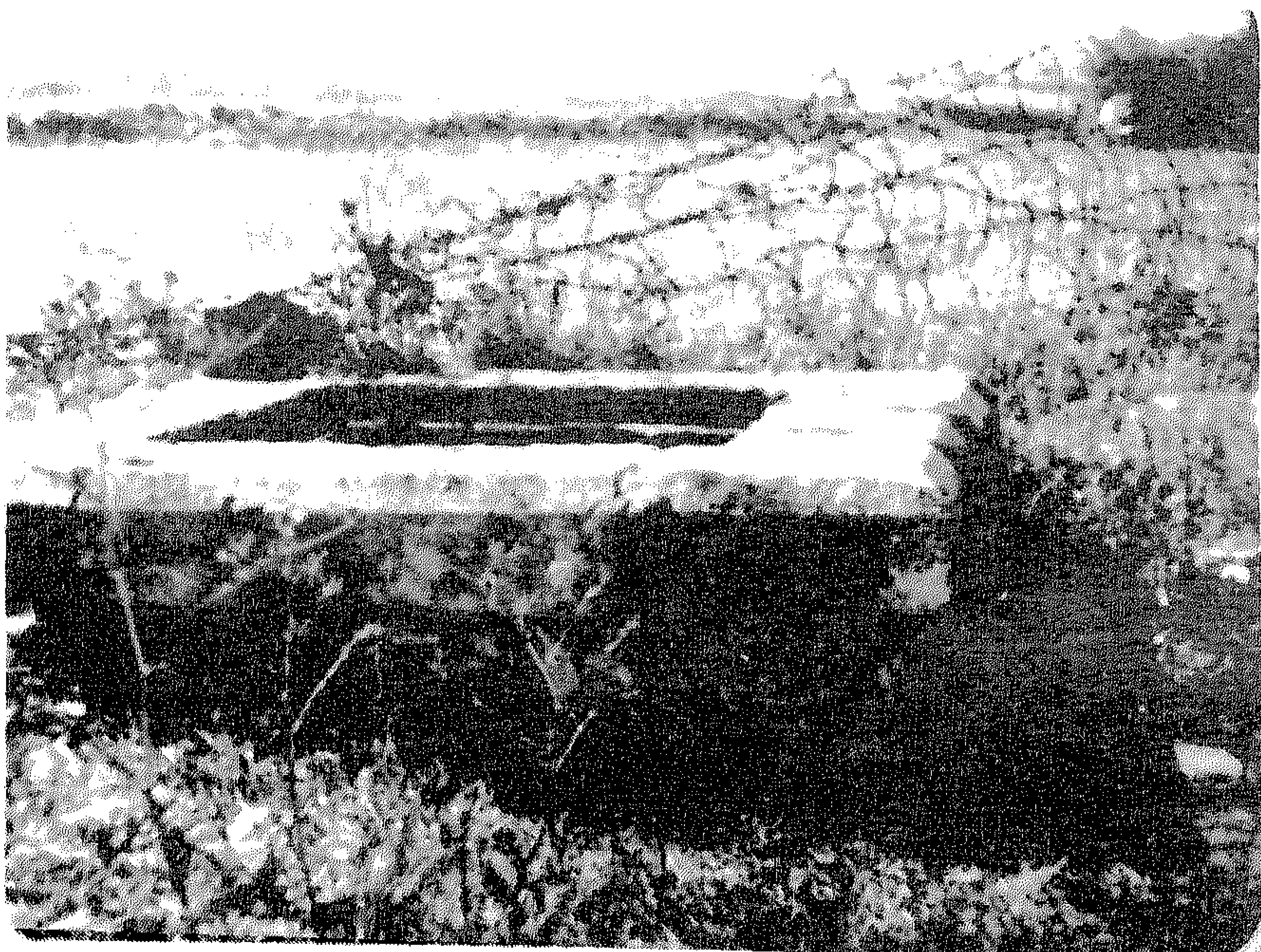
سير القناة نحو حلب:

يقدم لنا ابن شداد والغزي وصبحي مظلوم وصفاً دقيقاً لخط سير القناة والمنشآت العلمية المقامة عليها. فبعد بركة الخليل تسير القناة الجامعة مسافة / ٤٠٠ / م تحت الأرض ولها ٨ ثماني فتحات للتهوية وتتصل بسكر تنظيمي خصص لتفريغ المياه وتحويلها نحو النهر بسحاب معدٍ في أوقات تنظيف القناة أو إصلاحها. ومن خزان التنظيم الأول تتجه قناة فرعية نحو الجنوب وتكون مكشوفة ويستخدم قسم من مائها لري الأراضي والبساتين بسواقٍ فرعية أو الشراق حيث يخصص لكل مسكبة

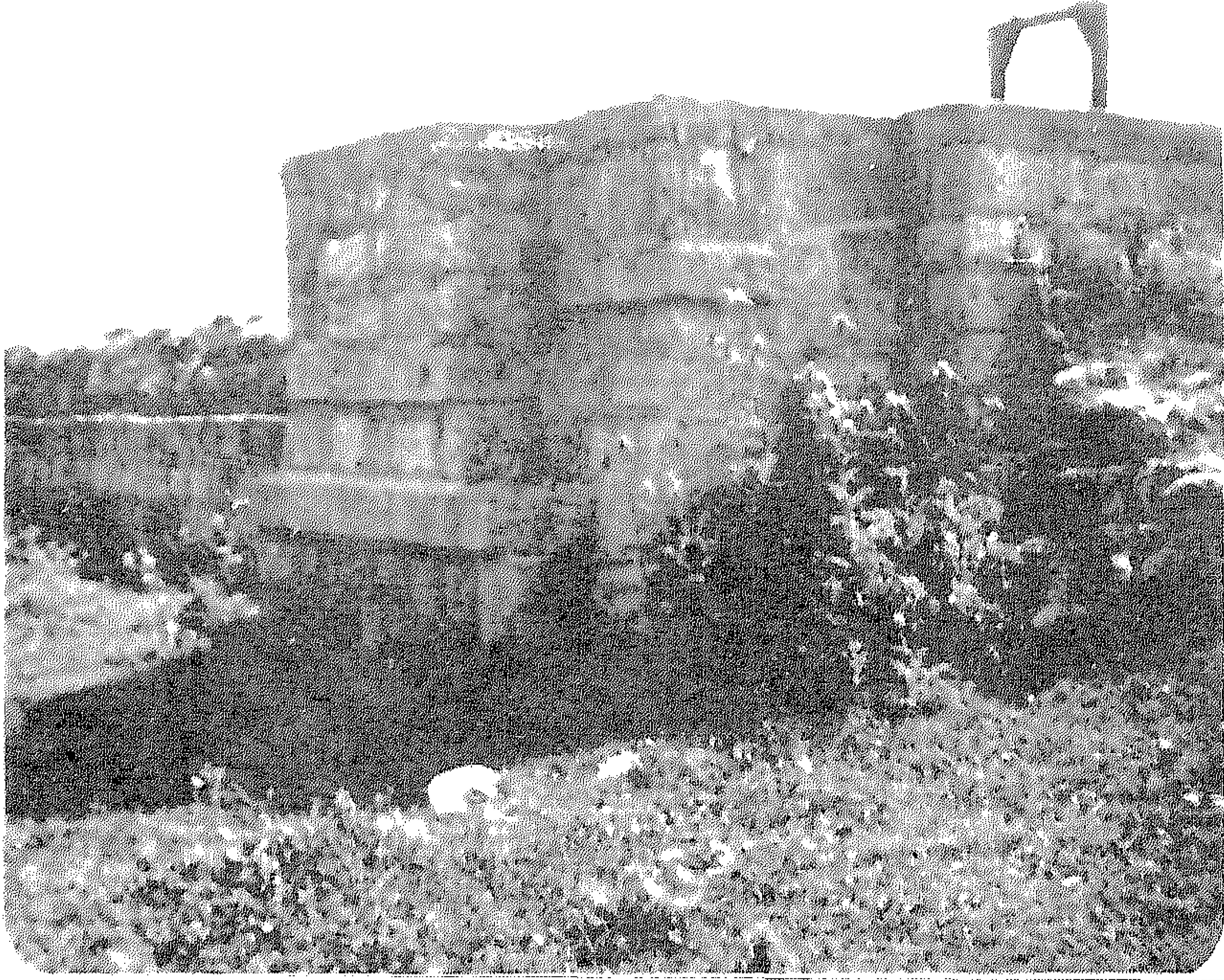
مزروعة / ١٥/ ليتر ماء في الثانية وفي خلال تدفق ساعة بالكمية نفسها تخصص لري ٦٠ مسكبة والمسكبة تساوي حوالي ٢٥ م٢ وكل ١٤٤ مسكبة تساوي كدنة، والكدنة الواحدة تقدر تقريباً بـ ٤ دونمات. والرباع يساوي ٤ كدنات[٣٥]. انظر الاشكال (١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧).



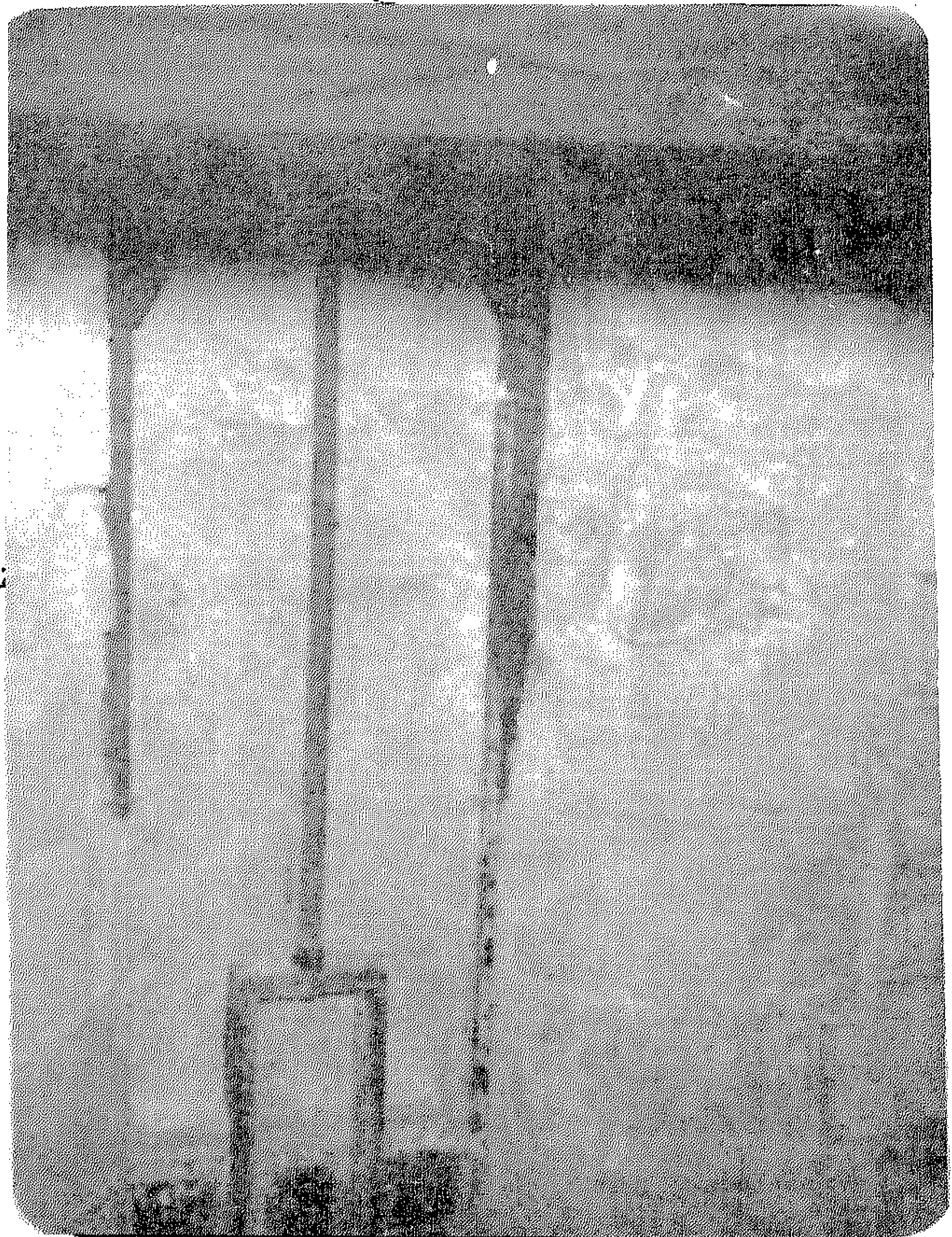
شكل رقم (١٢)



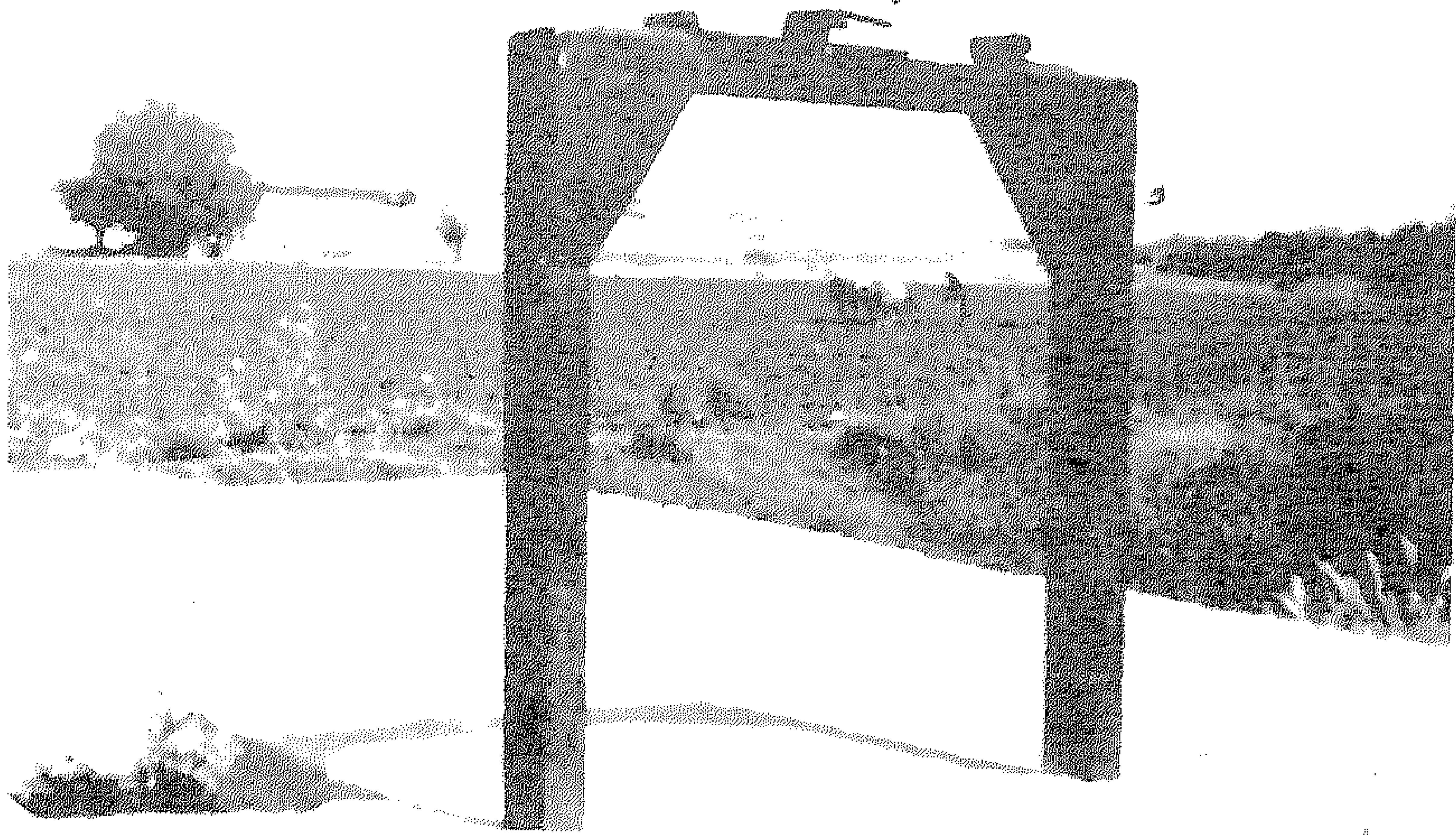
شكل رقم (١٣) فتحة التهوية للقناة وهي تسير تحت الأرض



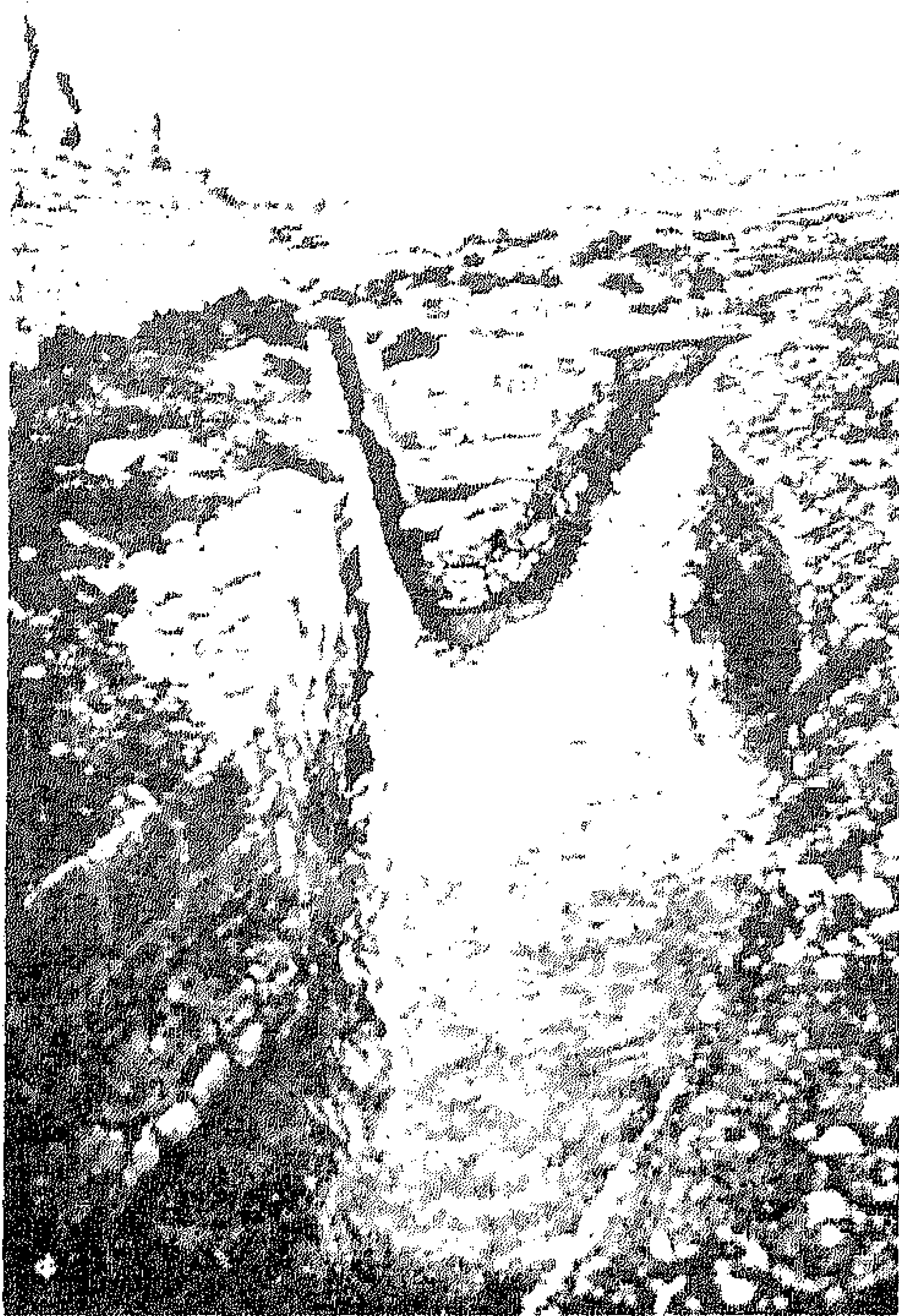
شكل رقم (١٤) السكر التنظيمي
خزانة التوزيع الأولى لمياه حيلان قرب نهر قويق



شكل رقم (١٥)
نايا نازل السكر في غرفة التوزيع الأولى



مسند سحاب فتح الماء وإغلاقه فوق حجرة التوزيع الأولى على قناة حيلان وتبدو في الصورة سهول المسلمية



شكل رقم (١٧)
نقطة اتصال نهر قويق بالتفريعة الواصلة إلى قناة حيلان

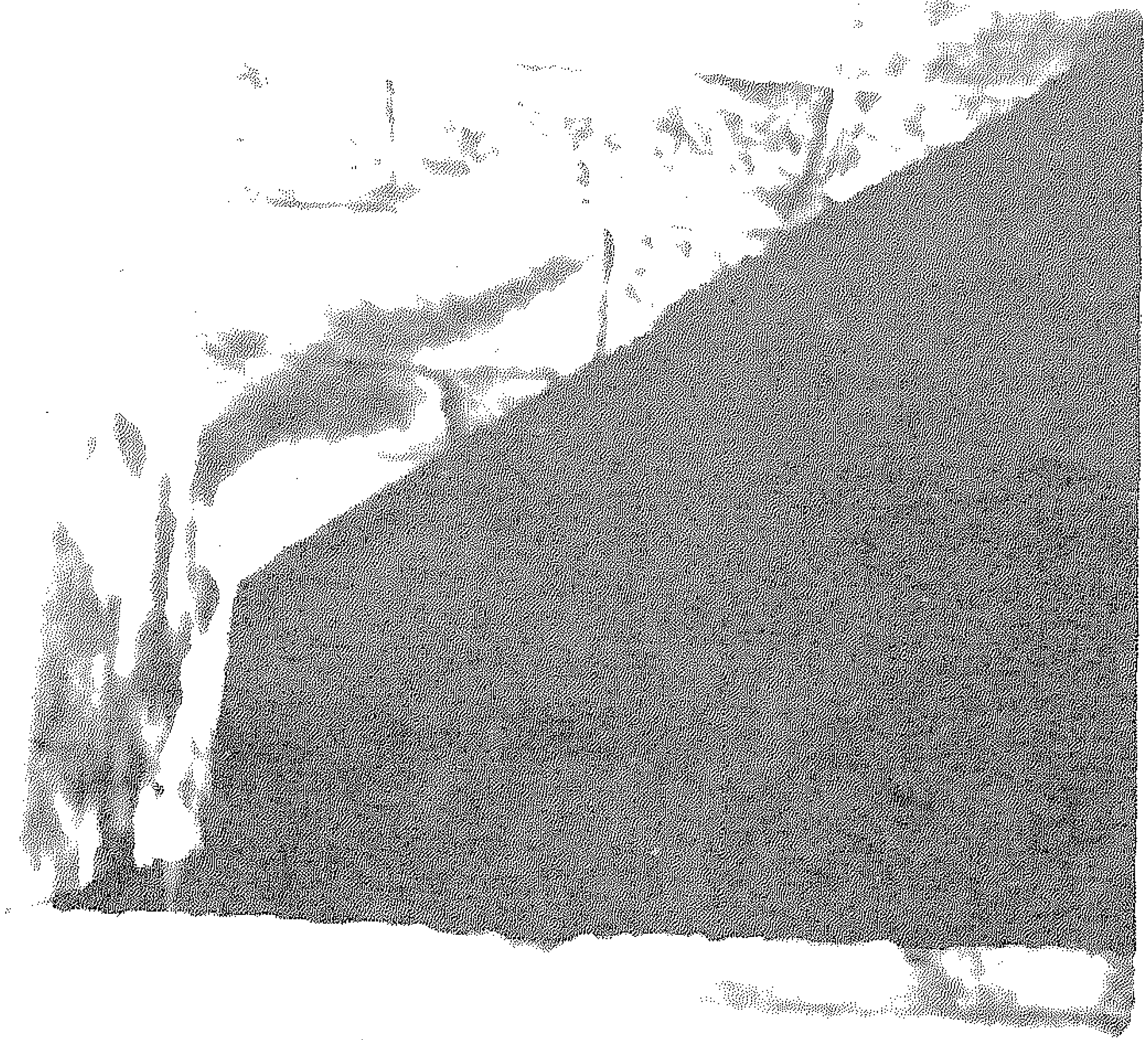
وهنالك عدان الحجر: وهو تدفق الماء اللازم لإدارة حجر الطاحون ويعادل ثمانية مجارف أي حوالي ١٢٠ ل. ثا انظر الشكل ذا الرقم (١٨).

وكانت تقدر مياه قويق بما يساوي ٦ احجار أي حوالي ٧٢٠ل/ثا وكانت مياه الطواحين تعود لتصب في النهر[٣٦].

وتخرج القناة الرئيسة من خزان التنظيم نحو الشرق ثم تتجه جنوباً بزاوية قائمة تحت الأرض ونجـد هنا خمس عشرة فتحة لتصل إلى غرفة التحويل الكبرى وفيها خزانات للمياه والمعالجة والتصفية بأساليب فيزيائية وكيميائية ومنها تخرج المياه في قناة مكشوفة انظر الشكل ذا الرقم (١٩) والرقم (٢٠).



شكل رقم (١٨)
تفريعة من قناة حيلان لادارة حجر الطاحون في طريقها



شكل رقم (١٩)
مشهد لفتحة التهوية لتنظيف القناة وفى الأسفل القناة وسيرها تحت الأرض

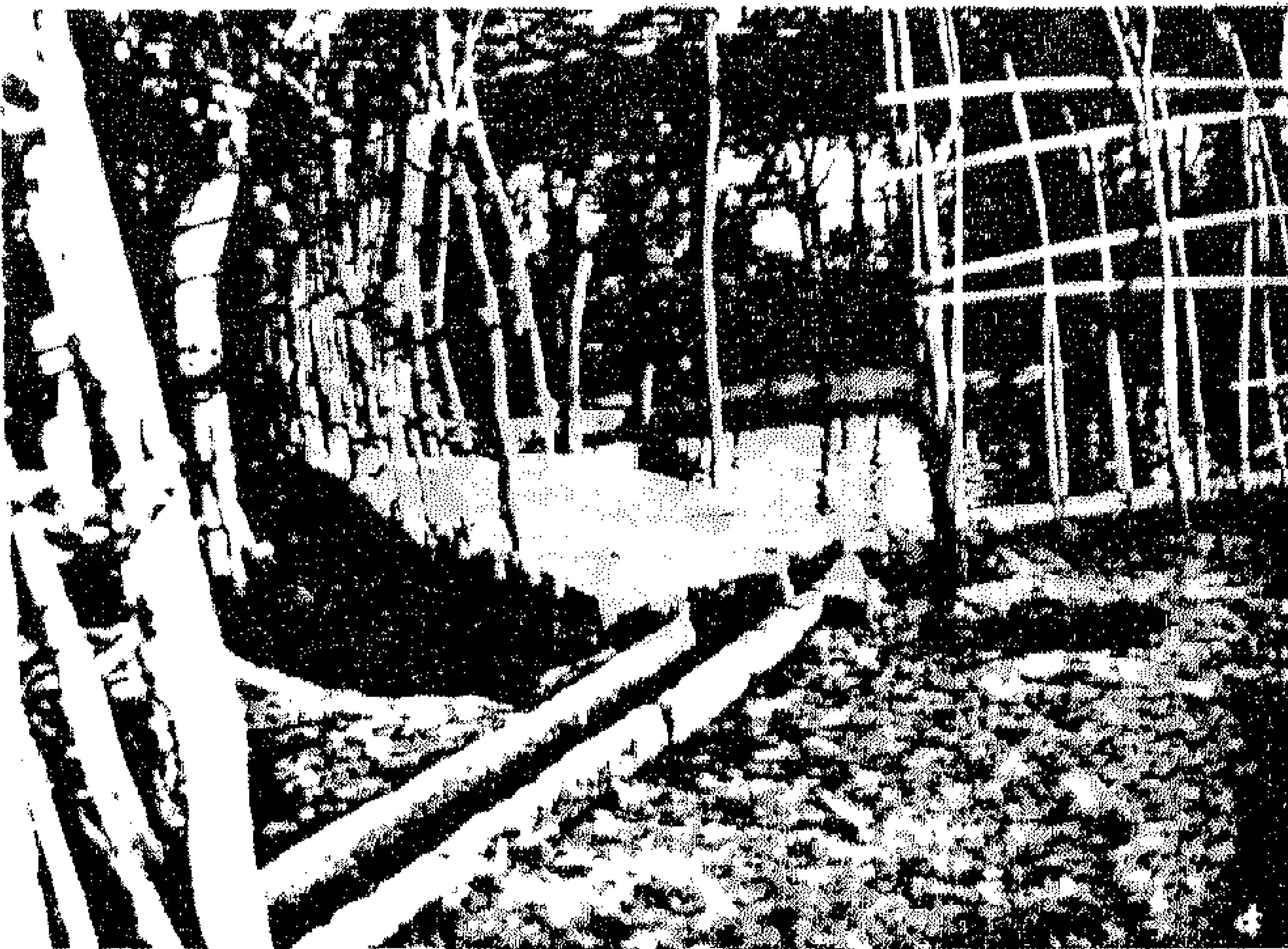


شكل رقم (٢٠)
فتحة خروج الماء من مركز التصفية الرئيس ويظهر في الصورة الحفر في ممر القناة لينزل فيها السكر لقطع الماء أو لفتحها

ويتفرع منها قناة أخرى محفورة في الصخر ولعلها القديمة منذ عهد الآشوريين أو الرومان تسير القناة بانحدار يقدر بـ ٤٨٪.[٣٧] من الدرجة في الكم الواحد. وتأخذ طريقها نحو مشهد العافية قرب قرية بعادين وترتفع بعد ذلك فوق بناء محكم أعد لأجلها لأن الأرض منخفضة ثم تصل إلى قرية بابللي لتسقي البساتين ثم تظهر تارة وتختفي تحت الأرض بحسب سوية الأرض وارتفاعها ثم تلتف في منحدر حول جبل عبيد الصخري وترتفع فوق عقود مقنطرة لمسافة / ١٥ / خمسة عشر متراً في وادي غنام ثم تنحرف شرقاً نحـو بساتين بعادين وتجري مكشوفة تحت الارض[٣٨]. وعندما تسير تحت الأرض يطلق عليها اسم العميا[٣٩]. ويعمل عند ذلك إلى إيصال مياهها إلى سطح الأرض بالغراف أو الدولاب[٤٠] أو الشراق وصمم المهندسون المبدعون خط سيرها لتدخل حلب من أعلى نقطة فيها حتى تتم حركة ضخ المياه بالراحة... وتمر من خلال سيرها داخل مرتفعات حفرت القناة داخلها وسط الصخور والجلاميد على عمق يتراوح من ٦ إلى ١٠ أمتار تحت الأرض.

وتدخل القناة المدينة من جهة باب الله (بابللي) لتقطع السور الأيوبي من زاويته الشمالية الشرقية عند باب الحديد الذي كان يعرف في السابق بباب القناية[٤١].

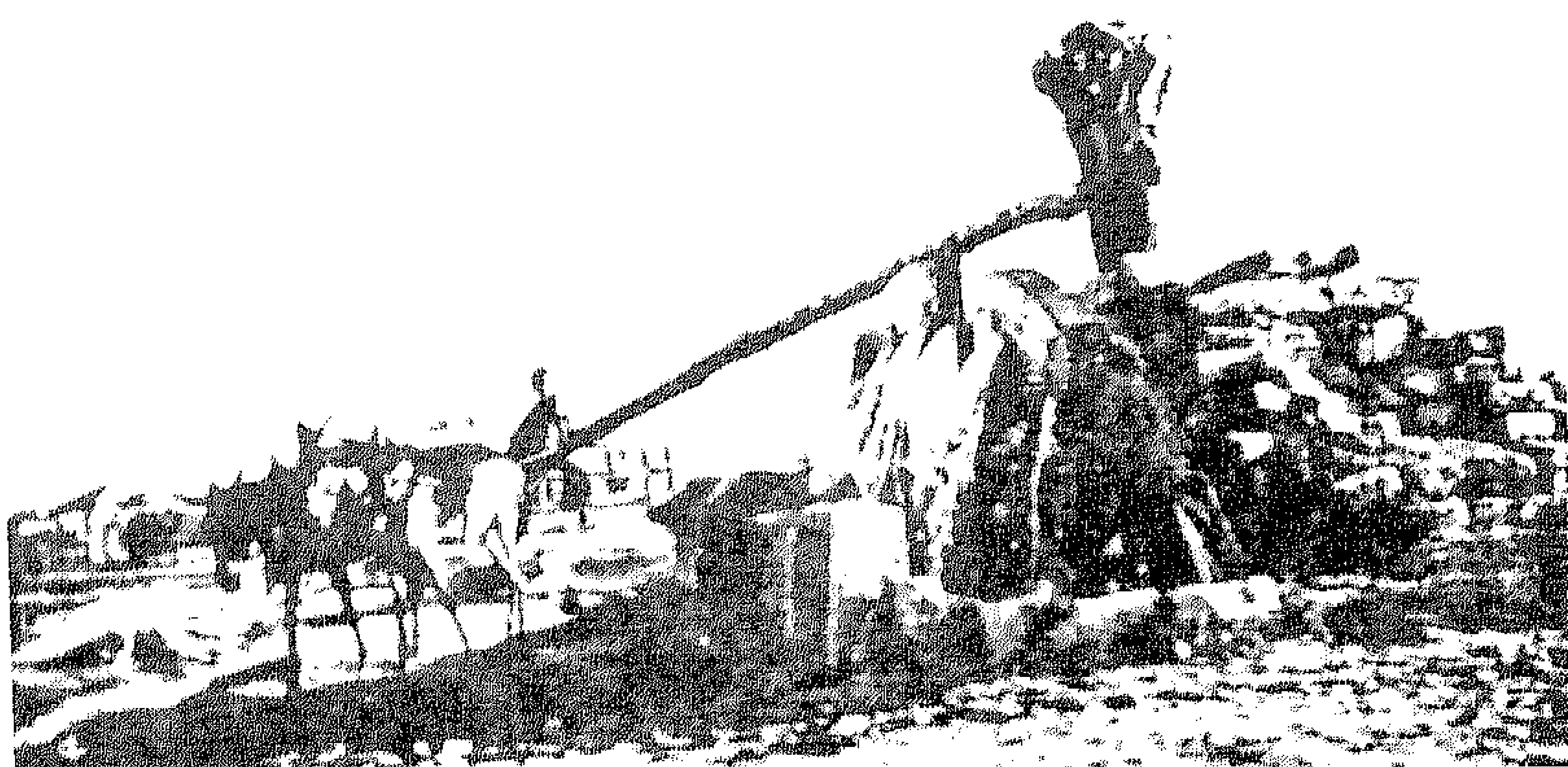
ويذكر الغزي في تاريخه أن القناة كانت مكشوفة عند باب الحديد.. وأنه لما أصابت أسراب الجراد حلب سنة ١٣٠٩هـ وخوفاً من فساد مياه حيلان فقد قامت البلدية بتطبيق الحجارة فوق مجراها وتركت بعض المواقع مكشوفة انظر الاشكال (٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧).



شكل رقم (٢١)
فرع من شبكة حيلان وهي مخصصة لسقاية بستان الباشا شمالي حلب



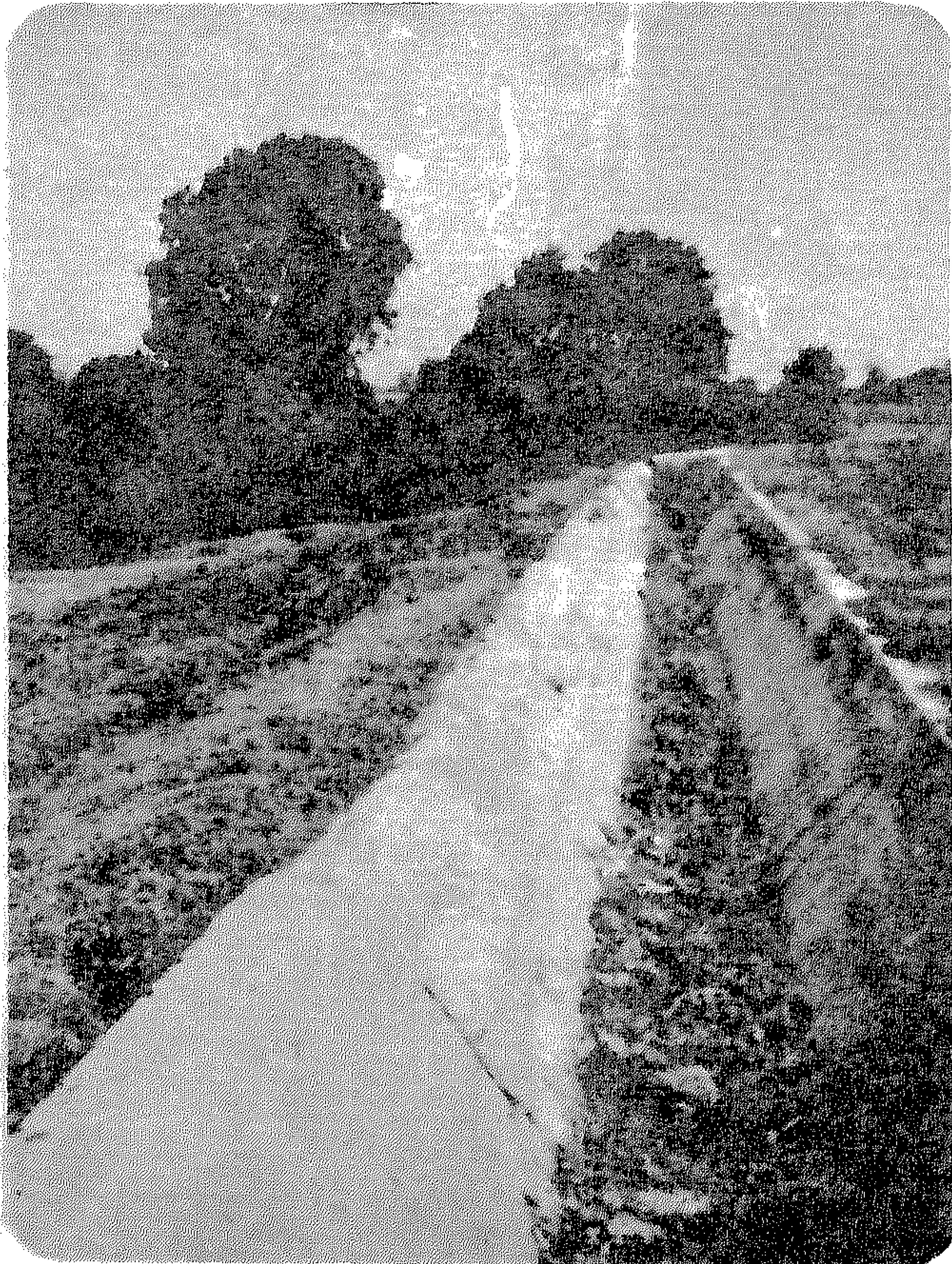
شكل رقم (٢٢)
خط سير القناة تحت الأرض باتجاه المدينة



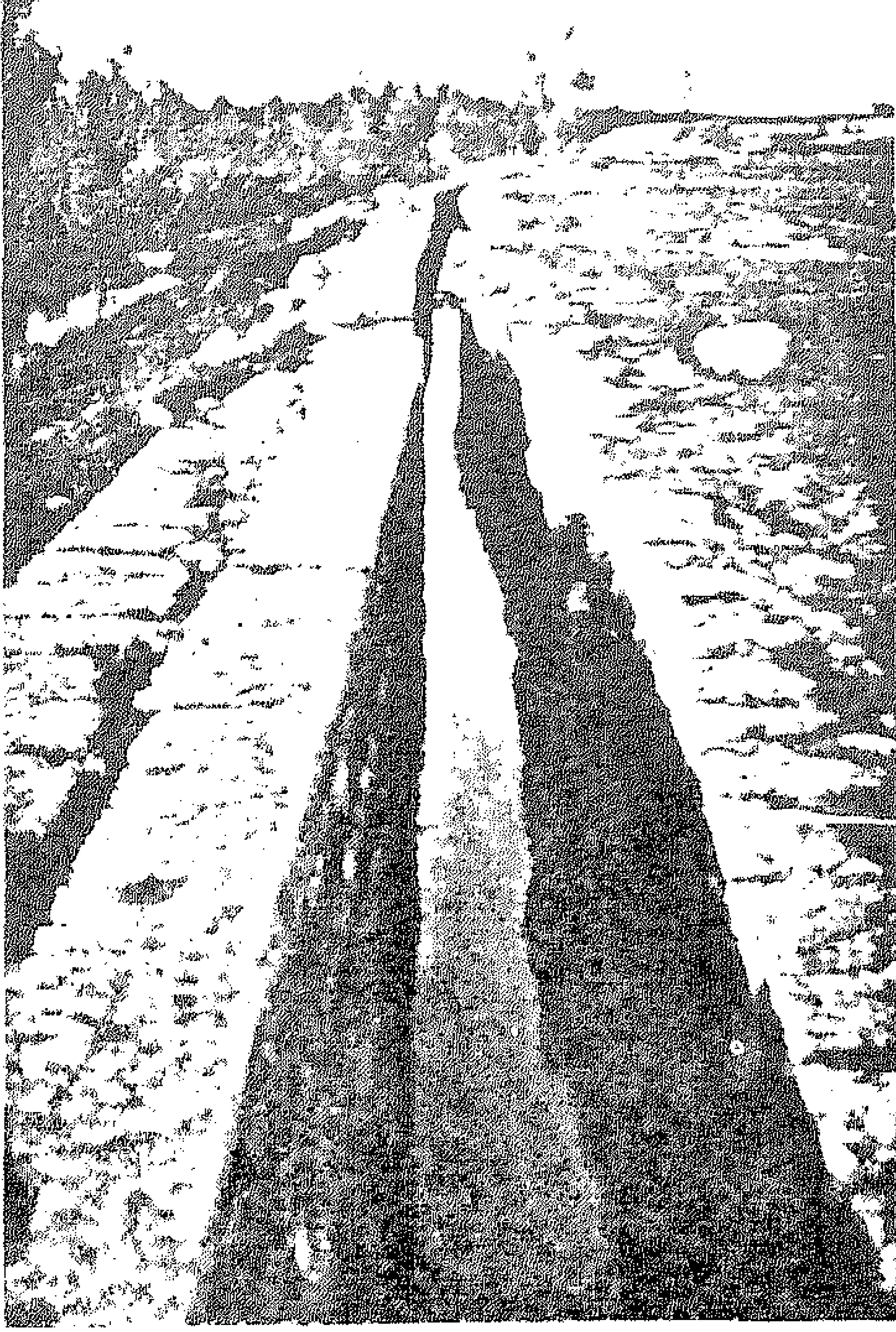
شكل رقم (٢٣)
دولاب مــاء



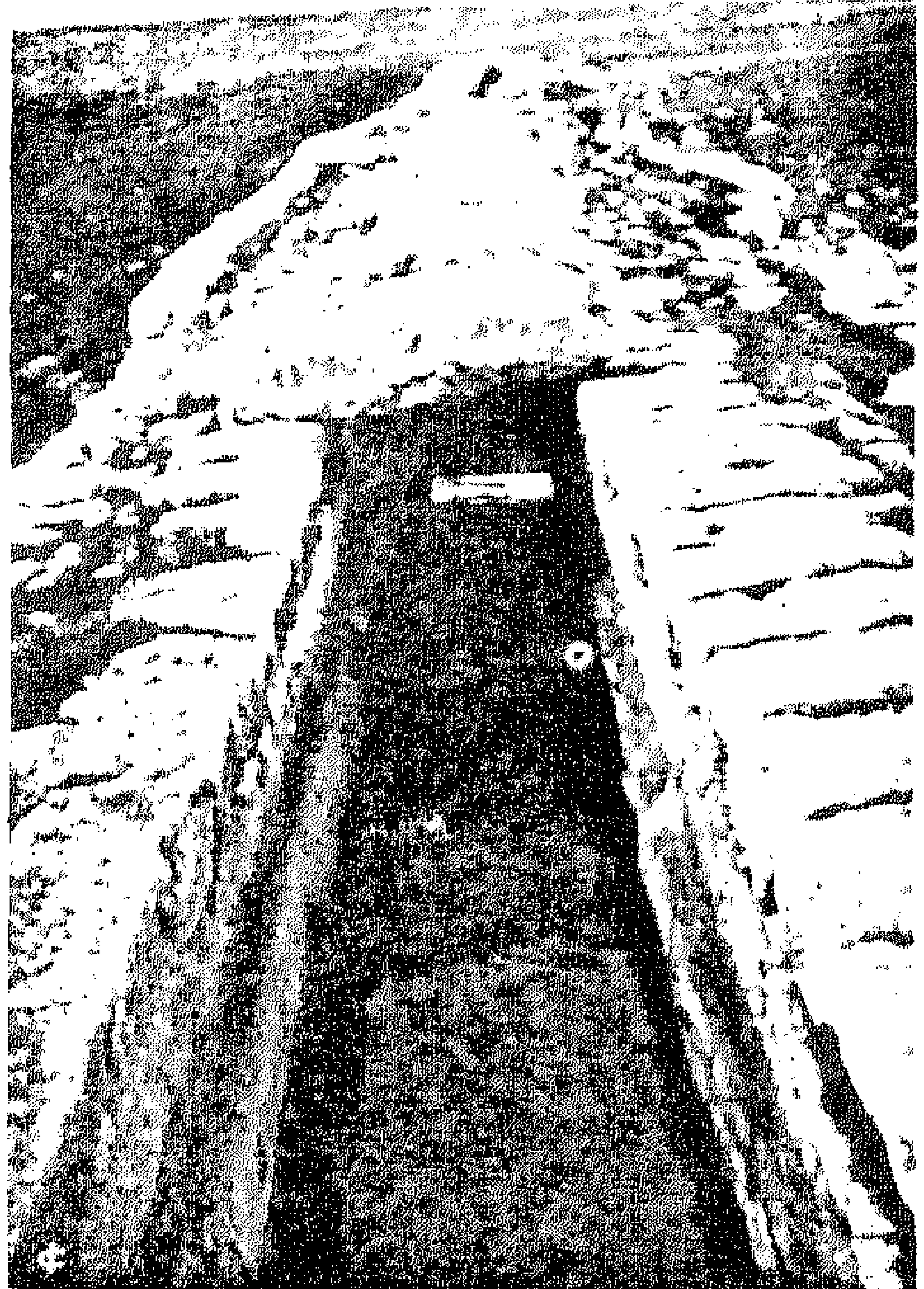
شكل رقم (٢٤)
الشراق لنتح المياه من القناة ولري البساتين



شكل رقم (٢٥)
لقناة المكشوفة وهي تسير باتجاه حلب وكانت تغزي البساتين بمثيد



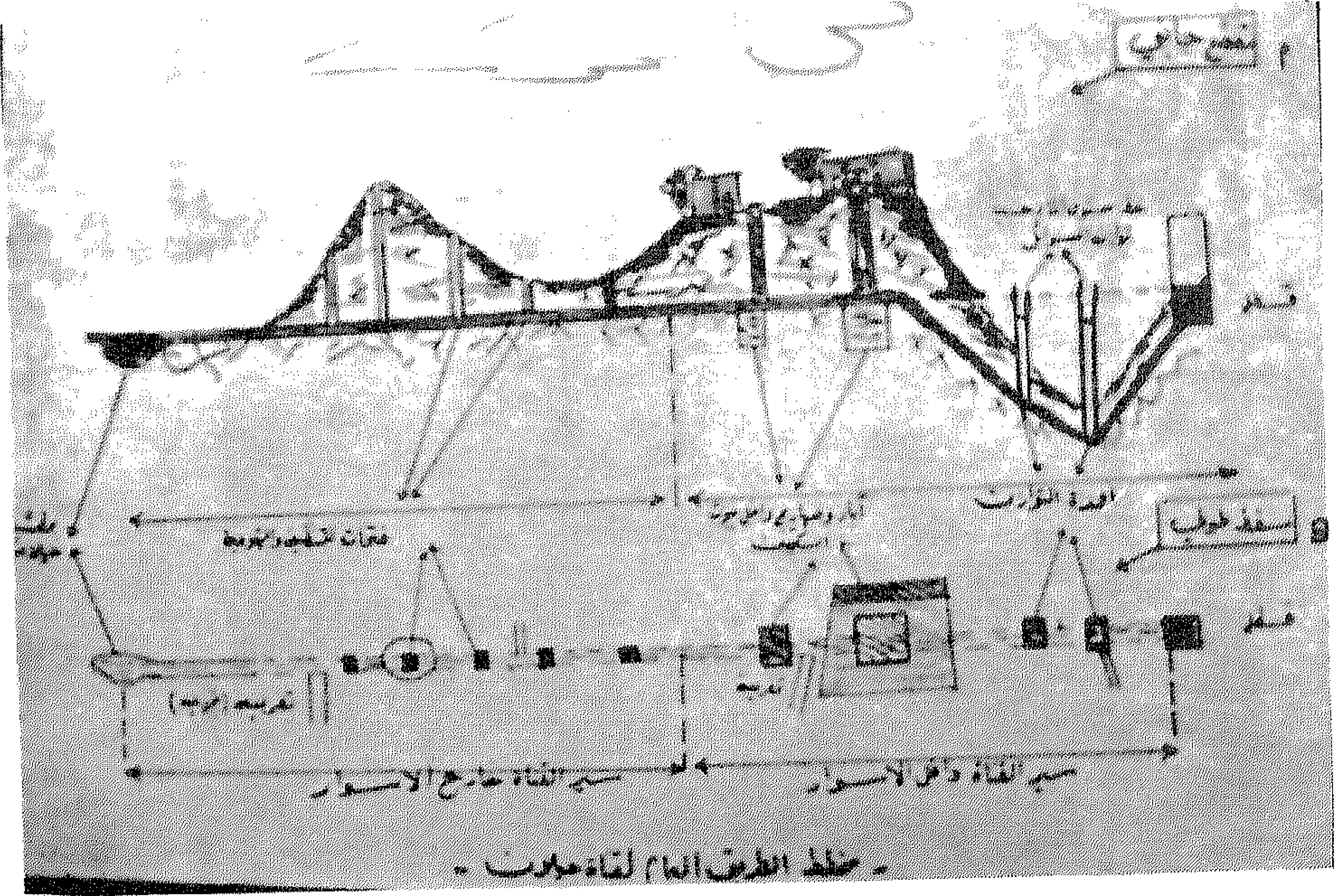
شكل رقم (٢٦)
خط سير القناة المكشوفة



شكل رقم (٢٧)
تغطية القناة بطوابيق من الحجارة الكبيرة

شبكة قناة حيلان خارج أسوار حلب:

قبل وصول القناة الرئيسة إلى باب الحديد تتفرع منها مجموعة القنوات لتأمين حاجة الأحياء الخارجية من المياه.. ويحمل كل فرع اسم نظام وينسب إلى الأمير أو الوجيه الذي قام بتنفيذه وهذه النظامات خمسة هي[٤٢]: انظر الشكل ذا الرقم (٢٨)

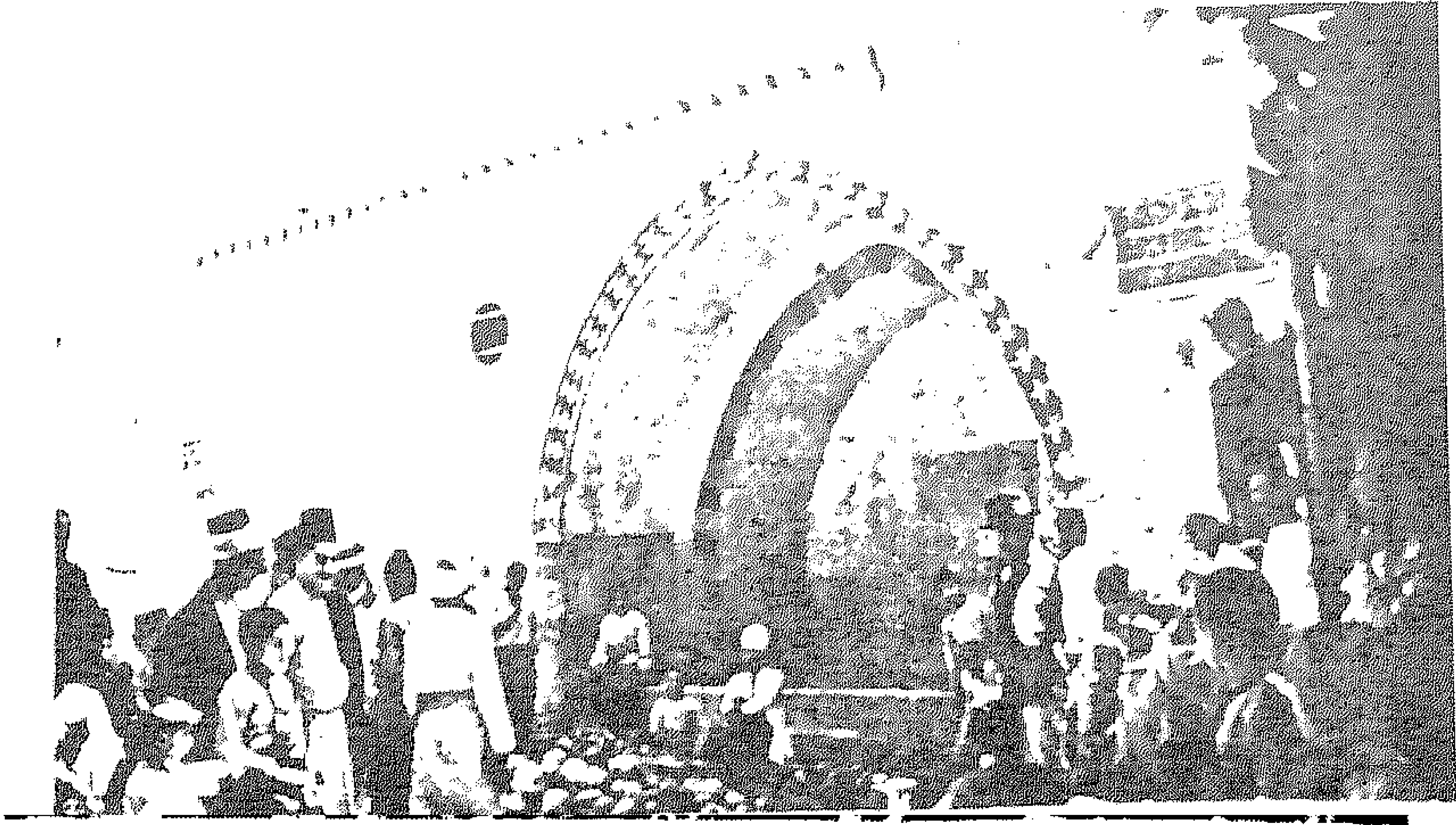


شكل رقم (٢٨)

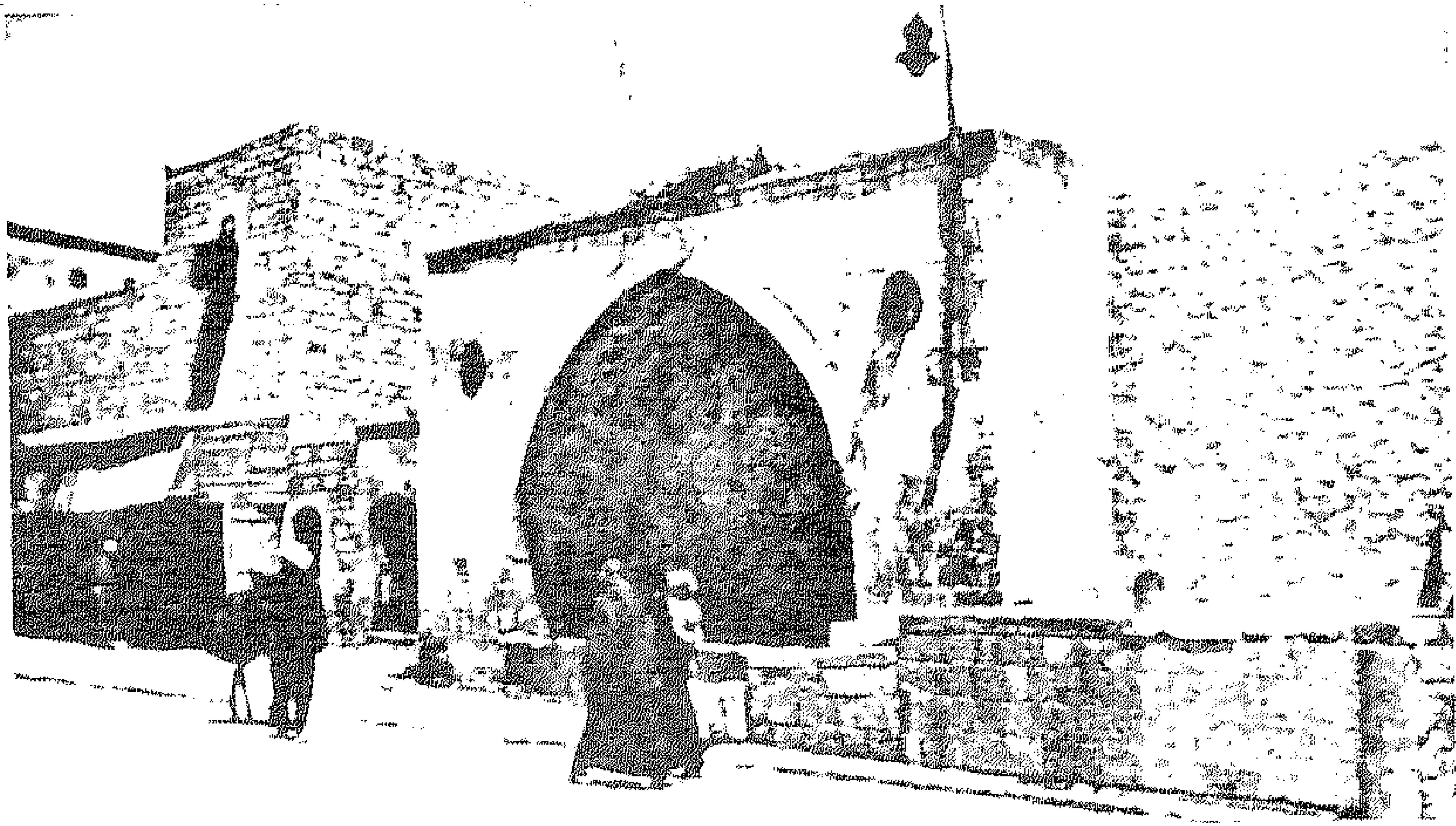
١ ـ **نظام برد بك**: ويقوم بسقي الشرعوس وقسطل المشط وسوق الأحد وبوابة القصب وباب الفرج والمصابن وأهم قساطله قسطل الحرامي انظر الشكل ذا الرقم (٢٩).

٢ ـ **نظام علي بك**: وأهم الأحياء التي يسقيها: قارلق والفرايين وقاضي عسكر والكتانة.. وأهم قساطله قسطل علي بك انظر الشكل ذا الرقم (٣٠).

٣ ـ **نظام عز الدين**: وأهم أحيائه حي الدلالين والصفا.. وسوق الجيج وأغير والماوردي وحمام الألمه جي.



شكل رقم (٢٩)
قسطل الحرامي



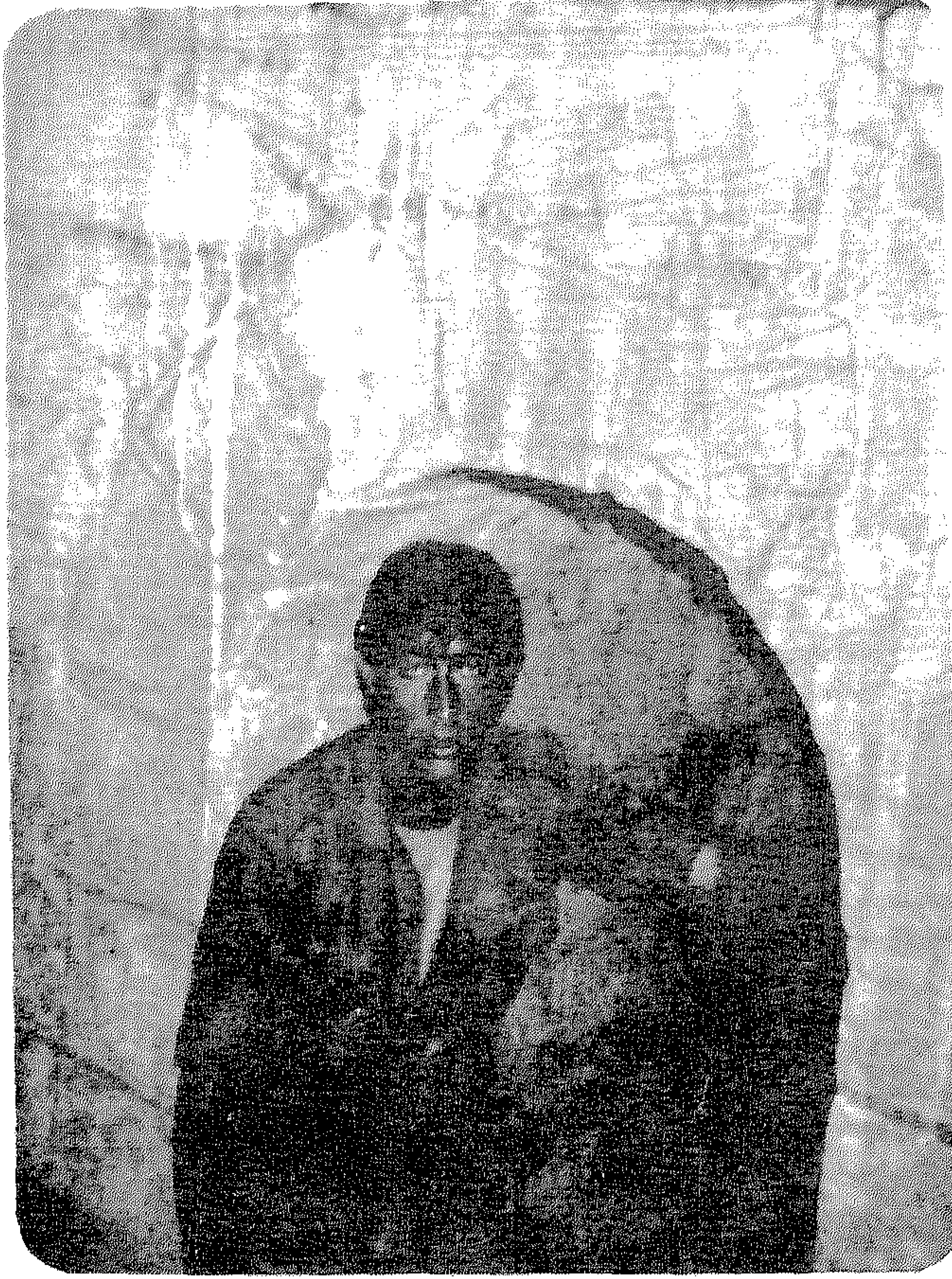
شكل رقم (٣٠)
قسطل علي بيك

٤ ـ **نظام الكتانة**: وأهم احيائه بانقوسا والبكرجي والبراج وجب قرمان والكتانة والضوضو وساحة حمد.

٥ ـ **نظام المرعشلي**: وأهم أحيائه: مخفر باب الحديد والعريان والمرعشلي وسوق النحاسين وقسطل تراب الغرباء وساحة التنانير وحارة المحب.

والقناة تسير في هذه الجهة تحت الأرض على شكل أسراب لها مصاطب وتمر تحت البيوت التي تنتح الماء منها وتسمح بارتفاعها بمرور شخص منها. كما كانت

تستخـدم براداً طبيعياً تودع فيها الأطعمة بالسلال في فصل الصيف لبرودتها انظر الشكل ذا الرقم (٣١).



شكل رقم (٣١)
خـط سير القنـاة تحـت الأرض باتجاه حلـب ويبـدو اتساعهـا وارتفاعها وهـي مـا تـزال بحالـة جيـدة

شبكة قناة حيلان داخل الأسوار:

كانت شبكة حيلان تصل مباشرة إلى وسط المدينة (الايغورا) وللجامع الكبير في عهد الامويين لتملأ صهاريجه وبركتين في الوسط للشرب والميضأة.

وفي عهد نور الدين محمود وسع تلك الشبكة واستمر ذلك إلى عهد الظاهر غازي الـذي عمل على إيصال مياه القناة إلى مختلف الأحياء ما عدا العقبة وقلعة

الشريف فقد كانت الصهاريج تملأ من مياه الأمطار لارتفاعها عن مستوى قناة حيلان انظر الشكل ذا الرقم (٣٢) المخطط.

شكل رقم (٣٢)
مخطط تفريعات شبكة مياه قناة حيلان
وتفريعات شبكة مياه عين التل

وبعد دخولها حلب من باب القناة تتجه إلى **مسجد المستدامية**[43] حيث يقوم **موزع ماء (قلاب) من الحجر البازلتي الأسود ارتفاع ٢٧ سم وطول ٨٠ سم** بتحويل ثلث مياه القناة إلى اربعة عدانات ونظامات تغذي الأحياء الآتية:

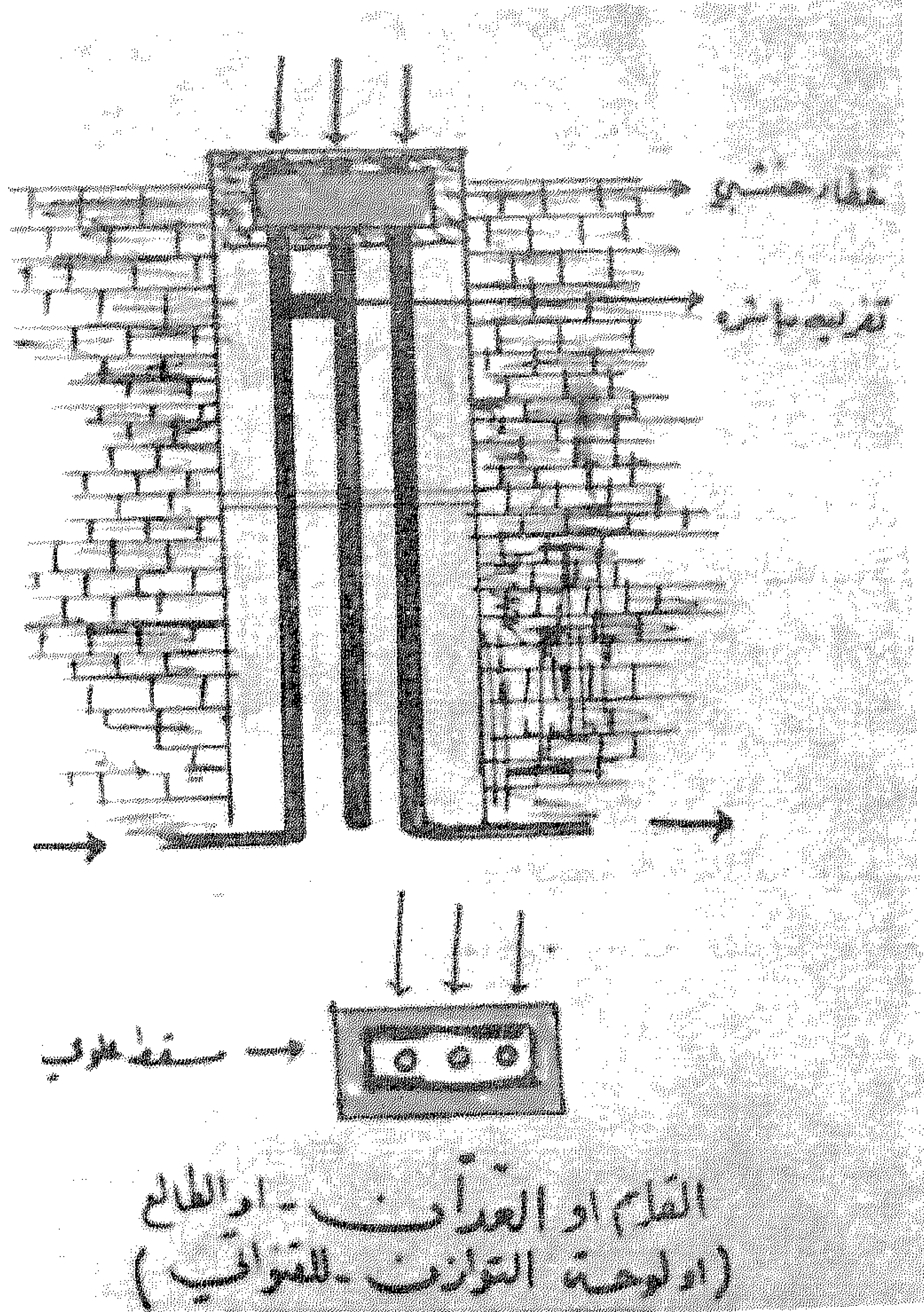
الأول: ساحة بزة وقلعة شريف.
الثاني: باب المقام والمغازلة والمقامات والمعادي والفردوس.
الثالث: القصيلة وحارة البستان والعجم والدحديلة.
الرابع: باب النيرب وبرية المسلخ.

أما الثلثان الباقيان داخل القناة الأم فيتابعان جريانها إلى قرب سفح القلعة الشمالي الغربي حيث يخرج فرع منها قام بإيصاله الظاهر غازي إلى أسفل القلعة لتأمين الماء لسكانها ولخندقها في حالة الحصار وكان ذلك الماء يغذي **الساتورة أو الصاطورة** وهي بئر يحوي جهازاً لنتح الماء من عمق يتراوح ما بين /٣٤ و٣١/ متراً وربما **اعتمد الأساس الهيدروليكي في ذلك النتح وما نزال نجهل الكثير عن الأساس العلمي للساتورة**[44] وتتابع القناة سيرها إلى حي الفرافرة (زقاق القنايات) لتغذي عدانات المدينة القديمة من باب النصر والفرافرة وقسطل الحجارين وبحسيتا - والبندره والسويقة والجامع الكبير والجلوم والسفاجية وباب قنسرين والعادلية وباب أنطاكية...

وتتفرع شبكتها خلال الأزقة والمساكن والحمامات والخانات والبيمارستانات متغلغلة داخل النسيج العمراني للمدينة القديمة كالشريان أو الأوردة الشعرية وهذه **القنايات تتألف من أنابيب فخارية قطرها ١٠ سم وطولها ٣٠ سم تتصل ببعضها** بملاط خاص ويوضح المهندس صبحي مظلوم بأن ذلك الملاط مؤلف **من رطل من زيت الزيتون ونصف رطل كلس على شكل مسحوق ناعم عجنا بأوقية من فضالة القطن واليافه.**

ويتم حصر المياه فيها وتوزيعه داخل الأحياء بعد كل خمسين متراً تقريباً **بأعمدة التوازن أو ما يسمى بالعدان أو القائم ويطلق عليه في دمشق اسم الطالع**[45] وترتفع

المياه عمودياً في كتلة من بناء مقام في ركن الشارع أو تنزل في جدار حمام أو منزل ويتراوح ارتفاعها بين مترين وستة بحسب النقط التي تؤمن لها الماء انظر الشكل ذا الرقم (٣٣) واثبتت الحفريات الأثرية وجود مثل هذه المنشآت في زاويا الطرقات في إيطالية[٤٦].



شكل رقم (٣٣)

ويشرف **القنواتي** على عملية توزيع المياه إلى الأحياء بأعمدة التوازن التي قد تكون بسيطة بأنبوبين أو مركبة بثلاثة تفريعات وهي تتصل ببعضها جانبياً في الأعلى بوصلة أو صنبور ويمكن أن تسد بالسدادة الكتيمة المصنوعة من مزيج الكلس والزيت والقنب أو ألياف القطن.. وهي تتصل ببعضها في اعلى علبة التوازن بما يسمى ببركة الفايض[٤٧]، **والقايم كما نلاحظ يقوم بمهمة السكر** وله اتجاهات عدة

وقد يكون في مفترق طرق أو بالقرب من المسجد أو يشاد عليه منهل ماء يسمى بالقسطل[٤٨].

ونستطيع تحديد مهمة القايم بثلاثة امور:

١ ـ تخفيف ضغط الماء الوارد من القناة الرئيسة على القنوات الفرعية.

٢ ـ ايصال الماء إلى النقاط العالية بما يتيح تغذية الصهاريج والخانات والحمامات. .

٣ ـ تنظيم توزيع المياه بالعدل بسكر القايم[٤٩].

وهذا يدل على اتساع المعارف الهيدروليكية عند العرب[٥٠].

وهذا التنظيم يخضع لبيان موثق بالأحكام الشرعية والعرف بحسب عدد أفراد الأسرة وحاجة الحمام أو المسجد أو السوق وفق الاستحقاق المطلوب.

واليكم بعض النماذج من الاستحقاقات الشرعية التي يجب على القنواتية تنفيذها:

ـ استحقاق الجامع الأموي الكبير وفوائضه (السبل والقساطل. . فيه) انظر الشكل ذا الرقم (٣٤) و(٣٥): استحقاقان واحد بثلاثة قراريط والآخر صغير بقيراط واحد وارتفاعه مع ارض القناة وجريانها من الأول إلى العصر.

ـ استحقاق جامع بهرام باشا:

قيراط واحد ونصف قيراط وارتفاعه مساوٍ لأرض القناة وجريانه من وقت الأول (الفجر إلى العصر).

ـ استحقاق صهاريج باب أنطاكية وتوابعه:

فرضان كل واحد بقيراطين بأطواق الحديد وجريانها من وقت الأول ثم يعود جريانها من وقت الأول إلى العصر إلى جامع الرومي وملحقاته. .

استحقاق جب الغزال
٦ فرض بردى
قيراط واحد وارتفاع عن ارض القناة ستة
قراريط وجريانه وقت الاحتياج

استحقاق دار الباشي
٦ فرض بردى
قيراط واحد وارتفاع عن ارض القناة اربعة
قراريط وجريانه وقت الاحتياج [illegible]

استحقاق دار كيخي افندي
٦ فرض بردى
ثلاثة قراريط وارتفاع عن ارض القناة ستة
قراريط وجريانه وقت الاحتياج وبعد [illegible]

[illegible]

استحقاق دار عبد اغا
٦ فرض بردى
قيراط واحد وثلاثة ارباع قيراط وارتفاع عن
ارض القناة ثمانية قراريط وجريانه
وقت الاحتياج

استحقاق طالع القناة جامع
مستدام بك
٦ فرض بردى
قيراط واحد وارتفاع [illegible] عن ارض القناة
ثمانية قراريط وجريانه نهارا

استحقاق ساروجه
٦ فرض بردى
قيراط واحد وثلثا قيراط وارتفاع عن ارض القناة
ستة قراريط وجريانه ليلا ونهارا

استحقاق [illegible]
٦ فرض بردى
[illegible]

استحقاق دار [illegible] افندي
[illegible]
٦ فرض بردى
قيراط واحد وارتفاع عن ارض القناة
قيراطان وجريانه وقت الاحتياج

استحقاق بيت الجبولي
٦ فرض بردى
نصف قيراط وارتفاع عن ارض القناة ثلاثة
قراريط وجريانه نهارا وقت الاحتياج

استحقاق عند باب المقام والقصيلة
٦ فرض بردى
عرضا ستة عشر قيراطا وارتفاع ثمانية قراريط
وثلاثة [illegible]
سودا وجريانه ليلا ونهارا

استحقاق [illegible]
٦ فرض بردى
[illegible] قراريط ونصف وجريانه [illegible]
[illegible]

استحقاق حمام بانه
٦ فرض بردى
قيراط واحد وربع قيراط وارتفاع عن ارض القناة
ستة قراريط وجريانه وقت الاحتياج نهارا

استحقاق جب الشيخ حيدر
٦ فرض بردى
قيراط واحد وارتفاع عن ارض القناة قيراطان
ونصف قيراط وجريانه وقت الاحتياج

استحقاق [illegible] خانة الادكي
٦ فرض بردى
قيراط واحد وارتفاع عن ارض القناة ثلاثة
قراريط وجريانه وقت الاحتياج

استحقاق قسطل [illegible]
٦ فرض بردى
قيراطين وارتفاع عن ارض القناة [illegible]
قراريط وجريانه وقت الاحتياج نهارا

استحقاق جب المدرسة
٦ فرض بردى
قيراطين وارتفاع عن ارض القناة ثلاثة قراريط
وجريانه وقت الاحتياج نهارا

استحقاق قسطل [illegible]
٦ فرض بردى
قيراط واحد ونصف قيراط وارتفاع عن ارض
القناة ثمانية قراريط وجريانه نهارا

استحقاق جب [illegible]
٦ فرض بردى
قيراط واحد وارتفاع عن ارض القناة [illegible]
وجريانه وقت الاحتياج نهارا

استحقاق قسطل [illegible]
٦ فرض بردى
قيراط واحد ونصف قيراط وارتفاع
عن ارض القناة [illegible]
وجريانه نهارا

استحقاق [illegible]
٦ فرض وحيد
[illegible]

استحقاق [illegible]
٦ فرض وحيد
[illegible]

استحقاق [illegible]
٦ فرض بردى
قيراطين وارتفاع عن ارض
القناة قيراطان
وجريانه نهارا

استحقاق جب المعمور
٦ فرض بردى
قيراط واحد وارتفاع عن ارض القناة [illegible]
وجريانه وقت الاحتياج نهارا

استحقاق جامع [illegible]
٦ فرض بردى
قيراط واحد [illegible] قيراط وارتفاع عن
ارض القناة ثمانية قراريط وجريانه نهارا

استحقاق جب [illegible]
٦ فرض بردى
قيراط واحد وارتفاع عن ارض [illegible]
[illegible] وجريانه وقت الاحتياج

استحقاق جب [illegible]
[illegible]
٦ فرض بردى
قيراط واحد وارتفاع عن ارض القناة
[illegible] قراريط وجريانه وقت الاحتياج

استحقاق [illegible]
٦ فرض بردى
قيراط واحد وارتفاع عن ارض القناة [illegible]
قراريط وجريانه وقت الاحتياج نهارا

استحقاق حمام [illegible]
٦ فرض بردى
قيراط واحد وارتفاع عن ارض القناة ثمانية قراريط وجريانه
وقت الاحتياج نهارا

استحقاق حمام [illegible]
٦ فرض بردى
قيراط واحد وارتفاع عن ارض القناة [illegible]
قراريط وجريانه وقت الاحتياج نهارا

استحقاق قسطل [illegible]
٦ فرض بردى
قيراط واحد وارتفاع عن ارض القناة
ثمانية قراريط وجريانه نهارا

استحقاق جب [illegible]
٦ فرض بردى
قيراط واحد وارتفاع عن ارض القناة عشرة قراريط
وجريانه وقت الاحتياج نهارا

استحقاق [illegible]
٦ فرض بردى
قيراط واحد وارتفاع عن ارض القناة ستة
عشر قيراطا وجريانه نهارا

استحقاق [illegible]
٦ فرض بردى
[illegible]

استحقاق جب [illegible]
٦ فرض بردى
[illegible]

استحقاق جب [illegible]
٦ فرض بردى
قيراط واحد وارتفاع عن ارض القناة ستة عشر
قيراطا وجريانه وقت الاحتياج

استحقاق [illegible]
٦ فرض بردى
قيراط واحد وارتفاع عن ارض القناة [illegible]
[illegible]

استحقاق قسطل
[illegible]
٦ فرض بردى
[illegible]

استحقاق [illegible]
٦ فرض بردى
[illegible]

شكل رقم (٣٤)
وثيقة شرعية حول
استحقاقات المياه
في
مدينة حلب تعود بتاريخها
إلى ١٠ شوال ١١٣٣هـ

شكل رقم (٣٥)
وثيقة حول استحقاق قسطل
علي بك من الماء تعود إلى
عهد السلطان محمد خان في
٢٢ صفر ١٢١٦ هـ

كما وجدت بياناً شرعياً باستحقاق دارنا مع الجوار في حي باب قنسرين وقد خصص بقيراط واحد كما شملت الوثائق الشرعية استحقاقات البساتين من مياه القناة وكان يكلف بتنفيذ ذلك **شيخ البساتنة وهي مهمة وظيفية تعادل مهمة القنواتي داخل المدينة**[٥١] **ومهمة توزيع الفروض أو العدان من القناة على الأراضي المزروعة أو البرك مثل** برك الباشا القديمة وبركة الشيخ ابو بكر وبرك بساتين الفاخوري والساعاتي.

ويتم توزيع العدانات إلى مراحل اصطلاحية مرتبطة بموجبات الصلاة عند المسلمين وهي :

١ ـ **السلام**: عند بدء انقشاع ظلام الليل.

٢ ـ **الفجر**: عندما يتضح ضوء النهار.

٣ ـ **الظهر**: عند منتصف النهار.

٤ ـ **العصر** بعد ثلاث ساعات تقريباً من وقت الظهر وتكون الشمس بزاوية قدرها ٣٠ فوق الأفق وعندها يكون ظل القضيب المنتصب عمودياً على الأرض يساوي مرتين طوله.

٥ ـ **المغرب**: عند غروب الشمس.

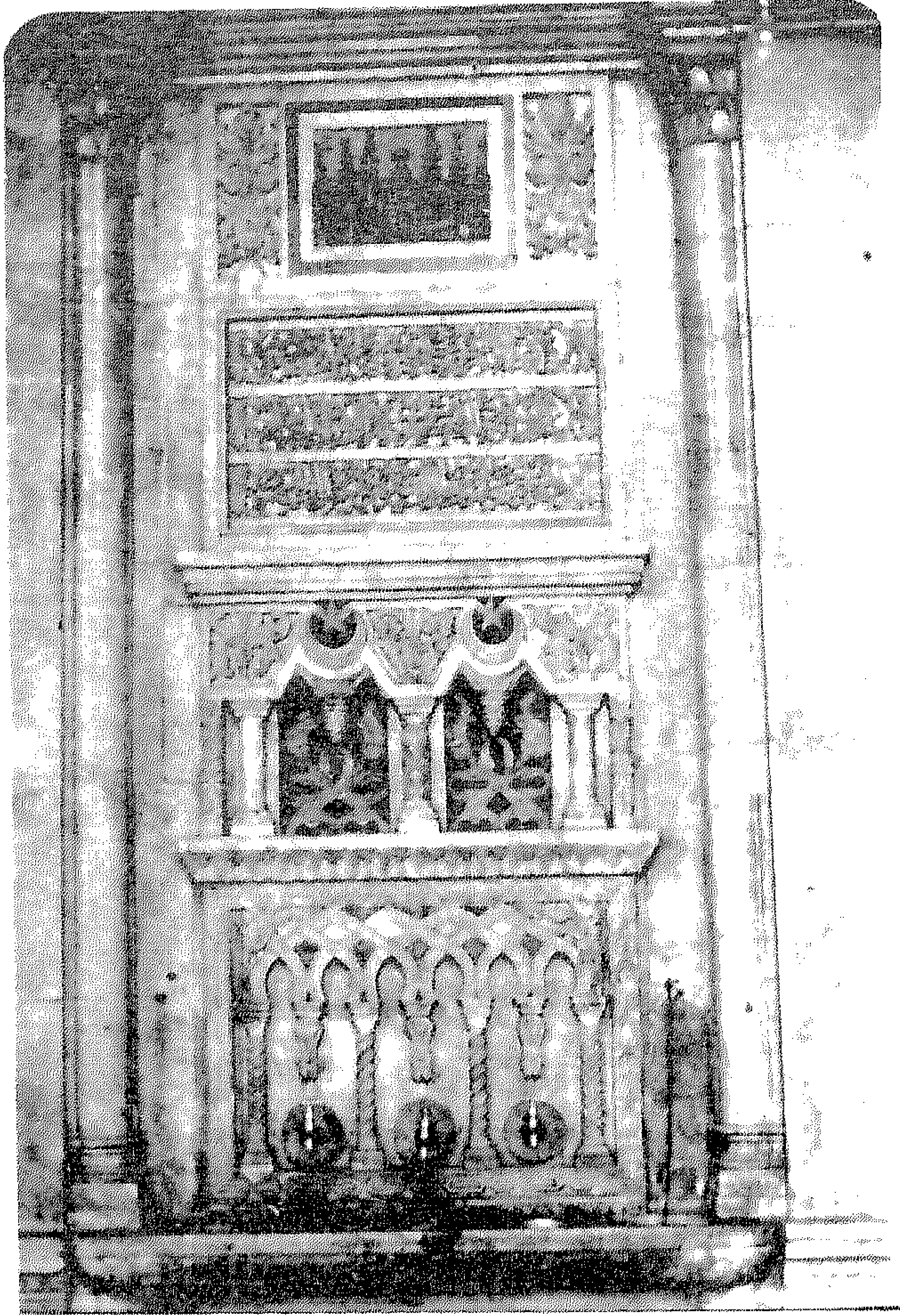
٦ ـ **العشاء**: بعد ساعة ونصف من غروب الشمس.

فالعدان للماء بحسب الاتفاق يبقى مفتوحاً من السلام الى الظهر مثلاً أو من الفجر إلى المغرب وهكذا ويتصل بتفريعات القايم نقاط مائية للنفع العام حملت اسم القساطل أو الأسبلة وغالباً ماكانت تلحق بالمساجد أو الخانات أو عند تقاطع الأسواق للخدمة العامة

والسبيل مكان عام للشرب مباح ماؤه للسابلة أي عابري السبيل. . ويقال في اللغة سبل الماء أو الشيء بمعنى أباحه وجعل في سبيل الله.

وكانت إقامة الأسبلة من أعمال الصدقة الجارية ولاسيما في بلاد تعاني من ازمة نقص الماء وقد حملت الأحياء والحارات اسم سبيلها كحي قسطل الحرامي . . وقسطل المشط وقسطل الحجارين وقد اغنى المعمار العربي تلك القساطل بجمالية الزخارف والنقوش مما جعلها تحفة هندسية انظر الشكل ذا الرقم (٣٦) **وبلغ عددها**

حوالـي سنـة ٦٥٠هـ سبعـين قسـطلاً[٥٣] ثم زاد عددها بعد ذلك حيث بلغ عدد القساطل والأسبلة التي عددها الشيخ كامل الغزي في كتابة نهر الذهب أربعة وتسعين قسطلاً أوائل هذا القرن[٥٤].



شكل رقم (٣٦)
واجهة سبيل الماء في الجامع الأموي بحلب

وقد زال الكثير منها وبقي القليل المطلوب حمايته وعدم الإساءة إليه في وقت أصبحت السياحة فيه صناعةً . . لقد تحول بعضها إلى مركز للقمامة أو لتعليق اللحوم عليها في السقطية وسوق الزرب انظر الشكل ذا الرقم (٣٧) بعد أن شهدت مجد العرب الاثيل في العهود الماضية . . وأذكرها هنا ضرورة إظهار قسطل الرمضانية الذي نقل إلى متحف حلب.



شكل رقم (٣٧)
أحد قساطل الماء المهملة في سوق الزرب

حيلان وحديث الذكريات:

ويبقى لحيلان إطارها الحالم الدافىء في ذكريات الآباء . . فإن نهر قويق إذا كان يغيض مرة فإنه يفيض مرات وتبقى حيلان فرات الشهباء . . السلسبيل العذب لأجدادنا.

كما كان لمياه القناة خاتم تمهر به كل حلبي يشرب منها وهي حبة حلب في وجهة أويدة . . .

وكـان الحلبيون يخرجـون للنزهة والسيبانة على امتداد البساتين النضرة وعلى امتداد القناة والنهر وأصوات النواعير الخمس تذكر بالفردوس السعيد.

حيث الطراوة مروحة من الجنة والخضار الاسطوري يملأ الغوطتين فقد كان في حلب غوطتان شمالية تمتد من المسلمية إلى باب الله وجنوبية من جسر الحج إلى الـوضيحي . . وكـان النـاس يملأون بخيامهم بساتين الجانكية والباشا والساعاتي والفرخة وعين العصافير وعين مبارك ويستمتعون عبر الكروم في الليالي المقمرة بتشقق الفستق الحلبي كزقزقة العصافير.

او يستعيدون تلك الأحلام الوردية . . في دورهم حيث الإيوان والسلسبيل وبركة الماء الفسقية في الوسط والظل الظليل تحت أشجار النارنج والكباد والليمون. وتغيرت الأيام . . . مع حركة التاريخ . . . فاتسعت المدينة **لتغيب حكاية القناة الحالمة ولتبـدأ حكاية جديدة . . من أجل الكفاح في سبيل الحياة** حكاية نهر الفرات التي بدأت اقصوصة صغيرة وغدت أملاً ومصيرا لتترع حلب الشهباء بالمياه العذبة الجديدة . .

وأين نهر وأشـجـار تظلله ... النهـر غاض وقـل السمن والعسـل
لولا الـفـرات ومـن اجـراه في حلب ... جف النبـات وجـاع النـاس وارتحلوا
تغـيرت حلب إلا كرامـتـهـا ... فإنها بالـنـجـوم الـزهـر تتـصـل

ا . هـ

د. عبد الهادي نصري
رئيس جمعية العاديات
الموجه الاختصاص للتاريخ

مصادر البحـــث

(١) ـ القاموس الوسيط ج ٢ ص ٧٧

(٢) ـ طباعة حيدر آباد ١٣٨٢ هـ

(٣) ـ كامل الغزي نهر الذهب في تاريخ حلب ج ١ ص ٥٨

(٤) ـ ابن شداد الأعلاق الخطيرة ج١ من ص ١٤٣ إلى ١٥٠

(٥) ـ ابن الشحنة الدر المنتخب من ص ١٤٠ إلى ١٤٦

(٦) ـ كامل الغزي نهر الذهب ج١ من ص ٥٨ إلى ٦٤

(٧) ـ راغب الطباخ إعلام النبلاء ج١ من ص ٢١٠ إلى ٢١٥

(٨) ـ جان سوفاجيه حلب الصفحات (١١٧ و١١٨ و١٤١ و١٤٢ و١٤٣ و١٨١ و١٨٢ و٢٣٣)

(٩) ـ هرزفلد مدونة الخطوط العربية ج١ من ص ٢٢٥ إلى ٢٢٦

(١٠) ـ هرزفلد المصدر السابق راجع الصفحات (١٧٠ و١٧٩ و١٨٥ و١٨٦ و٢٠٢ و٢٠٥ و٢٢٠ و٢٤٣ و٢٥٤ و٢٥٥ و٢٠٨ و٢٧٠) والجزء الثاني من صفحة ٣٢١ إلى ٣٩٦

١١ ـ محمد اسعد طلس الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب من ص ٢٥٩ إلى ٢٦٣

١٢ ـ صبحي مظلوم قناة حيلان ص ٧

١٣ ـ صبحي مظلوم المصدر السابق ص ٧

١٤ ـ جان سوفاجيه حلب ص ٤٥

١٥ ـ ابن شداد الأعلاق الخطيرة ص ١٤٣

١٦ ـ صبحي مظلوم قناة حيلان ص ٧

١٧ ـ ابن شداد الأعلاق الخطيرة ج١ ص ١٤٣

صبحي مظلوم المصدر السابق ص ٧

١٨ ـ ابن شداد الأعلاق الخطيرة ج١ ص ١٤٤

ابن الشحنة الدر المنتخب ص ١٤٢

١٩ ـ ابن شداد الأعلاق الخطيرة ص ١٤٤

٢٠ ـ كامل الغزي	نهر الذهب ج١ ص ٦٠ و٦١ و٦٢
ـ راغب الطباخ	إعلام النبلاء ج٢ ص ٢١٢ و٢١٣
٢١ ـ جان سوفاجيه	حلب ص ١٤١ و١٤٢
٢٢ ـ جان سوفاجيه	حلب ص ١٨١
٢٣ ـ كامل الغزي	نهر الذهب ج١ ص ٥٥
صبحي مظلوم	قناة حيلان ص ٨
٢٤ ـ جان سوفاجيه	حلب ص ١٨٢
٢٥ ـ كامل الغزي	نهر الذهب ج١ ص ٥٥
٢٦ ـ صبحي مظلوم	قناة حيلان ص ٩
٢٧ ـ كامل الغزي	نهر الذهب ج١ ص ٥٧
ـ صبحي مظلوم	قناة حيلان ص ٩
٢٨ ـ كامل الغزي	نهر الذهب ج١ ص ٥٧
٢٩ ـ صبحي مظلوم	قناة حيلان ص ٣٥
٣٠ ـ = =	قناة حيلان ص ١٠ و١٥
٣١ ـ = =	= = ص ١١
٣٢ ـ = =	= = ص ١١
٣٣ ـ = =	= = ص ١١
٣٤ ـ = =	= = ص ١١
٣٥ ـ = =	= = ص ٢١
٣٦ ـ = =	= = ص ٢٢
٣٧ ـ = =	= = ص ١٢
٣٨ ـ ابن شداد	الأعلاق الخطيرة ج١ ص ١٤٣
٣٩ صبحي مظلوم	قناة حيلان ص ١٢
٤٠ ـ = =	= = ص ٢٠
٤١ ـ = =	= = ص ١٢
٤٢ ـ = =	= = ص ١٢ و١٨
٤٣ ـ = =	= = ص ١٤
٤٤ ـ ابن شداد	الأعلاق الخطيرة ج١ ص ٢٥

ـ ابن شحنة	الدر المنتخب ص ٥١
كامل الغزي	نهر الذهب ج٢ ص ٤١
٤٥ ـ صبحي مظلوم	قناة حيلان ص ١٧
٤٦ ـ = =	= ص ١٣ و١٧
٤٧ ـ صبحي مظلوم	قناة حيلان ص ١٥
٤٨ ـ = =	= = ص ١٧
٤٩ ـ = =	= = ص ١٦
٥٠ ـ = =	= = ص ١٧
٥١ ـ = =	= = ص ٢٠
٥٢ ـ = =	= = ص ٢١
٥٣ ـ ابن شداد	الأعلاق الخطيرة ص ١٤٤
٥٤ ـ محمد أسعد طلس	الآثار الإسلامية ص ١٨٧

العربية وصلاتها التاريخية واللغوية

الدكتور أحمد ارحيّم هبــو

يجمع الدارسون على أن اللغة عامل من أهم عوامل تكوين الأمم، بل وتبز العوامل الأخرى من مثل التاريخ المشترك، والدين، وتتقدم عليها. واللغة العربية المعاصرة هي لغة الأقطار العربية جميعا، وهي لغة الحديث والكتابة في كل مكان من الوطن العربي؛ وهي وإن تفرعت إلى لهجات محلية، فإنه لا يصعب ردها إلى الأصل الذي هو العربية الفصحى.

وهي لغة تنتمي إلى مجموعة من اللغات الإنسانية التي أطلق عليها اصطلاحاً اسم اللغات السامية(١)، والتي تضم لغات شعوب سكنت مناطق بلاد الرافدين، وبلاد الشام، وشبه الجزيرة العربية. وهي في بلاد الرافدين: البابلية والآشورية (ويطلق عليهما معا اصطلاحا اسم اللغة الأكدية)، واللغتان الآرامية والكنعانية بمختلف فروعهما في بلاد الشام، ولا سيما اللغة السريانية والفينيقية. واللغة العربية بفرعيها العدناني والقحطاني في الجزيرة العربية، وتلحق بها الاثيوبية الجعزية في الحبشة، وكتبت كلها بحروف أبجدية، ما عدا اللغة الأكدية بفرعيها البابلي والآشوري.

وانقرض عدد كبير من هذه اللغات نتيجة للصراع الحضاري، وقُدِّر لبعضها أن يحتل سدة رفيعة بين لغات الشعوب، وأن يتوصل إلى أن يكون لغة المنطقة الوحيدة ولغة التجارة الدولية ولغة الدبلوماسية المتعارف عليها في التاريخ القديم. فكانت البابلية والآشورية لغة الشرق الأدنى القديم فترة طويلة من الزمن بين بلاد فارس في الشرق، إلى مصر في الغرب. ثم حلت الآرامية محلها حوالي ألف عام، إلى أن خرجت القبائل العربية في الثلث الأول من القرن السابع الميلادي من شبه الجزيرة العربية لتنشر الإسلام وتوحد بلاد العرب، فجاءت عربية القرآن والقبائل العدنانية، وصارت لغة جنوب غربي آسية بكامله ولغة شمالي افريقية والشمال الشرقي منها، وكانت لغة شبه الجزيرة الإيبرية مدة طويلة من الزمن إبان دولة العرب في الأندلس،

ولغة صقلية وبعض المناطق الأخرى من جنوبي أوربة فيما يسمى بالقرون الوسطى .

ونحن إذ نعطي هذه اللغات أسماء مختلفة، إنما نرمي إلى تمييزها جغرافياً، ونؤكد في الوقت نفسه شخصية كل واحدة منها، وهي في هذه الحال أشبه بلغتنا الفصحى وما تفرع عنها من لهجات تتوزع في الأقطار العربية المختلفة. فثمة لهجة تشمل مناطق الخليج العربي والعراق، ولهجة شامية، وأخرى مصرية، ولهجة مغربية، وأخرى يمنية . . . في العصر الحديث. كما عرفت العربية العدنانية الفصحى لغات عدة، منها لغة تميم، ولغة قريش، ولغة طيّء ، وغيرها من اللغات التي عكف علماء العربية على دراسة خصائصها، وعقد المقارنات بينها فيما يتصل بعلوم النحو والصرف والألفاظ والأصوات [٢] .

واللغة العربية، لغة الأقطار العربية الواحدة، هي لغة سامية ذات صلة وثيقة بمجموعة اللغات السامية كما ذكرنا، وتعود وأخواتها الساميات إلى أصل واحد، لا مجال لمتعقل أن ينكره، وهي تتشابه، بل وتتصف بسمات تميزها من غيرها من لغات البشر، ونخص بالذكر ما يلي :

١ ـ الأصوات التي ترد فيها واحدة وتختص دون غيرها من اللغات الإنسانية بالأصوات الحلقية كالحاء والعين، وبأصوات الإطباق (التفخيم) كالصاد والطاء والظاء والقاف. وهذه أصوات لا تعرفها غير العربية وشقيقاتها الساميات. ونضيف اليها صوت الضاد الذي ميزت به العربية، فقيل لها لغة الضاد.

وقد نجد عددا من هذه اللغات التي ذكرناها لا يعرف بعض الأصوات، كالظاء والغين، والذال والثاء، كتابة أو لفظاً. إلا أن المقارنة اللفظية تؤكد حقيقة وجود هذه الأصوات جميعاً في اللغات السامية جميعها في وقت من الأوقات، وبمرور الزمن اختفى عدد قليل منها نتيجة لظروف مختلفة، أهمها الاختلاط بالشعوب الأخرى ومعايشتها، وانسجاما مع قانون التطور اللغوي الذي يفرض تعديلات على نطق الأصوات، وقلبها تحت تأثير بعضها في بعضها الآخر، أو تمشياً مع مبدأ التساهل في اللفظ والإهمال، كأن نلفظ ديب بدلا من ذئب، وتوم بدلا من ثوم، وسورة بدلا من ثورة وعداب بدلا من عذاب . . . والأمثلة التالية خير معين على ما ذكرنا:

صوت الظاء في العربية نجده مكتوبا في آثار اللغات الشقيقة ط، أو ص :

في العربية ظل، وفي الآرامية طل، وفي الكنعانية والأكدية : صل[3]
ظهر، وفي الآرامية طهر، وفـي الكنعانية : صهر.
ظبي، وفي الآرامية طبي، وفـي الكنعانية : صبي.

وصوت الغين في العربية نجده في آثار اللغات الشقيقة ع :

في العربية مغارة، وفي الآرامية معرت وفي الكنعانية معار.
غرب، وفي الآراميـة والكنعانية عرب.
صبغ، وفي الآرامية والكنعانيـة صبع

ـ صوت الشين (ش) هو سين (س) في اللغات الشقيقة :

عشر في العربية، أما في الآرامية والكنعانية فهي عسر
شبع في العربية، أما في الآرامية والكنعانية فهي سبع
شنأ في العربيـة، أما في الآرامية والكنعانية فهي سنأ
شفة في العربية، أما في الآرامية والكنعانية فهي سفه

ـ وصوت السين (س) هو شين (ش) في اللغات الشقيقة :

سأل في اللغة الآرامية والكنعانية شأل،
رأس في اللغة الآرامية والكنعانية راش، روش
لبس في اللغة الآرامية والكنعانية لبش
لسان في اللغة الآرامية والكنعانية لشان، لشون

ـ وصوت الثاء في العربية، هو تاء في الآرامية، وشين في الكنعانية والأكدية :

ثاب	في الآرامية	تاب	وفي الكنعانية	شاب
ثوم	في الآرامية	توم	وفي الكنعانية	شوم
ثلاث	في الآرامية	تلات	وفي الكنعانية	شلوش

ـ وصوت الذال في العربية، هو دال (د) في الآرامية، وزاي (ز) في الكنعانية:

ذبح	في الآرامية	دبح	وفي الكنعانية	زبح
ذهب	في الآرامية	دهب	وفي الكنعانية	زهب
ذئب	في الآرامية	ديب	وفي الكنعانية	زئب

أما صوت الضاد في العربية العدنانية والقحطانية والأثيوبية فلا تعرفه اللغات السامية الأخرى كتابة، فهي تعبر عنه بحرف الصاد في الكنعانية وبحرف القاف في الآرامية القديمة وبالعين في الآرامية الشرقية كالسريانية مثلا. فكلمة أرض، هي أرع في الآرامية وأرص في الكنعانية

وكلمة ضأن،	هي عان في الآرامية،	وصان، صون في الكنعانية
وكلمة رضى،	هي رعا في الآرامية،	ورصا في الكنعانية.

لقد أوردنا هذه الأمثلة القليلة لندلل على حقيقة موثقة في صلب اللغة المكتوبة منذ أقدم العصور، وهي أن اللغات السامية وإن افتقرت في كتابتها إلى بعض الأصوات، فإنها كانت تعبّر عنها بحروف اصطلحت عليها، ونحن لا نشك في أن هذه الحروف كانت لا تختلف في نطقها عن الحروف التي نعرفها اليوم، ونقصد العربية الفصحى، فنحن نكتب اليوم ذئب، ونلفظ زئب، ونكتب تلميذ، ونلفظ تلميز بالزاي، ونكتب ثمة ونلفظ سمة بالسين. . . فهي ذال، وثاء مثلا في الأصل، ولكننا نتساهل في اللفظ ونتهاون فنلفظ غير ما نكتب لذلك فنحن نعتقد أن الآرامي حين كان يكتب أرع[٤]، إنما كان يلفظ أرض، وحين كان الكنعاني يكتب أرض إنما كان يلفظ أيضا أرض. ذلك لأن العربية التي احتفظت بلفظ الضاد، وهي اللغة السامية (اصطلاحا) لم تبتكر هذا الصوت، إنما كان أصيلا فيها، كما كان في اللغات السامية الأخرى. وفي الوقت الذي احتفظت به العربية، التي التزمت بسكناها في الجزيرة

العربية، بدأت اللغات السامية الأخرى تتساهل في لفظه، وتتهاون تدريجيا بعد أن رحل ناطقوها وانتشروا في البقاع الأخرى إلى أن ظهرت الكتابة، وقد جاءت متأخرة عن اللغة كثيرا، فلم تستطع أن تضبط الأصوات المحلية جميعا، والكتابة لم تستطع في يوم من الأيام أن تعبر تعبيرا كاملا عن اللغة في مختلف العصور وعند كل الشعوب. فكان لعامل الزمن دور في نسيان اللفظ للحرف المكتوب، ثم كان للاختلاط بشعوب غير سامية دور أكبر في اهمال اللفظ الحقيقي. ولعل اللهجات العامية العربية اليوم تقدم لنا أمثلة كثيرة على ذلك، كلفظ القاف التي أصبحت قريبة من الألف، والظاء والضاد نفسها التي كانت تلفظ بشكل مغاير لما ألفناه اليوم، ولفظ الطاء الذي يميل إلى التاء أحيانا.

نستخلص مما سبق أن العربية وشقيقاتها الساميات تعرف أصواتا لغوية واحدة تميزها من غيرها من لغات الشعوب، وتوحد بينها، وبعضها ـ ومنها العربية ـ احتفظ بأصوات لم تَسْعَ الأخريات من اللغات الباقية كالآرامية مثلا إلى الحذو حذوها، وهذا أمر معروف في اللهجات الدارجة للعربية اليوم، التي تتفاوت درجة قرابتها من الفصحى.

٢ ـ البناء اللغوي:

ونقصد مجمل الصيغ اللفظية المؤلفة من الاسم والفعل وما يلحق بهما من أبنية وأوزان، وما نسميه بالنحو والصرف. فالعالم اللغوي لا يستطيع الاستدلال من وجود ألفاظ متشابهة بين لغة وأخرى على وجود قرابة بينهما، والتوصل إلى أنهما من أصل واحد. كأن نقول: اللغة العربية واللغة الفرنسية قريبتان لأننا نجد العربية تعرف لفظة تلفزيون وكذلك الفرنسية (ومعظم اللغات الأوربية)، أو لأن العربية تستخدم كلمة مسكين والفرنسية (وعدد من اللغات الأوربية) تعرف mesquin. أو أن العربية والانكليزية من أصل واحد، لأن العربية تعرف لفظة سكر والانكليزية (ومثلها معظم اللغات الأوربية) تستخدم لفظة sugar، وأن الانكليزية تستخدم لفظة sesam والعربية سمسم.

إن وجود مئات الألفاظ ذات المعنى الواحد بين اللغات لايعني أنها من أصل واحد لأن اللغات تستعير عدداً من ألفاظها لتنمي ثروتها اللفظية إلى جانب اعتمادها على مصادرها الاشتقاقية الخاصة. واللغة العربية برغم غناها الفاحش بالمفردات، إذ إنها تعد واحدة من أغنى لغات البشر من حيث عدد ألفاظها، وبرغم تعدد طرق توليد الألفاظ فيها من ذاتها عن طريق الاشتقاق اللفظي والمعنوي بطرق مختلفة، أدخلت عدداً من الألفاظ من لغات مختلفة في القديم، من الفارسية، ومن الآرامية، ومن اليونانية، ومن اللاتينية والمصرية القديمة واليوم تدخل ألفاظاً عصرية من الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية، وغيرها من لغات العالم المتمدن، إنما القرابة الحقيقة والانتماء الصحيح إلى أصل واحد يتبدى من خلال وحدة البناء اللغوي وتشابه التركيب اللغوي والصرفي للاسم وللفعل بخاصة.

فالعربية وأخواتها الساميات تعرف الفعل الماضي الذي يتكون من الجذر الذي يلتصق به المعنى الأصلي ومن إضافة لفظية تحدد الصيغة المقصودة وهي ضمائر الرفع المتصلة. فنحن نقول كتب (للدلالة على الغائب) وكتبتُ بإضافة التاء المضمومة (للدلالة على المتكلم)، وكتبتَ بإضافة التاء المفتوحة (للدلالة على مخاطب المذكر) وبكسرها (للدلالة على مؤنث المخاطب)... إلى آخر ما هنالك من صيغ فعلية.

وكذلك تعرف الفعل المضارع الذي يُسبَق فيه الجذر بحروف المضارعة (أنيت) وتلحق بعض صيغِه ضمائر الرفع المتصلة فتتكون صيغ نسميها الأفعال الخمسة.

وتدخل على الفعل والاسم في اللغات السامية جميعها حروف ذات دلالة نحوية ومعنوية تخصص المعنى الدقيق في بداية الكلمة، أو في حشوها كالسين (أو الشين) والتاء والنون والهمزة، كأن نقول: استخدم (وفيها الهمزة والسين والتاء زائدة) أو انكسر (وفيها الهمزة والنون زائدتان).

وهذ الأصوات والحروف الزائدة المحددة لاتعرفها غير اللغات السامية، وهي وحدها التي تشترك بها. وقد نجد غيرها من اللغات كالهندية ـ الأوربية تشترك في أمور مشابهة فيما بينها، وهي مجموعة لغوية واحدة أيضا، إلا أن اشتراكها في مثل هذه الأمر

يجمع بينها وحدها ولا يشرك معها لغات أخرى، كالسوابق Prefix واللواحق affix أو suffix ، أي أن هذه الزيادات بلفظها ودلالتها خاصة بمجموعة اللغات التي تخصها وحدها دون غيرها.

إن هذا البناء اللغوي عنصر أساسي في جعل اللغات السامية تنتمي إلى أصل واحـد، فتصريف الفعل الماضى أو المضارع أو الأمر فيها واحد من حيث الصيغة والدلالة، كما ذكرنا، وكذلك تصريف المضارع والأمر. وبناء الاسم يأتي موزوناً على صيغ مشـتركـة، وإن اختلف البنـاء وجاءت الصيغة على غير ماهو معروف اختل التركيب واضطرب الميزان الصرفي، وكانت اللفظة دخيلة. ولنضرب مثالاً على ذلك لفـظة تلـفـزيون المعـاصرة التي لا يضبطها ميزان صرفي، كأن نقول هي على وزن تفعليون، وهذا وزن غير معروف، لكن أن نقول تِلْفاز على وزن تِفْعال فهذا مقبول. وتكـوّن المشتقـات عنصرا هاما من عناصر الاشتراك اللفظي والمعنوي بين اللغات السامية، وهي صيغ اسم الفاعل، والمفعول، واسم المكان، واسم الآلة، وتأتي على صيغ محددة إن كانت ثلاثية أو مزيدة.

كأن نقول كاتب، مكتوب، مكتب (على وزن فاعل، مفعول، مفعل. . .)

٣ ـ **الجذر**: ونقصد به أصل الألفاظ في اللغة ومادته الأساسية.

وهو ثلاثي المظهر بعامة، كما لاحظ الباحثون في اللغات السامية، بالرغم من وجود ألفاظ ثنائية الجذر عريقة في االقدم، من مثل: يد، أم، أخ، ابن، أب، اسم، دم . . .) وهي ألفاظ تمكن اللغويون من جعلها ثلاثية بزيادة أحد حروف العلة، وهو الواو. فكلمة استكتب مثلا أصلها الثلاثي كتب، وانكتب وكاتب وكتب وكتاب، واكتتب. وكلها يعود إلى الأصل الذي يتألف من الأصوات الثلاثة ك ـ ت ـ ب.

٤ ـ **الإعـراب**: وهو يعني تحريك أواخر الكلمات بحركات تدل على موقع الكلمة من الجملة وعلى وظيفتها، فهي إما أن تكون مرفوعة، أو مفتوحة أو مكسورة، أي في حالة الرفع أو في حالة النصب، أو في حالة الجر. وينطبق هذا على الاسم بخاصة، وعرفته

اللغات السامية القديمة مثل الأكدية بفرعيها البابلي والآشوري (في بلاد الرافدين) والأوغاريتية (على الساحل السوري)، في آثارها الكتابية التي لقيت عناية الباحثين، حين تتبعوا هذه الظاهرة اللغوية. كما وجدوا آثارا لها باقية في اللغات السامية الأخرى كالآرامية (ومن فروعها السريانية)، والفينيقية والاثيوبية. أما اللغة العربية فقد احتفظت بهذه الظاهرة أكثر من غيرها حتى زمن ظهور الإسلام، الذي جاء كتابه المقدس، القرآن الكريم، فكان له فضل الحفاظ عليها إلى اليوم في اللغة الفصحى، بينما مالت اللهجات الدارجة إلى التخلي عن الإعراب، شأنها في ذلك شأن اللغات السامية الأخرى حين تقدم بها االزمن.

إن وجود الإعراب في اللغات السامية لا يعني أنها وحدها التي تعرف هذه الظاهرة، بل إن عددا من لغات البشر يعرفه أيضا كاللاتينية، والروسية، والألمانية... ولكن الإعراب في اللغات السامية يتصف بوجود علامات مشتركة فيما بينها كالضمة والفتحة والكسرة، وهذه العلامات بالذات ليست هي نفس علامات الاعراب في اللغات الأخرى.

٥ ـ **الألفاظ الأساسية**: وهي الألفاظ التي تعد جوهرية في حياة الشعوب وتمس حياتها في الصميم، من مثل:

آ ـ الألفاظ الدالة على صلة القرابة:

أب، أم، أخ، إبن، أخت، بعل.

ب ـ الألفاظ الدالة على الحيوان:

ظبي، ثور، جمل، حمار، كلب، ذئب، ثعلب،.... الخ مع مراعاة تطابق الأصوات التي تحدثنا عنها لدى الحديث عن الأصوات المشتركة.

ج ـ الألفاظ الدالة على النبات:

قمح، عنب، تفاح، تين، زيتون....

د ـ أعضاء الجسم:

رأس، عين، يد، ذراع، كف، سن، أذن، فم، شفه، إصبع.

هـ ـ الأفعال:

أخذ، لبس، فتح، أكل، كتب، قرأ، ولد، بنى، أتى، هلك، رأى...

و ـ ضمائر الرفع المنفصلة:

أنا، أنتَ، أنتِ، هو، هي، ـ نحن، أنتم، أنتن، هم، هن.

ز ـ أسماء العدد:

واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة... عشرون، ثلاثون... مائة... ألف...

ح ـ أسماء الاشارة:

ذا، ذه، أولاء....

ط ـ مفردات مختلفة أساسية:

بيت، إنسان، دم، يوم، نفس، شمس، شعر، أنثى، موت، حياة، سلام...

هذه الأمثلة(٥) التي سردناها ما هي إلا غيض من فيض، ويجدر بنا أن نؤكد أن لفظها العربي لايختلف عن لفظها في اللغات السامية الأخرى مع مراعاة التطابق الصوتي الذي تحدثنا عنه عند الحديث عن التشابه الصوتي، كأن تلفظ السين في العربية شينا في غيرها من اللغات والثاء قد تصبح في لغة أخرى شينا أو تاء واالذال زايا أو ذالا، وهكذا.

إننا نستطيع بعد أن عددنا أهم السمات اللغوية التي تجمع بين اللغات السامية أن نخلص إلى حقيقة لا مجال للشك في صحتها، وهي أن اللغات السامية ـ والعربية وواحدة منها ـ ذات أصل واحد، وأن انتماءها إلى أرومة واحدة يؤكد وحدة الشعوب

التي تكلمتها على مر العصور:

البـابليون والآشـوريون، والآراميون والفينيقيون والعـرب، هم من سكنـوا جنـوب غربي آسية، في بلاد الرافدين وبلاد الشام وشبه الجزيرة العربية، ومن ثم انتشروا في شمالي أفريقية وشرقها الشمالي، ووصلوا إلى إيبرية وجنوبي أوربة. وكانت لغاتهم سيدة مناطق الشرق الأدنى القديمة، كالبابلية والآشورية اللتين سادتا مدة طويلة قبـل الميلاد وفي أثنـاء السيطرة السياسية للبـابليين والآشوريين، ولاسيما في القرون الممتدة بين القرن الثاني والعشرين والقرن السادس قبل الميلاد، ثم حلت الآرامية مكانها إلى أن ظهر العرب ونشروا الدين الإسلامي، وأصبحت العربية لغة هذه المنـاطق كلها، بل تعدتها إلى إفريقية وجنوب غربي أوربة، وما زالت العربية تزدهر وتزداد غنى بالألفاظ والمعاني المحدثة. وكانت اللغة السامية التي قدر لها أن تسود في وقت من الأوقات لا تلقى صعوبة في انتشارها، لأنها لم تكن غريبة على الوسط الذي تحل فيه، فالأصوات نفسها، والتركيب والبناء اللغوي واحد، والألفاظ ذاتها، كما رأينا، وليس من مانع يحول دون تغلغلها في أوساط الناس كلهم، على اختلاف انتمائهم الاجتماعي والثقافي، وهي لغات كما نوهنا سابقا بمعنى اللهجات المحلية، والفـروع للغـة واحـدة أم. لذلـك لم يكن سكـان المناطق المذكورة يشعرون حين يسمعون أو يتكلمون هذه اللغة أو تلك بأنها لغة أجنبية، دخيلة عليهم.

---

(١) ظهرت هذه التسمية أول مرة في بحث للعالم الألماني شلوتزر عام ١٧٨١، ويدور موضوعه حول تاريخ الأمم القديمة، وقد استخلصها من الجدول الخاص بأنساب نوح الواردة في التوراة، سفر التكوين، الإصحاح العاشر. وقد شاع استعمال هذه الاصطلاح على الرغم من اعتراض بعض الباحثين قديماً وحديثاً على صحته.

(٢) صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص ٦٥. عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية ص ١٢٠.

(٣) تنتهي الألفاظ الآرامية في المعاجم الاختصاصية بالألف الممدودة دلالة على التعريف، أي أن وظيفتها هي نفس وظيفة (أل) التعريف في اللغة العربية إلا أنها تلحق الاسم في آخره، ثم فقدت هذه الألف الزائدة في الآرامية معناها ووظيفتها الأصليين. كما تنتهي الألفاظ الأكدية (البابلية ـ الآشورية) في المعاجم الاختصاصية بالضم والميم دلالة على التمييم الذي يقابل التنوين في اللغة العربية. ونحن سنهمل هذه النهايات، أي ألف التعريف الآرامية والتمييم الأكدية في هذا البحث.

إن هذه الوحدة اللغوية التي قررنا وجودها بين شعوب منطقة الشرق الأدنى القديم ومن ثم شمالي وشرقي افريقية، والتي تتوضح من خلال قراءة المصادر التاريخية والكتابات الأثرية، والتي تعود إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، ونقصد الكتابات الأكدية القديمة تستدعي وجود وحدة حضارية وفكرية تشتمل على مظاهر حياتية مختلفة، كالمعتقدات والأديان، والعادات، ومناشط الحياة من زراعة، وتجارة، وصناعة، وبناء، دلّت المصادر التاريخية والأثرية على وجودها منذ القديم في العصور السابقة للميلاد. والبحث في هذه الوحدة الحضارية والفكرية يحتاج إلى صفحات كثيرة لا يتسع المجال هنا للقيام به.

---

(٤) ونشير هنا إلى أن الآرامية القديمة كتبت (أرق)، ثم ظهرت الكتابات الآرامية اللاحقة التي أحلّت العين محل القاف. ولدينا شواهد كثيرة على ذلك. انظر مثلا الشواهد التي يسوقها كتاب:

Donner - Röllig, Kanaanäische und aramäische Inschriften, Bd. III, P. 29

وهي شواهد من الكتابات الآرامية القديمة التي عثر عليها في بقاع مختلفة من بلاد الشام والرافدين وانظر كذلك من أجل المقارنات الصوتية كتابنا:

المدخل إلى اللغة السريانية وآدابها (من مطبوعات جامعة حلب ١٩٧٥) ص ٣١.

(٥) لمزيد الأمثلة يمكن الرجوع إلى كتابنا: المدخل إلى اللغة السريانية وآدابها، ص ٢٥ - ٢٩ حيث جمعنا أهم الألفاظ المشتركة.

العلاقات ما بين سورية وبلاد الرافدين في القرن الثامن عشر ق. م

د. عيد مرعـي
جامعة دمشق ـ كلية الآداب
قسم التاريخ

قبـل البـدء بالحديث عن العلاقات ما بين سورية وبلاد الرافدين في القرن الثامن عشر ق. م لا بد من إلقاء نظرة سريعة على العلاقات بين هاتين المنطقتين في القرون السابقة.

قامت علاقـات سياسية واقتصـادية ما بين سورية وبلاد الرافدين منذ أقدم العصور، فإبلا Ebla التي ازدهرت في النصف الثاني من الألف الثالث ق. م ربطتها ببلاد الرافدين علاقات تجارية وعسكرية وثقافية. فقد عقدت اتفاقية تجارية والمملكة الآشورية لضمان مصالحها التجارية، وأرسلت حملة عسكرية ضد مدينة ماري Mari على الفرات الأوسط سيطرت بنتيجتها عليها[1]. كانت العلاقات الثقافية قوية ما بين بلاد الرافدين وسوريةفي هذه المرحلة. فقد أخذ الإبلائيون الكتابة المسمارية من بلاد الرافدين وكتبوا بها لغتهم واستخدموا الكثير من الكلمات والتعبيـرات السـومرية في النصوص التي كتبوها. وكان هناك كتاب يأتون إلى إبلا حيث تقام لقاءات ودورات علمية، فهناك إشارة إلى قدوم معلم للحساب من مدينة كيش الرافدية إلى إبلا.

إن هذه العلاقات لم تبق علاقات سلمية وإنما تحولت مع الزمن إلى علاقات حرب واحتلال نتيجة تضارب مصالح إبلا ومصالح الدولة الأكادية التي نشأت في بلاد الرافدين (٢٣٥٠ـ ٢١٥٠ق. م).

قام شاروكين الأكادي Sharrukin (٢٣٥٠ـ ٢٢٨٤ق. م) مؤسس الإمبراطورية الأكادية باحتلال سورية ووصل حتى شواطىء البحر المتوسط. ويذكر في نصين من كتاباته بأن الإله «داجان Dagan أعطاه الأرض العليا أي ماري ويارموتي وإبلا حتى غابة الأرز وجبال الفضة»[2].

يمكن المرء أن يرى في غابة الأرز جبال الأمانوس، وفي جبال الفضة جبال طوروس[٣]. هذه الكتابات تعني حقاً أن شاروكين زحف بقواته حتى شواطىء البحر المتوسط وأخضع المدن السورية المختلفة وعلى رأسها إبلا، التي كانت تشكل القوة الرئيسة في هذه المرحلة.

كما قام نارام سين Naram Sin حفيد شاروكين (٢٢٦٠- ٢٢٢٣ق. م) أيضاً بتجديد الحملات الأكادية باتجاه سورية حيث دمر إبلا التي قاومته كما يظهر. يقول في كتاباته: «منذ الأزل منذ خَلْق البشر لم يخضع أي ملك من الملوك أرمان (ربما حلب) وإبلا. وفتح نيرجال Nergal (إله الطاعون والعالم السفلي عند السومريين) الطريق لنارام سين القوي وأعطاه مدينة أرمان وإبلا وأهداه جبال الأمانوس، جبال الأرز والبحر الأعلى. وبسلاح داجان الذي جعل مملكته كبيرة أخضع نارام سين القوي أرمان وإبلا وقبلها المنطقة من شاطىء الفرات حتى مدينة أوليشوم[٤] Ulishum». (في منطقة أرمان وإبلا). هذه العلاقات العدائية القائمة على الغزو والاحتلال تبدلت في العصور اللاحقة وحلت محلها علاقات سلمية، فجوديا Gudea حاكم مدينة لاجاش Lagash. السومرية (٢١٤٣- ٢١٢٤) أرسل بدلاً عن الجيوش بعثات تجارية إلى سورية للحصول على المواد الأولية اللازمة لأعمال البناء وللمشروعات العمرانية التي قام بها. فقد استورد من سورية أحجاراً متنوعة وأخشاب الأرز والصنوبر والدلب[٥]. لقد غدت العلاقات ما بين سورية وبلاد الرافدين في عصر سلالة أور الثالثة (٢١١٢- ٢٠٠٤) معروفة في خلال بعض الوثائق الكتابية. يُذكر في نصين مسماريين من مدينة دريهيم Drehem الرافدية أحد حكام مدينة جوبلا .Gubla (جبيل) واسمه إبداتي Ib-dati ويعطى اللقب السومري إنزي Ense «أمير مدينة»[٦]. كذلك وجد في جبيل لوح طيني من عصر سلالة أور الثالثة وخاتم أحد التجار البابليين[٧].

إن هذه النصوص تشير إلى وجود علاقات تجارية وسياسية ما بين جبيل وبلاد الرافدين في هذه المرحلة.

يرد ذكر أشخاص من بعض المدن السورية مثل موكيش وأورشوم وإبلا في بعض نصوص سلالة أور الثالثة[٨]. إن ذلك يدل أيضاً على وجود اتصالات ما بين بلاد الرافدين وهذه المدن في هذا العصر. في بداية الألف الثاني ق.م حدثت

الهجرات الأمورية الكبرى التي حملت الكثير من القبائل البدوية الأمورية التي كانت تقيم في بادية الشام إلى سهول بلاد الرافدين وسورية. وكانت هذه الهجرات أحد الأسباب الرئيسة التي أدت إلى انهيار سلالة أور الثالثة.

وأستطاعت بعض الأسر الأمورية الوصول إلى الحكم وتأسيس سلالات حاكمة في الكثير من المدن الرافدية والسورية مثل ماري وبابل وأشور وحلب وقطنة وغيرها.

العلاقات في القرن الثامن عشر قبل الميلاد:

نستقي معلوماتنا عن تاريخ سورية وبلاد الرافدين في القرن الثامن عشر ق.م استقاءً رئيساً من محفوظات ماري الملكية، التي أكتشفها عالم الآثار الفرنسي أندريه بارو André Parrot من خلال حفرياته التي بدأها عام ١٩٣٣ في موقع تل الحريري الحالي (ماري قديماً) الواقع على الفرات الأوسط بالقرب من البوكمال.

وتُعَدُّ تلك المحفوظات أكثر من عشرين ألف لوح طيني كتبت بالخط المسماري وباللهجة البابلية القديمة. وهي وثائق اقتصادية وإدارية ورسائل تلقاها ملوك ماري من الحكام المعاصرين ومن تابعيهم وموظفيهم.

يرجع زمن الألواح المكتشفة إلى النصف الأول من القرن الثامن عشر ق.م بحسب ما يسمى بالتأريخ المتوسط (الكروفولوجي المتوسط)، وتعود أول ما تعود إلى مرحلة حكم يسماخ أدد الذي حكم في ماري نائباً للملك الآشوري، وإلى مرحلة حكم زمري ليم آخر ملوك ماري.

بالإضافة إلى محفوظات ماري يوجد مصدر هام آخر عن تاريخ شمالي سورية في هذه المرحلة وهو أرشيف ألالاخ (الطبقة السابعة)، تل عطشانة حالياً، الواقعة على المجرى السفلي لنهر العاصي. وقد اكتشف ذلك الأرشيف عالم الآثار الانكليزي ليوناردو ولي Leonard Woolley في خلال حفرياته في ذلك الموقع ما بين عامي ١٩٣٧ و١٩٣٩ وعامي ١٩٤٦ و١٩٤٩.

اكتشف أرشيف ألالاخ في طبقتين تمثلان مرحلتين زمنيتين مختلفتين. إن الأرشيف الأقدم من الطبقة السابعة يعطينا بعض المعلومات عن العلاقات في أواخر القرن الثامن عشر وبداية السابع عشر ق. م، وهو ما يهمنا هنا، وقد كانت فيه ألالاخ جزءاً من مملكة يمحاض.

أما الأرشيف الأحدث من الطبقة الرابعة فيعود إلى القرن الخامس عشر ق. م عندما كانت ألالاخ تشكل مملكة صغيرة تابعة لمملكة حوري - ميتاني.

إن نصوص الطبقة السابعة مهمة جداً لدراسة حياة ألالاخ الاقتصادية في المرحلة المذكورة لأنها تعالج أول ما تعالج نواحي أقتصادية. وخلافاً لذلك فإن الإشارات إلى أحداث سياسية في ألالاخ نفسها أو في يمحاض أوفي المدن السورية الأخرى نادرة جداً.

تخبرنا نصوص ماري أن أسرة أمورية توصلت إلى الحكم في هذه المدينة. ويدخل اسم الإله الاموري الكبير ليم Lim في تركيب أسماء ملوكها. فأول ملك معروف من هذه السلالة حتى الآن يدعى يجيد ليم Yaggid Lim الذي دخل في صراع ضد حاكم أموري آخر هو إلاكبكابو ilakabkabu والد شمشي أدد الأول Sham-shiadad 1، الذي كان يحكم في تيرقا Terqa (تل عشارة حالياً) وهي مدينة صغيرة تقع إلى الشمال من ماري، وطرده من هناك مع أسرته.

فيما بعد توصل شمشي أدد إلى احتلال إكالاتوم Ekallatum وآشور Ashur (في شمالي بلاد الرافدين) وبدأ بعد ذلك سياسته التوسعية نحو الغرب.

ويمجد يخدون ليم Yachdun Lim ابن يجيد ليم وخليفته نفسه في وثيقة تأسيس معبد شماش (إله الشمس) في ماري بأنه أول ملك من ماري يصل إلى شاطىء البحر الأعلى، أي البحر المتوسط، ويقطع أشجار الأرز والبقس والسرو في الجبال(٩). ولكن لم يكن لهذه الحملة نتائج على وضع سورية السياسي في ذلك الوقت. فلم تؤد إلى إخضاع سورية لسلطة ملك ماري.

كان الحصول على أخشاب البناء، كأخشاب الأرز والسرو والصنوبر، وكسب الهيبة والشهرة هدفين رئيسين من أهداف هذه الحملة[١٠].

امتد نفوذ يخدون ليم باتجاه الشمال حتى نواحي إيمار (مسكنة حالياً). ففي أحد تواريخ سنوات حكمه يذكر يخدون ليم نصراً له على هذه المدينة[١١].

انتهى حكم يخدون ليم الذي دام ثماني سنوات على الأقل بمؤامرة في القصر الملكي اغتيل في خلالها الملك على أيدي خدمه. ومن المحتمل أن يكون شمشي أدد الذي لم ينس طرد أسرته من تيرقا، وراء هذه المؤامرة، إذ نراه يحتل ماري بعد ذلك بمدة قصيرة، وينصب ابنه يسماخ أدد Yasmach adad حاكماً عليها بصفته نائباً للملك.

اضطر زمري ليمZimri Lim ابن يخدون ليم وخليفته الى الهرب من ماري واللجوء إلى سومو إيبوخ حاكم حلب Halab .

وبالرغم من إدعائه بأنه وصل ساحل البحر المتوسط وأقام نصباً في أرض لابان Laban [١٢] (المعتقد لبنان) فإن شمشي أدد لم يستطع توسيع حدود مملكته باتجاه الغرب أي باتجاه سورية حيث قاومت سياسته هناك مملكة يمحاض التي كانت قائمة في شمالي سورية.

إن الوحدات السياسية التي كانت موجودة في سورية وفي بلاد الرافدين في القرن الثامن عشر ق.م هي، كما تظهر في خلال محفوظات ماري، آشور وبابل ولارسا وإشنونا وماري وكرمكيش (جرابلس حالياً)ـ ويمحاض وعاصمتها حلب وأوجاريت وقَطْنَة (المشرفة حالياً)ـ وجبيل وأورشوم وخاشوم وحاصور.

كانت أقوى الممالك السورية في هذه المرحلة مملكة يمحاض التي امتدت حدودها من البحر المتوسط في الغرب حتى الفرات في الشرق وسيطرت أحياناً على مناطق شرقي الفرات.

شكل شمشي أدد لتوسيع منطقة نفوذه نحو الغرب تحالفاً[١٣] بقيادته وكركميش

وخاشوم وأورشوم[١٤]، وقوى علاقاته بقطنة بتزويج ابنه يسماخ أدد الذي كان يحكم في ماري نائباً للملك، من ابنة ملك هذه المملكة[١٥].

كانت هذه التحالفات موجهة توجيهاً واضحاً ضد سومر ايبوخ في حاكم يمحاض. إن الدافع لموقف قطنة العدائي من يمحاض غير معرف حتى الآن. ولكن ربما كان هناك خلاف بين المملكتين حول مناطق الرعي أو حول الحدود حيث كانت المملكتان متجاورتين[١٦].

إن الأسباب التي جعلت كركميش وأورشوم وخاشوم تدخل في تحالف وشمشي أدد وتعترف بسيادته هي الخوف من قوته أو من قوة سومو إيبوخ حاكم يمحاض، فهي بوصفها دولة صغيرة لم يكن أمامها فرصة للبقاء مستقلة بين قوتين كبيرتين. لقد كانت المملكة الآشورية مملكة كبيرة ومزدهرة ولكن بقاءها كذلك كان مرتبطاً بشخصية شمشي أدد حاكمها القوي. وبعد موته عام ١٧٨٢ لم يستطع ابنه وخليفته إشمي داجان Ishme dagan بالرغم من قدراته وخبراته العسكرية، من المحافظة على الإمبراطورية التي خلفها له والده. فأجبر يسماخ أدد على مغادرة ماري بعد أن حكمها مدة عشرين عاماً، وعاد زمري ليم إليها بمساعدة ياريم ليم الأول ملك يمحاض، واعتلى العرش ملكاً شرعياً.

من المؤكد أن حملة ملك إشنونا إبال بيل الثانيIbal piel II فتحت الطريق لعودة زمري ليم في خلال الهجوم على امبراطورية شمشي أدد من الجنوب.

بقي لاشمي داجان بلاد آشور فقط وفقد الفرات الأوسط بما فيه ماري، وجزءاً كبيراً من أعالي بلاد الرافدين الذي يعتقد أنه إما حصل على استقلاله من جديد، وإما وقع تحت مراقبة زمري ليم ملك ماري.

شهدت ماري خلال عهد زمري ليم (١٧٨٢-١٧٥٩) أزهى مراحل تاريخها كما تشهد بذلك نصوص أرشيفها التي تعود إلى عهده. كذلك فإنها أدت مهمة سياسية هامة وأقامت علاقات اقتصادية وسياسية بمعظم دول العصر الأخرى[١٧].

ثمة رسالة هامة من أرشيف ماري تعطينا صورة واضحة عن الوضع السياسي

الذي كان قائماً في سورية وبلاد الرافدين في هذه المرحلة. فإتور أشدو Iturašdu حاكم مدينة ناخور Nachur (في أعالي بلاد الرافدين)، والموظف الملكي الكبير في الوقت نفسه كتب إلى سيده زمري ليم ما يأتي:

«لا يوجد ملك وحده. عشرة ملوك أو خمسة عشر يتبعون حمورابي ملك بابل، وكذلك ريم سين ملك لارسا، وكذلك إبال بيل ملك إشنونا، كذلك أموت بيل ملك قطنة، وعشرون ملكاً يتبعون ياريم ليم ملك يمحاض»[١٨]. هنا يجب أن يعد زمري ليم ملكاً ذا اتباع إلى جانب هؤلاء الملوك.

يلاحظ من هذه الرسالة أن ملك آشور لم يرد ذكره بين الملوك الأقوياء. وهذا يمكن تعليله بأن الرسالة كتبت بعد موت شمشي أدد حيث أصبحت مملكة آشور ضعيفة في عهد أشمي داجان ولم تعد تؤثر تأثيراً مهماً في السياسة الدولية[١٩]. لم يُذكر أيضاً ملك كركميش أبلا خاندا Apla chanda بين الحكام الهامين وربما كان واقعاً تحت نفوذ يمحاض السياسي.

يمكن للمرء أن يرى في تعبير «ملك» في الرسالة دلالة على أتباع الملوك، حكاماً أتباعاً وشيوخ قبائل بدوية.

يظهر ياريم ليم الأول ملك يمحاض في هذا النص ملكاً لديه العدد الأكبر من الأتباع. لقد كان ياريم ليم الأول غالباً خليفة سومو إيبوخ أول حاكم من يمحاض معروف لنا حتى الآن. وصلت يمحاض في خلال حكم ياريم ليم الأول أقصى درجات قوتها وامتد نفوذها السياسي أيضاً إلى منطقة تقع إلى الشرق من دجلة (Der. Diniktum)[٢٠].

وجد زمري ليم الذي هرب إلى يمحاض بعد احتلال الآشوريين ماري لدى سومو إيبوخ أولاً ثم لدى ياريم ليم الأول كل دعم ومساعدة وتزوج من شيبتو Shibtu ابنة ياريم ليم الأول.

هذا الزواج السياسي يمكن النظر إليه على أنه محاولة لتقوية نفوذ يمحاض على الفرات الأوسط. توجد أمثلة أخرى من هذا العصر على عقد زيجات لتحقيق مآرب

سياسية مثل الزواج ما بين يسماخ أدد وابنة إشخي ادد ملك قطنة، وزواج أسقور أدد Asqur adad حاكم مدينة كارانا Karana من ابنة زمري ليم ملك ماري[٢١]. كذلك ساعد ياريم ليم الأول زمري ليم في عودته إلى ماري. يمكن أن ينظر إلى هذه المساعدة نتيجة للنزاع ما بين مملكة يمحاض ومملكة آشور.

توجد في نصوص ماري إشارات إلى علاقات تجارية قوية ما بين ياريم ليم الأول وزمري ليم. من ذلك نرى أن كميات كبيرة من القصدير ترسل من ماري إلى حلب[٢٢]، بينما كان الخمر والعسل وزيت الزيتون والمنسوجات تصدر من حلب إلى ماري[٢٣]. إلى جانب ذلك كان زمري ليم يرسل هدايا بين وقت وآخر إلى ياريم ليم الأول. لكن هذه العلاقات الجيدة كانت تسوء في بعض الأحيان. فثمة رسالة من زمري ليم إلى حميه ياريم ليم الأول تبين أن زمري ليم أرسل زمن إحدى المجاعات في ماري سفناً إلى إيمار لجلب حبوب من هناك. ولكن لأسباب غير معروفة لنا منع ياريم ليم الأول هذه السفن من العودة إلى ماري محملةً بالحبوب[٢٤].

يظهر من هذه الرسالة أن ميناء الفرات إيمار Emar كان تحت سيطرة يمحاض. هذا تؤكده وثيقة أخرى من ألالاخ (الطبقة السابعة) من عهد أبايل Abbael ملك يمحاض[٢٥].

وُرِّثَ النزاع الذي كان قائماً ما بين إشخي أدد ملك قطنة وسوموإيبوخ حاكم يمحاض لخلفائهما أموت بيل وياريم ليم الأول. كان رأي حمورابي ملك بابل في إحدى الرسائل أن زمري ليم ملك ماري هو القادر فقط على إنهاء الصراع ما بين ياريم ليم الأول ملك يمحاض وأموت بيل ملك قطنة[٢٦].

وهذا يشير إلى الأثر السياسي الهام الذي كان زمري ليم يستطيع أن يتركه في هذا الوقت. وتوجد كسرة لوح تحمل الجواب الذي أعطاه ياريم ليم الأول إلى أحد سعاة زمري ليم: «يجب أن يأتي أموت بيل ملك قطنة إلى حلب وسوف نقيم علاقات ممتازة بينه وبيني ونحلف اليمين ونعقد اتفاقاً ثابتاً»[٢٧].

يتضح لنا من هذا ادعاء ياريم ليم بعلو المنزلة، ولكن يجب ألا يفهم ذلك على أنه إخضاع لقطنة.

يبدو أن زمري ليم تدخل لدى حميه ياريم ليم الأول وتوصل إلى التقريب ما بين الفريقين المتخاصمين. مما تجدر الإشارة إليه هو أن ياريم ليم الأول قدم مساعدة عسكرية لحمورابي ملك بابل وزمري ليم ملك ماري في حربهما ضد إشنونا وعيلام.

أقام حمورابي بين ياريم ليم الأول الذي خلف والده على عرش يمحاض أيضاً علاقات ود وصداقة وزمري ليم ملك ماري وتبادل وإياه الهدايا، وكان مرة وسيطاً بينه وبين حاكم أوجاريت عندما عبر هذا الأخير عن رغبته بالسماح له برؤية قصر ماري الشهير(٢٨).

كانت تربط حمورابي الأول ملك يمحاض علاقات جيدة بحمورابي البابلي هي استمرار لعلاقات والده الطيبة مع الملك البابلي. ويبدو أنه استطاع نتيجة لاحتلال قوات حمورابي ملك بابل ماري، أن يوسع نفوذه ليشمل مناطق تقع إلى الشرق من نهر الفرات(٢٩).

سومو ايبوخ وياريم ليم الأول وحمورابي الأول هم حكام يمحاض الوحيدون الذين يرد ذكرهم في نصوص ماري. ونعرف الملوك اللاحقين من يمحاض من خلال نصوص ألالاخ ـ الطبقة السابعة.

يظهر أباإيل بن حمورابي الأول الذي بدأت مدة حكمه في منتصف القرن الثامن عشر ق.م تقريباً، كما يبدو في خلال نصوص ألالاخAL,T. 1, 456 ، أنه كان يسيطر على منطقة تقع شرقي الفرات. وهذان النصان يعالجان إعطاء ألالاخ وموراو وأماكن أخرى إلى ياريم ليم أخ أبا إيل. احتل أبا إيل مدينة إريتي Irrite الواقعة شرق الفرات التي كان يحكمها أخوه ودمرها، بسبب ثورة ضده.

ولا تُذْكر ألالاخ في نصوص ماري. فمن المحتمل أنها كانت مرتبطة بشكل مباشر بحلب عاصمة مملكة يمحاض(٣٠). أما إيمار فكانت تحت سلطة أباإيل بحسب نص ألالاخ AL.T. 456 ، أيضاً أما كركميش فيمكن أن تكون في هذه المرحلة قد اعترفت بسيادة يمحاض(٣١).

اعتلى بعد أباإيل ياريم ليم الثاني العرش في يمحاض، وبعده نيقميبا

Niqmepa المعروف لنا من خلال تواريخ سني حكمه[٣٢] عندما احتل مدينة أرازيك Arazik على الفرات.

ومهما يكن من أمر فقد بقيت يمحاض أقوى دولة في سورية حتى دخول الحثيين إلى المنطقة في منتصف القرن السابع عشر ق. م تقريباً.

إلى الجنوب من يمحاض في موقع المشرفة الحالية ١٨كم شمالي شرق حمص كانت تقع قطنة «المدينة الصغيرة»، التي جرت فيها التنقيبات الأثرية بإشراف كومت دو ميسنيل دو بويسون Conte du Mesnil du Buisson (١٩٢٤-١٩٢٩). قدمت المنطقة الخصبة التي تقع فيها قطنة شروطاً جيدة لزراعة الزيتون والعنب والحبوب.

أدت قطنة أيضاً دوراً هاماً في المواصلات بوصفها محطة مهمة على طريق القوافل ما بين الفرات والبحر المتوسط.

يظهر في أرشيفات ماري إسمان فقط من أسماء ملوك تنه هما إشخي أدد وأموت بيل اللذان ينتميان إلى أسرة أمورية.

كان إشخي أدد ـ كما رأينا سابقاً ـ حليفاً لشمشي أدد ملك آشور. كان يجب على العلاقات ما بين العاهلين أن تقوى في خلال عقد الزواج ما بين يسماخ أدد بن شمشي أدد وابنة إشخي ادد. ففي رسالة من أرشيفات ماري ينبه شمشي أدد ابنة يسماخ أدد إلى أهمية قوة السلالة الحاكمة وسمعتها في قطنة: «أريد أن آخذ لك ابنة إشخي أدد. البيت (السلالة) الحاكمة في ماري لها اسم، والبيت (السلالة) الحاكمة في قطنة لها اسم أيضاً»[٣٣].

ويذكر الكثير من النصوص أرشيفات ماري إرسال فرق عسكرية من ماري إلى قطنة ومرابطتها هناك[٣٤]. هذا يبين أن التحالف ما بين شمشي أدد وإشخي أددكان نتيجة موقفها العدائي من يمحاض، كما كان مرتبطاً بالاهتمام بسلامة المواصلات من الفرات حتى البحر المتوسط

كانت توجد في منطقة قطنة مراعٍ خصبة بينما القطعان في ماري تعاني من

الجوع، هذا يظهر واضحاً من رسالة من إشخي أدد إلى يسماخ أدد، حيث يشار فيها إلى رجاء ملك ماري بالسماح لأغنامه بأن ترعى في مراعي قطنة لأن مراعي ماري تعاني من نقص في الكلأ[٣٥].

كان إشخي أدد موافقاً على السماح لقطعان يسماخ أدد بالرعي في مراعي مملكته. كما كان أيضاً فيما بعد لنيقحا توم Niqhatum أخت زمري ليم قطعان أغنام ترعى في مراعي قطنة[٣٦].

ما تزال نهاية إشخي أدد مجهولة. ولكن بوصفه حليفاً لشمشي أدد يبدو أن مركزه قد ضعف بعد انهيار امبراطورية هذا الأخير، ولا سيما مقابل مملكة يمحاض. بعد إشخي أدد اعتلى عرش قطنة أموت بيل، الذي يذكر في رسالة إيتور أشدو بين أقوى الملوك في القرن الثامن عشر ق. م. وهذا يدل على أن قطنة كانت من الدول القوية في هذا العصر.

أقام أموت بيل علاقات طيبة بينه وبين زمري ليم وتبادل الهدايا واياه فالكثير قاطبة من نصوص ماري يذكر إرسال القصدير من ماري إلى قطنة[٣٧]. كانت قطنة في هذه المرحلة مركزاً لتجارة الخيول-كما يبدو- حيث كانت ترسل من هنا إلى ماري وبلاد آشور. نذكر على سبيل المثال رسالة من إشخي أدد ملك قطنة إلى إشمي داجان ملك آشور يعاتبه فيها على قلة كمية القصدير المرسلة منه ثمناً للحصانين اللذين أرسلهما له من قطنة إلى إيكالاتوم.

«إلى إشمي داجان يقول ما يأتي إشخي أدد أخوك: أنت ملك كبير. طلبت مني حصانين فأرسلتهما لك. والآن ترسل لي عشرين مينة قصدير. ألم تطلبهما مني وحصلت عليهما دون تردد. ولكنك ترسل لي هذه الكمية القليلة من القصدير إن ثمن هذين الحصانين عندنا في قطنة ٦٠٠ شيقل فضة وأنت ترسل لي عشرين مينة فقط من القصدير.

أنت لست ملكاً كبيراً. لماذا عملت هذا؟»[٣٨].

كذلك كانت الأخشاب تمر عبر قطنة من المناطق السورية الأخرى، إلى بلاد

الرافدين. ففي رسالة من شمشي أدد إلى ابنه يسماخ أدد حاكم ماري ذكر لأخشاب أرز وسرو وصلت الفرات عن طريق قطنة. وكان على يسماخ أدد أن يرسلها إلى إيكالاتوم ونينوي وشوباط إنليل(٣٩). في العصور اللاحقة فقدت قطنة أهميتها. ويذكر ذلك أرشيف ألالاخ - الطبقة السابقة ولكن لا يعطي أية تفاصيل عن وضعها السياسي(٤٠). ويبدو أنها أصبحت مملكة صغيرة لم تستطع أن تؤدي أية مهمة سياسية هامة في شمالي سورية على الفرات كانت تقع كركميش (جرابلس حالياً) التي لم تؤد أي مهمة سياسية هامة. ولكن وضعها المناسب على الفرات وبالقرب من جبال طوروس المكسوة بالأشجار ساعد على ازدهارها في مجال التجارة.

ثمة ملكان في هذه المملكة معروفان في القرن الثامن عشر ق.م. هما أبلاخاندا وابنه وخليفته يتارأمي Jatarmi.

لم تستطع كركميش من حيث هي دولة صغيرة بين دولتين قويتين مجاورتين أن تحافظ على استقلالها. في البداية كان أبلاخاندا حليفا لشمشي أدد وأقام معه ومع ابنه يسماخ أدد في ماري علاقات جيدة. خمر وعسل ومنسوجات حجارة ثمينة تذكر في الكثير من نصوص ماري مرسلات من أبلاخاندا إلى يسماخ أدد.

ولكن هذه العلاقات مابين أبلاخاندا وشمشي أدد ويسماخ أدد لم تبق دائماً طيبة. ويبدو أنها ساءت في أواخر سنوات حكم شمشي أدد(٤١).

بعد عودة زمري ليم إلى ماري أقام أبلاخاندا معه أيضاً علاقات طيبة وأرسل له الهدايا. كذلك فعل ابنه تيارأمي الذي خلفه في حكم كركميش.

كانت كركميش دولة تجارية اهتمت بإقامة علاقات جيدة بجيرانها ولاسيما أولئك الذين على الفرات الأوسط، وذلك لضمان سلامة تجارتها ولا سيما وبلاد الرافدين حيث كانت تصدر إلى هناك الأخشاب والخمور والعسل وزيت الزيتون والخيول(٤٢).

كان التجار من ماري يأتون إلى كركميش لشراء المنتوجات المختلفة ويستخدمون في الغالب نهر الفرات الذي كان يسهل عمليات النقل والمواصلات(٤٣). وقد وجدت سفن ذات أنواع مختلفة لنقل البضائع والمواد الأخرى(٤٤). وحفظت

لنـا نصـوص ماري أسـماء الكثير من التجار الذين كان لبعضهم مكاتب قائمة في كركميش [٤٥].

أما بالنسبة إلى بقية المناطق السورية وعلاقتها ببلاد الرافدين في القرن الثامن عشر ق.م فتوجد فقط بعض المعلومات القليلة.

تذكر بعض نصوص ماري اوجاريت. يذكر حمورابي الاول ملك يمحاض في رسالة إلى زمري ليم ملك ماري رغبة حاكم اوجاريت في السماح له برؤية قصر ماري الملكي الذي كان يعد إحدى عجائب الدنيا في ذلك الوقت [٤٦].

يبدو أن حاكم اوجاريت لم تكن له علاقات مباشرة بزمري ليم لذلك اتجه إلى حمورابي الأول ملك يمحاض الذي كانت علاقاته الطيبة بزمري ليم معروفة له.

لايمكن لمرء أن يستنتج من هذه الرسالة أن اوجاريت كانت خاضعة أو تابعة ليمحاض. وثمة رسالة أخرى من ماري تجعل قيام زمري ليم برحلة إلى أوجاريت محتملة[٤٧]. هناك أيضاً نص من ماري يذكر إرسال كمية من القصدير من ماري إلى أوجاريت[٤٨].

اسم مدينة جوبلا (جبيل) يظهر مرات عدة في نصوص ماري في خلال ذلك نعرف أنه كانت تقوم علاقات طيبة ما بين جبيل وماري. أما السعاة فكانوا يسافرون بين المدينتين، وكانت المنسوجات الجبيلية المتنوعة معروفة في ماري.

وقد أهدى يانتين خامو Iantinhamu ملك جبيل زمري ليم مرة إناءً ذهبياً. كل ذلك يشير إلى وجود روابط قوية ما بين المدينتين في القرن الثامن عشر ق.م[٤٩].

تظهر أمورو Amurru ، وهي منطقة في وسط سورية في رسالتين من محفوظات ماري. في الأولى الحديث عن سعاة من حاصور وعن سعاة أربعة ملوك أموريين. كان على يسماخ أدد استناداً إلى تعليمات والده شمشي أدد أن يعهد بهؤلاء إلى سعاة إشخي أدد ملك قطنة. وكان على سعاة قطنة أن يأخذوا معهم سعاة حاصور وأمور وإلى قطنة، ومن هناك كان هؤلاء في وضع يمكنهم فيه من العودة وحدهم إلى بلادهم

التي من المؤكد أنها كانت تقع جنوبي قطنة.

الرسالة الثانية موجهة من أحد الموظفين إلى سيده زمري ليم ويذكر فيها بحسب ترتيب متسلسل: بلاد يمحاض ـ بلاد قطنة ـ وبلاد أمورو[٥٠]. أما نصوص ألالاخ ـ الطبقة السابعة تذكر خيولاً وأشخاصاً من أمورو، وكذلك تجاراً لهم اتصالات بأمورو[٥١]. يبدو أن أمورو لم تكن تشكل في هذا العصر كياناً سياسياً واحداً بل كانت يحكمها الكثير من الأمراء ومن المحتمل أن خيولاً من أمورو كانت تجد طريقها عبر قطنة إلى بلاد الرافدين.

أبعد مدينة إلى الجنوب معروفة من هذا العصر هي حاصور التي بَيَّنَ جارستانج J. Garstang عام ١٩٢٦ أنها كانت تقع في موقع تل قداح وتل وقاص على بعد حوالي ثمانية كيلومترات جنوبي غرب بحيرة الحولة في شمالي فلسطين[٥٢].

تظهر حاصور في الكثير من نصوص محفوظات ماري. وقد كان السعاة يتنقلون غالباً ما بين ماري وبابل وحاصور[٥٣]. وكانت القوافل التجارية تسافر أيضاً من ماري إلى حاصور لعقد الصفقات التجارية. ففي رسالة من زمري ليم ملك ماري إلى ياريم ليم الأول ملك يمحاض معلومات عن قافلة تجارية سافرت من ماري إلى حاصور لجلب ذهب وفضة وأحجار كريمة، واحتُجزت هناك لأسباب غير معروفة[٥٤].

أحد ملوك حاصور الذي كان يحمل اسماً أكادياً، إبني أدد Ibniadad وقد كان معاصراً لزمري ليم ملك ماري، تلقى كميات من القصدير مرات عدة من ماري[٥٥].

تظهر حاصور في كتاب أحلام آشوري ضمن سلسلة من أسماء المدن، ماري وإيمار وحلب وقطنة وحاصور[٥٦]. هذا يشير إلى أن حاصور كانت محطة مهمة على الطريق الذي ربط بلاد الرافدين بسورية عبر حلب.

مما تجدر الاشارة إليه أنه كان هناك طريقان تربطان بلاد الرافدين بسورية، الأولى تبدأ بالقرب من ماري وتتجه نحو الشمال بمحاذاة الفرات حتى تصل إيمار ومن

ثم تنعطف غرباً إلى حلب، ومن هناك تتجه إلى شواطىء البحر المتوسط عبر فرعين يصلان إلى أوجاريت وألالاخ.

أما الطريق الثانية فكانت تخرج من ماري مخترقة بادية الشام عبر تدمر وقطنة حيث تلتقي الطريق القادمة من الشمال من حلب والمتجهة نحو الجنوب إلى فلسطين ومصر. وكان هناك فرع يخرج من تدمر باتجاه الجنوب الغربي ماراً بـ نشالا (القريتين حالياً) وتلتقي بعد ذلك بالطريق القادمة من الشمال. من قطنة كانت تخرج طريق تمتد نحو شواطىء المتوسط في الغرب[٥٧].

هذه الطرق البرية المختلفة، بالاضافة إلى نهر الفرات، الذي كان يعج بحركة السفن المختلفة، سهلت سبل الاتصال ما بين المدن الرافدية والسورية المختلفة.

بعد هذا العرض الشامل تتضح لنا متانة العلاقات التي كانت قائمة ما بين سورية وبلاد الرافدين في القرن الثامن عشر ق.م، سواء أكانت علاقات سياسية أم كانت علاقات تجارية. وكانت ماري صلة الوصل في هذه العلاقات.

فمعظم الاتصالات البرية والمائية كانت تمر عبر هذه المدينة التي حققت من وراء ذلك ازدهاراً كبيراً. ولكن العلاقات ما بين سورية وبلاد الرافدين لم تنقطع بعد احتلال حمورابي ملك بابـل (١٧٩٢-١٧٥٠) ماري في السنة الثالثة والثلاثين من حكمه، وتدميرها فيما بعد، إذ توجد بعض النصوص البابلية القديمة التي تدل على استمرارها ولا سيما في المجال التجاري.

الهوامش :

1- Pettinato, 6., Bolletino militare della campagne di Ebla contro la citta di Mari, in: Oriens Antiquus 19 (1980), S.231-245;

Edzard.D.O., Neue Erwägungen zum Brief des Enna- Dagan von Mari, in: studi Eblaiti 4(1981), S.35- 59.

2- Hirsch, H, Die Inschriften der könige von Agade, in: Archiv für orientforschung 20(1963), S.38 (62) und S.49(613).

3- Klengel, H., Geschichte Syriens in 2. Jahrtausend V.U. Z., III,S.115.

4- Hirsch, H., op.cit. S. 74f. (65).

5- Falvenstein. Die Inschriften Gudeas von Lagaš. Einleitung. Ron 1966, S.51f.

6- Sollberger, E., Bylos sous les rois d'ur, in, Archiv für orientforschung 19(1959- 1960), P.120.

7- Dunand, M., Fouilles de Bylos, I Paris 1939, P.313, Nr. 4183; II, P.657 Nr. 14023, Tafel 145.

8- Goetze, A., Four vr Dynasty tablets Mentioning Foreigners, in: Journal of cuneiform studies 7(1953), p. 103f.: Pettinato, 6., in: Reallexikon der Assyriologie 5 (1976- 80), S.10; Klengel, H., Geschichte Syriens im 2.Jahrtausend III, S. 126; vgl. Leemans, W.F., Foreign Trade in the old Babylonian period, Leiden 1960, P.140.

٩ـ قمت بنشر ترجمة ودراسة عن «وثيقة تأسيس معبد إله الشمس (شماش) في ماري». في مجلة: «دراسات تاريخية»، في العددين ٢٧ و٢٨، أيلول ـ كانون أول ١٩٨٧، ص من ٩٩ إلى ١١٠.

10- Edzard,D.o. in: Fisher weltgeschichte 2,S.178; klengel, Geschichte und kultur Altsyriens, wien- München 1980,S.50.

11- Dossin, G., Studia Mariana, Leiden 1950, P52 nr.4.

12- Messerschmidt, L., Keilschrifttexte aus Assur historischen inhalts, I. Leipzig 1911, s.3 15; Grayson, A.K., Assyrian Royal Inscriptions I, P.21; Dossin, G., Šamši- Addu 1er roi d'Assyrie (1726- 1694 av.j.- c.), P.61; klengel, Geschichte Syriens in 2jahrtausend III,S.141.

13- Archives royales de Mari I, 24.

١٤ـ خاشوم وأورشوم من المدن التي كانت تقع بالقرب من كركميش، ولم يتمكن العلماء حتى الآن من تحديد مواقعها.

15- Archives royales de Mari I, 24,46,77.

16- Klengel, Geschichte Syriens in 2. Jahrtausend, III, S.146.

17- Dossin, G., Les Archives eéonomiques du palais de Mari, in: Syria 20 (1939), P.108- 111.

18- Dossin, 6., Les Archives épistolaires du palais de Mari, in: Syria 19 (1938),P.117.

19- Munn- Rankin, J.M., Diplomacy in western Asia in the Early second Millennium B.C.,in: Iraq 18 (1956), P.70,75.

20- Dossin, G., une Lettre de Iarimlim, Roi d'Alep, à Iašub- Jahad, Roi de Dir, in: Syria 33 (1956), P.63f.; Klengel, Geschichte Syriens im 2. jahrtausend I,S.117, 122; Otten, H., in: Fischer weltgeschichte 3, Frankfurt a.M.1966, S.120.

21- Munn- Rankin, J.M., Iraq 18 (1956), P.94; Röllig, W., Heirat, in: Reallexikan der Assyriologie 4(1972-75), S282f.; Batto, B.F., Studies on women at Mari, Baltimore- London 1974, P.52f.

٢٢- انظر دراستنا (بالألمانية):

Mari,A., Der Handel Zwischen: Syrien und Babylonien im achtzehnten Jahrhundert vor christus, Würzburg 1985, S.96.

23- Ibid., S.80,83,84f., 88.

24- Dossin, G., une opposition familiale, P.179f; A.1153.

25- Wiseman, D.J., AL.T456, in: Journal of cuneiform studies 12(1958), P.124f.

26- Dossin, G., Iamhad et Qatanum, in: Revue d'Assyriologie et d'Archeologie orientale 36 (1939), P.50.

27- Ibid., P.51.

28- Dossin, G., bei Schaeffer. Ugaritica I (1939), P. 15 Figur 10 und P. 16 Amm. 2; auch bei Parrot. Syria 18 (1937). P. 74 Anm.1.

29- Klengel, H., Geschichte Syriens in 2. Jahrtausend V.U.Z, I.S. 123.

30- Ibid., S. 208 f.; Kupper,J.-R., Northern Mesopotomia and Syria, in:The Combridge Ancient History. Voll. II, part 1, third edition cambridge-London 1973. P. 33.

31- Klengel, Gesch;chte Syriens in 2. Jahrtausend V.U.Z., III.S.158.

32- Wiseman. D.J., Alalakh Tablets, London 1953, Nr. 7,8,55.

Ibid. I 13,26,23,V 18.

33- Archives Royales de Mari I 77: 8-10.

34- Ibid I 13, 20, 23,V18

35- Archives Royales de Mari V 15.

36- Archives Royales de Mari II 66: 16-20.

37- Mari,A., Der Handel Swischen Syrien und Babylonien im 18. Jahrhundert V. Chr, S.98.

38- Archives Royales de Mari V 20.

39- Archives royales de Mari i 7.

40- Wiseman, AL.T. 259:16.

41- Mari, A., Op. cit., S.15

42- Mari, A., Op.cit.,S.71f.,78, 83, 84f.,92.

43- Ibid.,S.41f.

44- Ibid.,S131f.

٤٥- انظر الهامش رقم ٤٣ .

٤٦- انظر الهامش رقم ٢٨ .

47- Jean, CH.F., Excerpte de la correspondance de Mari, in: Revue des études sémitiques (1939), P.67nr.8.

48- Mari,A., op.cit., S.99.

49- Ibid., S.16.

50- Ibid.

51- Ibid.,S.58f.

52- Garstang, J., The site of Hazor, in:Annals of Archaeology and anthropo logy 14(1927), P.35f.; des. Joshua, Judges, London 1931, P.184f., 381f.

53- Mari, A.,Op.cit.,S.17.

54- Ibid., S.157f.

55- Ibid., S.99.

56- Oppenheim,A.I., The Interpretation of Dreams in the ancient Near East, Philadelphia 1956, P.313 Nr. 36383, Z.14.

Mari,A., Op. cit., S.139f.

الأحياء السكنية الواقعة إلى الشمال الشرقي من حلب

الدكتور هاينتز غاوبه ـ أنيته غانغلر
(مستشرقان في جامعة توبنغن الألمانية)
تعريب: حبيب جاويش

أولاً:

تعد حلب من أجمل المدن الإسلامية في المشرق العربي؛ وقد كانت مأهولة منذ أكثر من ٥٠٠٠ سنة وما تزال كذلك. وتحتل مع دمشق عاصمة القطر العربي السوري المكانة الثانية من حيث الأهمية. كما أن الحياة تنبض في شرايينها اليوم مثلما كانت تنبض فيها قبل قرون عدة. ولقد حظيت هذه المدينة التاريخية بسلسلة من الدراسات نظراً إلى كونها مركزاً للتجارة والحرف وتجمّعاً لكثير من المساجد والمدارس والخانات والأسواق والتي تمتاز عن سواها بهندستها الرائعة، ولكونها أيضاً موطناً للكثير من علماء الدين[1]. إلاّ أن نمط الحياة اليومية في ذلك الإطار الحضاري الجذّاب، بما فيه الإطار المكانيّ نفسه، ونعني به الأحياء السكنية، لم ينل التفاتة واهتماما يستحقه من جانب الباحثين[2].

إن المشروع الذي باشرناه في ربيع ١٩٨٧ بمساعدة مؤسسة بروينّغر / شتوتغارت Breuninger - Stiftung والذي تابعناه ابتداءً من آب ١٩٨٨ بفضل تشجيع جمعية البحوث الألمانية ومعونتها... يتركز على الإنسان وعلى المحيط الذي يعيش فيه حياته اليومية، بما في ذلك البيوت والأزقّة التي تنفتح عليها في الشمال الشرقي من المدينة المذكورة.

وفيما يأتي تقرير أوّلي عن أعمالنا؛ يتناول فضلاً عن المقدمة المبينة سابقاً:

ثانيــاً :

إن الأوْلَويّات التي اعتمدناها في اختيارنا الأحياء السكنية الواقعة في الشمال الشرقي من حلب الشهباء.

ثالــثاً :

الأسئلة التي طرحناها،

رابعــاً :

ما أُنجِزَ حتى الآن وما ينبغي إنجازه فيما بعد.

خامســاً :

دراسة تحليلية جزئية عن المَحلَّــة.

سادســاً :

نماذج من البيوت والمشكلات الناتجة من دراسة معالمها دراسة تاريخية تحليليــة.

سابعــاً :

مسألة السبق الزمني المتعلق بالمادة التي هي موضوع الدراسة.

أولاً :

إن المنطقة التي تناولناها بالدراسة، انظر الرسم ذا الرقم (١)، تقع مباشرة خارج سور المدينة إلى الشرق. ويحدُّها من الشمال شارع متصل الطرفين، ذو أربع مسارات؛ ومن الغرب شارع الخندق الذي أُنشِىء في نهاية القرن التاسع عشر على انقاض الخندق المردوم المواجه للسور. ومن الجنوب والشرق تمتد المنطقة المعنيّة حتى أطراف الشارعين القديمين، وهما شارع جب قرمان والآخر شارع دكاكين الحجّاج /أغاجاك/ هارون دادا.

أمـا في الجهـة الشـمالية الجنوبية، فهناك دربان مستحدثان يخترقان المحلّة؛

ويتفرّع الدرب الغربي شمالاً؛ ومنه تتشعّب بعض الأزقة باتجاه الشرق إلى أن تنتهي عند الأطراف حيث شارع دكاكين الحجّاج . . . الخ . وباستثناء نقطتي الاتصال عند الزاوية الجنوبية الغربية وعند الزاوية الشمالية الغربية، فليس هناك أي اتصال بالاطراف الغربية حيث يوجد شارع الخندق.

إن أحياء الحارة الواقعة في الشمال الغربي وتلك التي تحيط بها من الغرب تتميَّز بنشاط اقتصادي كبير لما فيها من متاجر ومخازن ودكاكين حرفية. وبعضها يستخدم أبنية من القرون الوسطى (كخان الإكنجي وخان كعدان [٣]). وفي الطرف الشمال الغربي يقوم أهم مسجد في المحلّة كلها، وهو مسجد بانقوسا[٤] الذي شُيد عام ١٣٨٦م. وفي الأجزاء الاخرى تكثر الأبنية المعدَّة للسكن عموماً.

وعلى أطراف الحدود الشرقية تنتشر هنا وهناك الحوانيت التي تبيع الحاجات المعدة للاستهلاك اليومي، كما تنتشر الدكاكين الحرفية التي يزاول أصحابها أنواع النجارة كافة. والى ذلك نجد هنا أحد الخانات الذي يعني بتربية الغنم وثلاثة مساجد. وقد تمّ تشييدها مابين عامي ١٣٨١ و ١٥٨٥م (أو أعيد ترميمها)[٥].

من الثابت ان عدد المتاجر في الاطراف الشرقية يفوق كثيراً عدد المحترفات فيها. كما أن الأطراف الجنوبية خلافا لذلك تتميز بكثافة وجود تلك المحترفات. فإلى جانب معامل النجارة، هناك معامل للنسيج وأخرى للمعادن. وفي أواسط الحارة نعثر على بعض المتاجر المنفردة وبعض المعامل بالقرب من المسجدين المرموقين اللذين لايقعان عند الشارع الحدودي، وهما مسجد الدرج[٦] في الغرب، الذي يتّصف بواجهته الدقيقة الهندسة من أواخر العصر المملوكي، ومسجد البكرجي[٧] الذي يعود بناؤه الحالي إلى أوائل العهد العثماني، وهو يمتاز عن غيره من المساجد القائمة في الحارة بوقوعه في الوسط وبرحابة أرجائه وعظمتها.

للسوق الواقعة في محيط مسجد بانقوساوحوله مكانة أوّلية في المحلة، إذ أنها تطبعها بطابعها الخاص بل يؤثر كذلك في المدينة نفسها متعدّية السور. وهي تَتفرّد بكونها سوقاً في متناول اليد حيث تُباع وتُشرى في حوانيتها التقليدية كل أنواع المواد

الغذائية ولوازم البيوت وحاجيّات القرويين والبدو والمنتوجات الزراعية على اختلاف أنواعها. (وهناك أيضا محلات تجارية في عمارة حديثة بُنيَت في الستينات من هذا القرن مكان خان قديم وعلى انقاض المحلات التقليدية المحيطة به) وحول المسجد المذكور يعرض الباعة المتجولون والثابتون كل أصناف الخضر والفواكه بكميات وافرة. وإن هذه السوق بمافيها من الخضر والفاكهة يشكل نقطة انطلاق لسوق أخرى أضرت بها الطريق العريضة أشد الضرر. وهذه السوق تمتد على أكثر من كيلومتر ابتداءً من باب الحديد في شمال شرق حلب الشهباء مُختَرِقاً السور حتى آخر الأطراف الشمالية الشرقية في تلك المدينة الأثرية. وهذا ثابت استناداً إلى المصادر في القرون الوسطى. وقد بلغت تلك السوق أوجَ نشاطها قُبيل مستهل القرن الحالي وفي بدايته إبَّان ازدهار تجارة الحبوب[8].

وفي وسط الجهة الشمالية تتفرع سوق صغيرة وتمتد جنوباً في الأحياء الداخلية؛ وتُباع في حوانيتها كل أنواع الحاجيّات اليومية: فهناك خبّاز ولحّام وعدد من الحلّاقين الشعبيين.

ثانيــاً:

إن لفظ محلّة يعني في مفهومنا رقعةً مكانيةً محدَّدة تحديداً واضحاً؛ وهي تُقدَّر بثمانية أعشار مجمل مساحة المدينة القديمة. وهذه المنطقة تتألف من عدد من الحارات تبدَّلت أسماؤها واختلف إتساعها مع الزمن[9]. أما أثرها في الوقت الحاضر فينحصر في نظرة أهاليها إلى ارتباط بعضهم ببعض على أساس الانتماء إليها أو وسيلة من وسائل التنظيم والتدبير. أما الإدارة الحديثة فتتولّى النظام على مستوى المرافق العامة.

لدينا معلومات موثوق بها[10] تفيدان المنطقة التي هي موضوع دراستنا كانت مقسمة إلى ثماني حارات أو ثمانية أجزاء منفردة في نهاية القرن الماضي ومستهلّ القرن العشرين. وهذه الحارات هي: أبراج، والضوضو، وجب قرمان، وخان السبيل، وابن نصير، وصاجليخان الفوقاني والتحتاني وكذلك شاكر آغا. وكانت تعدُّ نحو ٨٠٠ بيتاً، ويسكنها قرابة ٧٠٠٠ نفس، وفيها ١٢ مسجداً[11]. والمساجد المذكورة ماتزال

قائمة. والأهالي جميعهم من المسلمين[١٢]. أما كثافة السكان، فكانت مركّز في الوسط[١٣].

إن عاملي الدين وكثافة السكان أولاً، وكون أجزاء كبيرة من المنطقة المخصصة لدراستنا كانت في حالة طبيعية جيدة لدى زيارتنا الأولى في عام ١٩٨٦. ثانياً بالإضافة إلى أن بعض الزملاء الفرنسيين[١٤]. كانوا قد باشروا أعمالهم في مساكن الحارات الواقعة إلى الشمال خارج سور المدينة... قد جعلتنا نختار الحارات الواقعة خارج السور الى الشمال الشرقي. (ومن المعلوم أن المنطقة التي اختارها الزملاء الفرنسيون فيها خليط من الديانات، وقد كانت أكثف سكاناً في مستهل القرن الحالي من المنطفة التي وقع عليها اختيارنا) وعلاوة على ما بيّنّاه من مسوغات لاختيارنا وما في حوزتنا من مستندات مكتوبة وأثرية، هناك أدلّة تشير إلى أن القسم الشرقي من حلب خارج السور كان مأهولاً قبل الإسلام؛ وذلك خلافاً للقسم الشمالي الذي لم يُعمَّر إلا في أواخر القرون الوسطى[١٥].

ثالثــاً:

ما الجذور الاجتماعية والتاريخية التي كوَّنت نمط الحياة المدنية في حلب؟ إن هذا السؤال يشكّل القاعدة التي بنينا عليها عملنا. وانطلاقاً من هذه القاعدة نعد البيت هو المظهر المادي للحياة العائلية، ذلك المظهر الذي تكوَّن على مر القرون والذي يتحكَّم في حاجات البشر الاقتصادية والاجتماعية. فشكله أو تنسيق اقسامه نما وتطوَّر وتحسَّن تحسناً مطرداً عبر أجيال عدة. فما نراه في احد البيوت الحلبية في مطلع القرن العشرين، ما هو في الحقيقة إلا مجموعة من الخبرات والاستعارات والمكاسب التي تراكمت من جيل إلى آخر.

وما قلناه سابقاً ينطبق على المدينة كلها كما ينطبق على أجزائها منفردة. ويصحُّ قوله بالنسبة إلى النقاط الكبرى وأسواقها وأبنيتها العامة وما يتشعَّب عنها إلى الاطراف من شوارع رئيسة ومناطق محيطة بها. وبالطبع فإن الحارات هي أيضاً من ضمن ما

نعنيه؛ فبصفتها أجزاء في جسم مركب من خلايا عدة هي (البيوت)، فإنها تعكس، شكلاً وتكويناً، النظم والقوانين الخاضعة لعملية تكوين تلك الخلايا.

إن تكرار عملية النمو والتغيّر والخراب، فإعادة التعمير والنمو والتغيّر ومن ثم تجدد الخراب والانحلال إنما يمكن تتبعه من خلال صورة مدينة من المدن ومراجعة تاريخها. أما ما يخص مدينة حلب، فإن البحث الذي أنجزه هاينتر غاوبه واويجن فيرت مثال على ذلك. ومن المفهوم ان النموذج المتضخِّم الذي اختاراه قد ترك أشياء كثيرة مبهمة أو غير منظورة.

إننا نتوخى من مشروعنا هذا أن نحقق خطوة إلى الأمام وأن نتقرَّب أكثر فأكثر من حلب الشهباء (ومن مكانتها من حيث هي مدينة إسلامية). فبعد النظرة التي شملت المدينة كلها وجالت على الأعضاء، ينبغي الآن إلقاء نظرة تكميلية تبدأ بالخلايا (البيوت) وتجول على الأعضاء (الحارات) وتنتهي بالجسم كاملاً أي بالمدينة.

ولهذا الغرض اخترنا الحارات الواقعة في شمال شرق المدينة خارج السور. وبالإضافة إلى ما قلناه سابقاً، فإننا على إطّلاع أيضاً على ما أصاب تلك الحارات من خراب متكرر، مصدره من الداخل ومن الخارج معا. واليوم نرى الحياة تنبض في عروق تلك الحارات ونراها تتجاوب والتغييرات التي داهمت مدينة حلب في خلال تاريخها الذي يناهز ٥٠٠٠ سنة. ثم نراها تقف على عتبة تحولات ذاتيّة وأخرى مفروضة عليها من الخارج. فالجديد يهدّد هويتها؛ (التخطيط العصري للمدن، والهندسة ذات الطراز الغربي، والأساليب الحيوية المستوردة، والقيم، والمادبّات) ومع ذلك لا يُرفض، بل يدخل في نمط حياتها ويندمج فيه ويُستخدم استخداماً طبيعياً.

إن تعمّقنا في دراسة حياة الناس وفي تعايشهم معاً وتعرّفنا على القيم التي يؤمنون بها وعلى تصوّراتهم وطرائق حياتهم، بالإضافة إلى أن تعمّقنا في دراسة الصيغ البنائية في تلك الحارات، إنْ في مظاهرها الفردية أو في أساليب إنجازها. . . سيساعدنا على الإجابة عن سلسلة من الأسئلة أو عن مجموعة منها. وفيما يأتي تلك الأسئلة:

أيّة تغييرات في العائلة من شأنها أن تؤدي إلى تغييرات في البيت؟ وأيّة تغييرات في البيت من شأنها أن تؤدي إلى تغييرات في الحارة؟ وأيّة تغييرات في الحارة من شأنها أن تؤدّي إلى تغييرات في المدينة كلها؟ والعكس بالعكس.

رابعـــاً:

ـ إعداد خرائط للمساحة التي تمَّ استخدمها في المحلة كلها.

ـ إعداد خرائط عن حالة البناء في المحلة كلها.

ـ تخطيط مساحة تشمل نحو ٨٠٠ بيت بمقياس ١ : ٢٠٠ (انتهى التخطيط، أما الرسوم الخالصة فغير جاهزة حتى الآن).

ـ يُضاف إلى ذلك وثائق فوتوغرافية وافية عن الموضوع (نحو ٦٠٠٠ صورة بلونين أسود وأبيض، ونحو ١٥٠٠ صورة بالألوان).

ـ استطلاع للرأي في كل البيوت (٨٠٠) بالاستناد إلى استمارة من ٢٠ سؤالاً تتناول الموضوعات الآتية:

+ معلومات اجتماعية (عدد السكان وفرزهم بحسب العمر والجنس؛ والأوضاع العـائلية: في كثير من البيوت تسكن أسر كبيرة من الجد إلى الحفدة؛ والمهن؛ ومكان العمل؛ والدخل).

+ الاستيطان في الحارة (متى سكنت العائلة في البيت أول مرة؟ ومن أين جاءت؟ وأصل الجدّين).

+ الإقامة في البيت: هل هي مُرضية؟ هل هناك تصوُّر لشقَّة مثالية؟

+ العلاقة بالجيران وبالأقارب .

ـ التقاط صور لبعض البيوت المنتقاة (ابتدأ العمل به في صيف ١٩٨٨) .

ـ الكشف عن جزئيات في البناء وفي التقنيّات المستعملة (ابتدأ العمل به في صيف ١٩٨٨).

ـ تنقيب في المحفوظات: في ربيع ١٩٨٩ سيقوم أحد المؤلفين، هو هاينتزغوبه بالاطلاع على تبدّل مالكي البيوت بحسب ما هو مدوَّن في دائرة السجل العقاري، حصراً بالبيوت التي تمَّ الكشف عليها والتي طُرحت على أصحابها الاسئلة (وهي ٨٠٠ بيت)؛ وذلك للتعرف إلى التقلبات التي طرأت على الحارة ولعزل بعض العائلات أو بعض المجموعات العائلية التي سكنت في الحارة في العشرينات من هذا القرن. وسيتم ذلك على أساس سجلات الدوائر العقارية المدوَّنة باللغة العربية والتي نظَّمتها الإدارة الفرنسية أيام الانتداب في العشرينات من القرن الحالي وما يزال معمولاً بها حتى اليوم. ومما تجدر الإشارة إليه أن في سجلات الدوائر العقارية نصوصاً من العهد العثماني تتعلق بشراء البيوت أو بيعها.

واستناداً إلى الوثائق الموجودة في سجلات الدوائر العقارية في العهد العثماني، فقد تم النظر في محفوظات المحاكم وتقويمها تقويماً نسبياً فقط [١٦].

خامساً:

إن التقويم الكلي الشامل لهذه المعلومات التي جمعناها بطرائق مختلفة قد يسمح لنا بأن نُجيب إجابة علمية عن الأسئلة المطروحة اعلاه. وإننا نُقرُّ ونعترف أن الطريق أمامنا إلى التقويم النهائي ماتزال بعيدة. إلا أن هناك إنجازات جزئية أخذت تلوح وتظهر وسنعرضها موجزة لمن يهمه الأمر. وهي تعتمد على رسم جزئي جاهز انظر الرسم ذا الرقم (٢) لصورة التخطيط ذات المقياس ١ : ٢٠٠

للأبنية في الحـارة، وعـلى الـوثائق الفوتوغرافية الخاصة به، وعلى تقويـم جزئي لاستطلاع الرأي (سيتم في وقت قريب وضع جميع المعلومات المتعلقة باستطلاعع الـرأي في جهاز معالجة المعلومات (الكومبيوتر)، وعلى تحليل إنشائي للاشكال المعمارية الأولى ولصور البناء.

إن الرسم ذا الرقم (٢) يبين جزءاً من حارة البكرجي، وهي تحمل اسم المسجـد الـذي في وسطها. والمسجد نفسه ينتسب إلى الشيخ البكرجي الذي عاش هنـا في القرن السادس عشر[١٧]. وتبلغ مساحة الحارة نحو ١٩٠٠٠م٢، ويقـوم فيها نحو ١٢٤ مسكنا (١١ منها متهدمة أو خالية) مع خانين (أحدهما متهـدم) و١٠ متاجر والمسجد المذكور. عدد أهاليها يبلغ نحو ١١٠٠ نسمة. وينتج من ذلك كثافة سكان بمعدل ٥٨٠ في الهكتار. ولكي يمكننا تقدير هذا العدد تقديراً صحيحاً لا بُدَّ من أن نعرف أن كثافة السكان في ألمانيا في داخل المناطق المأهولة لايتعدَّى نظرياً ٩٠ شخصاً في الهكتار. ومما تقدَم يتبيّن لنا أن البيوت ذات الفنـاء الداخلي التي تُبنى في المشرق متلاصقة ببعضها بعضاً ولا تتعدى طوابقها عادة الاثنين... إن تلك البيوت تستخدم الفضاء استخداماً فعّالاً جداً. ولكم سمعنا سكان الحارات يرددون ميزات تلك الطريقة في البناء وخاصة فيما يتعلق بالتهوية ودخول الضوء.

ينتسب معـظم سكـان الحارة إلى الطبقة الدنيا أو المتوسطة. فأصحاب المعامل الصغيرة ومحلات المواد الغذائية والمهندسون والموظفون الكبار والصغار يشكلون أقلية صغيرة لا شأن لها. أما الباعة ونسبتهم (٢٨٪) وأصحاب الحرف ونسبتهم (٢٤٪) فيشكلون أعلى نسبة بين العاملين، ويليهم مستخدموا الدولة والمعلمون (١٥٪). أما نسبة اللحامين فتبلغ ١٣٪ من مجموع السكان؛ وهي نسبة عالية جداً؛ ومردُّها إلى أن مسلخ حلب كان يقع جنوب الحارة المعنيَّة في عهد الانتداب، ثم إن سائقـي السيارات يشكلون ١١٪ وعمال المصانع ٩٪. وعـددالنسـاء اللواتي يعملن خارج البيت منخفض انخفاضاً كبيراً، فالمرأة ربة البيت، وهي لاتغادره حتى لشراء المتطلبات المنزلية. والرجال هم الذين يتولّون شراء الأغراض اللازمة لقضاء الحاجات اليومية. وفي بعض البيوت نسبة (١٠٪)

تقوم النسوة فيها باشغال يدوية لكسب العيش، وينحصر شغلهن في أعمال النسيج دون غيره.

تنفتح الحارة في الشمال والغرب والجنوب والشرق (الجزء الجنوبي) على أربعة أزقة/ شوارع غير مسدودة. وفي الجزء الشمالي من الجهة الشرقية تتكون شبكة من الأزقة المسدودة الطويلة والمتشعبة انطلاقاً من إحدى الساحات. وبصورة غير متوقعة نرى أن هذه الشبكة متصلة بشارع الانفتاح من الغرب بأحد تفرعاته مروراً بفناء المسجد وبالزقاق الذي يؤدي إلى الفناء من جهة الغرب. فهناك زقاق متفرع إلى ممرات ثلاثة يسير بموازاة الزقاق المذكور سابقاً ويمتد غرباً، بالإضافة إلى الكثير من الازقة المسدودة التي تؤمّن الوصول الى البيوت في غرب الحارة المعنيَّة وشرقها.

إن هذه الشبكة الرئيسة التي تصل أطراف الحارة ببعضها اتصالاً منّسقاً بالازقة/ الشوارع المفتوحة والمسدودة موجودة في دمشق مثلما هي موجودة في اصفهان. وهذه ميزة خاصة تتمتع بها أغلب المدن الاسلامية. ومما يلفت النظر أيضاً هو ذاك النوع من القواعد الثابتة. ونعني به الزوايا القائمة حيث تتفرع الازقة المسدودة من الأزقة المفتوحة أو الشوارع؛ وكذلك الاتجاه الواضح شمالاً فجنوباً لمعظم قطع الأراضي. وإن ما يبدو في هذا المقطع من حيث هو تصميم مرسوم رسماً، فإنه يتوزع على نطاق واسع في المكان الحقيقي انظر الرسم ذا الرقم (١). ويظهر ذلك واضحاً في الجزء الجنوبي من الجهة الشرقية. فهنا يشير شارع دكاكين الحجاج الذي نشأ في مرحلة لاحقة إلى تحوّل باتجاه الشمال الشرقي لعدد كبير من البيوت. وعلاوة على ذلك، هناك إشارة أخرى إلى إمكانية تحول البيوت باتجاه الشمال لأسباب مناخية محض، لانه من المعروف أن إيوانات البيوت يجب أن تنفتح باتجاه الشمال للحماية من دخول أشعة الشمس إليها.

ومع ذلك، فليس من المستبعد أبداً أن يكون هناك تصميم منتظم منذ المنشأ للأزقة/ الشوارع ـ ولأجزاء الحارة التي عُمِّرت بفضل هذه الأزقة والشوارع ـ أو على الأقل لتلك التي تتجه شمالاً ـ جنوباً. فأولاً يمكننا أن نتصوَّر أن أحد الزقاقين

المسدودين المؤديين إلى الحارة وهو الذي يبدأ في الشمال، قد كان في الزمن الماضي أكثر طولاً مما هو عليه اليوم. ومن المحتمل أنه كان يخترق الحارة كلها. فهو يعبر بموازاة الجـدار الشرقي للمسجـد، وعلى هذا الخط المستقيم يقع أحد الازقة عند الحدود الجنوبية للحارة. ويمكننا ثانياً أن نتصوَّر الشيء نفسه بالنسبة إلى الزقاق الشرقي؛ فهو يتابع امتداده الجنوبي المُحتَمل الذي كان في الماضي، ولكن على خط غير مستقيم.

وإذا صحّ أنه كان لأزقة الاجزاء الغربية الرئيسة في الحارة تصميم منذ المنشأ، فيصبـح من المـرجَّح أيضاً أنه كان هناك زقاق آخر يتجه من الشمال الى الجنوب. والدليل على ذلك أنّ الجدار الغربي للمصلى والرواق الغربي للمسجد يعبران بشكل غير منتظم مروراً بحدود كثير من قطع الاراضي الواقعة شمال المسجد. وإذا افترضنا وجود هذا النموذج من أشكال التعمير، فلا بُدَّ انه وُجدت في الاصل قطع أرض واقعة في المنخفضات؛ وهي التي سمحت بأن تعمرَّ كل البيوت الواقعة على الازقة المتَّجهة شمالا ـ جنوباً. وهذا يعني أن مساحة الخواء بين الأزقة كان بمقدار عمق بيتين على الأقل. وإذا لاحظنا حدود قطع الارض كما هي عليه الآن، لتبينَّ لنا أن ذلك غير مُستبعد.

ولكي نتحقق من هذه الافتراضات لا ينبغي لنا ان نعتمد على قياسات تغطي مساحة أساسات البيوت، وإنما يكفي أن نرجع الى دفاتر المساحة. إلا أنه لا يمكن إثبات الاحتمال التاريخي لوجود مثل ذلك التصميم إلا بالاعتماد على جرد دقيق للأبنية وتاريخ بنائها وعلى تحليل للتراكيب البنيوية وعلى كشف عن عملية النشوء والتطور التي أدّت إلى تلك التراكيب. وهذه الخطوة الحاسمة على طريق تقويم العناصر لم تتمَّ بعدُ. وبعدَ أن نجتازها يصبح بإمكاننا أن نعرف ما إذا كانت الحارة التي هي اليوم عدداً من قطع الارض المتباينة مساحةً والتي يعود تاريخها إلى أوائل العهد العثماني. . حقاً تجعلنا نحدِّد هل كانت تلك الحارة قد خضعت لتخطيط منظم وقامت، فيما سَلَفَ، على رقعة من الارض كانت انقاضاً وخراباً، إما جرّاء الحروب (تيمورلنك[١٨])، وإما جرّاء الحريق، وإما غير ذلك من الاسباب، مثلُها في ذلك مثل محطة الميدان في دمشق على العهد المملوكي وأوائل العهد العثماني. (إن أقدم بناء في الحارة هوالمسجد الذي يرجع بناؤه إلى أوائل العهد العثماني).

سادساً:

إن أوضح مثال على صعوبة تحليل التراكيب البنيوية الحالية وعلى تحديدها بمعزل عن العناصر المتوافرة (بحسب ما توصَّل إليه تقويم تلك العناصر حالياً على الأقل) هو: أن المجمّع المسجَّل في دفتر المساحة تحت رقم ٢١١٠/٢١١١ (انظر الرسوم ذوات الارقام ٣، و٤، و٥، و٦) المتألّف من بيتين يختلفان عمراً كما يختلفان من حيث التسلسل الزمني الداخلي... إن هذا المجمَّع يقع شمال الجهة الغربية من الحارة. وهو مرتبط بزقاق / طريق يحدُّ الحارة غرباً؛ وارتباطه يتم بزقاق قصير مسدود. إن البيت الأكثر قدماً شمالاً المسجل تحت رقم ٢١١١ كانت هيئته في الأصل تختلف عما هي عليه اليوم. فهو في الحقيقة قاعدة لبناء أكبر من ذاك كثيراً. ولا يمكننا إعادة تشخيص هيئته بحذافيرها. والبيت يتألف من حجرتين أرضيَّتين في الجهة الشرقية؛ وعلى سطح الحجرة الشمالية يقوم طابق علوي وثلاث غرف على الجهة الغربية. فإذا استثنينا الحجرة الجنوبية التي على الجهة الغربية، فإننا نلاحظ أن كل الحجرات تتساوى أرضيتُها في الارتفاع ما عدا أرضية الحجرة الجنوبية التي ترتفع ٧٠ سم عن مستوى بقية الحجرات. وهكذا يُمكننا أن نميّز اربع مراحل مختلفة من البناء في البيت المذكور. (انظر الفقرة ذات الرقم (٧) فيما يختص بالتسلسل الزمني) فأقدم الحجرات هي تلك الواقعة في الجنووب الشرقي؛ وتليها زمنياً الحجرتان الواقعتان في الشمال الغربي؛ وأحدث منها القسم المكوَّن من طبقتين في الشمال الشرقي. أما أحدثها إطلاقاً فالحجرة الجنوبية الغربية. فهي تبرز فوق امتداد جدار الفناء الجنوبي الحالي باتّجاه الجنوب إلى الزقاق المسدود. وهذا يحمل على الظن أن البيت المقصود كان يمتد أصلاً امتداداً أكثر نحو الجنوب؛ ويدلُّ على ذلك مستوى القبو للقسم الشمالي من البيت المسجَّل تحت رقم ٢١١٠ الذي يتناسب ومستوى الفناء في البيت الآخر المسجل تحت رقم ٢١١١. إن صاحب البناء الذي يملك العقار المجاور رقم ٢١١٠، هذا البيت الذي يبدو متجانس البناء زمنياً، قد اشترى الحجرات الواقعة على الجانب الجنوبي (اي من البيت المسجل تحت رقم ٢١١١ - ربما كانت متهدمة) وبنى مكانها قسماً من بيته. وبنتيجة عملية الشراء هذه نَقَلَ المالك الجديد مدخل البيت رقم ٢١١١ الى الجهة الغربية؟ وقد كان سابقاً في الجهة الشرقية وركّب باباً جديداً يحمل تاريخ ١٨٨٨ يتجانس وطراز باب البيت رقم ٢١١٠؛ كما أنه جعل

الحجرة الجنوبية الغربية تتجانس وطراز البيت رقم ٢١١٠ إذ حَوَّلها إلى غرفة استقبال محاذيةً الباب المذكور.

مما لاشك فيه أن العقار المسجل تحت رقم ٢١١١ قد أُنشِيء قبل عام ١٨٨٨ ؛ إلا أنه لا ينبغي تعميم هذه الحالة تعمياً شاملاً، لأن الحجرة الجنوبية الشرقية للبيت المذكور هي أقدم الحجر إطلاقاً، كما سبق أن ذكرنا. ومن المُعتقد أنه بُني حوالي سنة ١٧٠٠ ، أي في المرحلة التي نعدها مرحلة تجديد تخطيط الحارة (انظر ما تقدَّم صفحة). إن جداره الشرقي يقع في الامتداد الذي كان يمرُّ فيه في الماضى زقاق بالاتجاه الشمالي الجنوبي ومن المحتمل أن يكون قد تمَّ بناؤه انطلاقاً من هذا الزقاق.

إن البيت المجاور والمسجل في دفتر المساحة تحت رقم ٢١١٠ يتألف من ثلاث حجرات تُحيط بالفناء من الجهات الثلاثة. إن الاجزاء الشمالية والجنوبية تقوم على أقبية، على حين أن الحجرة الجنوبية الشرقية وحدها في العقار رقم ٢١١١ تقوم على قبو. والجزء الشرقي للبيت المذكور يتكوَّن من طبقتين؛ ومن الجنوب ينفتح إيوان على الفناء. وليس هناك كتابة تدلُّ على تاريخ بنائه دلالة قاطعة. ومن المُرجَّح انه بُنِيَ حوالي ١٨٨٨ (التأريخ فوق الباب مأخوذ عن دفتر المساحة رقم ٢١١١).

ونـذكر أن أحد البيوت أُجريت له إصلاحات وزيادات ضئيلة (وهو البيت المسجل تحت رقم العقار ١٠٣٩ ـ انظر الرسمين ذوي الرقمين ٧ و٨) وهو يقع شمال البيت المذكور آنفاً. وهو واحد في مجموعة البيوت الرحبة ضمن مجال أعمالنا. ونعني بذلك البيوت التي لها ثلاثة أفنية. فحتى الآن لم نقدِّم أمثلة إلا على بيوت تدور الحياة فيها حول فناء واحد، حيث تتوارى النسوة في إحدى الحجرات عندما يأتي زائر غريب، وحيث يكون للمطبخ مُنفَتَحاً أيضا على ذاك الفناء. إلا أننا نعثر هنا على نموذج متميز وعملي لأقسام البيت لوقوعها حول ثلاثة أفنية تختلف كبراً ووظيفة. فالحياة العائلية تدور حول الفناء الأوسط الكبير وتنفتح عليه من جهة الغرب وتحيط به الحجرات من الجهات الأربع. (يكون البناء من طبقتين من الشرق ومن الشمال) وفي الجنوب ينفتح إيوان كبير فيه نافورة مياه لترطيب الجو في الصيف. وفي أحد الأحواض غرب النافورة أشجار تشيع الفيء أيضاً.

وفي الجزء الشمالي الغربي فناء صغير يمكن الوصول إليه من الخارج مباشرة؛ ولـه حجرات في طابقيه الشرقي والغربي. ويُستخدَم هذا القسم من البيت جناحاً للاستقبـال؛ وفيه غرف للضيوف الغـرباء من الرجال. وهناك فناء آخر في الزاوية الجنوبية الشرقية من اليت يحيط به المطبخ وحجرات المؤونة وغرفة الخدم.

وهذا مثال آخر: هو البيت المسجَّل في دفتر المساحة تحت رقم ١٢٤٢ (انظر الرسمين ذوي الرقمين ٩ و١٠) وله فناءان اثنان. فالفناء الكبير في الجهة الشمالية مُحاط بحجرات من طبقة واحدة من جهاته الثلاث ويفصله عن الزقاق حائط مبني في مرحلة لاحقة وقائم في الجهة الغربية أما في الجنوب فينبسط الإيوان الذي هو ضرورة من ضروريات البيوت الكبيرة؛ وحول الفناء الصغير جناح للضيوف من طبقتين قائم في الزاوية الجنوبية الغربية.

من المألوف أن تكون بعض أجزاء البيوت قائمة على أقبية من العقد ذي الركائز والأقواس. والبيت الذي نحن بصدده الآن، وهو يخص إحدى العائلات الغنيّة من مالكي الأراضي، يقوم على أقبية بمساحة قاعدته، ما خلا جزءاً من جناح الضيوف. وفي هذه الأقبية تخزن العائلات جميع أصناف المؤونة، فتشتريها في مواسمها بأسعار متهـاودة وتجفّفهـا على السـطوح أو تكبسها في الزيت والخل إلى حين الاستهلاك. فالمجامع الملأى بالخضر والفاكهة والجبن والزيتون مصفوفة إلى جانب أكياس الخضر والفاكهة المجفّفة وأكياس الحبوب والسكّر والطحين والأرز والشاي.

سابعـاً:

إن البيوت المسجلة في دفتر المساحة تحت الأرقام ٢١١٠، ١٠٣٩، ١٢٤٢ هي من البيوت التي أُنشئَت كلها أو في معظم أجزائها في مرحلة زمنية واحدة. أما البيت رقم ٢١١١، فيشير إلى أن عماره تم على مراحل متباعدة زمنيا. فوصلات المداميك ببغضها بعضاً وأساليب البناء المختلفة تدلُّ دلالة واضحة على تباعدها الزمني. ومع ذلـك لايمكن في الـوقت الحاضر تحديد أزمنتها تحديداً منتظماً مدروساً. وإن هذا التحـديد الـزمني الدقيق للبيوت المعنيَّة كافة وهي (٨٠٠ بيت) أو لبعض أجزائها القـديمـة المتنـوعـة لايمكن أنجـازه إلا بعـد التقويم النهائي لكل الموادْ وللبيانات

اللازمة. ولقد توافر لدينا إلى الآن رسوم وتخطيطات جاهزة ـ بما في ذلك دراسة الصور الفوتغرافية دراسة مكثفة وتمحيص المعلومات الشفوية والتحريات الميدانية والكتابات المنقوشة على المباني ـ وكل هذا يمكّننا من تقديم ترتيب تأريخي أوَّلي ومؤقت.

فمن مجموع ٨٠٠ بيت هناك بيت واحد متجانس البناء لم يطرأ عليه أية زيادة أو تغيير. ومن المقدَّر أنه أنشِيء في النصف الاول من القرن السادس عشر. (نهاية العهد المملوكي وبداية العثماني) فهذا البيت يتميَّز ببنائه وهندسته من البيوت الآخرى التي نخصُّها بدراستنا ومن أجزاء بعضها أيضا. ولذا فإننا لن نصنّفه في مرحلة زمنية معيّنة (أو فَلْنُطلق عليه تسمية مرحلة «الصفر»). أما بقية البيوت فقد أُنشئت حقاً في زمن متأخر جداً، أي حوالي سنة ١٧٠٠ على أبعد تقدير، وأكثرها ما بين سنة ١٨٠٠ ومطلع القرن العشرين. وهذا دليل على أنه قد حصلت تغيُّرات حاسمة في وقت ما من مطلع العهد العثماني. (انظر ما تقدَّم صفحة).

وانطلاقاً من النتائج الأولية التي توصلنا إليها في بحوثنا، يمكننا أن نتثبَّت من وجود خمسة أصناف من واجهات الأفنية أو خمسة أشكال رئيسة، وسنسميها المراحل الأولى إلى الخامسة ومن حيث الترتيب التأريخي، فإن هذه المراحل تشكل وحدات قائمة بذاتها، كل واحدة مقدارها خمسون سنة. وهي تتراوح ما بين سنة ١٧٠٠ وسنة ١٩٠٠. وتسلسلها الزمني وفق ما يأتي:

المرحلة الاولى	حوالي سنة ١٧٠٠
المرحلة الثانية	حوالي سنة ١٧٥٠
المرحلة الثالثة	حوالي سنة ١٨٠٠
المرحلة الرابعة	حوالي سنة ١٨٥٠
المرحلة الخامسة	حوالي سنة ١٩٠٠

إلا أن هذه المراحل الخمس والأساليب المعمارية الخمسة تتداخل معاً، فينتج

من ذلك تباين في تصميم النوافذ وإخراجها ولاسيما في زخرفة الكوَّات (أو الطاقات) التي يأتي منها الضوء، ولذا فيصبح من الواجب إعادة ترتيبها في مراحل أقصر زمناً.

وفيما يأتي بعض المميَّزات والمواصفات التي أستطعنا أن نخصَّ بها مختلف المراحل المذكورة:

المرحلة الاولى (انظر الرسم ذا الرقم ١١):

تتميّز هذه المرحلة من غيرها بالبناء ذي الطابق الواحد والحجرات الواطئة وبخلوّها من الأقبية. وفي الغالب تكون الحيطان سميكة ومداميكها غليظة التلاحم وحجارتها مقصَّبة تقصيباً غير مصقول ونوافذها بعيدة عن بعضها بعضاً.

إلا أن أكثر ما يميّز المراحل عن بعضها بعضاً أشكال النوافذ واختلاف صنعها وتنوّع الكوَّات وتعدد زخارفها. فالمرحلة الاولى لها نوافذها ذات الأعتاب المستقيمة وفوقها تهاويل تمثل نباتات وأجساماً هندسية. ولها أيضاً كوَّاتها التي تتَّسم بالبساطة وبتكرار الشكل الرئيس في كل منها. فهناك عنصر زخرفي بسيط جداً ينشأ في تلك الكوَّات عندما تلتقي الاحجار النهائية في قمة القوس بنقطة على شكل صليب أو على شكل قطرة.

المرحلة الثانية (انظر الرسم ذا الرقم ١١):

نلاحظ هنا أن مداميك الحيطان أصبحت أكثر صقلاً ودقةً والنوافذ أكبر والبناء نفسه أكثر ارتفاعاً. والزخارف التي تعلو أعتاب النوافذ المستقيمة تندمج ببعضها بعضاً فتتداخل الأشكال الهندسية والنباتات المحفورة. أما الكوَّات فتحيط بها حزوز بسيطة حيويّة الخطوط أو تُضاف إليها إضافة ملحوظة زخارف متكسرة، معقدَّة الزركشة.

المرحلة الثالثة (انظر الرسم ذا الرقم ١٢):

تتميّز هذه المرحلة من غيرها بالنوافذ ذات الأعتاب المقوَّسة، وكل قوس تتألف من ثلاث أحجار مقصبة ومنحوتة خاصة لهذه الغاية. ونرى أن المسافة بين الكوَّات والنوافذ أصبحت أكثر بعداً. ونرى أيضاً أن التقوّس التقليدي الحاد للكوَّات قد تحوَّل إلى شقفات من الأحجار تبدو وكأنها مخرَّمة تخريماً.

المرحلة الرابعة (انظر الرسم ذا الرقم ١٢):

إن تقسيم الواجهات وتزويقها في هذه المرحلة يُبيِّن لنا قبل كل شيء أن نوافذ الأقبية بأشكالها التقليدية مطابقة للكوّات. فهذه الواجهات واضحة الأقسام والخطوط ومبنيّة بالحجر المنحوت نحتاً فنياً، وهي تمتد علوّاً بحيث تتضاءل المسافة بين النوافذ والكوّات وأطراف السطوح. وفي هذه المرحلة نرى الحجر القفل في القوس الدائرية فوق النافذة يشبه الإسفين؛ وبشكله هذا يختلف عن الحجر القفل في المرحلة الثالثة.

وفي البيت غير المأهول المسجل في دفتر المساحة تحت رقم ١٤١٥ نجد تاريخاً فوق الباب هو التالي ١٢٧٧/١٨٥٧. وهذا التأريخ يطابق التقسيم النسبي الذي اعتمدناه للمراحل، أي خمسين سنة بين فترة وأخرى.

المرحلة الخامسة أ (انظر الرسم ذا الرقم ١٣):

إن خير مثال على هذه المرحلة البيت ذو الرقم ٢١١٠ الذي أنشىء حوالي السنة ١٨٨٨. فالنوافذ تحافظ على هيئتها البسيطة كتلك التي وُصفت في المرحلة الرابعة. أما الكوّات فتصبح مستديرة وأطراف السطوح أكثر بروزاً وعرضاً، وشبابيك الأقبية تتدوَّر زواياها ويصبح لها قضبان حديدية مشغولة بذوق ومهارة. كما أن قنوات المياه وفوهاتها المعلومة يستبدل بها أنابيب معدنية.

المرحلة الخامسة ب (انظر الرسم ذا الرقم ١٣):

إن هذه المرحلة لا يمكن تحديد زمنها تحديداً واضحاً بمعزل عن المرحلة الخامسة (أ). ففيها يصبح للنوافذ ولشبابيك الاقبية نتوءات منتفخة ومتكوّرة خارجياً. وتتخذ الكوّات أشكالاً مستديرة أو بيضوية، منها ما يحافظ على بساطته ومنها ما يُزيَّن بزخارف بديعة الصنع.

ويلي هذه المرحلة فنّ أخير من فنون البناء، (لا يُستبعد أن يكون متأثراً ولو جزئياً بالأمثلة الأروبية) ولا بأس أن ننسبه إلى الفن المعماري التقليدي. فمن حيث العمار وتقسيم الواجهات وتزويقها يبدو أكثر بساطة وتقشفاً. فهو يبتعد عن الزخارف اقصى ابتعاد ويتخلّى كلياً عن كل أنواع الكوّات. أما ما يختص بفنون العمار اللاحقة

فموجودة في الحارة بأشكال مشتتة فقط ويتمثل في الإصلاحات أو في الزيادات التي لا يمكن نسبتها إلى تاريخ محدد أو إلى فن معماري معين، كما أنها جلية في الأبنية العصرية التي لا يندر أن تتألف من أربع طبقات أو خمس أو ست. وإن تأثيرها الهدّام في مصير الحارة يحملنا على التفكير هل كان للأحياء السكنية التقليدية حظ في البقاء والاستمرار؟ وكيف يمكن ضمان وجودها في المستقبل. إن هذا الموضوع ذاته سيكون النقطة الجوهرية في منشوراتنا الختامية إن شاء الله.

---

١) : Sauvaget J. : Alep , Paris 1941; Herzfeld, E. Inscriptions et monuments d'Alep, Kairo 1955; Gaube, H. u. E. Wirth: Aleppo, Wiesbaden 1984.

تعتبر مؤلفات المؤرخين الحلبيِّين الغزي والطباخ من المصادر الرئيسة: نهر الذهب في تاريخ حلب، تأليف كامل بن محمود الغزي، حلب ١٩٢٦؛ وأعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، تأليف محمد راغب الطباخ، حلب ١٩٢٣/١٩٢٦. ومن المؤلفات الجديرة بالذكر: الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب لمحمد أسعد طلس. دمشق ١٩٥٧.

٢) باستثناء المؤرِّخ J. - C. David:

Alep, dégradation et tentatives actuelles de readaptation des structures urbaines traditionnelles.

في مجلة DEO العدد ٢٨ (١٩٧٥): صفحة ١٩ ـ ٥٠

والموضوع نفسه في صثصشظسضضصشط, ش.

Les quartiers anciens dans La Croissance moderne de la ivlle d' Alep

(الناشر) باريس ١٩٧٩، صفحة ١٣٥ ـ ١٤٤؛ والموضوع نفسه أيضا:

Usbanisation spontanée et planification. Le Faubourg ancien nord d'Alep (XV^{e} - XVIII^{e} siècle)

في مجلة CRA العدد ١٠/١١ (أبريل / نيسان ١٩٨٢، ص ١٤ ـ ١٧.

٣) المرجع المذكور سابقاً، ص ٤٠٢ وما يليها : Gaube, H. u. E. Wirth (الرقم ٥٥٥ و٥٥٩).

٤) المرجع نفسه، ص ٤٠٣ (رقم ٥٦٠).

٥) المرجع نفسه، ص ٤٠٤ (رقم ٥٧١ - ٥٧٣).

٦) المرجع نفسه، ص ٤٠٢ (رقم ٥٦٧).

٧) المرجع نفسه، ص ٤٠٤ (رقم ٥٦٧).

٨) المرجع نفسه، ص ١٠٠ - ١٠٣ وص ٣٠٥ - ٣٠٨.

٩) المرجع نفسه، ص ١٩٢ وما يليها.

١٠) المرجع نفسه، ص ١٩١ وما يليها.

١١) المرجع نفسه، ص ٤٣٨ وما يليها.

١٢) المرجع نفسه، ص ١٩٥.

١٣) المرجع نفسه، ص ٢٠٤.

١٤) J. - C. David والمشاركون معه في العمل إنظر سابقاً الحاشية ٢.

١٥) Gaube, H. u. E. Wirth ، المرجع المذكور سابقاً، ص ٧٧.

١٦) لقد كتب أ. عبد النور عن كل ما يمكن للمرء أن يجده في حلب وفي دمشق في المقالات الآتية : Chevallier, D. :

Trois actes de ventes de maison à Alep au XVIII^{e} siècle. l,espace social de la ville Arabe.

(الناشر) باريس ١٩٧٩، ص. ١٢٩ - ١٣٣.

١٧) طباخ: المرجع المذكور سابقاً، ص ٤٣٢ ، ج ٣.

١٨) Gaube, H. u. E. Wirth : المرجع المذكور سابقاً، ص. ٩٦.

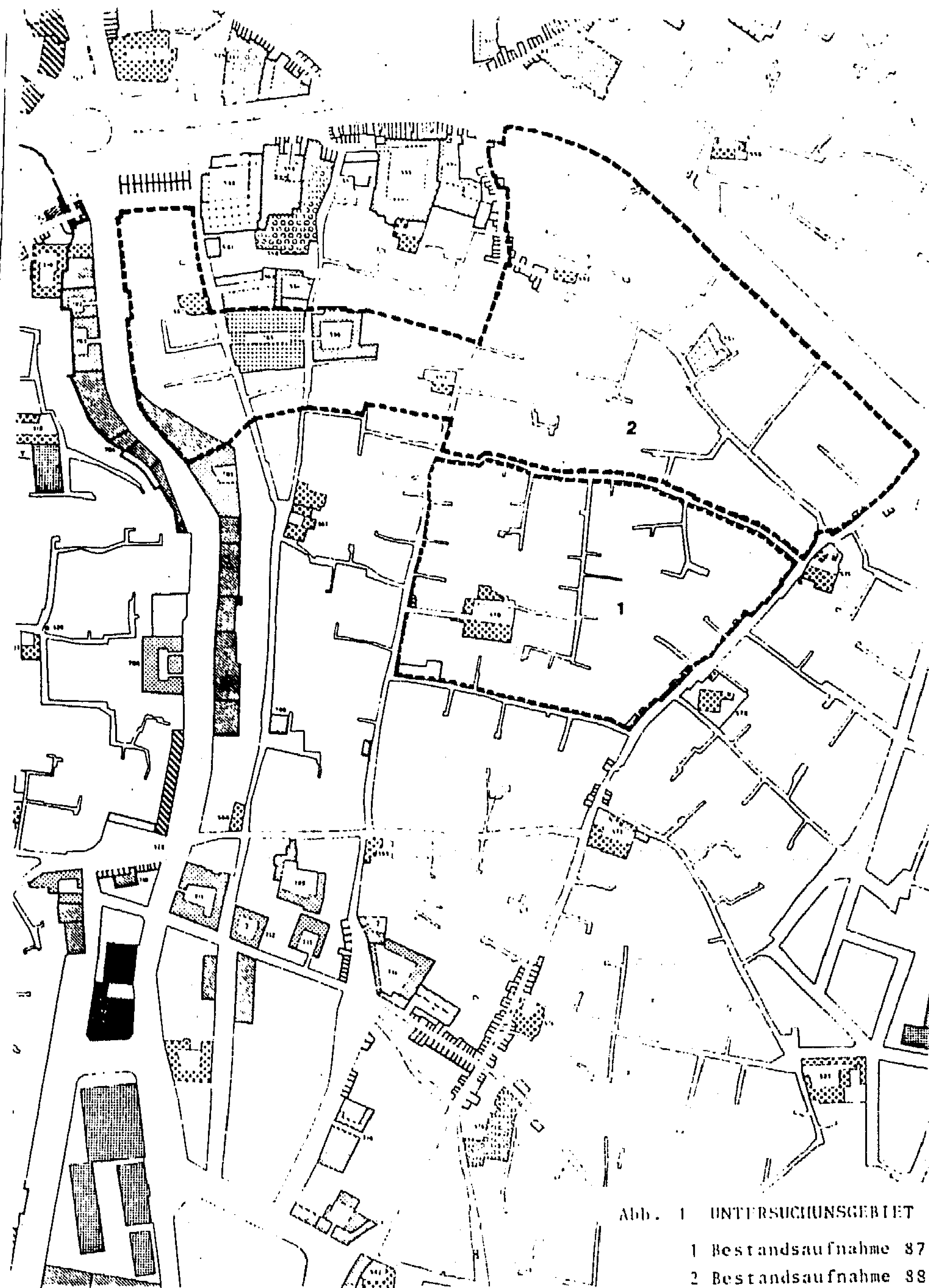
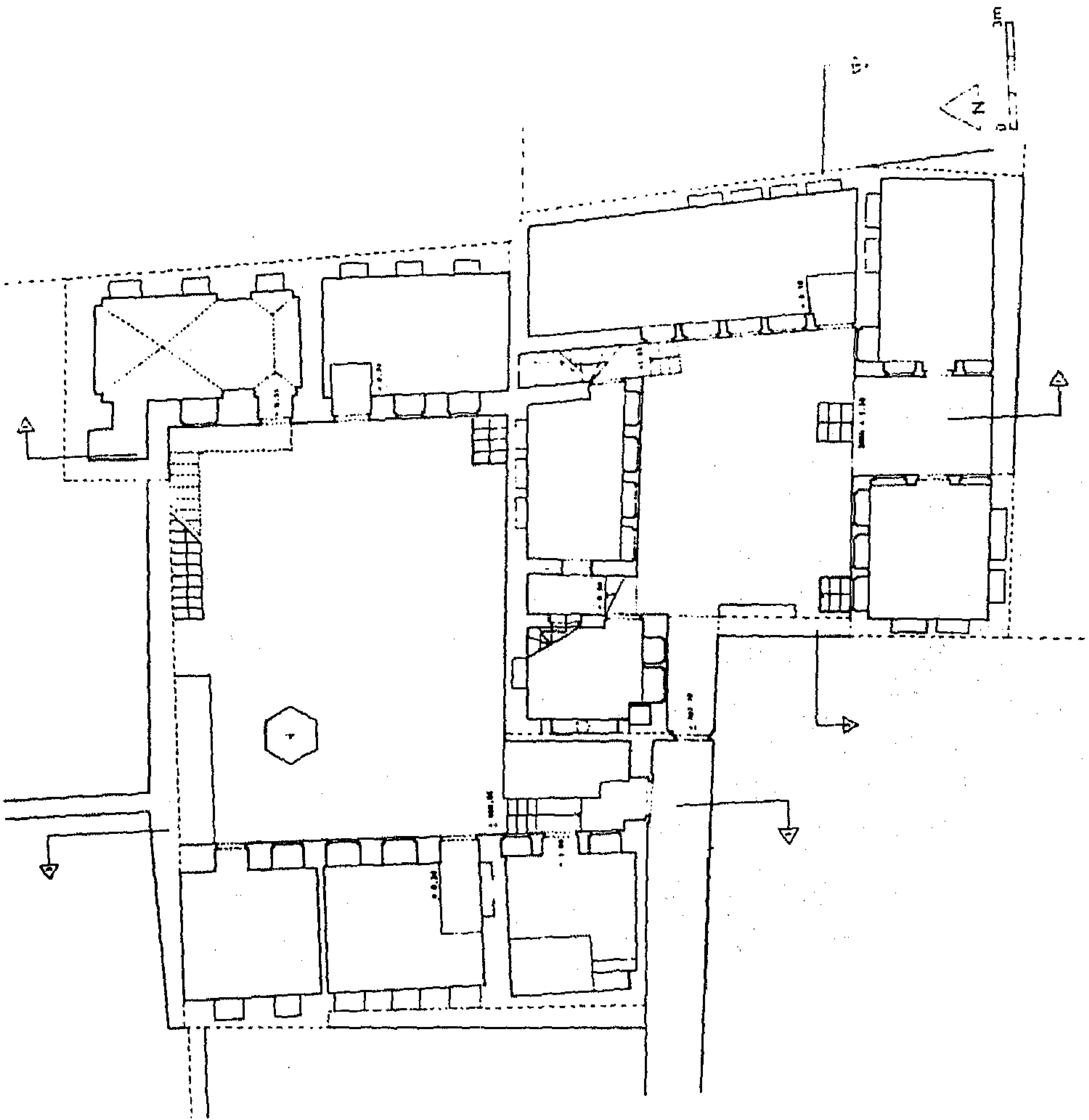
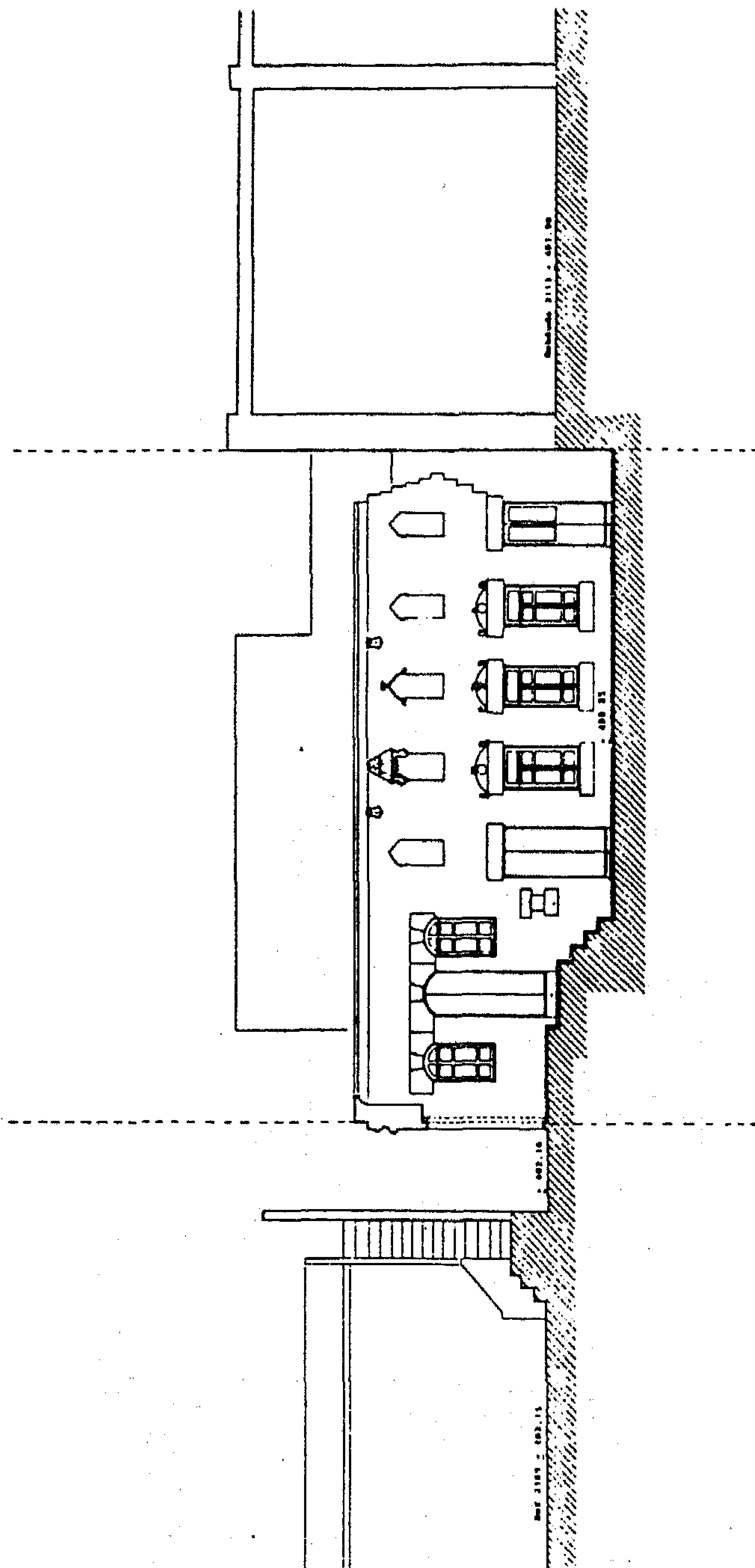
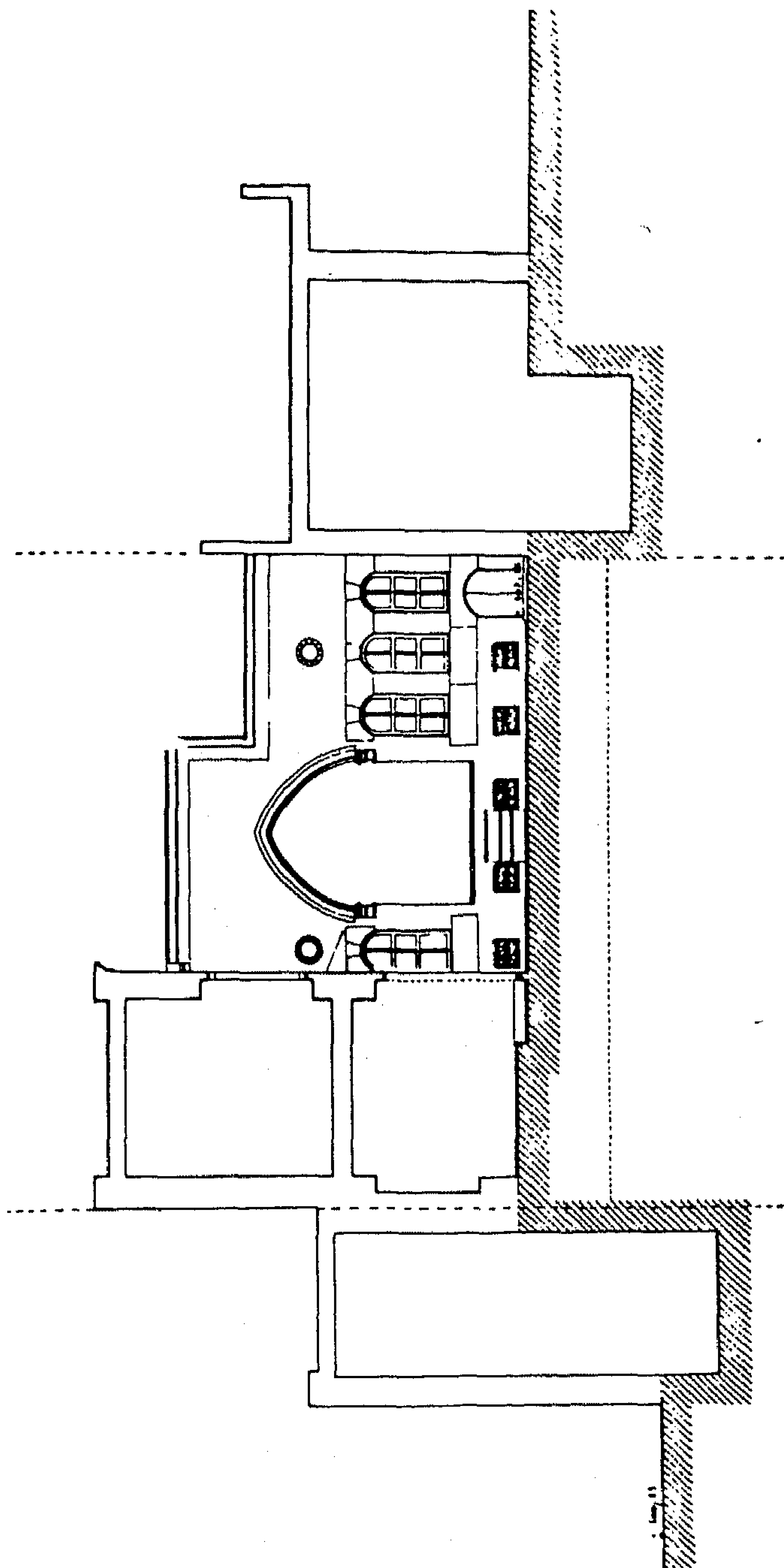


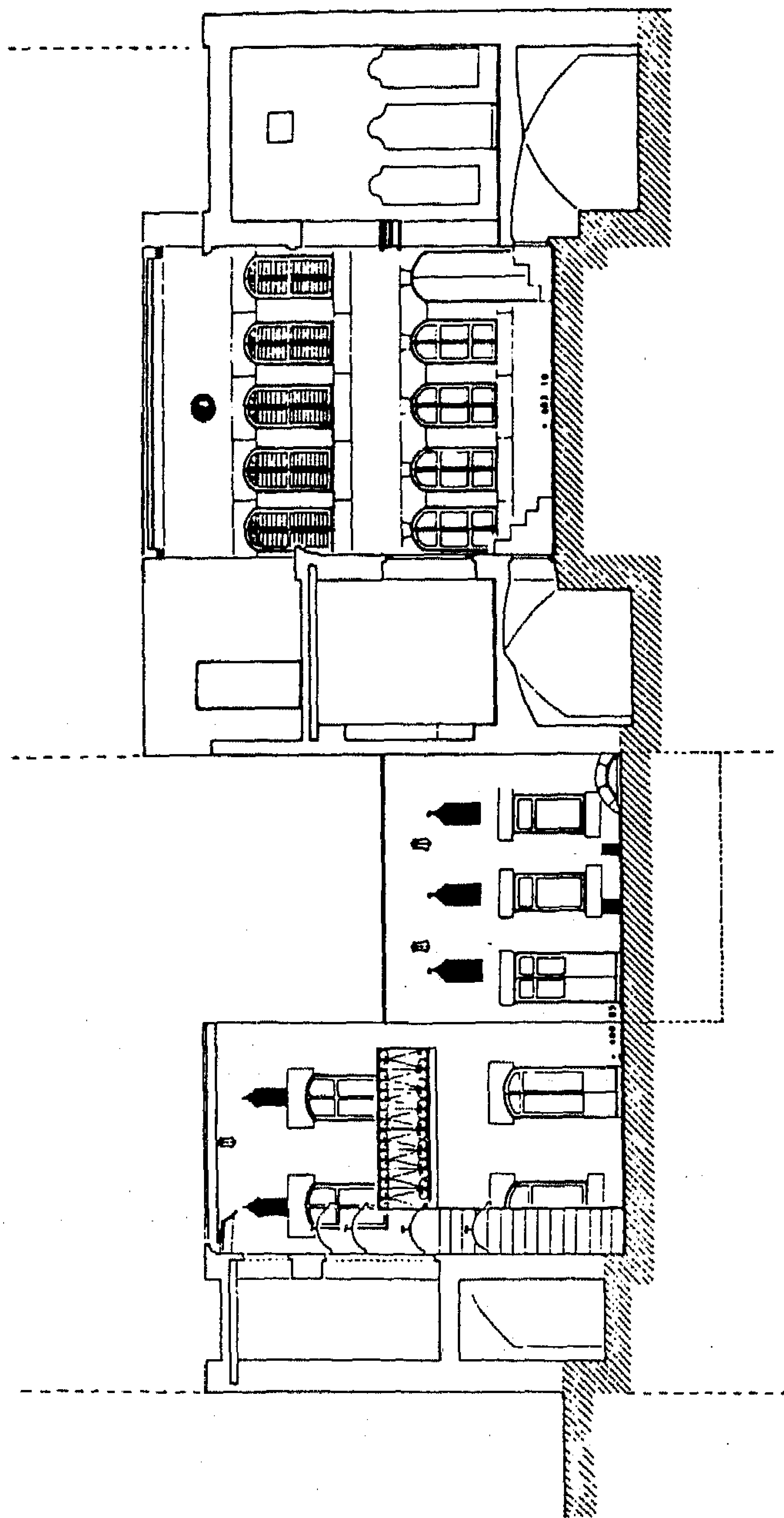
Abb. 1 UNTERSUCHUNSGEBIET

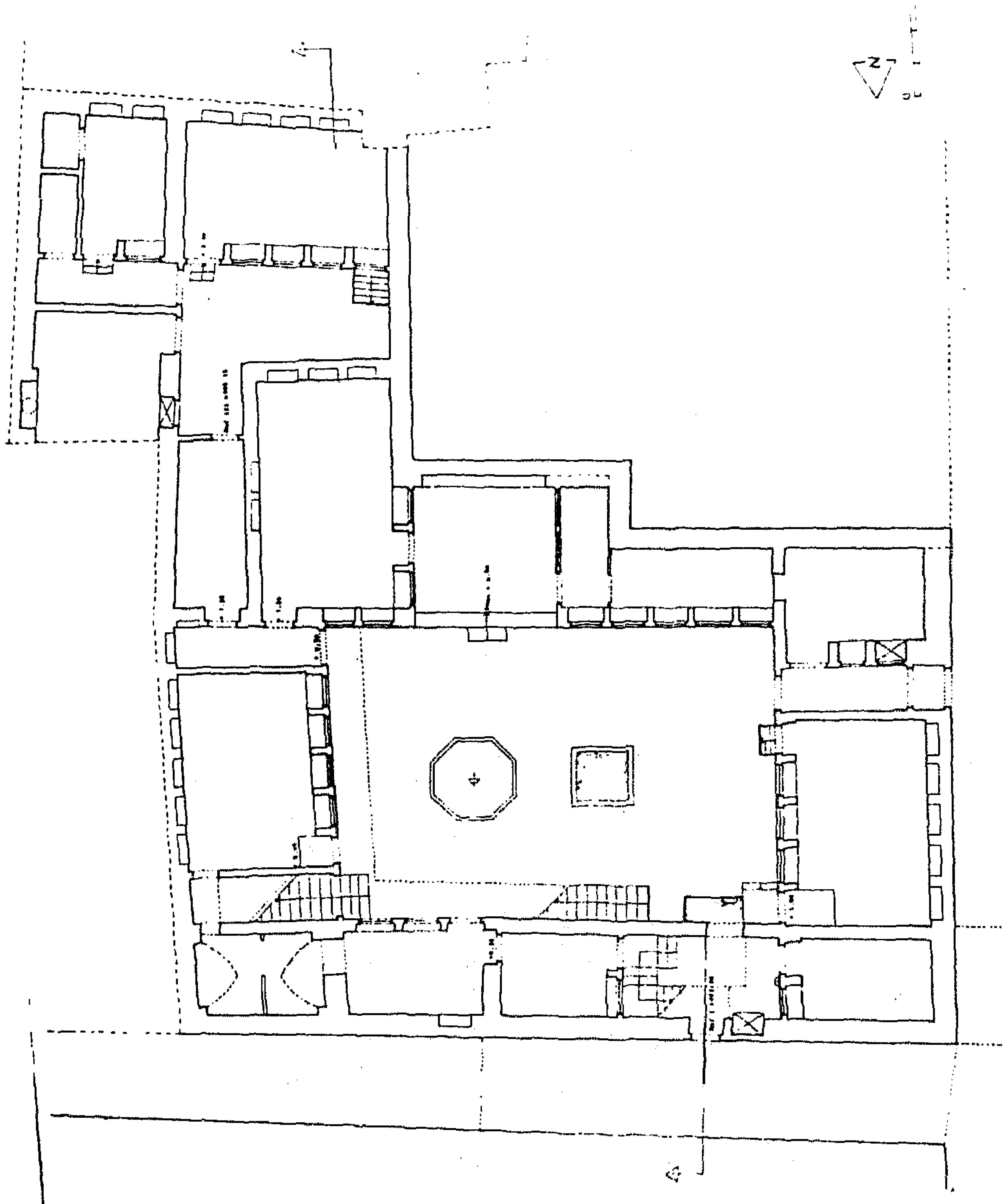


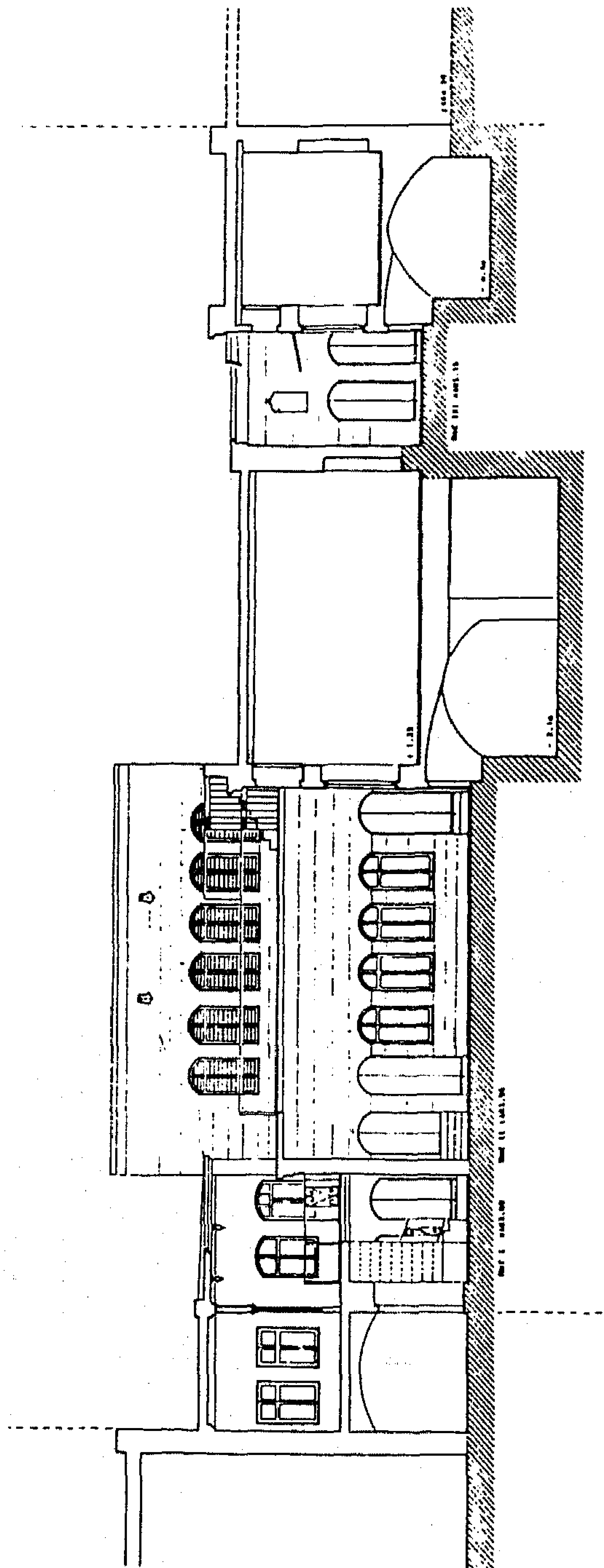


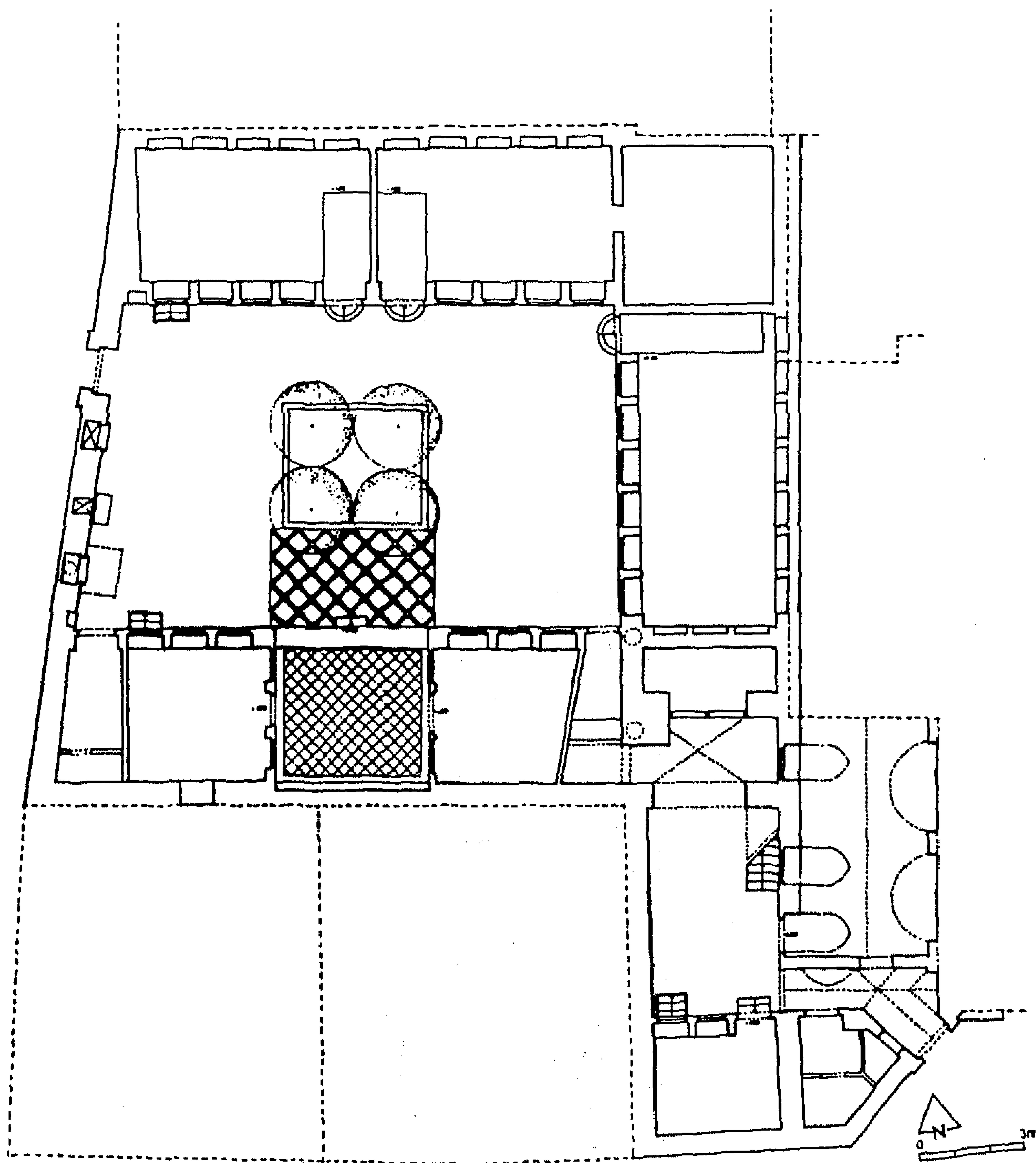


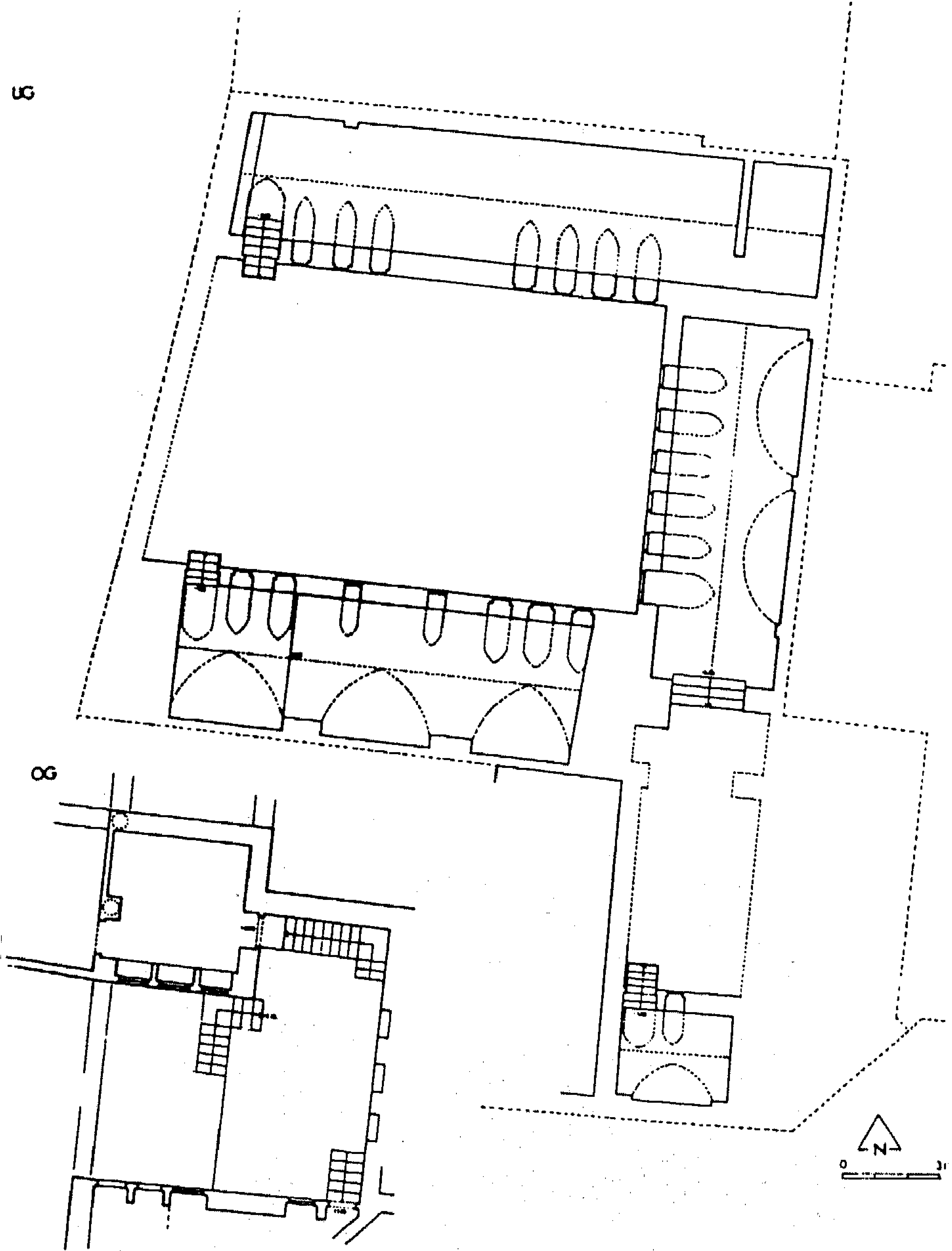


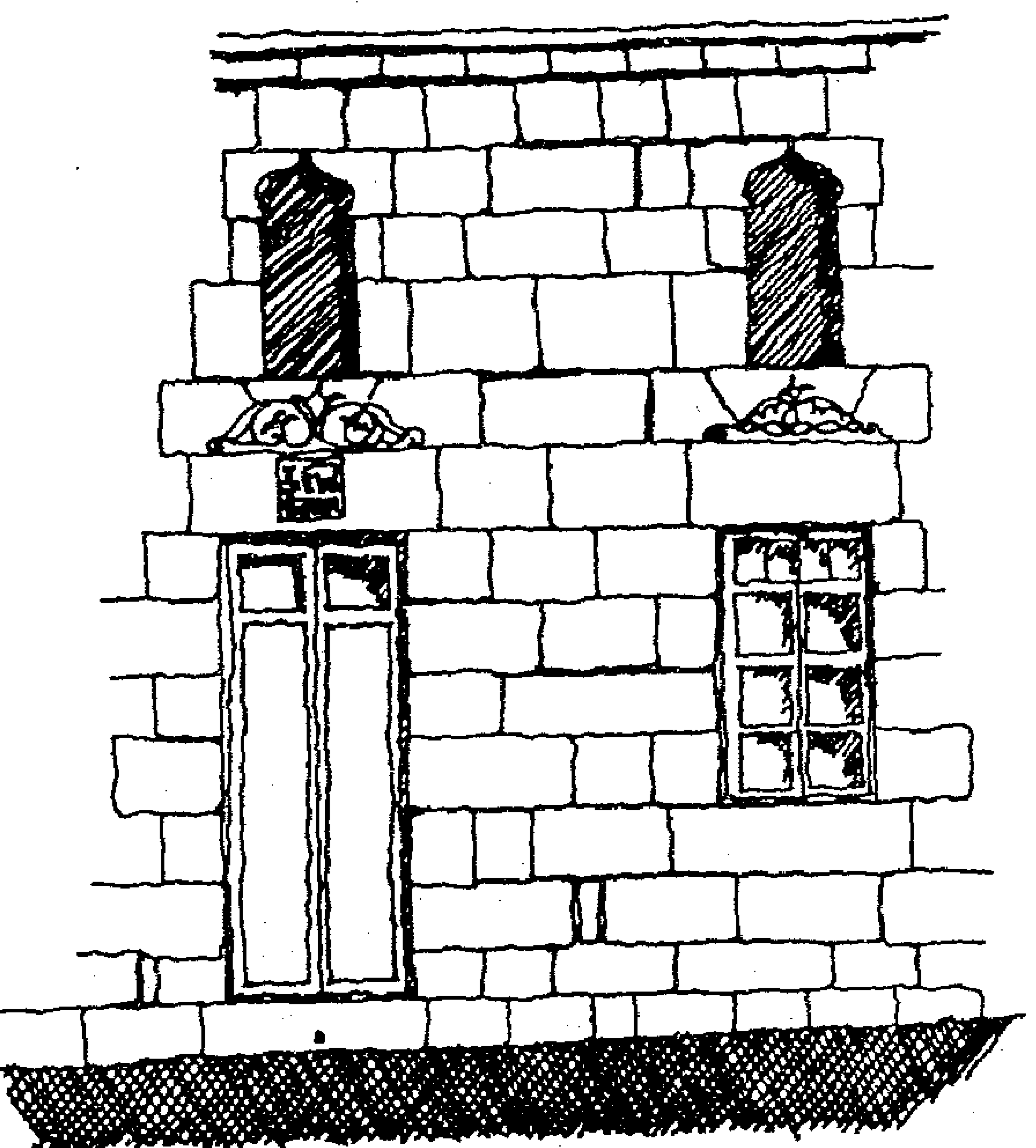




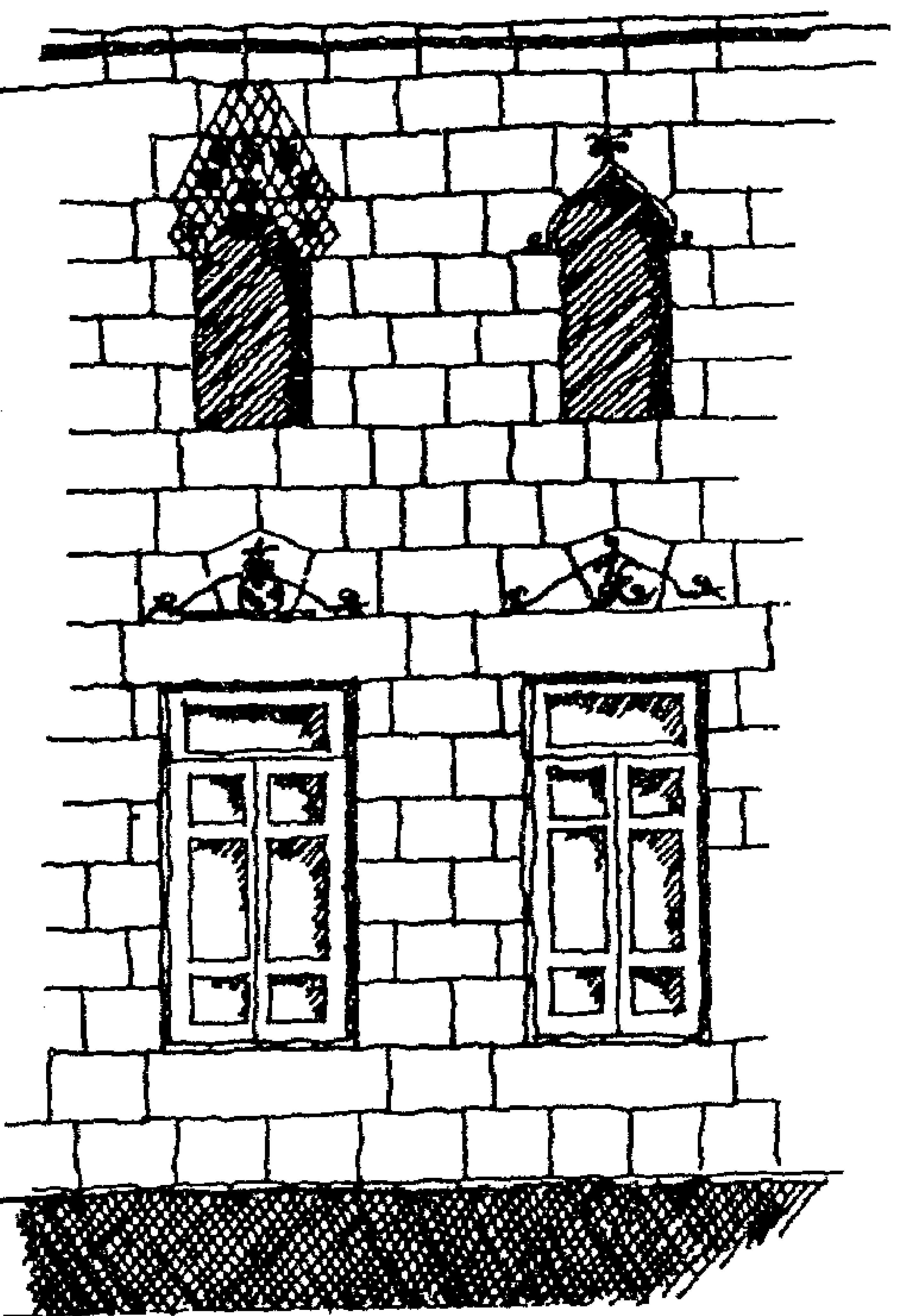




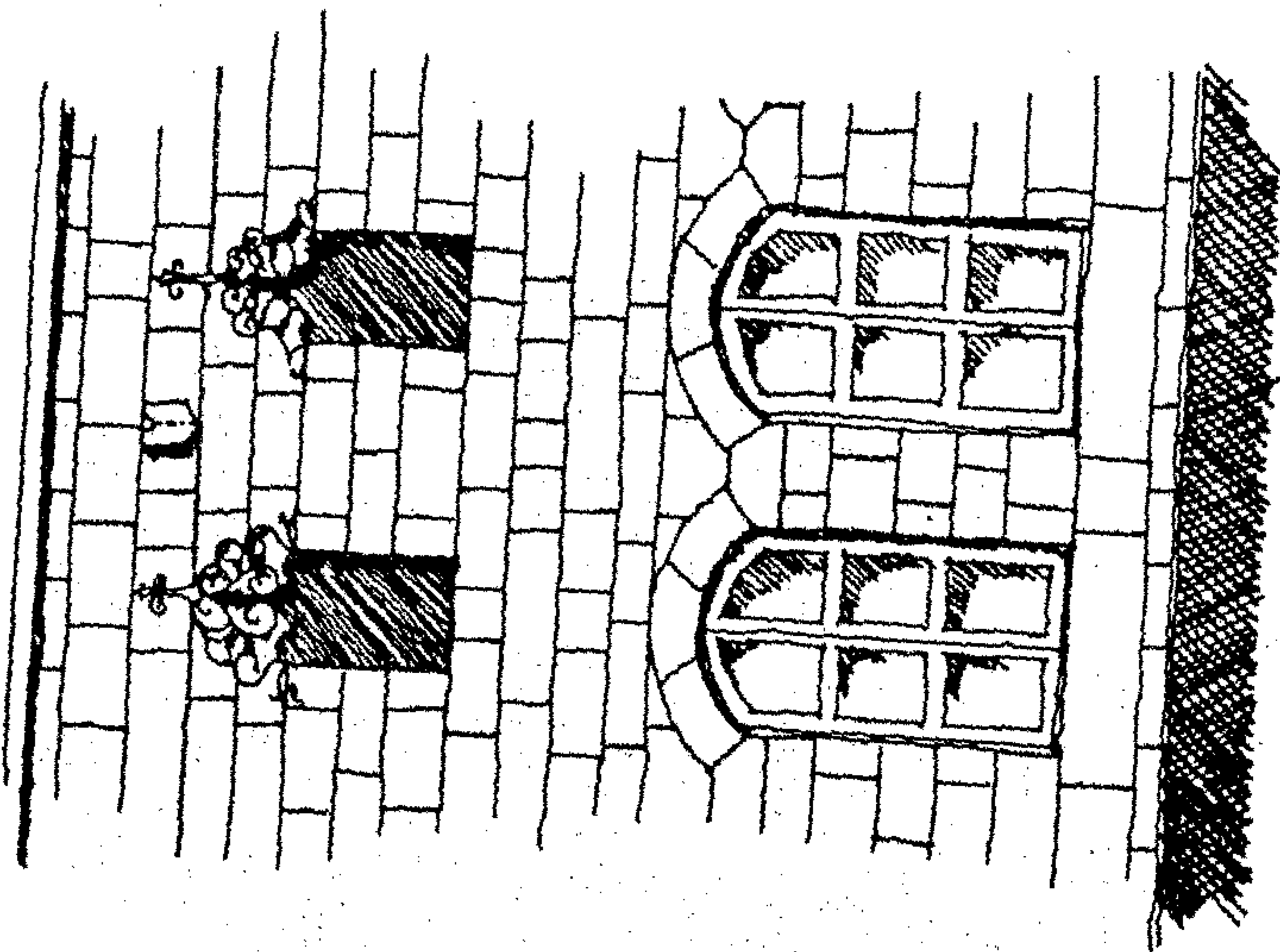

UG
OG
N



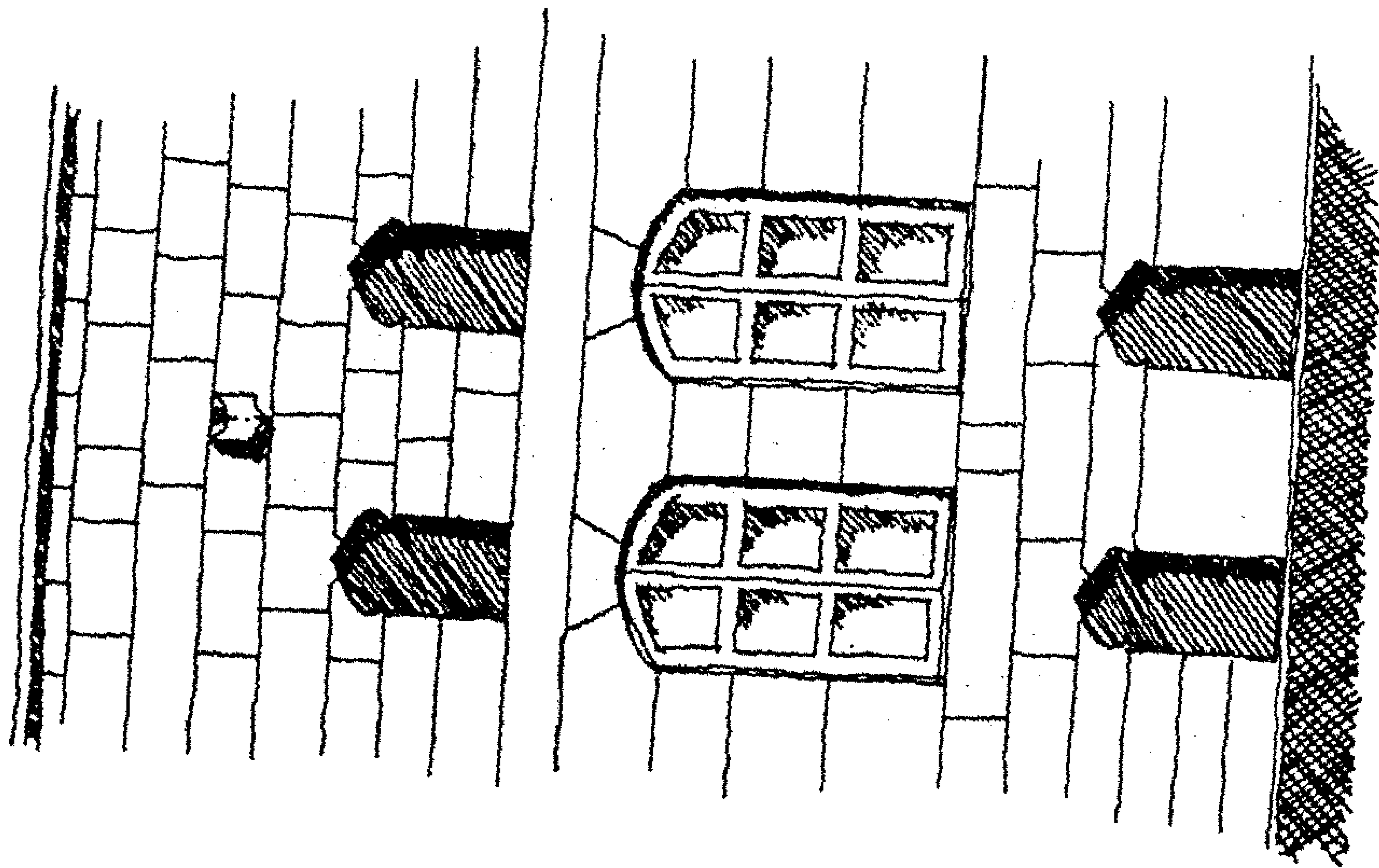
PERIODE 1
HAUS NR. 1365-b



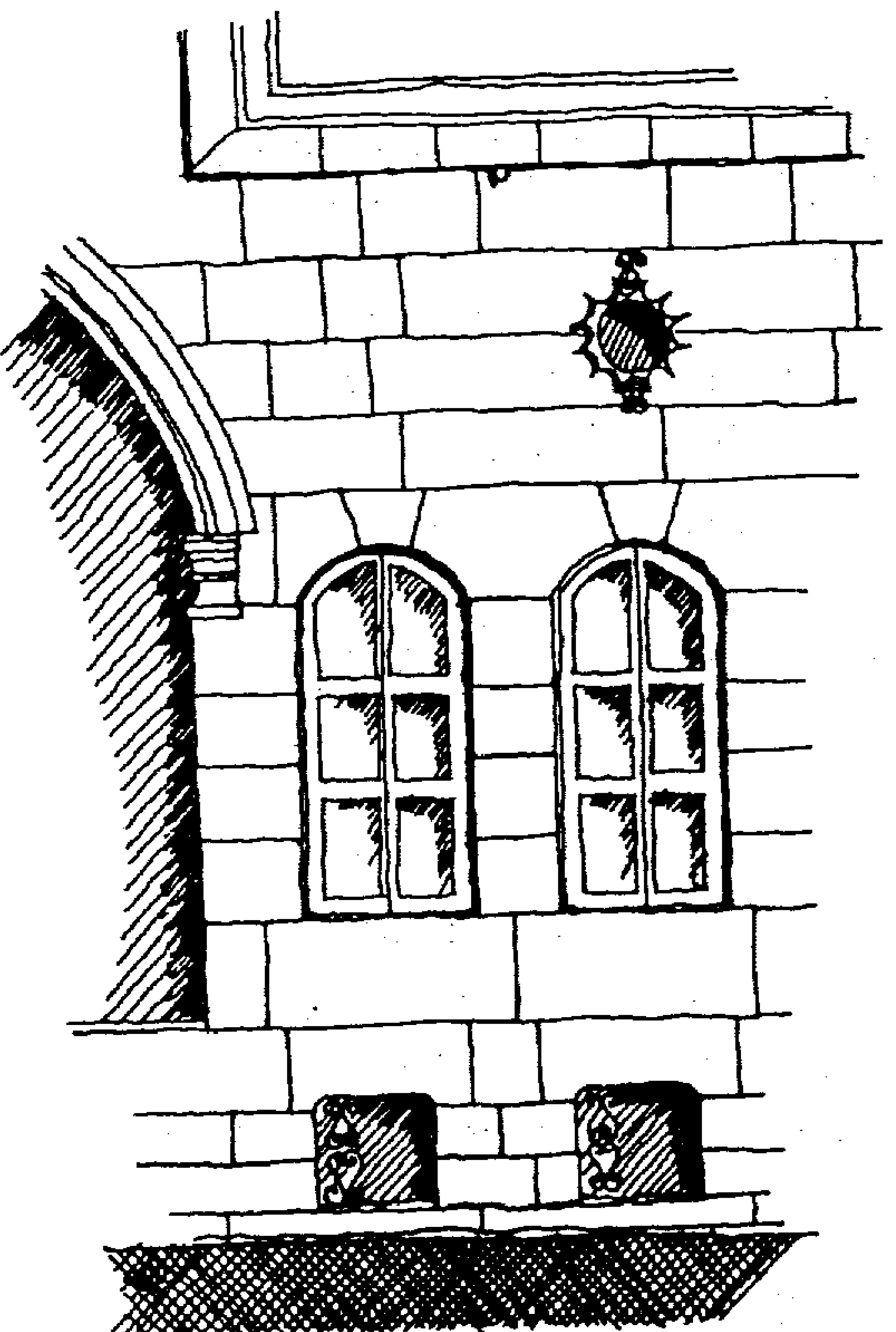
PERIODE 2
HAUS NR. 2111 OST



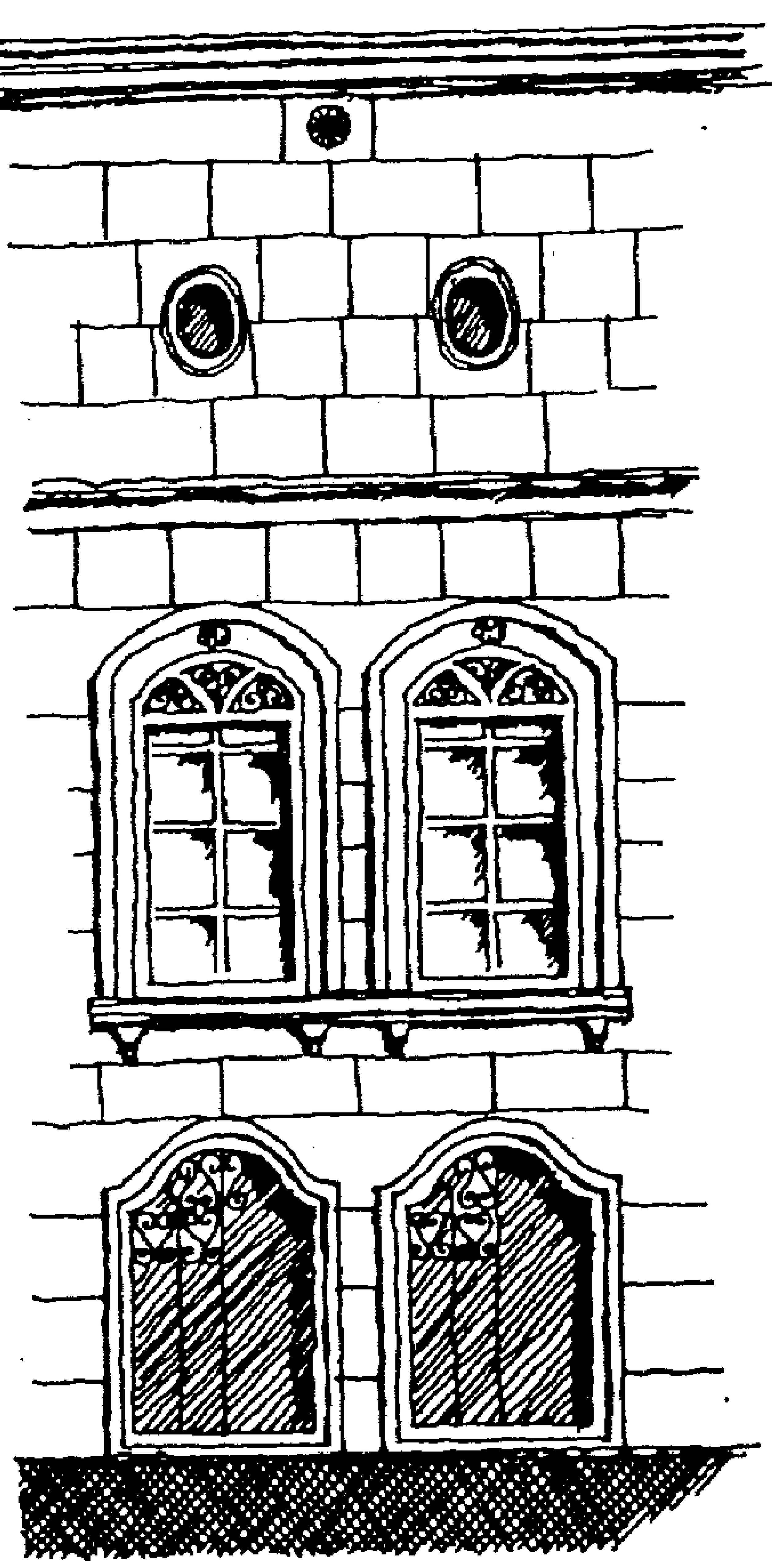
PERIODE 3
HAUS NR 2249 WEST



PERIODE 4
HAUS NR. 1415



PERIODE 5-A
HAUS NR 2110



PERIODE 5-B
HAUS NR 1366

أفكار حول إبلا

بقلم الاستاذ: أ. ج. غيلب (A.G.GELB)
تعريب: الدكتور شوقي شعث
المتحف الوطني بحلب

إن الفحص الدقيق والمتقن للمعلومات التي يمكن الحصول عليها في الوقت الحاضر من محفوظات القصر الملكي بابلا يقودنا إلى نتائج جديدة تشمل ثلاثة حقول من الاهتمامات:

١ ـ فيما يتعلق بمشكلة «التأريخ»، الاعتبارات المتعلقة بعلم الخطوط تتطلب تأريخ النصوص المكتشفة من المرحلة التي سبقت عصر نارام سين.

٢ ـ وفيما يتعلق بالتقاليد الثقافية لابد أن هناك عرى وروابط ترتبط بأبي صلابيخ وماري وكيش، ونتيجة لذلك لابد من أن تكون هناك منطقة حضارية غير سومرية عرفت من أقدم المراحل التاريخية في المناطق الشمالية.

٣ ـ أما بالنسبة للعلاقات اللغوية، فإن تحليلا مفصلا للمواد المتنوعة يبين أن اللغة الإبلائية يجب ألا تعد لهجة سامية غريبة ولكنها أقرب إلى أن تعد لغة سامية جديدة قريبة الصلة بالأكادية والآمورية أكثر منها قربا إلى اللغتين اللغتين الأوغاريتية والعبرية. لقد أبانت لنا الاكتشافات الأثرية الايطالية في إبلا ثقافة جديدة ولغة جديدة وتاريخا جديدا، وقد يبدو من السابق لأوانه أن تسمى هذه الاكتشافات رائعة ومثيرة فهي في الواقع أكثر من ذلك بالنسبة إلى العلماء المتخصصين في الشرق الأوسط القديم الذين وقفوا حياتهم لدراسة تاريخه المبكر.

إن الدافع لكتابتي هذه الأسطر ليس أن أسجل ملحوظات نقدية للمقالات العلمية القليلة التي نشرت حول إيبلا في الأشهر القليلة الماضية، كتلك التي ظهرت في سياق المحاضرات التي ألقاها الأستاذان: باولو ماتييه، مدير البعثة الأثرية الإيطالية التي تقوم بالتنقيب في إبلا ـ تل مرديخ، وجيوفاني باتينانو عالم الخطوط الملحق بالبعثة، في المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو في الاسبوع الاول من شهر تشرين

الثاني عام ١٩٧٦ ، وأنتهز، هنا الفرصة ، لأقدم التهاني للاستاذين ماتييه وباتينانو على مكتشفاتهما العظمية ، ولأشكرهما على رغبتهما المجردة من الأثرة هنا في شيكاغو مقدمين لنا معلومات غزيرة حول المواد المكشفة في إبلا ولاسيما الرقم المسمارية . فإنه لمذهل حقاً أن يتمكن الاستاذ باتينانو في وقت قصير من تحضير قسم كبير من فهرس إبلا حيث مكننا ذلك من الاطلاع على كل أنواع النصوص ، ومن أجل هذا ، أيضا ، نحن نقدم جميعاً شكرنا له مرة ثانية ، لذا لابد من القول : إنه لولا الدراسة التي قام بها باتينانو لما كان يمكن في هذا التاريخ الباكر تقديم هذه الملاحظات .

لن أكون مبالغاً إذا قلت إن تلك المحاضرات التي ألقاها باتينانو تركتني في حيرة مذهلة فقد كان انطباعي الأول أن معظم أفكارنا الراسخة عن الماضي البعيد ستطفو الى السطح ، لقد انكببت أسابيع عدة على هذه المسائل ، وكنت مع كل يوم يمر ، اقترب من التأكد من أن هذه المكتشفات ليس من الضروري أن تلقي كل تقويماتنا السابقة جانباً ، ولكنها تساعدنا على أن نتثبت منها ونقومها في كثير من الحالات ، ومن أجل هذا قررت أن أضع أفكاري وملحوظاتي على الورق .

أنا شاكر للاساتذة : روبرت د . بيجز Robert D. Biggs
وجور جيو بوتشلاتي Giorgio Buccellati
ودنيس باردي Dennis G.Pardee
لقراءتهم مخطوط هذه المقالة وإبداء مقترحاتهم القيمة .

في تحضير هذه المقالة اعتمدت المقالات الآتية :

- باولو ماتييه : «إبلا في عهد السلالة الأمورية والسلالة الأكادية» ، وقد نشرت في Orientalia N.S.XLIV (1975) pp. 337- 60.
- بيتيناتو جيوفاني : فحص رقم الألف الثالثة قبل الميلاد التي تعود إلى المرحلة الكنعانية القديمة التي وجدت في موسم عام ١٩٧٤ ، في تنقيبات تل مرديخ - إيبلا ونشرت في Orientalia N.s.XLIV (1975) PP 361-74 ورمز إليها بـ Orient. XLIV
- باتيناتو جيوفاني : «الأرشيف (المحفوظات) الملكي المكتشف في تل مرديخ - إبلا» ونشر في Biblical Archaeologist XXXIX (1976) pp.44 -52 ورمز إليه بـ BAR XXXIX

ـ **باتيناتو جيوفاني**: «كركميش: أول ذكر لها في الألف الثالثة ق.م» نشر في مجلة Oriens Autiquus xv (1976 pp.II-15 ورمز إليه بـ OAXV

ـ **باتيناتو وماتييه**: «المعالم الادارية والطوبغرافية لإبلا في الألف الثالثة ق.م» وقد نشر في مجلة Rivista delgi studi Orientai (1976) pp. 1 - 30 وقد رمز إليه بـ RsoL. .

ـ **باولو ماتييه**: «إبلا دراسة أثرية» نشرت في جامع الدراسات الآشورية Reallexikon der Assyriologie V (1976) Pp.13 - 20 ورمز إليها بـ RA.V

ـ **باتيناتو جيوفاني**: «إبلا دراسة فقهية لغوية» نشرت في جامع الدراسات الآشورية المار ذكره في عام ١٩٧٦ في الصفحات من ٩ ـ ١٣.

لم أطلع على المقالات غير المنشورة التي ذكرت في مجلة الأثري التوراتي (BAR) العدد ٣٩، ص٥٢، وفي مجلة الدراسات الشرقية (RSO) العدد «L» ص١.

ـ **باتيناتو جيوفاني**: «التقوم الإبلي في عصر الملك أبي سيبش Ibbi-Sipš على أساس الرقيم (TM.75G. 425) وقد نشر في AFO XXV (1967)

ـ **باولـو ماتييـه**: «التقنيات الأثرية في تل مرديخ ـ إبلا وماذا تعنيه بالنسبة لتاريخ الشرق الادنى القديم / الحوليات الأثرية العربية السورية».

ـ **باولـو ماتييه**: «إيبلا في العصر الأكادي دراسة تاريخية أثرية» وقد نشرت في مجلة أكاديمية الخطوط والفنون الجميلة ببلجيكا. Comtes renclus de l'Academie des Inscription et Belles lettres, (1976) pp. 18 - 43

ـ **باولو ماتييه**: «المكتبة الملكية في إبلا (٢٤٠٠ ـ ٢٢٥٠ق.م) نتائج البعثة الأثرية الايطالية في سورية» (تقارير الأكاديمية البابوية الرومانية للدراسات الأثرية) XLVIII(1976)

ـ **باتيناتو جيوفاني**: «دراسة رقم المكتبة الملكية في تل مرديخ ـ إبلا ملاحظات أولية حول مدرسة إبلا».

(تقارير الأكاديمية البابوية الرومانية للدراسات الأثرية) XLVIII(1976) .

ولم أعر إنتباها في هذه الدراسة إلى التقارير الكثيرة التي نشرت حول إبلا في الجرائد والمجلات التي لاتخرج عن كونها شعبية تخاطب الجماهير الشعبية، ومهما يكن من (الأمر في حدود معقولة) فقد سمحت لنفسي أن أذكر بعض المعلومات التي عرفتها

فقط من الندوات الرسمية وغير الرسمية التي عقدها باتيناتو في شيكاغو، وهي التي دونتها على الصفحات الآتية:

من أجل التبسيط وهو الاتجاه الذي اتبعته منذ سنين في قراءة المقاطع الهجائية ـ قرأت I b-la ki(إبلا) ولم أشعر ولم أشعر أنني مضطر إلى أن أنقل الاسم إلى Eb-la ki (إبلا) لتتوافق مع التهجئة URU E-eb- la-a-pa التي وجدت بعد ألف سنة مقترنة بـ URU Hal-pa-a-pa (حلب) في رقيم من بوغازكوي غير منشور أو مذكور في: Ungnad, Subartu (Berlin and Leipzig, 1936) p.51n.2 ، علاوة على ذلك لايوجد شاهد على أن الاسم لابد أن يقرأ Ib-laki أو Eb-laki مع الباء أفضل من أن يقرأ Ip-laki أو Ep-la مع ب P الفاء الأعجمية.

انسجاما مع MADII استعمل مصطلح «الأكادية القديمة» من أجل كل المراحل الباكرة للغة الأكادية من فاره مروراً بالمرحلة ماقبل السرجونية حتى نهاية سلالة أور الثالثة ومصطلح «السرجونية» لمرحلة الأكادية، ومصطلح «أيام سرجون» لمرحلة حكم سرجون الملك الأول في أكاد، ومصطلح «السرجونية الذهبية» لمرحلة حكم نارام سن Naram sin وشار كالي شاري Shar-kali-Sharri الملكين الرابع والخامس من السلالة الأكادية.

إن كل مايتعلق بالأموريين سيرد ذكره في مقالي المقبل الذي من المنتظر أن ينشر عام ١٩٧٧ تحت عنوان «التحليل بوساطة الحاسب الآلي للأموريين».

وأما مايتعلق بمشكلة تحديد موقع «إبلا» فربما من المفيد أن أذكر أن السيد Ungned الذي مر ذكره سابقا حددوا موقع إبلا في منطقة حلب اعتمادا على نص بوغازكوي (الذي مر ذكر سابقا) بينما اقترحت أنا بشكل تخميني أنها تقع بالقرب من بلدة كلس الحالية الواقعة إلى الشمال من حلب داخل الحدود التركية، على اساس وجود URU Ib-li-ta -ie - e و URUki- li-Zi في نص يعود إلى المرحلة الآشورية المتوسطة KAV 107 (OIPxxvII (1935) p.4 No 35) أما الآن فقد تحقق موقع إبلا في تل مرديخ الواقع على بعد سبعين كم إلى الجنوب من حلب.

١ ـ التأريخ ونوع الخط:

اعتمادا على نتائج تنقيبات عام ١٩٧٤ أرخ الأستاذ ماتييه قصر إبلا، حيث اكتشفت الرقم، انه يعود إلى العصر البرونزي القديم الطور الرابع آ Mattthiae orient,XLIV (1975) pp. 350 ff. أي إلى المرحلة السرجونية (٢٣٥٠ ـ ٢٢٥٠ق. م) وقد كتب في الصفحة ٣٥٥ ومايليها من المرجع نفسه على وجد التحديد، «الفخار المزين بوساطة التزيينات الأفقية يدل دلالة مؤكدة على أنه يعود إلى العصر البرونزي القديم الطور الرابع ـ آ»، «التواريخ التي اعطيت سابقا للأنصاب المكتشفة. . . . بعد التحليل والمقارنة تبين أنها من المحتمل أن تقابل الجيل الثاني وربما أيضاً الجيل الثالث من الأسر الأكادية» وأخيراً فإن أسلوب خط الرقم التي تعتمد على تقليد الكتابة في مرحلة فارا المتأخرة في عصر ماقبل السلالات في بلاد مابين النهرين، لايمكن ردها إلى المرحلة ماقبل الأكادية، وأضاف ماتييه قائلاً «إن المرحلة الأكادية القديمة انتهت في إبلا بتخريب نارام سن القصر حوالي ٢٢٥٠ ق.م» أماموضوعات العلاقات الثقافية مع سورية فقد ناقشها ماتييه في الصفحات ما بين ٣٥٦ـ٣٦٠ وللمزيد حول تأريخ إبلا انظر ماتييه . RIAVPP. 15F. وباتيناتو Orient (1975) pp. 363 f. حيث أعادا الرقم الفخارية إلى العصر البرونزي القديم الطور الرابع أي إلى المرحلة ما بين ٢٣٠٠ و٢٢٠٠ق. م أو إلى المرحلة مابين ٢٣٥٠ و٢٢٥٠ق. م من المرحلة السرجونية بالقول: «القرينة الأثرية توحي بتأريخها أي الرقم بـ ٢٣٠٠ق. م تقريباً وغالباً بمرحلة نارام سن» و أضاف موضحاً أن هذا التأريخ أعطي على أساس المناقشات مثل «استعمال البادئة (المقطع الذي يضاف إلى أول الكلمة» في شكل i - na - sum والواقع أن المقطع الذي استعمل كان على غرار المقاطع التي استعملت في بلاد مابين النهرين في عصر سرجون وبعده، وبالرغم من أن هناك مناقشات أخرى شملت المقاطع الهجائية، ومن هذه المناقشات أن الإسفين الرأسي للرمز O, šu يبدأ فقط من الأسفل إلى الأعلى، وكذلك «استعمال الساكن للمقطع ba في شكل فعل sŭ - ba - ti فإنه يؤرخ النصوص بما قبل زمن سرجون لقد وضح هذه الظاهرة بالعبارة الآتية:

«إنها تعود إلى تبدلات حضارية محلية متأخرة سادت المنطقة، كذلك حافظ باتيناتو في مناقشاته المختصرة BAR XXXIX (1976) pp. 45 ff. على تأريخ السرجوني بمحفوظات إبلا برغم التعاصر بين Ibla أو Iblul - il سيد ماري المعروف بـ «لوجال

ماري» أي ملك ماري من أربعة رقم من ماري تؤرخ عادة بأنها تعود إلى المرحلة ماقبل السرجونية.

لقد أعاد باتيناتو النظر في رأيه بحديثه في جامعة شيكاغو واقترح تاريخا سابقا لسرجون يجعل نصوص إبلا معاصرة لنصوص فارا وأبي صلابيخ. إن نظرة سريعة إلى نصوص إيبلا كافية لتمكين المرء أن يكون ملحوظات معينة، فكل نص عموما قد قسم إلى حقول عمودية ضيقة عدة وكل أطراف المقاطع الهجائية تعطي شكلاً أسفينيا متطاولا من دون رأس اعتمادا على هاتين النقطتين نجد قرابة أصيلة بين نصوص فارا وأبي صلابيخ.

إن نظرة فاحصة في نوع الخط (طريقة الكتابة) في إيبلا يمكنها أن تعطينا ملحوظات هامة عدة:

آ ـ النصوص التي كتبت باللغة الإبلائية استعملت الخط السومري في كتابة المقاطع الهجائية التي تدل على كلمة تشمل أداة التعريف أو التحديد ومقاطع هجائية وربما دمج المقاطع الهجائية التي تدل على كلمة مع المقاطع اللفظية. هذه الملامح العامة تلائم كل مرحلة من مراحل الكتابة الأسفينية.

ب ـ ترتيب الاشارات يتبع ترتيب العناصر اللغوية، هذه النقطة تتعارض وتؤرخ رقم إبلا، إن ترتيب الاشارات عرف منذ أقدم النصوص السومرية حتى زمن نصوص فارا، شاملا نصوص فارا ونصوص لاغاش التي تعود إلى العهد الباكر من المرحلة ماقبل السرجونية ولقد تركزت عموما في أبي صلابيخ في نصوص المرحلة ماقبل السرجونية من لاغاش من عهد إي ـ آن ـ نا ـ توم Ean natum ومابعده، وفي نصوص أومًا Umma من العهد ماقبل السرجوني التي تعود إلى لوجال زاجيزي، وفي المرحلة السرجونية وماتلاه، ويشذ عن هذا الترتيب بعض الاشارات التي نعرفها من عصور انتقالية ولكنها حقا لاتعطل القاعدة. وبعض التهجئة الحرة وجدت حتى المرحلة السرجونية الذهبية وكذلك بعض حالات الترتيب العفوي مثل d EN. zu AB و d EN.zu لـ d zu. EN وقد استمر ذلك حتى نهاية العهد بالكتابة المسمارية

جـ ـ الاطراف العمودية لإشارات ID, šu - DA تتجه إلى الأعلى كما في فارا والمرحلة السرجونية لاإلى الأسفل كما في المرحلة السرجونية الذهبية كما هو مبين في بحثي FM,P.

170 N0.4 و MADII.P.5 هذه المميزات التي امتـدت لتشمل نصوص المرحلة ماقبل السرجونية والنصوص التي تعود إلى مرحلة سرجون الأكادي، ونظراً إلى قلة عدد الرقم الـطينية من عهد ريموش Rimush وعهد مانيشتوشو Man - ishtushu فإنه من غير الممكن القـول: إن تلك المميزات تشمـل أيضـا مرحلة هذين الملكين. إن توجيه الطرف العمودي في هذه الإشارات الثلاث نحو الأسفل أمكن التعرف عليه من عهد نارام سن وشار ـ كالي ـ شاري والمرحلة السرجونية الذهبية (MAD IV p.X) ، إلا أنه توجد بعض الاستثناءات حيث أمكن التعرف على طرف إسفين يتجه إلى الأعلى في رقم غير منشورة تعود إلى عهد نارام سن بحسب ماأورده فستن هولز ,Westenholz) Bibl Mes. IP.3) وكما يقترح بيج (Biggs) فإن هذا الاصلاح لم يستعمل في كل مكان في وقت وا- د وقد تزودنا دراسة معقمة لأشكال بعض الإشارات مثل ,PA,SE,Ku/Tuš (GI, ZI وإشـارات أخـرى) بشـواهد إضافية على ربط مرحلة سرجون بالمرحلة التي سبقتها من حيث الخطوط.

د ـ عنـدمـا تستعمل الضمير المتصل، للشخص الثالث المذكر، فإن الإشارة suo يقابلها المقطع الهجائي su في فاره وأبي صلابيخ وفي نصوص المرحلة قبل السرجونية خلافـاً للمـرحلة السرجـونية الـذهبية التي تستعمل فيها الإشارتان su أو su4 لهذا الضمير المتصل، ومهما يكن من أمر فإن suD التي يقابلها المقطع الهجائي su توجد في اسم مكتوب في نص مدرسي وجد في «أم الجير» (MAD, V,90) الذي هو خلافاً لمعظم نصوص «أم الجير» ـ يتبع مجموعة من النصوص قيل: إنها «تعرض صفات خاصة لنوع الخط في المرحلة ماقبل السرجونية» (MADVP.XVI) ولذا ربما تعود إلى زمن سرجون والاسم المقصود Il - sü - a - ha ظهر في أبي صلابيخ OIP.XCIXNO 298

هـ ـ بالعودة إلى تهجئة na - sum - أو šu - ba - sum التي أوردها باتيناتو سابقاً في حديثه حول تأريخ محفوظات «إبلا» لاحظت مايأتي:

i - na - sum أو e - na - sum مستعملة في كلتا المرحلتين ماقبل السرجونية والسرجونية الذهبية (انظر (BIN VII PP. 15 - 26 and 57 F. ويبدو أن šu - ba - ti مقتصرة على نصوص فارا وأبي صلابيخ (انظر (OIPXCIX NO 298)

و ـ الإشارة الوحيدة التي يمكنها أن تدل على كلمة أو الإشارات المدموجة قد تستعمل لفعـل بذاته أو الفعل في شبه جملة أوجملة مثال ذلك: Gl4 وتعني «يعود» و il وتعني «يحمل» DUB - GAR وتعني «هو يكتب الرقيم» و I,NA - SUM وتعني «هو أعطى إليه» كل هذه الأمثلة واردة في Orient, XLIV (1975) P.368

/ma - ha - zi i - da/ mahás jida/ = šu.šu‘ - RA

وتعني «يضرب باليد».

(BAR XXXIX p.50b، وتظهر المقاطع الهجائية الصرفية والنحوية logo grams عموماً من دون زيادات سومرية واستعمال مقاطع الهجائية التي تدل على كلمة logo graphie للأفعال خلافاً لما هو شائع في المرحلة السرجونية الذهبية هذا الموضوع سنأتي على مناقشته مفصلاً في القسم الرابع من هذا المقال.

ز ـ وجدت إشارات المقاطع هجائية (logographie) تدل على كلمة وجدت في إبلا وليس لها مقابل في اللغة السومرية الأكادية من المرحلة السرجونية ولذا فإن عبارة «هو كتب الرقيم» التي مر ذكرها سابقاً لابد أنها كتبت بالإشارتين DUB و SAR لا بـ DUB و GAR كما هي الحال في إبلا، وعلى هذا المنوال كتبت كلمة «شيخ المدينة» في إيبلا «Sibum» AB + AŠ (بحسب ماأورده باتيناتو)، لا ab-ba-uru كما في السومرية النموذجية. (انظر حول هذا الموضوع القسم الرابع من هذا المقال).

ح ـ خصائص الكتابة الإبلائية ونوع الخط هي في استعمال أشكال إشارات معينة مع بعض المقاطع الهجائية العادية التي تدل على كلمة لايوجد لها مقابل اليوم في أية لغة أخرى.

هذا الموضوع لايمكن مناقشته هنا.

ط ـ عند محاولتنا فهم نص إيبلائي عموماً لابد للمرء من أن يكوّن انطباعاً، فنوع الخط المسماري قد طبق في اللغة الإيبلائية على نحو يختلف عن ذلك المستعمل في أية لهجة أكادية معروفة أو لغة أجنبية في ذهني مثل تلك الأكادية العامية المعروفة بالأكادية القديمة التي استعملت في سوزا ونوزي والالاخ «تل عطشانة» وأوغاريت/ رأس شمرا/ وفي لغات أجنبية مثل: العيلامية والحورية والحثية، ومن بين الملامح المميزة التي لاحظتها هي التشديد على استعمال المقاطع الهجائية التي تدل على كلمة (long grapic) ونقص في استعمال حروف العطف التي يجب أن تستعمل في اللغة ولكنها تركت من دون تعبير كتابي، كذلك لاحظت وجود بعض الاختزالات الغامضة كل ذلك ـ ولاشك ـ سيضاف إلى المصاعب القائمة في وجه استجلاء اللغة الإبلائية.

«من النقاط التي نوقشت في الفقرات ب، جـ، د نجد أن نظام العلامات (الإشارات) الثابت في «ب» يتوافق مع الإشارات التي وجدت في نصوص «أبي صلابيخ» و«لاغاش». التي تعود إلى المرحلة ماقبل السرجونية المتأخرة أي إلى زمن

لوجـال زاجيزي وسرجـون وهـذا ليس متوافقا ونصوص «فارا»، واستعمال الطرف العمودي في الأسفين المتجه إلى الأعلى في ID (C). DA, šu والإشارة SUD بدلا su (d) يتوافق مع كل المراحل المبكرة حتى نهاية حكم سرجون، واستعمال ba 4 في šu-ba4-ti d وجد فقط في فارا وأبي صلابيخ، ولذا يمكن القول: إن معظم سمات الكتابة في إبلا تشبه نظام الكتابة في أبي صلابيخ والمرحلة ماقبل السرجونية وعصر سرجون، ولا يوجد مايشبهها في المرحلة السرجونية الذهبية كما نعرفها في مرحلة نارام سن وماتلاها.

إن فصـل مرحلة حكم سرجـون عن باقي المـرحلة السرجـونية على أساس الشواهد الكتابية تدعمه المعطيات الأثرية مثل: اللبن نصف الاسطواني الشكل طبقاً للمعلومـات التي استقيتهـا من ماك جوريرجبسون Gurire Gibson، وأسلوب المهر بالختم (طبقاً لجبسون Gibson)، والفخار طبقاً لورانس ستيجر Lawrence Stager، والفن التمثيلي عموماً طبقاً لوايتنغ Whiting

٢ - إبلا وأبو صلابيخ:

توجد علاقات ثقافية وطيدة كما أشار باتيناتو في محاضراته مرات عدة في شيكاغو بين إبلا في سورية وأبي صلابيخ في بلاد بابل التي لانعرف اسمها القديم، فحتى الآن أظهـرت التنقيبـات الحـديثة التي أجراها معهد الدراسات الشرقية في أبي صلابيخ الواقعة على بعد ٢٢كم إلى الشمال الغربي من نفر Nippur مجموعة من الرقم ذوات النصوص الأدبية والمعجمية التي تشير إلى وجود مركز لتعليم السومرية له علاقات وثيقة بفارا (شوروبّاك القديمة) الواقعة على بعد ٤٨كم إلى الجنوب الغربي من نفر، (نشر العالم Biggs نصوص أبي صلابيخ OIPXCIX, Chicage 1974)

ماتعلمناه من باتيناتو هو أن شكل الرقم ونوع الخط في إبلا وأبي صلابيخ كانا متـطابقـين أو متشـابهين جدا، فهناك عدد من النصوص المدرسية في أبي صلابيخ كالقوائم الجغرافية الكبيرة .OIPXCIPP كانت مستنسخة بدقة في إبلا (نوقشت هذه الفكرة في BAR XXXIX P. 52 a وكذلك تعداد سنوات الحكم وربطها في التقويم العام وترتيب أسماء الشهور واحد في كلا الموقعين مثال ذلك OIP XCIX 508 eu-i

عندما أصبح مضمون رقم «أبي صلابيخ» معروفاً ظهرت نقطتان تدعوان إلى

عَد أبي صلابيخ مركز التعلم السومرية ، أولاهما تكرار عبارة ù,in ur4ki (انظر XCINO OIP 508 i and III وأيضا u حتي 326iii2) التي فسرها Biggs في صفحة ٣٢ وصفحة ٤٤ وصفحة ٩١ بأنها أكادية ، فإذا كان هذا التفسير صحيحا فإنه سيقودنا إلى الاعتقاد بأن استعمال الأكادية أو لغة سامية أخرى مغايرة للتقليد السومري في فارا . وثانيتهما - وهي مستغربة - لأن الجمهرة العظمى من الكتبة حملوا أسماء سامية لاسومرية ، أذكر جيدا دهشتي عندما جاء إلى BOb Biggs يحمل مسودة مقالته حول «أبي صلابيخ» وكان تحذيري له ألا يعطي نتائج سريعة حول المعايشة السومرية السامية في أبي صلابيخ ، فبالنسبة إلي فإن وجود أسماء سامية يشير إلى وجود عناصر سامية غريبة في مركز يعد حتى ذلك الوقت مركزاً سومرياً خالصاً ، وهنا لن أعيد مسوغاتي الخيالية بوجود الساميين في أبي صلابيخ .

إن إبراز الصلات الثقافية بين إبلا وأبي صلابيخ يثير سؤالا هاما عن علاقة الأسماء السامية التي وجدت في أبي صلابيخ بإبلا هذه المشكلة التي يجب أن أرجئها إلى وقت مناسب (الأسماء السامية في أبي صلابيخ ناقشها Biggs أولا : في Orient N.S XXXVI (1967)PP.55-66 وبعد ذلك في OIP XCIXpp.27 and 34f.).

لقد أبرز Biggs في مقالته السابقة (op.cit p. 31f.) مجموعتين رئيستين من النصوص الأدبية السومرية الباكرة ، إحداهما مكتوبة في الخط السومري النموذجي ومن بينها مجموعة ملحمة Zà - mi Hymn والأخرى كتبت بخط مختلف سماها بيجز UD- NUN GAL:Biggs نظراً إلى تكرار هذه العبارة في هذه المجموعة من النصوص . إن نصوص UD. NUN - GAL التي وجدت في أبي صلابيخ (الأرقام من ١١٢ إلى ٢٥٤) ناقشها باختصار Biggs على الصفحات من ٨٤ إلى ٨٨ بإضافات ممكنة أو محتملة على الصفحات من ٩٠ إلى ٩٤ وتلك التي وجدت في فارا وردت في الصفحات من ٣٦ إلى ٤٢ . مزيد من المناقشات حول نصوص UD. NUN.GAL قدمها الأستاذ لامبيرت W.G.Lambert في BSOAS XXXIX (1976)pp.430ff. مع الإشارة إلى بحث منشور للأستاذين كريتشر J.krecher وكهن M.E.Cohen في مجلة الدراسات المسمارية JES XXVIII (1976) pp.82 - 92 حيث اقترحت قراءات جديدة عدة للإشارات المقطعة

بطريقـة جديدة، وكـل ماأستـطيع قولـه في الوقت الحاضر: أنه بالنسبة إلى تاريخ الكتـابة، يكون إدخال نظام كتابي جديد مرتبطاً بدخول عنصر بشري غريب وأنا أعـرف الحقيقـة من نصـوصuD-nungal المكتوبة باللغة السومرية، أما علاقة أسلوب الكتابة بإ بلا وتقليد كيش (انظر القسم الرابع) فمسئلة نتركها للمستقبل.

٣ ـ إبـلا ومـاري:

منذ بضع سنوات نشرت مقالتان حول نصوص ماري إحداها لرتن R.Rutten بعنوان (اثنان وثلاثون نموذجاً من الأكباد الفخارية المكتوبة من ماري ـ تل حريري) نشرت في مجلة الـدراسـات الآشـورية في العدد الخامس والثلاثين عام ١٩٣٨ في الصفحات من ٣٦ إلى ٧٠ RA XXXV (1938)pp. 36-70 والأخرى ليستن R.Jestin بعنوان «نصوص اقتصادية من ماري تعود إلى سلالة أور الثالثة» في مجلة الدراسات الآشورية في العدد السادس والأربعين (١٩٥٢) في الصفحات من ٨٥ إلى ٢٠٢. RA XL VI (1952) pp.185-20.

ونظراً إلى أهمية تلك النصوص غير العادية فقد قومتها (ولاسيما المقالة الثانية) فيها في مقال نشرته تحت عنوان «حول النصوص الاقتصادية من ماري التي نشرت حديثا» في مجلة الدراسات الآشورية في العدد الخمسين ١٩٥٦ في الصفحات من ١ إلى ١٠ RAL (1956)pp. 1-10

في تلك المقالة اقترحت تغيير تأريخ تلك النصوص من سلالة أور الثالثة إلى مابعد مرحلة أور الثالثة واستنتجت أن لغة تلك النصوص تختلف تماماً عن اللهجة البابلية القديمة التي ظلت مستعملة في ماري مدة حوالي مائة أو مائتين من السنين فيها بعد. أحد هذه الاكتشافات الأكثر إثارة التي تعود إلى المرحلة التي تلت مرحلة نصوص أور الثالثة، كان وجود حروف الجر: اش iš ويعني «إلى» أو«لأجل» وحرف الجر إن in الذي يعني «في». (لمناقشة أكمل انظر القسم ٧ ـ ١٠).

ومادام الأستاذ هنري ليمي H.Limet يعرف اهتمامي وعملي السابق في نصوص ماري التي تعود إلى مابعد أور الثالثة فقد سألني في صيف عام ١٩٧٤ التعاون في

دراسة بعض من النصوص الأربعمائة التي تعود إلى تاريخ نصوص يستن Jestin ونوعها نَفْسهـا التي طلب إليه نشرها، لقد كانت دراسة أولية للمجموعة الأولى من هذه النصوص كافية لاقناعي بأهميتها غير العادية، وهذا مادفعني أن أكتب إليه في ختام سالتي المؤرخـة بـ ١٤ آذار ١٩٧٥ مايأتي: «لاأملك إلا أن أخـبرك أن نصـوصك ستحدث ثورة في حقل فقه اللغة الأكادية واللغات السامية» كتبت هذا قبل أن أعرف أي شيء عن لغة إبلا، ولسوء الحظ فقد حال انشغالي المسبق بدراسة تاريخ الشرق الأوسط القـديم الاقتصادي والاجتماعي، من أن أفي بوعدي للتعاون مع الأستاذ ليمي في نشر هذه النصوص.

مطبوعة ليمي Limet التي نشرها بعنوان «نصوص إدارية من عصر شكاناكو Šakkanakku في ARMXLXTCM III باريس ١٩٧٦، تشمل نصوص مابعد أور الثالثة الجديدة إلى جانب تلك النصوص التي سبق أن نشرها Jestin وآخرون، ولم يضمن عمله هذا - لأسباب غير معروفة - النص T.142 الذي تشير كل الدلائل على أنه من المجموعة نفسها، هذا النص - وهو موضوع المشكلة - يذكر على الأقل أربعة وثلاثين ربّاً ذكرها Edzard في بحثه المعنون «مجمع الأرباب والعبادة في ماري» الذي قدمه إلى المؤتمر الدولي الخامس عشر للدراسات الآشورية الذي عقد في لييج وطبع في مطبوعة المؤتمر في الصفحات مابين ٥١ و ٧١ وخاصة في الصفحات ٥١ و٥٨ و٧٠، وزيادة على ذلك النصان رقم ١ ورقم ٣ الذي نشره M.Lambert في مجلة سورية Syria XIVII(1969)PP.245 -60 لم ينشره ليمي Limet إن نوع خط كتابة النصوص التي تعود إلى مابعد مرحلة أور الثالثة التي أعادها ليمي وكوبر Kupper إلى مرحلة Šakkanakš ناقشها Lemet في ARMXIXpp.4-7 أي محفوظات ماري الملكية العدد ١٩ ص ٤ - ٧ ونـوقشت كذلـك قواعدها في مقال منفصل بعنوان «ملاحظات حول قواعد الرقم القديمة في ماري» في مجلة سورية في العدد الثاني والخمسين ١٩٧٥ ص ٣٧ - ٥٢ Syria (1975)LII pp.37-52

إن نصاً من نوع نصوص Jenstin-Limet كان قد اكتشف في العام الماضي في أثنـاء التنقيبـات الأثرية التي يقوم بها جورجيو بوتشيلاتي G. Buccemllati في موقع العشارة (ترقة القديمة).

حالما علمت من مصدر ثانوي باكتشاف لغة سامية جديدة في إبلا ، قدرت أن بعض المميزات اللغوية الفريدة لنصوص ماري حرف الجر إثن iš التي تعني «إلي» أو «لأجل» ربما توجد في محفوظات إبلا ، وقد تأكد ماتوقعته عندما تسلمت جوابا مؤرخاً بـ ٢٠/٤/١٩٧٦ ، لاستفساري حول الموضوع من الاستاذ «بيتنانو» فحرف الجر الملمح إاليه سابقاً موجودة أيضا في إبلا ، وهكذا فقد افترضت أولماافترضت أن لغة إيبلا ولغة مرحلة مابعد أور الثالثة في ماري قريبتا الصلة .

يمكن أن نحصل على معلومات هامة حول لغة نصوص مرحلة مابعد أور الثالثة من الدراسة التفصلية لقواعدها ومعجمها Lexicon أماما يتعلق بإثبات اقتراحي بأن لغة نصوص مرحلة ماري هذه التي ربما تعود الى اللغة الإبلائية فليس سهلاً ، حيث إن النصـوص مليئة بمقاطع هجائية غير مترابطة تعطي معاني كلمات يمكن قراءاتها في أي لغة أخرى، وللمقارنة يمكن أن تذكر الصعوبات في تمييز النصوص السومرية ـ الاكادية الباكرة والوثائق والآرامية ـ الايرانية عن وثائق Nisa من القرن الاول قبل الميلاد .

هناك مصادر إضافية تشمل أسماء شخصية كتبت من المطبوعة على أنها الجديدة لكنه من المحتمل جداً أن تكون الأسماء التي وصفتها في الماضى أمورية هي الآن على صلة بالإبلية ، وخلافاً للنصوص الادارية فإن النقوش النذرية لحكام مرحلة مابعد أور الثالثة في ماري كتبت بالأكادية القديمة مع إضافات محلية عرضية (انظر ما سيأتي في الفقرة ٧ ـ ٩ ـ ١٠ فيما يتعلق بـ أ ـ a) و (الفقرة ٧ ـ ١٠ ـ ٢ فيما يتعلق بـ انا i-na) كذلك انظر الاعراب غير الاكادي في اسم العلم : (و ـ شو ـ ر ـ يد ـ دن - PN.u.šu ri - id DN بصيغـة استفعـل واسم الرب (حيث تحول المبدأ اسم الشخص PN إلى مفعول به PN اسم الرب وقد نشر هذا في RA XXXIII p. 178) .

إن النتـائـج التي توصل إليها من دراسة النصوص الادارية في ماري التي تعود إلى المرحلة التي تلت أور الثالث قادتني ، حتى قبل قدوم الزميلين الايطاليين إلى شيكاغو، إلى أن أدرس النصوص النذرية والإدارية من ماري التي كانت تؤرخ عادة بأنها تعود إلى المرحلة ماقبل السرجونية .

هذا ماوجدته من دراسة للنصوص النذرية التي نشرت غالبا في Parrot MAMII 1 وهناك مصادر مبعثرة أخرى ظهرت في CTV2 و 43 RA XXXIpp.140 و Syria XLIIPI.XIII nas I and 4 وفي MAM IP.122 PI.L نشرة سولبيرجي Sollberge في المؤتمر الدولي الخامس عشر للدراسات الآشورية ص١٠٤ ، هذا التوافق بين نصوص ماري النـذرية ونصـوص إيبـلا قد تأكـد بوجود اسم ملك ماري ابلول - ايل Iblul-II في المجموعتين (انظر القسم الأول).

آ - المقطع سود =سو SUD = SU استعمل باستمرار وانتظام ضميراً متصلاً للشخص الثالث المذكر وهذا يتوافق وإبلا ، كما أنه يتوافق والنصوص ماقبل السرجونية في بابل.

ب - المقاطع الهجائية التي تدل على كلمات استعملت للأفعال كما هي الحال في سك - ريك ASG.RIG تعني يقدم نذراً وإي - كوب P GUB تعني نصب وهذا أيضاً صحيح بالنسبة إلى إبلا وتقليد كيش.

جـ - مقـاطع هجائية لكلمة واحدة محددة، استعملت في المرحلة ماقبل السرجونية مثل: دول DUL وتعني تمثال وأب + اش AB + AS وتعني «الأكبر» أو «شاهد» (رقم ١) وإجي - مي IGI -ME وتعني «قبل» (الارقام ١٢ و٢٢ و٢٣). وهذا أيضا موجود في لغة إيبلا وتقليد كيش.

د - حرف الجر إ - نا i-na الذي يعني «إلى» أو «لأجل» وجد في التعبير انا - بي - لي - سو i-na-be -il-sù ويعني «لأجل ربه» في نص نذري (رقم ١٠)، وقد وجد في شكل أ - نا a -na في تعيين نذرين آخرين (رقم ٧ RA XXXI) حرف الجر إ - نا i-na نفسه يوجد في (اسم رب) ا - نا - مخ - رى - دن - i- na -mah -ri وتعني أمام دن (اسم رب) DN في نسخة متأخرة لنص نذري من ماري من المرحلة التي تلت أور الثالثة So في llberger in XVe Rencontre Assyriologigue International Leige 1967 p. 106 شبه الجملة المجرورة هذه إنامخ -رى دن i-na mah- ri DN بدل الأكادية أنا - مخ رى دن (اسم رب) ليس انـا - مخ رى دن (اسم رب) ana- mahir DN لأن الأشكال الموازية لها مخريش دن mahriš وتعني أمام دن (اسم رب) حيث إش = أنا = ana (MAD IIIP. 174)iš .

حرف الجر إ - نا i- na «إلى» أو «لأجل» يوجد في إبلا (انظر الفقرة ١٠٠٧-٢).

هـ ـ حرف الجر إن in ويعني «في» يوجد في ان + اسم جغرافي in GN (رقم ٩) كما في نصوص إيبلا وفي نصوص المرحلتين ماقبل السرجونية في بابل وفي نصوص مرحلة مابعد أور الثالثة من ماري (انظر المناقشة الكاملة في الفقرة ١٠٠٧ = ١ .

و ـ الاسم ميم ـ ما ـ حر ـ سو Mim-ma-hir-sú إن ـ إب ـ لول ـ ال Ib-lul-il ملك ماري (رقم ١٧) لابد أن يفسر في الأكادية على النحو الآتي مين ماخرشو Min -mahiršu بقلب م إلى ن ودعمها n إلى m ويعني «ماهو خصمه؟» هذه الترجمة لاتتوافق والتشابه في تركيب الأسماء التي هي بالعادة من؟ لاما؟ أو ماذا؟ للضمير الاستفهامي كما هي الحال في مان ماخيرشو Man-mśhirsü ماخيرشو ma -ma hir su «من يكون معارضه؟» في السرجونية MAD III p.173 وفي منا ـ بالتالي إلى Manna - bai-il مانانا ال تي دنجر (تعني عظيم) Ma-an -na-ba-alti-DINGIR من «بدون ايل» في الأمورية. لهذا السبب أفضل قراءة اسم ماري مثل مي ـ ما ـ خرشو Mi-ma -hir- Sù وأفسره مي ـ ماخرشو /Mi -mahissŭu/ وتعني إمن هو معارضه؟ وأربطها بـ مي mi التي تعني من؟ التي وجدت في ماري في المرحلة قبل السرجونية مع مي mi التي تعني أيضا من؟ في ميكائيل Mi-gail/Mi-ka-il من مثل ايل؟ حتى إبلا انظر الفقرة (٧٠٧) ومي mi التي تعني أيضا من؟ /MikD'el/ وهي «ميكائيل» في العبرية.

ز ـ من المحتمل جداً أن تكون بعض الأرباب التي ورد ذكرها في النصوص النذرية من ماري ما قبل السرجونية تعبد في إبلا ومن بين الأرباب: انين زازا INN ZA-ZA واينين أوش d INNIN-uš وانين جش تيرINNTN cls TIR وس درب dEš-dar-ra-at وديد diD التي وردت مستقلة وايل شاماغان dša-ma-ga-an وأوتو ـ شا dUTU-ša التي وجدت في أسماء علم مركبة.

من التقارير السابقة (BAr XXXIX p. 47) ومن المناقشات التي جرت في شيكاغو عرفنا حملة عسكرية قامت بها إبلا ضد ماري ولكن لاشيء حول الوضع اللغوي في ماري.

إن السمات الست التي تربط لغة ماري ماقبل السرجونية مع لغة إبلا جاءت مفـاجئة لنا ولكنها أدخلت السرور إلى نفسي حيث أكدت توقعاتي حول الصلات اللغوية بين مرحلة مابعد أور الثالثة في ماري وإيبلا التي سبق أن نوقشت في مطلع هذا القسم من هذا البحث.

من بين النصوص الإدارية الثمانية التي تعود إلى المرحلة ماقبل السرجونية والتي عثر عليها في ماري ثلاثة فقط نشرت: فقد نشر دوسان في مجلة سورية العدد ٤١ (١٩٦٤) صفحة ٨ رقيما (صورة الوجه فقط) يتعلق بتوزيع خبز البصل على الأرباب المختلفة. . . إلخ.

اقتبست أسماء الأرباب ونوقشت في دراسة قام بها Edzard تحت عنوان «مجمع الأرباب في ماري» وهي الدراسة التي سبق أن أشرنا إلى أنها قدمت إلى المؤتمر الدولي الخامس عشر للدراسات الاسيريولوجية (الآشورية) الذي عقد في لييج ١٩٦٧، ص ص٥١ ـ ٧١ ولاسيما الصفحة ٦٩. وبحسب Edzard في صفحة ٥٤ فيشمل النص السمات الآتية: المقطع السومري كو kú من أجل الفعل «يأكل»، حرف الجر إن in والذي يعني «في».

أسماء الأشهر إتي شي ITI I ši واتي اكي زا ITI - Ilk - za وما×غانا ـ تينو×اجي غوتو× كاسكال MA × GANA - tenú + IGI - gunù × KASKAL وعلى الصورة التي نشرها دوسان Dassin رأيت بوضوح تام مو 7MU تتبع اسم الشهر الأخير الذي ذكر سابقاً قبل قليل.

م. لامبيرت M. Lambert في سورية العدد ٤٧ (١٩٧٠ ص٢٤٧، رقم ٢ بها اتي خالي ITI Ha - il

م. لامبيرت M.Lambert في سورية العدد ٤٧ (١٩٧٠) الصفحات ٢٥٨ ومابعدها رقم ٨ بها اسما شهر لم أستطع قراءتها وكل واحد متبوع بـ ٧ مو 7MU و٨ مو 8MU.

يذكر إد زارد Edzard في المصدر السابق ص٦٩ عدداً أكثر من الأرباب التي استنبطها من أربعة من الرقم الباقية دون نشر من نصوص المرحلة ماقبل السرجونية في ماري (ت: ٦٧ و٦٨ و٦٩ و٧٠).

يكتب أندريه بارو André Parrot في مجلة سورية العدد ٥٢ (١٩٧٥) ص١٦ حول «مجموعة من الرقم أو أجزاء الرقم من العصر ماقبل السرجوني» المكتشفة في موسم حديث في ماري ولكن صور الرقميين المنشورة في الصفحة ١٥ لاتعطي شيئا جديداً.

إلى جانب استعمال كو KU للفعل واستعمال حرف الجر إن in «في» الذي يتوافق والنقطة (ب) والنقطة(هـ) اللتين نوقشتا سابقا، فإن النصوص الادارية أمدتنا بمعلومات هامة حول نظام أسماء الأشهر وطريقة تعداد سنوات الحكم، وتوجد أيضاً اتي اشي ITI I - si في أبي صلابيخ (OIP XCI 508 IV) التي نوقشت في القسم ٢، وكذلك وجدت أيضاً في بابل إتي إك زا ITI - ik - za وإتي خالي ITI Ha - il في شكل إتي إك زوم ITI IK - zum .

وإتي خالي إي ITI Ha- il- i أو خالي إت Ha - il it (MAD IP. 234) ونظام تعداد السنوات الحكم المعمول به في أبي صلابيخ مثل ٧ أو ٨ 7mu or 8 mu «السنة السابعة» أو «السنة الثامنة» (مطبوعات المعهد الشرقي العدد ٥٠٦٩٩ نوقشت في الفقرة ٢ OIP XCIX 506 rev وقد أخبرنا الأستاذ باتيناتو أن أسماء الأشهر وطريقة التأريخ قلدت في إبلا .

كل هذه السمات شاهدة على الصلات الحضارية واللغوية بين ماري وأبي صلابيخ فوجود حرف الجر إش iš «إلى» وإنا i-na «لأجل» في ماري وإيبلا فقط من دون مكان آخر يعزز الافتراض.القائل إنهما يمثلان لغة واحدة ذات ملامح لغوية واحدة ذلك أن اللغة المسماة «إيبلائية» لم يكن يتكلم بها فقط في إيبلا ولكن أيضا حول ماري على طول الفرات، وأنها استعملت في المرحلة التي امتدت من المرحلة ماقبل السرجونية حتى المرحلة مابعد أور الثالثة .

إن اقتراحي برد لغة المرحلة ماقبل السرجونية والمرحلة التي تلت في أور الثالثة في ماري أنها إبلائية اعتماداً على أساس حروف الجر وهذا يدعم أهمية أحرف الجر في التصنيفات اللغوية فأحرف الجر في حدود معرفتي لاتستعار من لغة إلى أخرى .

٤ ـ التقليد الكيشي :

عند الحديث عن نوع الخط الأكادي القديم، أبرزت ملامح معينة لم تكن تتساوى والنظام المألوف (MAD II2 PP. 20FF.) هذه الملامح ظهرت أولا : في استعمال مجموعتين مختلفتين تماماً من المقاطع الهجائية السومرية في الترجمات الأكادية والسومرية للنصوص ثنائية اللغة التي تعود إلى الملكين الأولين سارجون وريموش من المرحلة السرجونية .

الترجمات الأكادية	الترجمات السومرية

من نصوص سرجون AFO xx pp.34-38 يمكن أن تذكر

الترجمات الاكادية		الترجمات السومرية	
ساج ـ جش ـ را SAG.Giš RA ينخار jinhar		ضرب إي ـ خول	e-hul
أي ـ جول ـ جول Gul-Gul- أيو آبيت ju'abbit		خرب إي غازغ	e-ga-sig
شو ـ دو ـ šu-Du,Al إكمي Ikmi		اسر إغاداب	e-ga-dab
أب ـ مي كي	ub-meki	مدينة أو ماكيش أخ كي	GIŠ-UHKi
في نص يعود الى ريموش AFOXXPP.68F نجد			
دول DUL صلموم Salmum		تمثال الأن	alan
كوج . أن KUGAn آمو توم amutum		معدن ثمين آن نا	an-na
إجي ـ مي ICI-ME مخري mahri		قبل (حرف جر) إجي	igi
دا إش DA-iš		(المعني غير معروف) ني أول	ni-ul
مو MU شوموم Šumum		«اسم» مي تي	ME-TE
إن استعمال مجموعتين من المقاطع الهجائية		logo grams	امكن لتعرف عليها
خارج النقوش ثنائية		اللغة الى سرجون وريموش مثل :	
اج . رج SAG.RIG7 إش رك Išruk		قدم نذراً أمورو	a-mu-ru
أب +أش+ Ab + Aš شيوم šībum		شاهدلو ـ كي إنم ما	Lù-ki-inim-ma
أب +أش (أورو) Ab + Aš شيبوم šibum		الاكبر أب ـ با (الشايب)	ab-ba-(uru)
نغ . كي . جار NIG.ki.GAR اشكينو iškinu		دفع اضافي نغ ديريج	nig-dirig

في الامثلة المذكورة سابقاً نلاحظ أولا قبل كل شيء استعمال المقاطع الهجائية للأفعال خلافاً للمألوف (MAD II2 P.20) والافعال تأتي غالباً من دون زيادة سومرية على صيغة الفعل مثل كما في ساغ جيش را SAG.Giš-RA « هو ضرب »، شو دوا šu-U-A «أخذ»، ونينداكوا NINDAKU «تأكلون خبزاً» وجن GIN أو مع زيادات

سومرية على صيغة الفعل في إي جول جول I-GUL -GUL «خرب» إي لوخ «غسل» كلها وجدت في نقوش سرجون.

إن أفضل استعمالات المقاطع الهجائية لكلمة واحدة في الترجمات الاكادية تمثل في المقطع الهجائي سن ريع SAG RIG ويعني «قدم نذرة» التي تتألف من إشارتين لكلمتين سومريتين اختيرنا لتمثل شاريك سالاك Sa 11-rik7 و Šarik وتعني «نذر مقدم» أو يشرك išruk «قدم نذراً». في بحثي دراسة الكتابة ص ٨٧، بينت أمثلة مشابهة من الكتابات الصينية.

في استخدام مقطعين هجائيين تتقيد الترجمة السومرية في الاستعمالات المألوفة بينما المراسلات الاكادية كانت كما يبدو من نتاج كتاب يمثلون عادات مختلفة وهذا قلته حول هذه المسألة في ص ٢٦٦ من دراساتي «السومريون» والاكاديون في علاقاتهم اللغوية ـ العرقية» في المؤتمر التاسع للدراسات الاشورية الذي عقد في جنيف عام ١٩٦٠، الذي طبع في الصفحات (٢٥٨ ـ ٢٧١) من المطبوعة الخاصة بالمؤتمر.

إنّ النقطة الأكثر أهمية التي يجب أن نضعها تحت عنوان « الاعتبارات الثقافية» هي انتشار الكتابة في الشمال من بلاد مابين النهرين وتطورها الى أنواع عدة مظهرة علامات معينة تختلف عن تلك التي استعملت في الجنوب، وعلى الرغم من أن الشواهد التي بين أيدينا تخدم قضية وجود نوعين مختلفين من الكتابة اعتمدت على مصادر جاءت من مراحل متأخرة قليلا إلا أن الدلائل تشير الى صالح الفرضية القائلة: إن الاختلافات بدأت تأخذ شكلا واضحا في المرحلة التي نحن بصددها وهي مرحلة فجر السلالات الباكرة.

في أحاديثي ومحاضراتي أمام الطلاب وصفت دوماً هذا الاختلاف في الشمال بالنسبة الى «التقليد الكيشي» وفي الجنوب بالنسبة الى تقليد «نفر» Nippur فمنذ المرحلة السرجونية الكلاسيكية تلاشي التقليد السامي الشمالي وحل محله التقليد الجنوبي السومري الموحد.

إن أهمية مدينة كيش حكومة وأهمية اللقب لوجال كيش lugal - kiš أي ملك

كيش في المبالادت الثقافية في طور فجر السلالات قد وضحه Edzard في المؤتمر الدولي التاسع للدراسات الآشورية - جنيف ١٩٦٠ ص٢٤٨، ودراستي ي المصدر نفسه ص٢٦٦ ومايليها.

الاصطلاحات الكتابية فيما يسمى بـ «التقليد الكيشي» موجودة في نوع خط إبلا وفي مرحلة ماري ماقبل العهد السرجوني.

ومـع نمـو الأفكار المبالغ فيها كثيرا المتعلقة بأفضلية السومريين بين الثقافية وتأثيراتهم العلمية، ظل العلماء سنوات يعتقدون أن الغزو الاستيطاني السومري قد امتد ليشمل مناطق واسعة في أعالي بلاد مابين النهرين والبلدان المجاورة خلافاً لهذه الأفكار فإن الواقع هو أن السومريين كانوا في وطنهم سومر فقط المقاطعة التي لايتعدى اتسـاعهـا رقعـة منـطقـة من منـاطق الغـرب الأوسط بالولايات المتحدة الأمريكية أماالأخرى من بلاد مابين النهرين بما فيها أكاد ومقاطعة ديالي وآشور والمنطقة الواقعة حول ماري فكانت مناطق مأهولة وخاضعة للأكاديين وشعوب قريبة الصلة بهم، ولايتسع المكان هنا أن نعيد ماتحدثنا عنه في (MAD 112 pp.1-3) ويكفي أن تذكر أنه في طور فجر السلالات كانت لغة الكودورو القديمة في أكاد والنقوش النذرية في أكاد وديالي وماري غير سومرية كماهي الحال في المرحلة السرجونية فلغة الكدور القديمة، ولغة النقوش الملكية والنصوص الإدارية والرسائل في أكاد كانت أكادية في كل مكان خارج سومر، كما طغت أسماء الأعلام وأسماء الشهور السلمية على تلك المنطقة، حتى إن السومريين كانوا يستعيرون الكلمات بما فيها أسماء الأرباب والطقوس الدينية من الأكاديين أو الساميين منذ مرحلةِ السلالات الباكرة.

كل هذا، يشير الى وجود حضارة منفصلة في الشمال لها مدنها ودولها وتقاليدها الادبية وديانتها التي استعارتها استعارة بدرجة أو أخرى من السومريين.

إن معلوماتنا عن بلاد بابل في الألف الثالثة قبل الميلاد مستمدة من التنقيبات الأثرية التي قامت في المدن السومرية الجنوبية مثل نفر ولاغاش وأور، وأوروك، على حين أن مدن الشمال عملياً لم تمس ولهذا السبب نجد أن رغبة العودة إلى التنقيب الأثري في كيش تظل رغبة من رغباتنا في علم الآثار القديمة وهي أكثر إلحاحاً الآن من أي وقت مضى بعد الاكتشافات الهامة في ايبلا.

٥ ـ آفاق إبلا وكيش :

من العناصر الهامة غير المتوقعة التي أظهرتها محفوظات إبلا انتشار حضارة إبلا فإيبلا لم تكن مملكة صغيرة مغمورة بين مجموعة من المالك المتشابهة وغير المستقرة سياسيا التي كانت تتعرض لحزوب طاحنة وغزوات خارجية، بل كانت مملكة قوية مستقلة يتعامل وإياها على قدم المساواة والدول القوية في ذلك الوقت وقد امتدت علاقاتها السياسية والحضارية في كل الاتجاهات شرقا إلى آشور وبلاد بابل وشمالا إلى بلاد الحثيين وجنوبا إلى فلسطين وربما إلى مصر.

وهنا سيقتصر حديثي على العلاقات الثقافية بين إبلا وبابل وعلى الطرق والأساليب التي اتخذتها تلك العلاقات فسينصب مركز اهتمامي هنا على علاقة إبلا بما يسمى «نفليد كيش».

في الأقسام الأربعة السابقة وصف العناصر المختلفة التي تربط إبلا ثقافياً بأبي صلابيخ وماري وكيش وهذه العناصر كانت: تقليداً أدبياً متشابهاً في إبلا وأبي صلابيخ فنظام التأريخ في إبلا وأبي صلابيخ وماري واحد والتقاليد الكتابية في إبلا وأبي صلابيخ وكيش واحدة.

يمكننا أن نتحدث، من الناحية النظرية، عن الإشعاع الثقافي من إبلا إلى ماري مادامتا قريبتين إلى بعضيهما بعضا جغرافياً، كذلك قد يكون ممكنا أن نفترض وجود مستعمرة لإبلا في أبي صلابيخ مادام عدد كبير من الأسماء السامية وجد فيها، ولكن لايبدو أن واحداً من الامرين السابقين معقول، فلايوجد سبب وجيه لأن نعتقد أن الإشعاعات الثقافية انتقلت من إبلا إلى ماري وليس من ماري إلى إبلا يبدو كذلك أن هناك أسبابا تدعونا للاعتقاد بأن أبا صلابيخ ليس مركزا ساميا أماميا للملك من ملوك كيش قبل أن تكون للملك في إبلا، ولايوجد سبب يجعلنا نعتقد أن التأثيرات الثقافية جاءت إلى كيش من إبلا.

في كل هذه الاسباب كان آخر ملوك كيش والتقليد الكيشي عظمياً. إن لقب ملك كيش غير مساو ألقاب ملك أكاد، أورك، ولاغاش أو لقب ملك دولة أخرى في

بابـل. إن اللقب الوحيد بين الألقاب العظمية كان لقب ملك العالم ونحن نعرف القليل جدا عن التوسعات السياسية لملوك كيش نحو الشرق ونحو باقي بلاد بابل ولكن لانعرف شيئاً عن انتصاراتهم السياسية في الغرب نحو البحر الابيض المتوسط، فكـل من لوجال زاجيري وسرجون ادعى أنه احتل كل البلاد حتى البحر الاعلى (البحر المتوسط) ولايوجد سبب لايفعل ملوك كيش الشيء نفسه.

إن تطور وتفرع الخط في تقليد كيش قام على أساس سومري ولابد أن جذوره كانت في بلاد بابل أن ملوك كيش قد أسسو إمبراطوريتهم قبل أيام عظمة إبلا بوقت طويل ورافق الازدهار الثقافي القوة الحربية والسياسية ولذا يبدو لي أنه من الأسهل كثيراً أن نتصور اتجاه الاشعاع الثقافي من كيش باتجاه الغرب على طول الفرات إلى ماري ومن ثم إلى إبلا لاالعكس.

٦ ـ نظرات لغـوية عامـة:

يذكر باتيناتو في مقالته التي نشرها في مجلة الشرق (Orient. XLIV p. 373) «أن لغة إبلا يمكن تمييزها تماما عن اللغة الأكادية القديمة (اللغة التي سميتها السرجونية) والأمورية وهي قريبة الصلة جدا من لغة كنعان في الألف الأول قبل الميلاد وفوق كل ذلك فهي قريبة الصلة أيضا من اللغة الفينيقية واللغة العبرية ونظراً إلى قدم عهد لغة إيبلا فقد اقترح أن يعرفها بوصفها لغة كنعانية قديمة».

ويكتب ماتييه عن إبلا من وجهة نظر أثرية كونها واقعة ضمن المنطقة الكنعانية وحول محفوظات إبلا التي سمحت لنا بالتحقق من التركيب العرفي لإبلا في المرحلة الأكادية القديمة (Orient. XLIV pp. 357FF.).

ويكتب أيضا باتيناتو في مقاله المنشور في مجلة الاثري التوراتي (BARXXXIX p.50b) «المحفوظات المكونة من ٤١ رقيما اكتشفت في عام ١٩٧٤ سمحت لنا في عام ١٩٧٥، بتحـديد هوية نصوص إبلا ولاسيما الجغرافية منها فقد دلت على لغة سامية غريبة جديدة تختلف عن تلك التي تعتبر من أقرب اللغات المعاصرة إليها وهي اللغة الأكادية القـديمـة والأمـورية هذه اللغة سبق أن تبين أن لهاميزات مشتركة مع الأوغاريتية

القديمة وأكثر قرابة إلى اللغة بين الكنعانية والعبرية، وهذا مادعاني إلى تصنيفها باسم اللغـة الكنعـانية القـديمة»، إن الإقرار بالمصطلح «كنعان» بالنسبة إلى النصوص الإيبلائية ينفي الاتهام بأن استنباط التاريخ من التعاصر يكون خاطئا، وفوق ذلك فقد أكدت محفوظات عام ١٩٧٥ ، العلاقة بين لغات كنعان في الألفين الثاني والأول قبل الميلاد «تلك التسمية العرفية، الكنعانية القديمة» للغة الايبلائية التي ظهرت جلياً.

ومرة ثانية يذكر باتيناتو في صفحة ٥٢ : «وختاماً يجب أن نؤكد شيئين: (١) على الرغم من وجود الاختلافات فإن معجم اللغات السامية الغربية يبقى قريباً جداً من اللغات السامية الشرقية.

(٢) برغم هذه الحقيقة فإن لغة إبلا الكنعانية القديمة تظل مختلفة عن اللغة الاكادية القـديمة والامورية، وهذا يسود الحديث عن لغة جديدة تختلف عن اللغات التي عرفت فيما مضى، فالصيغ الضمائرية والفعلية، خاصة، تحدذ تحديداً واضحاً أن المرأ عليه أن يتحدث عن الكنعانية القديمة الصلة إلى العبرية والفينيقية».

- إن الملحوظات الأتية أعدت للارسترشاد بها عند دراسة اللغة الإبلائية، وقد أعطيت مع ماعلق في الذاكرة من تجربتي السابقة في تصنيف اللغة الأوغاريتية. منذ أعوام كتب جوتز «Geotze» مقالا بعنوان « هل اللغة الأوغاريتية كنعانية ؟» في Language XVII(1941)p.p 127-38 وقد رفض فيه التصنيف التقليدي مادامت الاوغاريتية عضواً في المجموعة الكنعانية التي هي فرع من اللغات السامية فالنقاط العشرون التي ذكرها ليؤيد بها وجهة نظرة في بحثه ربما لم تكن كلها صحيحة ولكن استنتاجاته لم تكن خاطئـة، وكـل العلماء الذين رفضوا رأيه لم يستطيعوا الاجابة عن السؤال المطروح بإعطاء بديل يؤيد علاقة الاوغاريتية بالكنعانية وبدلا من ذلك ظلوا يرددون مناقشات غير لغوية كالميثولوجية والتقاليد والاساليب الادبية.

إن موضـوعـات العـلاقـات اللغـوية تبنى على اللغـة لا على غيرهـا، وكل الموضوعات الاخرى تكون طارئة غريبة على الدراسات اللغوية مثل: عبادة (دجن كنعان في إبلا) ووجود أسماء من العهد القديم في أرشيف إبلا والعلاقات الاثرية بين

إيلا وفلسطين الكنعانية وبعد كل ذلك فإن انتشار عبادة ميترا، أو جوبتر Dolychenue بين الفرق الرومانية في المانيا لم تضف شيئاً الى معلوماتنا حول الديانة الجرمانية، كما أن وجود مثل هذه الاسماء يعقوبو Ja'qubu ، شموئيل Šumu'il أو يشمع نيل Jasšm' il - في الامورية ليس ذا أية علاقة بأشخاص يعقوب Jacob صموئيل Samuel أو اسماعيل Ishmael المذكورين في التوراة. ولكن حتى لوحصرنا مناقشات في نطاق الافتراضات اللغوية فإننا يجب أن نعترف أن هناك درجات أسبقيات على غيرها: فالقواعد لها الافضلية على المعجم وضمن القواعد يعلُو التراكيب على اللفظ وأيضاً على الإعراب إن هذه النتائج ليست مرتجلة بنت لحظتها ولكنها تعكس تفكيري في مثل هذه الموضوعات على مدى سني حياتي العملية.

في أثناء دراسة اللغة الإبلائية يجب أن نكون واعين لان نميز صفات اللغة الإبلائية الخاصة من تلك المؤثرات التي دخلت اليها من اللغات الاخرى والمثال على هذه الحالة اللغة الثقافية المتمثلة بالاكادية والمقصود هنا اللهجة التي كانت سائدة في ماري في المرحلة ماقبل السرجونية التي استعملت في حرفي الجر الخاصين بها ا ـ نا - i na «إلى» أو «لأجل» والحرف الاكادي ا ـ نا A - na انظر القسم ا الرقم ٣.

في دراسة اللغة الابلية أن تعطي الاسبقية للقواعد مثل الكلمات المستنبطة من النصوص على تلك المستنبطة من الاسماء. وفي دراسة الاسماء يجب أن نفصل الاسماء الاجنبية عن الاسماء المحلية. وفي دراسة الاسماء المحلية يجب أن تصنف ميزات خاصة الى امكانية أن تؤدي قواعد الاسماء الى نتائج تختلف عن تلك التي حصلنا عليها من قواعد النصوص، أقول إنه على حين انني على استعداد لان أعترف أن بعض نتائجي المتعلقة بإعادة التركيب اللغوي المركب من شفين هي بالضرورة غير سوية. أما مايتعلق باللغة الأكادية القديمة فقد حاولت حين كان ذلك ممكناً أن أفصل النوعين من المصادر والأسماء، وفي حالة اللغة الأمورية لم يكن يوجد شيء غير قواعد الأسماء لأن اللغة الأمورية معروفة غالباً بنوع خاص من الأسماء أما في حالة لغة إيبلا فيوجد عدد كبير من النصوص التي سوف تساعدنا على بناء قواعد اللغة الابلية من دون الاعتماد على قواعد باتيناتو على علم بمثل هذه السقطات حيث أشار بحذر عند تقويمه شواهد منتقاة من الاسماء في تحقيقه الأسماء الشخصية.

٧ ـ اللغـة الابليـة :

عالج الاستاذ باتيناتو السمات اللغوية للغة الابلية (لغة إبلا) في مقاله المنشور في مجلة الشرق في العدد التاسع والأربعين ص ص ٣٦٧ و٣٧٣ (Orient, XLIpp. 36/3 /3) وفي مجلة الأثري التوراتي العدد ٣٩ ص ٥٠ (BARXXXIX p. 50 في الصفحات الآتية سوف أجمع السمات اللغوية التي أعدها جديرة بالمناقشة وسوف أحذف عدداً من النقاط التي لم تكن واضحة لي على أساس الشواهد التي قدمت.

١٠٧ الأحرف الصوتية

٧ ـ ١ ـ ١ الحرف الأول W الواو

ظهر الواو حرف وصل وربما في الاسم الشخص واتينو WA - ti - nu وقد فَسَّره باتيناتو أنه جاء من الكلمة واتين Wlytn ومعناها «يعطي» (الشرق العدد XLIX ص ٣٧٢ رقم ٩٦) ويمكن أن يكون W الابلية قد حفظ في وا Wa (كما في العبرية) ولكن تحول إلى ي (J) في كل الحالات الأخرى كما في الأمورية والعبرية.

٧ ـ ١ ـ ٢ : الحروف الشمسية

من الأمثلة القليلة التي سمعتها في شيكاغو، الحروف الابلية الشمسية التي يعد نظامها مختلفا عن نظام أي لغة سامية أخرى، وأفضل إرجاء مناقشة هذه المعضلة إلى المستقبل، حتى لاأتحيز ففي الوقت الراهن أسجل بغير دراية مثل س S هي الحرف الشمسي شا S بالعامية|Ś (= ت) من اللغة الأكادية القديمة والأمورية.

٧ ـ ١ ـ ٣ : ع، C وح h يؤثران في ع أ في بعض الحالات ولاتتحول في الحالات الأخرى تابعة بذلك تقاليد السرجونية (.MAD II 2 pp. 121F) مثل عبدوم ‘ebdum من عبدوم (‘abdum) في عَبْدو مالك Ebd - Malik/ib - du - ma - lik عبد ومالك وتعني «عبد الملك» (Orient, XLIV P.370 .

عَبْدو رساف Ib - du d Rasap عبد رشاف /‘Ebd - Rašap/ وتعني عبد رشف Orient XLIV p.370 و Rso Lp. 7rev. 8 عبَدوني Ib - du - ni عَبْدوني ‘Ebduni وتعني «عبدي» (RSO L. p. 6 F. rev. ii land vi 7) .

رِعْيوم ré‘ijum من راعيوم (rá‘ijum) في راعينا ام Ri - i - na - d IM رَعينا حدد /Ré‘ina - Hadda/ «حداد راعينا» (BAR XXXIX p. - 50 b .

خنوم إذا كانت من خنوم كما في عنائيلي hennum في En - na - i - li انا ايل En -ne-Il وأمثلة أخرى في (Orient XLIV p. 370) و (BARXXXIX pp. 48 b and 50b) التي يمكن أن تترجم حنانك يا ايل بحسب ماورد في (MAD III pp. 51FF.) يشمع jišma' في يشمع إيل Iš - ma - il يشمع إيل /jišma' 'il/ وتعني «إيل سمعني» (BAr. XXXIX p. 50b) ، يشتا مالك Ištama يشتمع ماليك /jištam' - Malik/ مالك يستمع ، بحسب ماتيناتو.

هذا المصطلح الوحيد وضع اللغة الابلية، بحق، مع اللغة الأكادية من المرحلة السرجونية يشمع jišma وبعلوم رعيوم be'lum, ré'ijun وليس مع الأمورية أو أية لغة سامية غربية (بعلوم، ريعوم، ويشمع)

٧ ـ ١ ـ ٤ : حرف العلة

حرف العلة «يا» ja يتحول إلى «ي» ji في الكلمات الآتية يشار jašar تتحول إلى يشار jišar يَدْ Jad تتحول إلى يدْ jid من يَدْ في «ماخازي يد» تعني «يد ممدودة» وربما أيضاً في بدا نوم ويداني تبقى على حالها كما يبدو في الاسم: يدامو الذي ترجم يد دامو I - ad - Da mu .

إن استعمال «يا» Ja يختلف كثيراً في اللغات السامية فهو يتحول في الاكادية الى «ي» Ji كما في يشاروم jisarum ، فيما بعد يشاروم تعني (تماماً «ويدوم فيما بعد إدوم «يد» وفي العبرية تبقى على حالها كما هي الحال في j'asar يَشار، يد

٧ ـ ١ ـ ٥ : الالف الممدودة آ à

الالف الممدودة تبقى على حالها ولاتتغير الى واو ممدود (O) انظر لكار «بكر» ماخاصو تعني «يمد» أكالون «أكال»، أدنوم = أدانوم = «سيد»، وهذه الحالة نجدها في كل اللغات السامية ماعدا الكنعانية حيث الالف (à) واو ممدود.

٧ ـ ٢ الاسم

٧ ـ ٢ ـ ١ ـ صيغة الاسم :

الصيغة البسيطة في بي جنانَوم، داجان كنعانيوم / «دجن كنعاني»

dBl, Ga - na - na - um/Dagan kana 'najjum

بحسب رأي باتيناتو. وعلى الرغم من كتابته على هذا النحو لابد من أن تفسر

هذه الصيغة البسيطة كنعانيوم kana'na - ijj - um مع ي ijj وليس كَنْعوم kana'n - ajj - um ، مع ي kans'na - ajj -um مع ي ajj ، لأن يٍّ ijj شائع في الألف الثالثة قبل الميلاد والياء ajj لم تظهر حتى وقت متأخر في الألف الثاني قبل الميلاد إن اسم البلاد هو kana'na كنعن انظر القسم ذا الرقم (٧ ـ ٢ ـ ٣).

٧ ـ ٢ ـ ٢ الجنس:

إشارة التأنيث هي: آتوم at um - أو توم t - um. كما في

ـ عير يشاتوم إريساتوم í - ri - sa - tum وتعني «رغبة»

BARXXXIXp. 50b

ـ تيهاماتوم tithámatum/ تي اماتوم ti' à - ma tum وتعني «تهامة»

(المصدر نفسه)

ـ كالو ماتو kalùmatum/ الإشارة ده DU : جالو ماتوم ga - lu - ma - tum وتعني «جدي»

(المصدر نفسه)

ـ نوبوشتوم nupuštum/ نبوشتوم nu - pù - uš - tum وتعني «حياة» أو «نفس»

(المصدر نفسه)

ـ مالِكتوم malik tum/ مالك تو malik - tum وتعني «ملكة»

(المصدر نفسه ص ٤٧ آ)

ـ إلى جانب مَلِكوم malikum/ ملكوم ma - il - ku - um وتعني «ملك»

(المصدر السابق ص ٥٠ ب)

٧ ـ ٢ ـ ٣ الإعراب:

استنبط باتيناتو شواهد إعرابية ابلية عدة في اللغة الابلية (Orient, XLIV p. 371) علامة الرفع (الضمة ـُ) توجد في كل الأسماء الأحد عشر الموجودة في النصوص المعجمية (BAR XXXIX P. 50b) ثلاثة منها توجد في اسم الرب نفسه، كما أشار باتيناتو وضمنها هذه الحالات:

الرب بي: جنايم/ داجن كنعنيم/ = دجن الكنعاني

d BE Ga - na - na - um/Dagan kana' najjum/canaanite Dagan

اسم البلاد: كنعنا كما في الرب بي، حنينا/ دجن كنعنا/ «دجن كنعان» غير مصرف

d BE Ga - na -na- ım/ Dagan kana' naim/ Dagan of cannaan

d BE Ga- na na/ Dagan kana' na كمافي

النهايات المفتوحة «ـَ» والمضمومة «ـُ» توجد غالبا مع كل أنواع الأسماء مشابهة قواعد الأسماء بالأكادية القديمة.

(انظر MAD II 2 pp.139 -45)

٧ - ٢ - ٤ التنوين بالميم : Mimation

كما يمكن أن يرى من الأسماء الأحد عشر التي استصلحت من النصوص المعجمية في فان استعمال التنوين بالميم Mimation غير ثابت، لدى انطباع بأن التنوين بالميم استعمل استعمالاً منتظماً خارج النصوص المعجمية وماشابهها من إنتاج مدرسة إبلا.

٧ - ٣ - : الضمائر الشخصية المنفصلة

٧ - ٣ - ١

أنا «ana» «أنا» ضمير المتكلم المقرر أنا ana كما هي الحال في أنا مالك Ana-Malik أنا مالك A-na ma - lik أنا ملك BARXXXIXP. 50b وقد تعلمنا من باتيناتو أن الشكل الآخر لهذا الضمير هو أن نا an- na الشكل أنا ana يظهر في الامورية مثل انا الرب ام/ أنا حدا : And- Hadde,A - na-dIM (أنا أكون حادا) أو أنا بعلو A -na- ba -I'u أنا بالو A-na -ba -lu «أنا أكون السيد» حالات أنا ana ذات الأصل الغامض توجد نادراً في الأكادية، أما اللغات السامية الشمالية فتوجد فيها أنا ana أو أني áni أو أنا ána وتظهر كذلك في كنعانية العمارنة.

٧ - ٣ - ٢

أنت، كوون، أنتن antanu-kuwati anta

بحسب المعلومات التي أعطاها باتيناتو فإن ضمائر الشخص الثاني المذكر في حالة الفرد هي:

ان ـ د an- da / أنت anta / أنت في حالة الرفع

جو وات gù- wa -ti : كو وات kuwati في حالة النصب

وفي حالة الجمع : ان ـ د ـ نو an -da-nu أَنْتُنَّ antanu وهي في العربية أنتم وأنتن؟

إن الأشكال كو واتِ kuwati وشووَتِ šuwati في القسم ذي الرقم (٧ ـ ٣ ـ ٣) توجد في الأكادية فقط.

٧ ـ ٣ ـ ٣

شو Šuwa شو ووَت šuwati الاسم شو ـ إ لم Šu-i -lum (RSOLP .4v8) يمكن أن يفسر إما مثل «هورب». كما في الامورية أو «هو من الرب».

بحسب ماأورده باتيناتو فإن الضمائر العائدة الى الشخص الثالث المفرد المذكر هي : شو šu-wa شو ـ و šu wa في حالة الرفع شوَتِ šuwati شو، وا، ت šu-wa-ti في حالة النصب.

وهذا يربط الابلية بالأكادية والامورية وليس بالاوغاريتية والعبرية

٧ ـ ٤ : الضمائر الشخصية المتصلة

٧ ـ ٤ ـ ١ مع الاسم

٧ ـ ٤ ـ ١ ياء المتكلم للشخص الاول المفرد

ياء المتكلم للشخص الاول المفرد مع الاسم تظهر في : طو ـ بي ـ د ـ لو/ طوبي دلو/ تعني ربتي دلو

(يحتمل أن يكون المعنى طيبتي دلو؟)

Tu-bi -Da -lu /Tubi-dalu وتعني دالو ربتي Orient XLIV p.370/ طوبي زكير / طوبي زير كير تعني زلير ربتي /وكذلك في أسماء أخرى Tù-bi-zi-kIR/Tùbi وتعني زي كير تكون ربتي (ROS-Lp.5vib هذه اللاحقة (الضمير المتصل Suffix) مألوفة في اللغات السامية.

ضمير المتكلم الجمع هو: أن na- أو نِ ni- كما في:

ر ـ إ ـ ن ـ الرب إم /رعين/ هذا /Ré'na-Hadda/ تعني هذا راعينا Ri-I-na-dIM أب ـ

دُ ـ ن / عبْدُن / عبدنا RSO Lp.6 rev ii land P.7) Ib-du-in/'Ebduni-rev.vi7

٧ ـ ٤ ـ ١ ـ ٣

ش šu

ضمير المتكلم الثالث الغائب المذكر المفرد: تكتب سُدْ = س šu = SuD بحسب الامثلة الكثيرة التي ساقها الاستاذ باتيناتو، لقد قبلها لأن لها مقابلات في نصوص ماري في المرحلة ماقبل السرجونية. وهذا يربط لغة ايبلا بالامورية أو الاوغاريتية أو العبرية.

٧ ـ ٤ ـ ٢ ـ مع الفعل

٧ ـ ٤ ـ ٢ = ن -ni

الضمير المتصل للشخص الاول المفرد مع الفعل هو ن ni- كما في الاسماء الآتية:

إ ـ ب ـ ن ـ ل ـ إم / يبآن لم «نباتي» I-bi-ni-Li - im/Jibbi'ni-Lim وتعني «ليم سماني أو سمانا» (Orient.XILVP. 369)

ان ـ فور ـ ني (بيزورني) = جمعني وجمعنا IP-hur - ni/Jiphumi

ان ـ طور ـ ني / يقطوني L.P.5Vi9) Ip-tur - ni /Jiptuni (OA XV P.13; Rso وتعني «أعتقني أو أعتقنا» (RSO LP. 7.reu. v6)

هذا الضمير المتصل ني ونو ni/nu موجود في العبرية.

٧ ـ ٥ اسم الاشارة:

لقد ذكر باتيناتو (Orient XLIV. p.372) «أميو ammiu » التي أتصور أنها توجد في صيغة غير واضحة، فإذا كان ماذهب إليه باتيناتو صحيحاً فإن أميموم ammijum الإبلائية وتعني «ذلك» يمكن مقارنتها أميم «ammijum» وتعني كذلك «ذلك» التي تقابل أنيوم «annijum» التي تعني «هذا» وقد وردت في اللهجة الاشورية الاكادية منذ بداية الالف الثانية قبل الميلاد وفيما بعد.

٧ ـ ٦ ضمير الوصل:

المثال الوحيد الذي ذكره باتيناتو (Orient XLIV. p. 372) هو ش ši هذا الضمير

يعرب شو شي شا šu,ši,ša في الاكادية وجزئياً في الامورية، ولقد كتبت شو، س، سا šu,si,sa في نصوص ماقبل سلالة أور الثالثة التي عثر عليها في ماري دون أي تمييز واضح في الالف التذكير والتأنيث والجمع.

٧ ـ ٧ الضمير الاستفهامي ـ أداة الاستفهام للعاقل:

أداة الاستفهام؟ مي ?mi تعني من ؟ توجد في الاسم: م ـ ج ـ إل/في كا ال/ ميكائيل /Mi-ga-/Mi-ra -'il/ الذي يعني من كائيل؟ (BARXXXIX p.50b)
وهو يتباين: م ـ نُ ـ ك ـ إل/من ـ كي ـ إل/ من كائيل/ أي من كائيل IL /Mannu-ki-'Il/Ma-nu-ki من يحب ايل؟ الذي يعد اسماً أجنبياً، إيبلا بحسب ماذكره باتيناتو انظر أيضاً (القسم ذا الرقم ٧ ـ ١٠ ـ ٥).

لغة إبلا اللغة الإبلائية كاللغتين العبرية والاوغاريتية لها «م mi التي تعني من؟ التي وردت صيغتها أيضاً في ماري في المرحلة ماقبل السرجونية وهذا يخالف أداة الاستفهام من man التي تعني من؟ في الأكادية القديمة والأمورية.

٧ ـ ٨ أداة الاستفهام لغير العاقل:

أدوات الاستفهام لغير العاقل هي: م ـ ن ـ ن ـ م (من ما/ وتعني مما me-na-na-ma بحسب النص المعجمي (RAR XXXIX P. 50b).

٧ ـ ٩ الفعل:

٧ ـ ٩ ـ ١ ملاحظات عامة:

الفعل الثلاثي يوجد بسهولة في الصيغة يكتب :jlqub
ik-tub/jiktub ويعني «قد كتب» (Orient,XLIVPP.368and372)
[يسوق الكاتب أمثلة كثيرة رأينا عدم ترجمتها ومن أراد الاطلاع فليرجع إلى SHSI (2)] ي ji في الفعل تخالف يا ـ ja في:

يفخر مالك I-ap-hur-Ma-lik/Japhur-Malik وتعني جمع مالك Mlik had gathered
وبحسب رأي باتيناتو. فإن الشخص الذي يحمل هذا الاسم ليس إبليا ولكنه من

مدينـة مارتو الأمورية ومادام يستعمل في تصريف الفعل للشخص الثالث الغائب الحـرف بـ فيكـون من الـواضـح أن قانون Bath-ung nad مغاير اللغة الأوغاريتية والعبرية ولا يطبق على الابلية والسؤال الذي يبرز أولا: هل الصيغة «يكتب» صرفية أم لا؟ وإن كانت صرفية فهل تعبر عن الماضي أو الحاضر والمستقبل؟ وإن لم تكن كذلك كانت فعمً تعبراً عن «تام» أو غير «تام».

أخذت الصيغة يكتب Jlqub من حيث هي فعل ماضٍ متبعاً التفسير «هو قد يكتب» الـذي أعـطاه باتيناتو (Oreient XLIVpp.368 and 372) فإذا كان تفسير باتيناتو صحيحاً فلا بد أن يكون الفعل الحاضر ـ المستقبل في الابلية يقْتِل أو يَقْتُل jiqattra/ià ul متساوياً والأكادية وإذا سقط تفسير باتيناتو ل«يكتب jiktub » وعبرت يقْتُل jiqtub عن الفعل الحاضر ـ المستقبل، عندما يكون الفعل الابلية قَتَلَ qatal انسجاماً واللغات السامية الغربية ولسوء الحظ لاأعرف حالتي الفعل في إيلا سواء في qatal فعل «متعدٍ» أو jiqatta/i/u لإعطاء رأي حاسم.

ومهما يكن من أمر فإن إمكانية صيغتي قتل يَقْتُل qatali jiqatt/I/U ماتزال قائمة كما هي الحال تقريبا في الامورية مثال مَلَكَ عَلي، ربي شمسي رخا Malak 'ilšumi-rapa وفي اللهجة الآشورية القديمة مثال: وشَبَ Wašab وتعني جَلس أو ايتي ملك Iti-Malak-'ili وتعني ملك ربي. هذا ممكن فقط في مرحلة انتقالية بين الأكادية يقتل -Jaq tul ويقتل Jaqattal والسامية الغربية قَتَل qatal ويقتل، Jaqtul .

٧ ـ ٩ ـ ٢ المصدر:

هناك وزنان من أوزان المصدر الثلاثي معروفان لي:

أ ـ خ ـ زُ ـ م /أخازوم/ أي أخاذ "a-ha-za-um/'ahazum وقد كتبت خطأ خاذُمْ (Orient.XLIVp.372)

ومَ ـ خَ ـ زِ ـ إي ـ دَ / فخذ يد/ أي مضرب يد وهو على وزن مَفْعَلْ . (BAR.XXXIXp.50b)

٧ ـ ٩ ـ ٣ المزيد افتعل BT Štem

صيغة المزيد افتعل معروفة لدي من مثال ساقه باتيناتو وهو: إشتَمَ ـ مالل / يستمع مالك/ سمع الملك/ /Ištama-Malik/JIštama .

ووجود صيغة المزيد افتعل في الاسم الابلي له مايقابله في الأسماء السرجونية والأمورية والأوغاريتية.

أما ماعدا الأسماء الشخصية فقد وجدت صيغة المزيد افتعل في الأكادية لصيغة افتعل في الابلية سواء كان صيغة فعلية وزنية أو عادية. ينتظر الحل.

٧ ـ ٩ ـ ٤ المزيد شفعل Š stem

لاتوجد حالة لصيغة شفعل معروفة لدينا، الصيغة مشفعل تظهر في:
مُ ـ سَ ـ جَ ـ إ ـ نم /مـوشكـاعنم/ mu-sa-ga-i-num/mušaka''inum التي تتساوق والأكادية القديمة: مشكاعنم muška-''inum وفيها بعد مشكنم تعني مسكين muškénum الصيغة تشتفعل DŠT يمكن أن توجد في: دُ ـ شَ ـ إ ـ لُ ـ مُ /تَشتعلم/ du-uš-da-i-i-lu-um/tušta''ilum?'' إذا كان من L'' بمعنى غير واضح، في قائمة الأرباب دُ ـ شُ ـ د ـ ج ـ لُم /تَشْتِكلم/ du-us-da-gi-lum/tušta''ilum.
وإذا كانت من أكل KL بمعنى غير واضح في نص معجمي
كل هذه الأمثلة الثلاثة ذكرها باتيناتو
الصيغة شفعل صفة مميزة للأكادية والأوغاريتية وليس للأمورية والعبرية.

٧ ـ ١٠ الجامد:

معظم الأحرف الجامدة المذكورة هنا أوردها باتيناتو في (Orient XLIXp.372

٧ ـ ١٠ ـ ١

حرف الجر إن in ويعني «في» يوجد وجوداً منتظماً في بلاد بابل في المرحلة ماقبل السرجونية والمرحلة ووجد أيضاً مرة في ماري في المرحلة ماقبل السرجونية التي تلت مرحلة أور الثالثة في ماري، وفي اللهجة الآشورية القديمة حيث إنْ in يظهر قبل الأسماء التي تبدأ بحرف ساكن بينما إنَ i-na يظهر قبل الأسماء المبرءة بحرف علة.

حرف الجر إنَ ina حل محل إن in في مرحلة أور الثالثة وبقي في الاستعمال حتى نهاية حياة اللغة الأكادية وهو غير معروف في مكان آخر في اللغات السامية.

٧ ـ ١٠ ـ ٢ إن i-na

حرف الجر إنَ i-na الذي يعني «إلى» أو «لأجل» معروف لدي من رسالة

من باتيناتو ومؤرخة في ٢٠/٤/١٩٧٦، وحرف الجر هذا يوجد في إنَ بعلِيس I-na-be-li-su وتعني إليَّ بعلة في نص نذري من ماري من المرحلة ماقبل السرجونية وفي إنَ فخر (اسم رب) i-na mach-ri-DN قيل DN اسم رب.

في نسخة متأخرة من نص نذري ماري في المرحلة التي تلت أور الثالثة ولقد لفت نظري Perter Stein Keller طالبِي السابق إلى نص من نموذج فارا نشره M,Lam-bert(RALXVII 1973p. 96-b) يوجـد إنَ i-n مع مجمـوعـة من الملامح التي لاتتوافق في نصوص فارا القانونية. فهل كان من المحتمل أن يكون هذا النص قد أتى من إبلا؟

إن العلاقة بين إنَ i-na وبين أنَ a-na الأكادية غير واضحة ولا (إنَ) فلا أنَ i-na a-na معروفتان في اللغات السامية الأخرى.

٧ ـ ١٠ ـ ٣ إش is

حرف الجر إش is الذي يعني «لأجل» أو «إلى» يسميه باتيناتو (ألِفْ اطلاق) الاختلاف في المعنى بين إش is وإنَ i-na الذي نوقش في الفقرة ذات الرقم ٧ ـ ١٠ ـ ٢ غير واضح لي فحرف الجر إش is في هذا الشكل والمعنى يتكرر في نصوص مابعد مرحلة أور الثالثة في ماري مثل إشْ نَ كرم is-na-ak-ri-im وتعني «إلى العدو» RALp4 حرف الجر هذا يكون عموماً كما لو كان ألف الاطلاق التي تحل محل «ال» التعريف واستعمل في حالة القابل dative-alltive التي تنتهي بـ إش is وقد استعملت غالباً في المـرحلة السرجونية كما في كلمة قاتِش qatis «إلى السيد»، في النهاية انظر فيه للغة الأكادية إش is كان هو الحال في ارخيش arhis سريعاً.

حرف الجر إش is غير معروف في الأكادية أو أية لغة سامية أخرى.

٧ ـ ١٠ ـ ٤ أش دَ às-da

حرف الجر الذي يكتب أش دَ às-da موجود في أش دَ ـ ز ـ إ ـ سَر aš-da-zi-l-sar منْ أو (مَـعْ) نفش يِشار OAXVp.3apš-Jlšar من الواضح أن حرف الجر هذا يتعلق بالحرف السرجوني إشْت isteê (مع أو من) والحرف إشْتَم lštum (من، بعد) (MADIIPP.80F) حرفِ العلة الأخير أ a من إشْ às-da عززه وجود إش تَ في النصوص البابلية القديمة، ماعدا الأكادية فإن الامكانية الوحيدة للتشابه في وسْتَ ls-ta «في» في اللغة الأثيوبية.

٧ ـ ١٠ ـ ٥ : كَ Ka.

حرف الجر ك ka التي تعني (كما، ك) يوجد في:

م ج إل / ميكائل / Mi-ga-Il/Mi-ka'Li وتعني «من ميكائيل» (BARXXXIX والفقرة ٧ ـ ٧ من هذا المقال).

٧ ـ ١٠ ـ ٦ حرف العطف و Wa

المثال الجيد لحرف العطف و Wa الذي يربط بين اسمين يوجد في المقال الذي نشر في (Orient,XLIV p.365n.17) وبين اسمين جغرافيين في (RRO L.PP13) هذا الرباط مألوف في اللغات السامية.

٧ ـ ١٠ ـ ٧: أي 'ijji

الاسم إ دَ دُ i-i-da -da (RSO L.p.5v113) يمكن تفسيره مثل أيَّ دَ دُ /Ijji-dàdu/ ويعني أي المحبوب مثل / أيُ دَ دُ/ /Ajja-dada/ أيضاً مع أي 'ajja وأيِ 'ijja وكلها في الأمورية.

٨ ـ علاقة لغة إبلا باللغات الساميةالأخرى:

نقدم فيما يأتي ستةً وعشرين مثالاً لغويا على شكل جدول لاظهار العلاقة بين الأبلية واللغات الأكادية، الأمورية، الأوغاريتية والعبرية ولابد أن نعد هذا أولياً لأننا نعتقد أنه لابد بمرور الزمن في أن ندخل تفصيلات جديدة.

الرمز (+) يدل على وجود السمة الابلية ـ (الرمز −) يدل على غياب السمة الابلية ونظراً إلى أن هذا العمل أولي كما قلت فستكون ملحوظاتي مختصرة.

اللفظ	الإبلية	الاكادية	الامورية	الاوغاريتية	العبرية
١) ٧ ـ ١ ـ ٣ ع ك غ é ك á	+(−)	+(−)	−	−	−
٢) ٧ ـ ١ ـ ٤ ي ك إي ji/ja	+(−)	+	−	−	−
٣) ٧ ـ ١ ـ ٥ آ á الممدودة	+	+	+	+	−

الاسم :

٤) ٧ ـ ٢ ـ ٣ التصرف	+	+	+	+	−
٥) ٧ ـ ٢ ـ ٤ التنوين بالميم mimation	+	+	+	+	−

الضمائر الشخصية المنفصلة :

٦) ٧ ـ ٣ ـ ١ أنا 'ana	+	−	+	أن؟ 'N?	−
٧) ٧ ـ ٣ ـ ٢ أنت 'anta	+	+أت 'atta	+أت 'T	+أت 'atta	
٨) ٧ ـ ٣ ـ ٢ كوت Kuwati	+	+	−	−	−
٩) ٧ ـ ٣ ـ ٢ انتن 'antanu	+	−أتُنُ 'attunu	؟	؟	أتم 'attem
١٠) ٧ ـ ٣ ـ ٢ شو šuwa	+	+ش 'šut	− هو	− HW	− هو hú
١١) ٧ ـ ٣ ـ ٢ شوات šuwati	+	+	−	−	−

الضمائر الشخصية المتصلة :

١٢) ٧ ـ ٤ ـ ١ ـ ١ مع الاسم إي i-	+	+	+	+	
١٣) ٧ ـ ٤ ـ ١ ـ ٢ ن ni ن na −	+	−ن ni −	− ن na	−ن N?) −)	−
١٤) ٧ ـ ٤ ـ ٢ ـ ٣ ش šu −	+	+	−	−	−
١٥) ٧ ـ ٤ ـ ٢ ـ ١					
مع الفعل مفرد أو جمع − ن ni −	+	− ن ni	− ن ni	−ن na	−ن ni

اسم الاستفهام :

١٦) ٧ ـ ٧ م ؟ mi? من؟	+	−	−	+	+

(أيضاً ماقبل السرجونية في ماري)

الفعل

١٧) ٧ ـ ٩ ـ ١ غير مطبق نظام Bath - ungnad	+	+	؟	−	−
١٨) ٧ ـ ٩ ـ ٢ المصدر	+	+	؟	+	+
١٩) ٧ ـ ٩ ـ ٣ المزيد افتعل BT	+		−		
٢٠) ٧ ـ ٩ ـ ٤ المزيد شفْعل š	+؟	+	−	+	−

الجوامد:

٢١) ٧ - ١٠ - ١ «في» إن in	+	+	-	-	-
(أيضا في ماقبل السرجونية ومابعد أور الثالثة في ماري)					
٢٢) ٧ - ١٠ - ٢ إن i-na «الى»	+	-'	-	-	-
«لأجل» (أيضا في ماقبل السرجونية بماري)					
٢٣) ٧ - ١٠ - ٣ إش iš) لأجل	+	-	-	-	-
و«الى» (أيضا في مابعد أور الثالثة بماري)					
٢٤) ٧ - ١٠ - ٤ إشت «مع» 'ašta	+	+	-	-	-
٢٥) ٧ - ١٠ - ٥ ك ka «مثل»	+	-	+	- مستعارة من الاكادية	+
٢٦) ٧ - ١٠ - ٦ «و» wa	+	+و(U 6	؟	+و W	+و u

من دراستنا لهذا الجدول المقارن «تبين أن أقرب اللغات علاقة باللغة الإبلية هي اللغة الأكادية القديمة واللغة الأمورية وأبعدها الأوغاريتية وأكثرها بعداً العبرية (الكنعانية) هناك نقطتان على أية حال يجب ملاحظتها: الأولى وهي أن هناك عدداً من «السمات» اللغوية إما أن تكون غير معروفة أو غير مؤكدة في اللغة الأمورية واللغة الأوغاريتية، والثانية درجة قرابة اللغة الإبلية إلى اللغات السامية الأخرى تتدرج بالقوة من الأكادية القديمة حتى العبرية وعلى كل يجب أخذ موضوع التعاصر أو التداخل الزمني في الحسبان عندما نناقش قرابة العلاقات اللغوية.

بالإضافة إلى السمات اللغوية التي ذكرت في الجدول المقارن لابد من ملاحظة مايأتي:

لايمكن عدّ اللغة الإبلية لهجة أكادية قطعاً لأن النص الإبلي لايشابهه أي نص من حيث القراءة في المناطق الواسعة من منطقة الشرق الأدنى القديم حيث كانت الكتابة واللغة الأكادية مستعملتين.

كذلـك لايمكن أن تسمى اللغـة الإبلية لغـة أمورية لأن أهالي إبلا فصلوا أنفسهم عن الأموريين، لاحظ الاسم الإبلي ميكائل Mi-ka-'Il من مثل ايل «يخالف» الاسم الأموري منوكئيل "Mannu-ki-'Il" وتعني «من مثل ايل» انظر الفقرة ٧ ـ ٧.

لايمكن عدّ اللغة الإبلية لغة كنعانية لأن المصطلح الأخير له معناه فقط عندما تكون سماته اللغوية لتلك التي هي من مجموعة لغوية أخرى هذا التمايز اقترح على أساس أن الفتحة (JCSXV,1961 P.112) في دحاو Ó ةمضلاو à ، الشاهد الوحيد الموجود في الجدول المقارن غير كاف لاثبات أن اللغة الإبلية لايمكن أن تؤخذ على أنها كنعانية قديمة، اللغة الأم التي أصبحت ـ فيما بعد ـ تعرف بالكنعانية وفيها عَ e عْ à تتغير مثلا كما في عبدُ abdu' في اللغة الإبلية ومعناه «عبد» هذا اللفظ يتغير في الأكادية مثل بعلوم be'lum «سيد» ولكن في الكنعانية التي تحافظ على «آ» مثل في abdI «عَبْدي» (العبرية عبد تطور متأخر كما في ملك)

وقبل الإجابة عن التساؤل هل كانت الإبلية لغة سامية غربية، سأبين لاحقاً السمات الرئيسة للغات السامية الغربية خاصة الشمالية الغربية منها إزاء اللغات السامية الشرقية ولاسيما الاكادية.

آ ـ وجود الحرف هـ h وماشابهه في الضمائر المتصلة للشخص الثالث الغائب هو «هُـ hu ووجود: هـ H في هفعل، في مكان ش S في شفعل الأقدم وشبيهه.

ب ـ وجود ـ تُ tu ـ (ـت أو ماشابهها) في حالة الشخص الأول المفرد في الفعل الماضي المتعدي في مكان كُ ku أقدم في الأكادية.

ج ـ اختفاء ما أسميته الضمير الشخصي الثاني في بحثي sequental Reconstrution of Proto. Akkadiau PP. 182 FF كما هو الحال في ضمير الشخص الثاني كوات kuwati . . . إلخ.

د ـ التمييز في التصريف:

قَتَلَ: يقتل qatal: Jaqtul

للماضي والحاضر والمستقبل بدلا من يَقْتُلْ Jaqtul بحيث تصبح Jaqattal يَقَتّلْ الأقدام.

هـ ـ إدخال قانون Barth-ungnad

و ـ بناء المجهول على صيغة قُتِلَ

إذا عددنا هذه الحقائق الواردة في قائمة السمات الست التي أوردناها قبل قليل، وفي قائمة السمات الست والعشرين في الجدول المقارن كان مايأتي:

آ ـ إن السمات الإبلية العاشرة والحادية عشر والرابعة عشر والعشرين أقدم من اللغات السامية الغربية مع أن السمة التي تحمل الرقم العاشر توجد في الأمورية والرقم عشرين في الأوغاريتية.

ب ـ هذه السمة المتبقة غير واردة في اللغة الابلية

جـ ـ السمة الابلية رقم (٨) أقدم من السامية الغربية

د ـ هذه المشكلة الهامة مازالت تنتظر الحل الابلية (انظر المناقشة الواردة في الفقرة ١٩٠٧)

و ـ قانون Barth-ungnad لاينطبق على الفعل الابلي (انظر المناقشة ٧ ـ ٩ ـ ١)

ز ـ المبنى للمجهول غير موجود في الابلية.

إن السؤال المطروح، هل بمكن عدّ اللغة الابلية لغة السامية غريبة؟ الاجابة عن هذا السؤال ليست سهلة في الوقت الحاضر اعتماداً على المعلومات المتوافرة لدينا حتى لو عددنا السمات الست الموجودة في الابلية كلغة أم اللغة السامية الغربية فيها بعد. فهناك مازالت مشكلة عَ a' التي تتحول الى عْ e' في الإبلية والتي تمثل شكلا متطوراً متأخراً عما يمكن تصوره لغة أما للغات السامية الغربية.

وهذا ليس بالوقت المناسب الذي تناقش فيه الكلمات المعجمية، ومن المحتمل بمعلومات جديدة الوصول إلى نتائج إيجابية ممكنة في مجال العلاقات اللغوية التي قد تؤكد أو ربما لاتؤكد النتائج التي توصل إليها على اساس علم تركيب الكلمات mor-phology وعلم لفظ الكلمات، phonology أمّا ما يخص العلاقات اللغوية فالتنقيبات بنيت على أساس الكلمات المعجمية التي ليست تتوافق بالضرورة وتلك التي بنيت على أساس علم تركيب الكلام وعلم الألفاظ، فلاحظ حالة اللغة اليونانية التي هي لغة هندوأوربية من حيث التركيب واللفظ ولكنها إلى حد كبير ليست هندوأوربية في طريقة معجمها وكذلك الانجليزية التي هي ليست جرمانية في معجمها، وكذلك التركية والفارسية بمافيها من إشارات كثيرة جداً من اللغة العربية.

هناك سمة هامة للإبلية يجب ألاتترك خارج المناقشة وهي التي تتعلق بوجود بعض حروف الجر (انظر ٢١ - ٢٤ - من الجدول) حيث تشترك الإبلية جزئياً مع الأكادية القديمة ولكن ليس مع أية لغة سامية وهذه سمة قديمة للإبلية تزودنا ببصيص من ضوء يربط بين اللغات السامية الباكرة باللغات الهندوأوربية.

إن القول: إن فرضية ذكرها w.von soden مفادها أن في سورية في الألف الثالثة ربما وجدت فيها في يوم من الأيام لغة أكادية غربية «P.373» لايعني بأن هذه المقولة صحيحة تماماً لأن von soden لم يقترح وجود أكادية غربية وإنما الاقتراح كان من berger Lands و Bauer ، لقد بنيت هذه الفرضية على شاهدة واهية مثل وجود أسماء تنتهي بـ / آنوم anum- / (لاندز بيرجر في، ZA XXXV 1924, pp.23 FF.) وباور في Die Ostkanaanäer, Leip 2ig 1926 pp.2f and 83 FF أكد العالمان وجود لهجة أكادية زعماً أو برغم أنها كانت تستعمل في المناطق الجبلية في الشمال (لاندر بيرجر) أو الشمال الشرقي (باور) من بلاد بابل. إن زعم لاندر بيرغر وياور المتضمن فصل الأسماء التي تنتهي بانوم anum- من الكنعانية الشرقية (الأمو[illegible]) دحض بوتشلاتي في كتابه:

The Ammorite Of UR III Period (Naples (1966) PP 24 29.

لقد عبر Von Soden عن رأيه في بحثه المنشور (1960) PP. 184 Ff WZM LV

قرون سبقت عام ٢٠٠٠ ق.م. عندما احتل الكنعانيون والشرقيون بلاد بابل فقد كانت توجد مجموعات سامية لم تكن تتكلم لالهجة أكادية ولالهجة شمالية غربية، كان ربهم الرئيس دجن Dagan وقد سماهم von Soden العموريين القدامى Alt am-morites وهكذا فإنه في مكان تمييز لاندزبيرغر - ياور للكنعانية الشرقية واللهجة الأكادية، ميز Von Soden الكنعانية الشرقية والأمورية القديمة وعلى ضوء المعلومات الجديدة، فإن التعبير الحالي يمكن أن يكون آمورياً وفيما بعد تأتي الإبلية.

ويبدو أن المشكلة كلها وهي مااللغة السامية الغربية التي يمكن أن توضع في الحسبان ؟ بالنسبة إلى «السامية الغربية» وإنما كان مصطلحاً أكثر منه تعبيراً علمياً فإن تصنيف اللغات السامية الذي استعملته. في تصنيفي من حيث هو أمر واقعي يتجاهل كل مثل هذه التقسيمات مثل «شرقية» و «غربية» شمالية غربية وجنوبية غربية، وقد رتبت

بطريقة زمنية اللغات الثماني ببساطة اللغات السامية المعروفة (الأكادية، والأمورية، والأوغاريتية، والكنعانية، والآرامية، والعربية الفصحى، والعربية الجنوبية والأثيوبية مع لهجاتها التي تفرعت منها).

إن النتيجة التي توصلت إليها هي أن الإبلية لابد أن تضاف إلى قائمة اللغات التي أسلفت ذكرها من حيث هي لغة سامية تاسعة لها أقرب الصلات بالأكادية القديمة والأمورية وإن بيان مركزها بدقة بين العائلة السامية من اللغات والعلاقات بين الإبلية والأكادية القديمة والأمورية والأوغاريتية يظل من الأعمال لملحة في المستقبل.

محفوظات الأبحاث الشرقية

AFO (Archiv fur Orient forschung)

المحفوظات الملكية من ماري

ARM (Archives Royale de Mari)

الأثري التوراتي

BAR (The Bibical Archaeologist)

مكتبة بلاد مابين النهرين

BM Pibliotheca Mesopotamica

النقوش البابلية في مجموعة

BIN(Babylonan Inscription in the collection of J. B. Nies)

مجلة مدرسة الدراسات الأفروآسيوية

BSO (Bulletin of the School of Oriental and African Studies)

النصوص المسمارية من الرقم البابلية المحفوظة بالمتحف البريطاني

CT (Cuneiform Texts from Babylonian tablets in the British Museum

النقوش الاكادية في متحف التاريخ الطبيعي بشيكاغو

FM(I.J.Gelb old Akkadian inscriptions in the chicago Natural History Museum)

مجلة الدراسات المسمارية

JCS (Journal of cuneiform studies

النصوص المسمارية الآشورية المتنوعة

KAV (O. Schroeder, Keilechri ttexte aus Assur verschiedenen Inhalti

مواد للقاموس الآشوري

MAD (Materials for Assyrian Dictionary)

البعثة الأثرية في ماري

MAM (Missions Archeoloyique de Mari)

الشرق القديم

OA (Oriens Antiquus)

مطبوعات المعهد الشرقي

OIP (Oriental institute publicatoion

الشرق (اصدار جديد)

Orien. (Orientalia N. S.)

مجلة الدراسات الآشورية

RA (Revue d'Assyriologie

جامع الدراسات

RIA (Reallexlkon cles Assyriologie)

مجلة الدراسات الشرقية

RSO (Rivista degli Studi Oriental)

نصوص مسمارية من ماري

TCM (Textes cuniformes de Mazri)

مجلة الدراسات الآشورية

ZA (Zeitschrift fier Assyriologie)

★ لقد قام جيورجيو بوتشلاتي بنشر رقم العشارة الآن تحت عنوان «تقرير أولي - نص مسماري من أوائل الألف الثانية قبل الميلاد».

ملامح تاريخ المرأة في الشرق العربي القديم

الدكتـور فيصـل عبدالله
(مدرس في جامعة دمشق)

مقدمـــة

١ـ المرأة في المَجْمع الديني القديم
٢ـ المرأة في سومر. (العذراء. والزوجة. والأم)
٣ـ البصارة. أو قدم مفسرة للأحلام.
٤ـ الزواج السياسي.
٥ـ الملكـة والوصاية على العرش.
٦ـ خاتمـــة.

مقدمـــة

ما تزال الأدبيـات والملاحم السـومـرية تشكل مصدراً هاماً لمعرفة الموقف الاجتـاعي للمـرأة في العصـور القديمة إلا أن تلك المصادر تعكس موقفاً نفسياً وأخـلاقيـاً أكثـر منـه واقعيـاً. ولهـذا فإن المصـادر الأخـرى كالنصوص الإدارية والاقتصادية والرسائل الشخصية والسياسية تعكس لنا مواقف عملية ويومية من حياة المرأة ولنذكر أن محفوظات ماري تضم مجلداً كاملاً يحمل عنوان المراسلات النسائية.

وتساعدنا النصوص الإدارية في محفوظات إبلا وماري وآلالاخ ونينوى وتل العمارنة في مصر على فهم واقع المرأة وموقف المجتمع منها.

ولا بد لنـا من العودة إلى فكرة التكوين الأولى. ومعرفة الموقف الأخلاقي والماورائي الأسطوري من المرأة. ولا بد أيضاً من العودة إلى النتاج الديني الأدبي كي نتعرف إلى موقع المرأة منه والمؤنث بالنسبة إلى المذكر.

جاء في أدبيات الديانات التوحيدية ولا سيما في الفصل الأول من التوراة أن الله قد خلق الإنسان على صورته أو جعله من التراب، ونستطيع أن نستخلص عكس هذا التعبير السابق (وفق د. ج. لامبرت LAmbert) في المؤتمر الدولي الثالث والثلاثين لعلماء الآشوريات (١٩٨٦ باريس). أي إن الإنسان القديم من حيث هو سلف لنا، قد صنع آلهة على صورته. وخلق منها آلهة مذكرة وأخرى مؤنثة، كي ينسجم ومعطيات الطبيعة في عملية الخلق والتكاثر[٢].

لكي نستطيع أن نتعرف إلى تلك الآلهة المؤنثة، لا بد من معرفة شيء عن الجنس ومفهومه في مشرقنا العربي القديم ولا سيما في بلاد الرافدين. يمكننا القول: إنه لا توجد دراسات محققة حول هذا الموضوع باللغة العربية. بينما تكتظ مراكز الأبحاث الأوربية بمثلها. وقد شهدت السنوات الأخيرة الكثير من حلقات البحث والمؤتمرات العلمية عن المرأة والرجل والعائلة والحب والزواج. وذلك في خلال الوثائق المسمارية التي تتكاثر كل يوم حتى بلغ آخر رقم لها ما يقرب من نصف مليون رقيم وقطعة مهشمة.

يعد الأدب المسماري، ونقصد به الأدب السومري والأكادي والبابلي والآشوري، المرأة من المنظومات الكونية الدينية وعكست لنا الرجل قوة عضلية تهتم بالعمل الحقلي والحرب والسياسة. أما المرأة فهي منصرفة غالباً إلى تدبير المنزل ورعاية الأطفال. فقد كان الرجل هو الرائد في معظم النشاطات. ونادراً ما كانت المرأة تصل إلى رأس المؤسسات الاجتماعية.

كان هناك بعض الاستثناءات في مجال الدين حيث كان للمرأة مهمة كهنوتية، ويبدو أن الرجل هو الذي أعطاها هذه المهمة.

وهنالك استثناءات أخرى في مجال العمل والتجارة حيث شغلت المرأة مثل هذه المهمة الهامة في مدينة سيبار في العصر البابلي القديم (بداية الألف الثانية قبل الميلاد). وترسخت مهمة هامة في بعض العائلات التي تعمل في التجارة، في عصور

لاحقة، ولا سيما في حال غياب الذكر. أما الحكم، فالمهمة الأولى للرجل من دون منازع، حيث يتسلم جميع الوظائف، بالرغم من هذا تذكر قوائم الملوك السومرية أن امرأة قد أسست سلالة وحكمت مدة مائة عام في مدينة كيش وهي أول مدينة للتجمع الآكادي (السامي)[٣] وسقطت سلالتها، ولا توجد أية تفصيلات أخرى حول الموضوع.

هذه هي الحالة الاستثنائية الوحيدة في تاريخ سومر، وهي تشبه حالات استثنائية في عصرنا، مثل أنديرا غاندي، وتاتشر وعطار (وزيرة ثقافة فقط) ولهذا لا نستطيع القول إن مجتمعنا أعطى للمرأة على المستوى السياسي أكثر مما أعطاه المجتمع القديم.

ولكن لدينا أمثلة كثيرة، عن ممارسة المرأة السلطة والسياسة من وراء ستار أو ممارسة غير مباشرة. نجدها تقوم بمهمة رئيسة في دول المعبد السومرية، وفي ماري تحل محل زوجها في إدارة القصر، عند غيابه، وكذلك في حلب القديمة، وفي آشور مثالنا المعروف سامورامات Sammuramat المعروفة بـ (سمير أميس) زوجة الملك شمشي أدد الخامس وأم أدد نيراري الثالث. والمثال الآخر هو نقية ـ زكوتوم - Naqia Zakutum ، النقية الزكية وهي زوجة سنحريب وأم اسرخدون. وقد برز أثرها السياسي حتى إنها صنعت تماثيل لنفسها تقدمة للمعبد، علماً بأننا نجهل أسماء الترجمة حتى الآن. وهنالك نينخور ساج Ninhur Sag أي سيدة الجبال. ولنعلم أن كي ki مؤنثة بالسومرية وهي الأرض وتقابل السماء An المذكرة حيث يرسل الأب «السماء» المطر إلى أسفل، إلى أحضان الأرض الأم التي تُنتج وتخلف الزرع. وهكذا فإن الصورة الماورائية «الميثيولوجية» للأرض هي الأم المنتجة، وسنرى أن العذراء بالسومرية هي كيسيكيل Ki- Sikil أي الأرض العذراء وهو ذاته اسم العذراء (من كريمر أعلاه) وهناك آلهة البذور والحبوب وتسمى نيسابا Nissaba وهي مسؤولة عن أعمال الكتاب ومصدر إلهامهم. أما الآلهة Imamma آلهة الحب فهي معلمة السماء وربتها وتقابل عشتار (أو أشتار Ištar) لدى الناطقين بالأكادية فيما بعد مع بعض التبديل في وظائفها، فضلاً عن الحب صارت مسؤولة عن الحرب. ومثلها لدى اليونان أفروديت Aphrodite وفينوس Venus لدى الرومان، وقد حافظت على وظيفة الحب. ولنلاحظ هنا أن المجتمعين الدينيين ـ الإغريقي الروماني أحدث كثيراً من سابقهما السومري ـ الآكادي وقد اعتاد المثقفون العموميون استخدام أسماء المجتمعين

الإغريقي ـ الروماني ولم يبذلوا جهداً في معرفة أصوله التي تعود إلى الرافدين والنيل.

وهناك آلهة هامة اسمها Nanna لاندري إلا القليل عن وظائفها ولكنها توصف بأنها أم الآلهـة. أمـا ربـة العافية والشفاء نينسينا Ninsinna وتمثل أيضاً ربة البيت والمرضات، والعناية بالجرحى، ويستخدمها السحرة من الرجال من أجل الشفاء. أما ربة الخمر والكحول فهي سيريش Siriš ولها قرينة تدعى نينكاسي Ninkasi . ومن المعتقد أن المرأة هي التي كانت تقوم زوجات الكثير من ملوك آشور وبابل. ؟

وأخيراً نذكر أداغوبي Adda- guppi . أم بنونيد آخر ملوك بابل التي أعلنت وصية على عرش آخر أمبراطورية بابلية. وتركت لنا كتابات تعكس شخصيتها القوية وكان الملوك وحدهم هم الذين يتركون كتابات خاصة.

وهكذا يختلف أثر الأنثى السياسي من عصر إلى آخر ومن منطقة إلى أخرى[٤].

أما بناء المجتمع الديني، فقد كانت الآلهة مؤلفة من قوى ما فوق طبيعية وكونية ومجردة وقد شُخصت على هيئة إنسانية.

القـوى الـطبيعـة الألهية هي الشمس والقمر والنجوم والأرض، ومن قوى الأرض الجبال والأنهار والينابيع، والحيوانات التي يرتبط مصير الإنسان بمصيرها.

إن تشخيص تلك القوى وإلحاقها بالإنسان عكسا رؤياه للكون ومفهومه عنه، كما عكس هذا التشخيص قبل ذلك وضعه وتوازنه النفسي، ومحاولاته البحث عن الطمأنينة والاستقرار والخلاص.

ولنذكر بعض الآلهة ولنر كيف تم اختيارها ذكراً أو أنثى؟ وماذا يعكس كل منهما ولنبدأ بالآلهة السومرية. مذكرين بأنه لم يحدث عموماً أي تبديل جذري في المجتمع الديني البابلي ـ الآشوري أو الرافدي فيما بعد . . .

كان السـومـريون يفترض أنهم أقدم أسلاف لحضارتنا يتمنون ولادة الأنثى ويرجون ذلك كما يذكر كريمر (ن. ملاحظة رقم ٤) وقد أنيطت هذه الوظيفة الإلهية

بألهات مؤنثة مثل دينغر ـ مَخ Dingir-mah . ومعناها الآلهة المُجمدة. ونينتور Nintur حيث أن نين Nin تعني سيدة بالسومرية. أما تور فغير مؤكدة بصناعة الخمر وتذوقه فقد كانت شيبتو الأميرة الحلبية وملكة ماري متخصصة بتذوق الخمر لزوجها الملك زمري ليم كما سنرى بعد قليل أما ربة الحلاقة والتجميل فهي كينداسي Kindsi .

إذا أردنا التعرف إلى بعض الآلهة المذكرة بقصد المقارنة فهناك إلهان هامان هما نينورتا Ninurta ونرجال Nergal وهما ابنان لـ انليل، إله الفضاء، وكان الأول سيد الأرض ثم صار رب الزرع، أما نرجال فهو سيد العالم السفلي وبطل ملحمة جلجامش وقد شُخصت الشمس والقمر بوصفهما مذكرين في ديانة سومر والشمس هي أوتو Utu «شمش» بالأكادية والقمر هو نانا سوين Nanna/ Su'en وهنالك اشكور/ أدد رب الصواعق والرعد.

هنالك الكثير من الآلهة التي يطول تعدادها وكلها تعكس وظائف في المجتمع حيث يأخذ كل من المؤنث والمذكر مكانته، وفق طبيعته، ولم نلاحظ في أدبيات تلك الشعوب ما يدل على تفرقة أو تمييز أو اضطهاد جنس للجنس الآخر. بل العكس صحيح حيث نجد أن بعض مهمات المذكر تعطى للمؤنث.

وقد لاحظ علماء السومريات ولا سيما كريمر S.N Kramer (المراجع المذكورة سابقاً) تضاؤل مهمة المؤنث في الآلهة الرافدية منذ منتصف الألف الثالثة. وهذا يعني أثر ظهور الأكاديين بوصفهم أصحاب لغة مختلفة ومفهومات خاصة بهم وهم يعدون تاريخياً أقدم أسلاف للغة والعادات في المجتمع العربي المعاصر وما إن حل الألف الثاني حتى بدأ تضاؤل مهمة المرأة واضحاً على مختلف المستويات. وكانت قمته عند ظهور فكرة التوحيد في سورية وفلسطين في نهاية الألف الثانية قبل الميلاد.

وإذا كان لا بد من إلقاء نظرة سريعة على تلك الأسباب التي أدت إلى تضاؤل مهمة المرأة فإننا نشير إلى أن المشكلة أصعب من أن تعرض بهذه السرعة. فالبحث يتطلب دقة وموضوعية لأنه على درجة كبيرة من التعقيد. ونحن سنستعرض مهمات بعض الآلهة الرئيسة كي نفهم ذلك التغيير الديني السياسي في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد وذلك من خلال ثلاث نقاط قدمها لنا كريمر في بحثه المذكور سابقاً.

١ـ أولاً: ظاهرة الآلهة انكي وهي مؤنثة وربة الأرض.

لقد عمد إله السماء المذكر انليل Enlil إلى تبديل وظائف مجمعه الديني، فقد خلق ثماني وظائف أسندها إلى آلهة مذكرة. فتموز Dumuzi مثلاً الراعي، وأوتو للعدل. واشكور للنجوم.. إلخ. ولم يسند إلا وظيفتان إلى المؤنث.. عند هذا الحد لم تجد إلهة السماء أنانا Ananna إلا الاحتجاج حيث تقول في نص ما يزال غير منشور: «ماذا تركوا إلى جانبي كامرأة؟ أين مناصبي.. أنا المقدسة أنانا؟» لقد تراوح نصيب المرأة من اثنين إلى ثمانية وهذا معناه انطواء ربة الأرض انكي على نفسها لتظهر بدلاً منها وظائف جديدة لآلهة مذكرة.

ولم تجد هذه الأخيرة أمامها سوى أنانا المؤنثة فدخلت معها في صراع أنثوي، كان لا بد لواحدة منها أن تنتصر. ولكن النص المهشم يحرمنا من معرفة النهاية الحاسمة.

٢ـ ثانياً: كان لظهور إله المدينة في الألف الثاني أثر سلبي في الآلهة المؤنثة إذ إن إله المدينة غالباً ما كان يمثل ملكاً قوياً استمد سلطته من القبائل الأمورية الجديدة التي سيطرت على السلطة في الألف الثاني قبل الميلاد. وأسست الممالك البابلية والآشورية واليمحاضية.. الخ. في سورية والعراق.

وإذا قمنا بإحصاءات للمذكر والمؤنث في المجمع الديني الرافدي في تلك المرحلة وجدنا أن الفارق كبير. وهذا يعكس تراجعاً في أثر المرأة على الرغم من وجود زوجات لآلهة المدن الرافدية اللواتي لم يكن لهن سوى القليل من التقديس، ونلاحظ اختفاء عبادة بعض الأزواج لأسباب سياسية، وقد هُجرت آلهة هنا وعُبدت أخرى هناك لأسباب عدة.

إننا نلاحظ أن زعامة المدينة في وسط المجتمع الآموري الجديد لا يمكن أن تكون إلا للرجل ومن ثم لإله مذكر.

لقد ميز المجتمع البابلي الآشوري بين ثلاثة آلهة رئيسة وهي آنو Anu وانليل Enlil وايا Enki/ Ea انكي وهذا خلاف مانراه في مجتمعات أخرى كاليونانية حيث أن

زيوس هو الـوحيد على رأس المجمع. إن وجود ثلاثة آلهة بطبيعة الحال لا يعكس بالضرورة توقعـاً ديمقـراطياً بل هو عمـل هدفه إحداث توازن سياسي وتوافق بين المصالح وهذا الاستنتاج ليس نهائياً فالغموض يلف الكثير من استنتاجاتنا نظراً إلى نقص المعلومات.

نلمس أن رأس الترتيب الثلاثي السابق هو An/Anum إله السماء الذي صار مجرد ايل أو إله في جميع اللهجات القديمة ابتداء من الآكادية وانتهاءً بالعربية وهو يعني بالآكادية المصير والقدر. ويأتي في الترتيب الثاني انليل سيد الفضاء ثم Enki وهي سيدة الأرض فالآلهة الأم الأرض هي في المرتبة الثالثة على حين أن مثل هذا التنظيم وهذا الترتيب لم يكونا واضحين لدى السومريين.

٣ـ والنقطة الثالثة والأخيرة هي أن آنو/ إله قد بدأ يطغى على الأثنين الآخرين ابتداءً من القرن الثاني عشر قبل الميلاد. وصار يتدخل في تعيين الملوك والحكام أو نجد أن الملوك والحكام ادعوا من خلال كتبتهم تسلمهم السلطة منه. واضمحلت مكانة انليل.

يجب التذكير هنا بأن الوصول إلى تسييد آن/ An أو إيل/ إلها ليس نتيجة تفكير أو هاجس لدى الكهنة للبحث عن توحيد إلهي، بل إن بروز إله دون الآخر لم يلغ قط احترام البقية، والامثلة على ذلك كثيرة. فظهور مردوخ إله بابل لم يفقد الاحترام لبقية المجتمع السومري.

نريد القـول: إن مكـانـة المـرأة قد تبـدلت بتبـدل وظـائف الآلهة، وبروز الصراعات السياسية والدينية وهذا ما يدفعنا إلى الاعتقاد أن سومر قد أعطت للمرأة اكثـر مما اعطتها بابل وآشور، بالرغم من أن أيا/ Ea الآكادية أو انكي/ السومرية كانت والدة مردوخ البابلي ولربما تقع أسباب صعود وهبوط في مكانة المرأة بين سومر وبابل في أعماق ما وراء التاريخ أي في مرحلة من مراحل ما قبل الكتابة. والبحث في ذلك يتطلب جهداً آخر[٥].

يعكس لنا الإنتاج الأدبي الديني من الملاحم والصلوات والدعوات، بعض الملامح عن حياة المرأة في المجتمع. يضاف إلى ذلك بعض معطيات النصوص الإدارية والاقتصادية، والوثائق التاريخية ويمكننا الاستفادة من ذلك للتعرف إلى مكانة المرأة، وحالتها النفسية، وانفعالاتها، وأبعاد مشاعرها، ويمكننا تتبع ذلك من خلال مراحل حياتها وموقعها في العائلة عندما تكون طفلة وعذراء أو أختاً ثم زوجة وأماً.

العذراء السومرية:

لقد كُتب باللغة السومرية من اسمين هما كي Ki وتعني الأرض إنها وجدت في السومرية وسيكيل Sikili التي تعني الطاهر العذري (كريمر المرجع نفسه) وهكذا فالاسم عذراء باللغة السومرية هو كيسيكيل Kisikil أي الأرض العذراء وكما رأينا فهو اسم إلهة الأرض التي تقع في المرتبة الثالثة من المجتمع الديني البابلي وأحياناً ماكانت كيسيكيل تسمى دوموباندا Dumu- Banda أي الطفلة الصغيرة أو الفتاة.

تقيم كي سيكيل في حجرة خاصة في بيتها، ويعكس لنا نص سومري القدسية والرمز الديني للمكان الذي تعيش فيه. حيث نقرأ في أحد النصوص:

«بنَت الآلهة انانا (عشتار بالأكادية) معبد أتهاد/أكاد «كحجرة» العذراء» وعندما دمر الأكاديون مدينة أور السومرية، وتخلت عنها ألهتها نينغال Ningal غنى الشاعر قائلاً: «إيه أيتها الأم نينغال Ningal (عودي) إلى اصطبلك (كما تعود) البقرة في الأيام الخوالي، وكما يعود القطيع إلى مرعاه، وكما تعود العذراء إلى حجرتها».

تكبر العذراء في حجرتها وقد تكون أختاً، وتبقى لها الحجارثاً رثاً من المنزل العائلي ولاتهجر مكانها إلا مكرهة.. يقول الكاتب واصفاً ذلك في حرب سومر وأكاد: «هربت الإلهة أنانا تاركة معبدها في أجاد Agade مثل العذراء التي هربت من حجرتها..» «أخي لم يعد أخاً لي، ضُربت العذراء في حجرتها وصرخ الاب صُراخاً حاداً عندما قتلت زوجته في منزله..»

هذا ماجاء أيضاً في وصف الحرب الأهلية السومرية الأكادية التي اختلط فيها

الغوتيون Guti القادمون من جبال زاغروس، يومئذ صرخت العجوز وامدينتاه والشيخ واشعباه. . والعذراء لم تتوقف عن شد شعرها، والشاب عن تمزيق نفسه» . .

كان شد الشعر وتركه مسدلاً على الاكتاف من العذراء علامة وقوع مصيبة. تنتحب العذراء لفقدان أخيها أو خطيبها، كان لنحيبها صدى محزن. . وهكذا نسمع صرخات: وا أخاه. . ، وا أبتاه. . ، وا أماه. . ، وا ابناه. . ، إلخ. .

وعن بكاء الأخ يقول الكاتب: واعذراه. . إذا لم يكن أخوك حبيبك فمن يكون لك حبيباً! هل سمعتم نحيب العذراء في ريفنا. كانت العذراء تعيش في الفرح والحب. تخرج للرقص واللعب. إنها مدللة العائلة السومرية: من مات ولم يكن له وارث ذكر فإن أخته هي التي ترثه»! أية مكانة أعطاها هذا الملك السومري جوديا في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد. ولكن البنت هَمٌ ومسؤولية أليست كذلك؟

تقول الامثال السومرية في هذا الصدد:
«حلوى مابعد الطعام متعة الرجل، وامرأته ذريته وابنه حمايته، وابنته همه، وبنت حميه شيطانه»
إليكم هذه الصلاة لابن فقد أباه: «لتتزوج جميع بناتك، ولتبق زوجتك بعافيتها، وليتكاثر نسلك»

ويصف لنا ملك عهده قائلا: «الاخُ يصدقُ أخاه، والاب محترم، والبنت الكبرى مصانة، والامُ مرتاحة البال».

وهذه أخيراً نصيحة أم سومرية لابنها: «أخوك الاكبر هو أب حقيقي، وأختك الكبرى كأمك، احن رأسك لأخيك الكبير (مثل أبيك) وأطع أختك الكبرى كما تطيع أمك» (انظر كريمر المرجع نفسه ص١٠٩).

الزوجة:

تعطي النصوص السومرية الأهمية الكبرى للأم التي تنجب الأطفال. وتحترم علاقتها بالرجل وغالباً ما توصف بالحب والاحترام، برغم أن لها وجهاً آخر هو المقت والغضب والاختلاف. وفي هذه الحال، فإن موقفها ضعيف وحمايتها غير كافية. المرأة

هي من تنجب الأطفال، إنها ذرية الرجل كما جاء سابقاً. وهناك كثير من الأساطير التي تقبع فيها خلف الموقف النفسي من المرأة العاقر.

خاطب جلجامش انكيدو في العالم السفلي قائلاً:
ـ هل رأيت أمرأة لم تنجب في حياتها؟
انكيدو: نعم لقد رأيتها، إنها مهجورة.. لا تحمل الفرح لإنسان».

إن رفض الزوجة مضاجعة زوجها جريمة تعاقب عليها الآلهة. فقد غضبت آلهة الحب أنانا من أولئك اللواتي رفضن مضاجعة أزواجهن، ورفض الترويح عنهم، ولم يعطين أزواجهن ما يكتنزه قلبهن من حب مقدس «من اتخذ لنفسه زوجة قوته» أي نسله. هذا هو عُرف المجتمع القديم لأسلافنا منذ خمسة آلالاف سنة على الأقل وحفظت لنا نصوص وصفاً للغزل الزوجي والعذري، وتبادل القبل، والمداعبات... إلخ. ولدينا أقدم ألواح طينية تصور مشاهد تعليمية وعلاجية جنسية، وبذلك يكون السومريون أول من أبتدع التعليم الجنسي والعهر الخيالي في العلاج.

كان من وصايا جلجامش لأنكيدو في رحلته المعروفة إلى العالم السفلي: «لا تُقبِّل المرأة التي تحب، ولا تضرب المرأة التي تكره».

ولكن أنكيدو لم يتبع نصائح معلمه، ويؤكد لنا الشاعر الملحمي أن أنكيدو قَبّل الزوجة التي يحب، وضرب الزوجة التي يكره».
وأخيراً تقول الأمثال السومرية عن الزواج: «من يتزوج يدخل التنور» ياله من تشبيه.

السومرية أماً:
الحب والحنان هما صفتان لازمتان لعلاقة الأم بأولادها في سومر أولاً. وقد حرمت الشرائع على الأم أن تضرب أولادها، وطلبت إلى الابن احترام أمه ثانياً.

«تتكلم الام بحنان إلى ابنها، ويجيب الابن أباه بأدب»
ويصف لنا الكاتب السومري تدهور الأوضاع الاجتماعية «عندما تعنف الأم

ابنها، ويهزأ الابن من أمه، والأخ الأصغر يسخر من الأخ الأكبر، ويدير ظهره لأبيه». فلا تتكلم مع أمك بعنف «وانضو تحت جناحيها برفق» «وأصغ إلى كلام أمك كما تصغي إلى كلام ربك»

أما المرأة الجميلة في رأي الكاتب السومري فهي «جميلة ورشيقة، وأنيقة، ومنتجة، ومتسامحة، ومفرحة وعطره».

وليس يمكننا استعراض كل ما قدم لنا الأدب السومري عن المرأة. منذ خمسة آلالاف سنة، ولكن يمكننا التأكيد أن أوضاعها لم تكن بأقل مما هي عليه اليوم وفي أفضل ا جتمعات» (انظر كريمر المرجع السابق ص ١١٢).

البصارة أو أقدم مفسرة للأحلام

يمكن أن نلاحظ أنه كان للمرأة مهمات اجتماعية عادية كما هي عليه اليوم، وحالات استثنائية سياسية، ووظائف دينية ريئسة - إضافة إلى ذلك تبدو المرأة على النقوش والأختام وكأنها تقوم بمهمة طقسية غير واضحة وأهمها ختم أسطواني يمثل طقساً تظهر فيه امرأة مسدلة الشعر مستلقية على سرير، ويدها اليمنى حرة، ونرى حولها ثلاث نساء يقمن بطقوس لاندري تفاصيلها. ونرى إلى جانبهن الشمس والقمر والسرطان، وحيوانات مقدسة.

وتدل نوعية السرير الذي نراه في مناسبات ملكية رسمية وكذلك حجم المرأة بالنسبة إلى حجم الأخريات على أنها تقوم بحركة صلاة، وهناك شخص ثالث وهو رجل كبير أو ملك جاث يلمس قدم المرأة المستلقية هذا المشهد ربما كان يمثل حلماً ملكياً، اذ تذكر نصوص كتابية أن ملك لارسا رأى في حلمه رجلاً يمسك بقدمه أولاً. كما نجد أن ربة الأحلام وهي نانشه Nanše، منقوشة على ختم قوديا الملك السومري ثانياً. والسؤال هو: لماذا تكون آلهة الحلم ومفسرته مؤنثة؟.

برغم أنه لايوجد جواب قاطع عن ذلك، الاأننا نلاحظ أن التراث الرافدي المسماري لايحفل الابالعنصر الأنثوي لهذه الوظيفة فقد لجأ الإله تموز إلى شقيقته جيشتينانا Geštinana لتفسير حلمه. وجلجامش إلى أمه.

وتذكر إحدى المراثي البابلية أن الإلهة جولا Gula قد تعرضت لعقاب من أليل أنه مامن أحد يستطيع تفسير حلمها. وهذا يعكس لنا أهمية تفسير الحلم في مجتمعنا القديم. والهدف من تفسير الحلم هو اللجوء الى آلهة أخرى لمحو آثاره السلبية إن وجدت، ولقد كانت مهمة تفسير الأحلام للناس العاديين من مهمة المرأة التي تسمى مبصرة، أما تفسير النبوءات فهي بلاشك من مهمات كبار الكهان؟

إن من ابرز الكاهنات اللواتي قمن بتفسير الاحلام شقيقة شروكين/صارغون واسمها انخدوانا Enheduanna وهي الوحيدة التي تذكرها نصوص الألف الثالث قبل الميلاد. وكانت تتنبأ أيضاً بالثورات والأحداث وتصوغ المراثي واللعنات على الحكام والظلام.

والخلاصة أن الختم السابق الذكر وبعض النصوص الأخرى تدلنا على أن المجتمع السومري عرف البصارة أو مفسرة الأحلام منذ مطلع الألف الثالث قبل الميلاد.

الزواج السياسي

يحفل التاريخ القديم بزيجات سياسية كثيرة فقد قدمت لنا نصوص إبلا أمثلة على ذلك منذ الربع الاخير من الالف الثالث قبل الميلاد. حيث دونت الألقاب أي الملكة الزوجة ملكتوم Maliktum، وأم الملك أماجالان amagalan كما ذكرت أسماء أميرات كثيراتٍ دون معرفة بنات مَنْ مِنَ الملوك وكان عدد منهن متزوجات من ملوك أو حلفاء مجاورين، يدل على ذلك الهدايا والأعطيات المرسلة لهن. ونعلم قبل اكتشاف إبلا أن ابن الملك آلالاخ الحلبي أميتاكوم Ammitakum قد زوج ابنه من ابنة ملك إبلا[٧].

عهد الزواج الملكي حدثاً هاماً على مستوى المملكتين المتصاهرتين ولدينا سجلات للهدايا المقدمة في تلك المناسبة وهي مؤلفة من القماش وزيوت الزينة والمجوهرات.

أما الألف الثاني قبل الميلاد فقد كان سجله حافلاً بالزواج من العائلات الملكية في بلاد الرافدين ومصر معاً.

قدمت لنا نصوص ماري التي تؤرخ في النصف الأول من القرن الثامن عشر أمثلة على المصاهرة بين ملوك المدن الآمورية الجدد. وكان من بواكيره تزويج شمشي أدد الأول ملك آشور لابنه يشمخ أدد ابنة ملك قطنة (قرب حمص). وتصف لنا الرسائل حفلة الزفاف وانتقال العروس من قطنة إلى ماري (عبر تدمر) حيث يقيم ابن الملك الآشوري، بأن البادية قد ضجت لهذا الحدث وكان قد سبق وصولها تبادل الكثير من الرسائل والمطاليب بين العائلتين حتى تم الاتفاق على المهر(٨).

وكان صهر الملك الحلبي ياريم ليم ملكاً على ماري (قرب أبو كمال) وهو زمري ليم الذي استعاد مملكته بعد طرد الآشوريين الذين سبق ذكرهم ولدينا عشرات النصوص التي تصف لنا مراحل طلب يد الأميرة الحلبية شيبتو. فقد توجهت بعثة رسمية من ماري إلى حلب، حيث كانت تزود ملك ماري زمري ليم بأخبار المسير والوصول إلى حلب ويصف لنا مندوب البعثة الأول اصقدوم برسائله كيف طلب إلى وزير القصر الحلبي السماح له بالدخول وطلب يد الأميرة شيبتو من أبيها، ولكنه لم يجرؤ على الدخول بنفسه لتنفيذ هذه المهمة الدقيقة. فكلف بها الوزير. الذي اشترط شروطه أيضاً. وعندما دخل وخرج. قال له: إن أم الملك مريضة وطلب إليكم أن تؤجلوا الموضوع وتذهبوا برحلة ترفيهية في بلاد يمحاض. وبعد أن قام الوفد بالرحلة السياحية عاد لطلب ما جاء من أجله. فخرج لهم الوزير من بلاط الملك الحلبي قائلاً: إمرأة بامرأة.. ويقصد أنه يريد إحدى المغنيات في قصر ماري أمة أو محظية للملك مقابل موافقته على تزويج الأميرة!.

ويبدو أن هذه المقايضة كانت سرية خشية من الزوجة الملكة والدة شيبتو التي تسمى جاشيرا Gašera.

والمهم هو أن البعثة قامت بإجراء مراسم الزواج بعد الموافقة وقدمت الهدايا واعطاءات العريس. وقامت بإسدال الغطاء على رأسها واصطحابها في موكب حافل إلى ماري. كان من شروط ذهابها مثلاً، أنه يجب أن تقيم مع الملك تحت سقف واحد طوال الشهر. وفي ذلك إشارة إلى عادة بعض الملوك المعاصرين. وهي إقامة الزوجات خارج القصر الملكي وخاصة في أسبوع الدورة الشهرية.

لقد كان لزواج أميرة حلب شيبتو من ملك ماري أثر سياسي كبير أهم ملامحه وقف النفوذ الآشوري من أن يمتد إلى الغرب عن طريق حلب ولهذا عمد هؤلاء إلى إقامة تحالفهم مع قطنة والمصاهرة وإياهم كما اسلفنا بهدف الوصول إلى مناطق الاخشاب في سورية ولبنان.

لقد تركت لنا شيبتو عدداً من الرسائل التي كتبتها إلى عائلتها في حلب. أو إلى زوجها عندما كان يرتحل في مهمات رسمية أو عسكرية.

وقد شغلت منصب الملكة دون أن تحمل اللقب ولا سيما خلال غياب زوجها. وهنالك العشرات من الرسائل التي وجهها إليها موظفو الملك وكلها تتعلق بشؤون إدارية واقتصادية، ويجب أن نعلم أنها كانت تقيم في أجمل قصر وجد على وجه المعمورة وأكبره. وذاع صيته في ذلك الوقت حتى أن ملك أوغاريت قد توسط لدى الملك الحلبي حمورابي شقيق شيبتو في أن يساعده لزيارته.

تشكل وثائق تل العمارنة (ما بين ١٤٦٠ و١٢٠٠ق.م) مصدراً هاماً آخر لمعرفة الطرائق والعادات في الزواج السياسي الدولي. إذ نجد أن الفراعنة يتصاهرون والميتانيين الرافديين والحثيين أيضاً. وكان الزواج يمر عبر المراحل الآتية:

١ـ طلب يد الأميرة: بوساطة بعثة ومندوبين. حيث تقوم بالمفاوضات من أجل تقدير الهدايا ومطالب أهل العروس أو المهر إذا شئتم. وقد يتأخر إعطاء الجواب لأسباب سياسية كما حدث لفرعون مصر امنحوتب الثالث عند طلبه يد أميرة ميتانية. فقد تأخر الجواب سبع مرات. ربما كان السبب سياسياً يدل عليه تفاقم الخطر الحثي. والمهم هو أن الميتانيين وافقوا على تزويج أميرتهم إلى فرعون مصر، ويبدو أن مهرها كان مرتفعاً جداً كما تشير إحدى الرسائل.

ويجب أن يتحلى السفراء الذين يقومون بمباحثات الزواج بالكثير من الدماثة والسياسة فإذا تعثرت مهمة السفير يقدم الزيت النقي لزينة رأس العروس المقبلة تسهيلاً لمهمته.

وكان الاحتفال بالعرس حدثاً تضج له البلاد من سورية حتى مصر، فقد طلب الفرعون إبلاغ جميع أمراء البلاد بالاستعداد لاستقبال موكب العروس وهذا ما يشرط عليه أهلها، أي أن يكون الاحتفال عظيماً وحاشداً في مصر طوال الطريق. أما وصول العروس فيقابل باحتفال مهيب. وتعيش البلاد وفرعون أياماً مجيدة ومباركة. وتدور العـروس بين الـزائـرين عنـد وصـولها وتقترب من السفراء الذين ساعدوا بإنجاح مباحثات الزواج تعبيراً عن شكرها لهم.

وبعـد اتمـام العـرس تبـدأ التصريحـات السياسية من الـطرفين ومن الحكام والموظفين الكبار ويبدأ الملك الميتاني والد العروس بالقول: «لقد أصبحت أمتانا أمة واحدة. ميتاني (هاني غالبات) ومصر».

«Ilten amilutu ina šašu Hanigalbatu Uisir»

وهكذا تصبح الأمتان أمة واحدة من خلال زواج ملكي.

ولا يخفى أن جميع حكـام البـلاد يحذون حذو ملكهم في إطـلاق مثل تلك التصريحات. أما في الألف الأول قبل الميلاد فقد ظهرت المرأة الآشورية والمرأة عموماً من خلال أعمال النحت الفنية ضمن مجموعات، ومع أطفال أسيرات حرب وظهرت إلى جانب ملوك آشور زوجات أو مرافقات، ولم يظهر سوى الآشوريات على ظهور الخيل. ولكنهن لم يشاركن في الحرب مباشرة ولم تسجل لنا النصوص أعمال عنف أو اضطهاد ضد الأسيرات من النساء وعكست لنا المنحوتات أمومة المرأة في مشاهد يومية يرافقها الطفل مدى النهار.

ونشاهد الآشوريات يعزفن الموسيقا في مشاهد معركة الجيش الآشوري ضد العيلاميين.

وتذكر لنا النصوص الآشورية أقدم الملكات العربيات اللواتي أقمن في جنوبي سورية أو قرب بابل وآشور منهن الملكة العربية أديا Ady زوجة الملك أواتي Uati الذي أسره الآشوريون في إحدى حملاتهم التأديبية ضده[9].

الملكـة والوصاية على العرش

لقد أدت بعض الزوجات الملكات، مهمات رئيسة في ممالكهن ولا سيما، إيصال أبناء لهن إلى العرش بالرغم من وجود الوريث الشرعي.

ولدينا عدد من الأمثلة ابتداءً من القرن الرابع عشر ق.م وهؤلاء هن:
ملكة أوغاريت «آخات ملكو» وسمورامات ونقيا زكوتو الآشوريتان، وأداغوبي Adda- Guppi البابلية.

أما الخطوات الرئيسة لتحقيق هدفهن في إيصال مرشحهن إلى السلطة فهو أولاً: حظوتهن لدى الملك الزوج. ثانياً: تشكيل هيئة مخابرات تعمل باسم الوريث المتوقع، وعليها أن تبذل جهداً مضاعفاً إذا لم يكن ابنها من العائلة المالكة.

فتقوم بتعديل وتبديلٍ في الوظائف في القصر. وما إن يصل ابنها إلى السلطة حتى تمارس عليه أمومتها وتغدو الضامنة الأولى لاستمراره في الحكم.

وبرغم أنه لا توجد أختام وألقاب للملكات في الرافدين. إلا أننا لا نستطيع إنكار أهمية أثرهن غير المباشر في إدارة دفة الحكم في كثير من الحالات.

خاتمة.

بعد استعراضنا هذا لأحدث الأبحاث المنشورة عن تاريخ المرأة من المصادر المسمارية نتساءل ألا يمكننا القول: إن تاريخ المرأة في بلادنا لم ينقطع منذ خمسة آلاف سنة. أي منذ بدء الكتابة والتدوين؟ ثم ألا يمكننا القول: إن أطول تاريخ بأعبائه الثقيلة السلبية والإيجابية تحمله المرأة التي تعيش في منطقتنا العربية إن كانت تدري أو لا تدري؟. وسواء كنا نبحث عن جذور لتاريخنا عموماً أو نبحث عن أقدم جذور لتاريخ المرأة في بلادنا، فإننا لا يمكن أن نجهل تجربتنا الحضارية المكتوبة التي تمتد عبر ثلاثة آلاف سنة سبقت الميلاد وهي أطول من المرحلة التي تلت الميلاد ولسنا هنا في مجال تفضيل واقع على آخر. إنما القصد هو التعرف إلى الإنسان في ذلك العصر. ومن ثم يترك لكل منا إجراء ما يريد من المقارنة وهي الفائدة التي تسوغ وجود علم التاريخ.

د. فيصل عبدالله

١ـ الأبحاث الجديدة المنشورة تحت عنوان

La femme dans le proche- orient Antique

XXXIII' Rencontre Assyriologique internationale- /RAI/ (Paris, 7-10 Juillet 1986) textes réunis par Jean- Marie Durand Edition Recherche sur les civilisations, Paris 1987.

وانـظر ص١١ من المـرجـع نفسه حيث كان تاريخ المرأة في الشرق القديم موضوع مناقشة وبحث في المؤتمر الدولي للآشوريات RAI VI' عام ١٩٥٦ الذي لم يؤد إلى نشر ابحاثه في ذلك الوقت بسبب ضحالة المعلومات المتوفرة. بينما ترفدنا نصوص ماري وألالاخ وأوغـاريت ونينـوى وتـل العمارنة وإبلا بكثير من المعلومات بعد أن تقدمت الأبحاث ونشرت نصوص هذه المحفوظات بعد ذلك التاريخ.

٢ـ المرجع المذكور سابقاً.

W.G. Lambert Goddesses in the pantheon:

a reflection of women in society?

in «La femme» P. 125 ff.

٣ـ T. Jacobsen, The Sumerian king list

(AS II, 1939) P.104f.

٤ـ أفضل من كتب عن السومريات والمرأة «خاصة» صموئيل كريمر انظر بحثه الذي شارك به في المؤتمر المذكور سابقاً. ص١٠٧ فما بعد تحت عنوان:

The Woman in ancient Sumer gleanings from Sumerian literature.

٥ـ المرجع السابق.

٦ـ Asher- greve J.M. The Ofdest Female on eiromancer P. 27f. in «La femme»

٧ـ Artzi. P. The Influence of potitcal Marriage on the international relations of Amarna- Age P.23 in la femme.

وانظر ايضاً في المرجع نفسه:

Biga M.G, Femmes de la famille royale d'Ebla P.41.

وانظر في المرجع نفسه.

Foster B.R, Notes on women in Sargonic society p.S3 f.

٨ـ حول الـزواج السياسي في العصر البـابـلي القـديم والآموري يمكن العودة إلى أطروحتي المقدمة إلى جامعة ـ سوربون تحت عنوان:

Les relations Internationales entre le royaune de Yamhad/ Alep et les villes de Syrie du Nord.

(1800- 1695) av. J.C. Paris 1985.

وحول الزواج في حلب في القرن ١٨ق. م انظر بحثي المقدم إلى المؤتمر المذكور سابقاً.

ABDALLAH. F. La femme dans le Royaume.

d' Alep au XVIII siècle av. J.C. P.13f.

٩ـ انظر:

Albenda P. woman, Child. and family, their Imagery in Assyrian Art P.17, in «La femme».

دار العدل ملحق بالانكليزي

fonctionnaires avee avec

نتائج البحوث الجارية في «الكتلة الكلسية» شمال سورية

البعثة الأثرية الفرنسية للمعهد الفرنسي للآثار
في الشرق الأدنى العاملة في سورية الشمالية
ترجمة: الدكتور محمود حريتاني

إن «الكتلة الكلسية» في سورية الشمالية، وهي تمتد من الحدود التركية شمالا إلى مدينة أفاميا الأثرية، تعتبر فريدة من نوعها في العالم، بفضل غزارة المواقع فيها، وحالتها المحفوظة، والفائدة الأثرية والتاريخية لأوابدها القديمة، فهي تتجاوز ٧٠٠ قرية تعود إلى العصرين الروماني والبيزنطي، كما أن ستين قرية منها ما تزال تحتفظ بمنازلها القديمة كاملة، وكنائسها، وأديرتها، وقبورها، وبعناصر هامة جدا من أراضيها الزراعية أحياناً.

إن الدراسات التي يقوم بها المعهد الفرنسي للآثار في الشرق الأدنى تندرج تحت مبدأ استمرار أعمال الباحثين الأوائل الكبار: الاستاذ دو فوغويه، وهـ ج بتلر وماترن، وخاصة الاستاذ جورج تشالنكو الذي قام بإدارة بعثة «شمالي سورية» حتى عام ١٩٧٥م. ومنذ ذلك الوقت قام آثاريون كثيرون بدراسة المنطقة، وهناك أعمال متنوعة ماتزال جارية. ويعمل الجميع على معرفة حياة الفلاحين البسطاء الذين عاشوا في تلك المنطقة بين القرنين الثاني والسابع الميلاديين وتفكيرهم، وتقديم هذا التراث الرائع للمواطنين السوريين، وهو ذو مميزات عالية، وذو قيمة لا مثيل لها.

يتساءل المرء، طويلا! لماذا قامت هذه الأوابد القديمة، الكثيرة، في هذه المنطقة. بعد أن قدّرنا أن هذه الصفة الخاصة تعود إلى شروط خاصة، سادت في القديم، واننا نجهل ما هي آنئذ، نلاحظ اليوم أن تطور هذه المنطقة، المثالي - بعد أن اهملت في القرنين التاسع والعاشر - هو الجواب عن ذلك. وهو يوضح لنا أيضا لماذا بقيت أبنيتها القديمة قائمة لم تمس حتى يومنا هذا.

فمن ناحية النشاط الزراعي، في القديم، الذي كان الأساس الاقتصادي، لم تكن الكتلة الكلسية، منطقة ذات أهمية كبيرة. وبرغم قلة الينابيع، فقد كان الماء متوافرا، بفضل الأمطار الغزيرة في الشتاء، وقد لجأ الناس إلى جمعها في صهاريج نقرت في الصخر. ولكن البنية الصخرية لم تكن مهيأة لذلك دائما، فقد كانت متشكلة من طبقات متنوعة حتى في المنطقة الصخرية الصماء، ، كما أنها كانت قليلة العمق.

وهكذا سادت زراعة الأشجار وتربية المواشي، بشروط ليست أفضل مما عليه اليوم فالمساحات كانت واسعة وأكثر خصبا. ولكن أراضي «الكتلة الكلسية» لم تتمتع بالميزات الطبيعية التي تمتعت بها السهول المجاورة، سهول أنطاكية وقنسرين (منطقة العيس حاليا). ولم يكن ذلك إلا في المرحلة التي كانت الأراضي الصالحة للزراعة فيها قليلة ولهذا اضطر الفلاحون إلى تنظيم المدرجات وتسويرها للاستفادة منها، وقد كان ذلك عملا شاقا للاستفادة من أراضٍ ذات حجارة كثيرة وضيقة. أما هؤلاء الفلاحون فكانوا هم الفلاحون أنفسهم الذين كانوا في السهول، وهم من هناك، ولهذا فإن أوابد «الكتلة الكلسية» شهدت حضارة زراعية امتدت على مجموع أراضي سورية الشمالية كلها.

ومنذ عام ١٩٧٥، وبحوث المعهد الفرنسي لآثار الشرق الأدنى، تعمل جاهدة لتحصل على نتائج توضيحية، فقد أجريت الحفريات والتنقيبات، ورفع الأبنية الظاهرة على السطح، وتمت دراسات كثيرة لمخططاتها المعمارية وزخارفها، كما تمت بحوث حول السكان والحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في خلال دراسة هذه الأبنية.

جورج تات

حفريات قرية داحس:

إن قرية داحس وهي اليوم خالية من السكان، وهي أكبر قرية في القسم

الشمالي من جبل باريشا، وإن تطورها نموذجي، فهي تبدأ ببداية عمران الجبل في نهاية القرن الأول قبل الميلاد، ويتوقف البناء فيها بنهاية القرن السادس الميلادي، كما جرى في بقية أنحاء أرجاء «الكتلة الكلسية». لم تكن الغاية الرئيسة من الحفريات في هذه القرية التي ماتزال تحتفظ بأبنيتها القديمة قائمة، الكشف عن أبنية أخرى، ولكن الحصول على معلومات تتعلق بمدة بقائها، ومختلف مراحل تطورها، وذلك عبر ما يتم اكتشافه من فخار ونقود وأدوات أحيانا.

لقد كان الغرض من أعمال التنقيب في ثلاثة مواسم، الكشف على منطقة محددة، توضحها الآثار القائمة وكأنها ساحة سوق عامة، يعرض التجار بضائعهم تحت الأروقة التي تحيط بها، كما هو الشأن في المدن. وفي طرفها الشرقي يوجد بناء حسن المنظر، أفضل مما جاوره، أطلق عليه اسم «الأندرون» كان يستعمل دارا للمختار، أو سوقا تجارية، لها شرفة يمكن الاطلال منها على من يوجد في الساحة.

لقد أظهرت الحفريات حقيقة أكثر تواضعا، إذ إن بنية القرية لاتظهر أي عنصر مدني فـ «ساحة السوق» هذه كانت، في الواقع، مقسمة بجدران فاصلة، إلى ثلاث ساحات تعود إلى ثلاثة منازل. لقد تأكد لنا ذلك في خلال ملاحظاتنا في القرى التي ماتزال قائمة بشكل أفضل. ولقد غيرت هذه الملاحظة، مفاهيمنا عن التجمعات السكنية في مجمل «الكتلة الكلسية» وأصبح الأمر يتعلق تعلقاً واضحاً بـ «قرى» ولا بـ «مدن ميتة» بالرغم من المظاهر الضخمة للأبنية، فالمنازل، وقد بنيت بطراز واحد، تضم بناء واحداً مؤلفا من طابقين أو أكثر من بناء حوله باحة محاطة بجدار سياج يرتفع امتاراً عدة. والأبنية نفسها كانت تضم غرفاً عدة تتوضع فوق بعضها بعضاً على مستويين، وهي متقابلة على نسق. ونادرا ماتشكل زاوية مستقيمة. لقد خصص الطابق الأرضي للأعمال اللازمة، بينما خصص الطابق الأول لسكن الناس. وإن إلفة المجموعة العائلية واستقلالها قد تأكدا بانغلاقها على نفسها بجدران السياج وبالجدران الخارجية الصم، التي كانت الوسيلة والرمز لهذه الأبنية. لقد كانت المنازل، في هذه القرى متراصة إلى بعضها بعضاً احيانا، ويعود الاختلاط هذا الى توسعها المستمر. ففي البداية، بنيت على مساحة تفصلها، بناء يحفظ لها استقلالها، ولكن هذه المسافات قد تضاءلت فيها فيما بعد أمام الرغبة في التجمع.

لقد حصلنا على نتيجة أخرى، من حفريات داحس: فإن انهيار قرى «الكتلة الكلسية» لم يتم في خلال الفتح العربي الإسلامي. لقد توقف بناء المنازل منذ نهاية القرن السادس لكن أشغالها قد استمر، ولم تهمل قبل بداية القرن الثامن. إن الاهمال التدريجي لم يصل إلى نهايته إلا في بداية القرن التاسع الميلادي أو حتى بداية القرن العاشر الميلادي أحيانا، حيث أصبحت «الكتلة الكلسية» خالية تقريبا، وبقيت على هذه الحال، عدا مدة قصيرة في العصر الأيوبي، حتى أعيد إعمارها في القرن التاسع عشر، وازداد هذا في السنوات الأخيرة، بسبب النهضة الديمغرافية (السكانية) التي عرفتها سورية منذ منتصف القرن العشرين

جورج تـات

مميزات كنائس جبل باريشا: الحجرات المركزية المستطيلة في صدر الكنيسة.

لقد طرأ تعديل على شكل صدر الكنيسة الثلاثي (وفيه قدس الأقداس ومقام الشهداء ومكان الألبسة) في «الكتلة الكلسية»، قبل نهاية القرن الرابع الميلادي، أصبح الشكل الأكثر قبولا، الذي يوفر من ثم، فوائد بالنسبة إلى السقف، إنه صدر الكنيسة المستقيم. الذي انتشر في أربعة أخماس كاتدرائيات هذه المنطقة. ففي داخل هذه المجموعة، أتخذ الحل الأكثر قبولا في أرجاء «الكتلة الكلسية» وفي أكثر من نصف الحالات، وهو أن تحفظ الحنية شكلها المحرابي. ومع ذلك فان هذا الحل كان قليل الملاءمة، ويؤدي إلى ضياع في المساحة وصعوبة في البناء. لكن اللجوء إليه يعود إلى القيمة الرمزية للحنية تعويضاً عن المذبح.

لقد كان سكان جبل باريشا في هذا المجال، بتبنيهم شكلا أكثر بساطة، حيث تم تحقيق الحجر ات بإنشاء فواصل مستقيمة تساعد: على سهولة الاستعمال وغياب مشكـلات السقف، والحصـول على فسحـة باقـل التكاليف الإنشائية. وإن حلا مشابها، لايمكن أن يقدم إلا فوائد مادية، وندرك أن هذا الحل المشابه، لايمكن أن ينتشر واسعاً. ومع ذلك، نرى من المناسب أن ندرج قائمة بشكل مقدمات الكنائس ذات الحجرات المستقيمة فيما يأتي:

جبل باريشـــا :

بابزقا كنيسة سرجيوس (٦٠٩ ـ ٦١٠) بافتين الشرقية (القرن السادس) بامّقا (أواخر القرن السادس) بانقفور، بانقوسا الشمالية (نهاية القرن الخامس ـ بداية القرن السادس، مع تغيير محتمل) باقرحا الشرقية (٥٤٦) باقرحا الغربية (٤١٦ ، غير أن ترميها تم في ٥٠٣) باشـاكوح (القرن الخمس ـ ؟) باسميلي (نهاية القرن السادس الميلادي) باعـودا (٣٩٢، إلا أنـه اعيد بناء الحنية في آخر القرن السادس) كنيسة القـديس سرجيوس في دارقيتا (٥٣٧) كنيسة الثالوث في دارقيتا (القرن السادس) داحس الشرقية (المحراب في نهاية القرن الخامس) داحس الغربية (القرن السادس) دير داحس (في الربع الثاني حتى منتصف القرن الخامس) كنيسة دير سيتا الجنوبية الغربية (؟) القلعة (نهاية القرن السادس) خربة حسن (٥٠٧) الخربة الشرقية (القرن السادس) خربة تيزين (٥٨٥) كوكنايا الشرقية (؟) كسيجبة الغربية (القرن السادس) مارابون (؟) شيخ بهار (؟).

جبل الأعلى :

بحيو الغربية (القرن الخامس حتى منتصفه) بيريسي الشمالية (القرن السادس) بيتير (القرن السادس، بعد ٤٧١).

جبل الحلقة :

دير عمان الغربية (القرن السادس) كفر حوار (نهاية القرن الخامس) التوامة (؟).

جبل الزاوية : عالية

يجب أن يضاف إلى هذه القائمة، كنيسة «فريجة» في الشمال الشرقي وهي المثال الوحيد في هذه المنطقة حيث نجد أن مقدمة الكنيسة ثلاثية الشكل تفصلها جدران مستقيمة.

ولدى اطلاعنا على هذه القائمة يصبح لدينا واضحا أن جبل باريشا هو المكان الذي انتشر فيه هذا الشكل من مقدمات الكنائس، بينما يصعب أن نؤرخ ظهوره.

لكن من المعروف أن الكثير من الكنائس يعود إلى القرن السادس. وفي بعض الكنائس الأقدم نرى أن هذا الشكل إما أنه يمتد مدة طويلة (كما في كنيسة داحس الشرقية) وإما أن تحويراً قد أصاب البناء ولا سيما مقدمة الكنيسة (باعودا بانقوسا الشمالية، باقرحا الغربية). ومهما يكن، يظهر أن كنيستين قديمتين، قد بنيتا، وكانت مقدمتهما على الشكل الذي فصلناه وهما دير داحس وكنيسة بحيو الغربية. وهكذا نرى لزاما علينا أن نقبل أن هذا النموذج قد انتشر في نهاية القرن الخامس وفي خلال القرن السادس. وكانت له بدايات منذ القرن الخامس.

جان بيير سوديني

أديرة ماقبل الفترة البيزنطية في قرى منطقة أفامية:

لقد عددنا حوالي اثني عشر ديرا، في منطقة تمتد حوالي خمسة عشر كيلومترا، حول موقع البارة، على الحدود الشمالية لمدينة أفامية القديمة. لم يبق، من بعضها، سوى الأساس، ولكن بعضها الآخر ما يزال قائما لم يمس وترتفع جدرانه حتى السقف الأولى.

فالدير الجنوبي في البارة، ويقع إلى الشرق من المدفن الهرمي الكبير المدعو بـ «المزوّقة»، يقدم لنا المثل النموذجي على هذه الأبنية الدينية (الديرية)، ومما لاشك فيه أنه كان منعزلا من البدء، حيث يقع في الجهة الجنوبية من القرية، إلا أنه أصبح فيما بعد ضمن المجموعة العمرانية حيث توسع الموقع في القرن السادس. وقد قامت الأبنية داخل سور طوله ١٠٥ أمتار ويتراوح عرضه بين ٤٤ و٦٠ متراً، ويحده طريق من الجهة الغربية، ولقد بني السور بالحجارة، توضعت الكبيرة منها عموديا بفاصل مقداره ١,٥ متر ونصف وسطيا لتقوم على قاعدة وتتناوب جدراناً صغيرة بنيت بحجارة مزدوجة. إن هذا الطراز في البناء، لا يعود، خاصة إلى طراز الأديرة، لكننا نراه قد استعمل مرارا، ولاسيما في موقع: الدير ودير دبان، ودير رحبان وغيره. . . ولقد كان السور يحيط بحدود الدير «الماندرا» التي كانت مخصصة للرهبان فقط. أما الوضع

المتعـرج للمـدخل الذي يقع تحت بناء صغير طوله ٧,٥ أمتار فيعزل عزلاً مرئياً، مدخل الدير ابتداء من فتحة الباب. إن هذا المدخل الموجه شرقا لم يكن يستعمل، إلا في حالات استثنائية، في البيوت الريفية المجاورة، لكننا نراه، بتعديل طفيف في المنازل المدنية في مدينة أفامية. وفي داخل الموقع، يتوضع قسم من الأبنية على طول الجدار الشمالي، حول كتلتين من الأبنية تأخذ غرفها الرقمين ١١ و١٨ على المخطط. وفي الجهة الشمالية، بالقرب من المدخل نجد غرفتين مستطلتين انظر الرقمين (٢ و٣) يدخل إلى كل منهما بباب قائم في الزاوية الصغيرة. وهنا نرى نموذجا آخر من مخطط البناء، لا يعرفه السكان القرويون. فغرفهم تأخذ الشكل المربع تقريبا. وإلى الشرق نرى بابا انظر الرقم (٤) قد فتح في جدار السياج يؤمن الاتصال بين داخل الدير وعقار يقع إلى الشمال قليلا.

لقد أحيط البناء ذو الرقم ١١ من جهاته الأربع بصالات أو أروقة تتيح الوصول إلى الغـرف المجـاورة (٥,٧) خلافاً لمنازل السكن، فإنه لا يوجد أية زخارف على الأروقة: فعوضاً عن الأعمدة نجد دعامات مربعة، وعوضا عن التيجان المزخرفة، نجد أفاريز مزدوجة (كونسولاً). أما القواعد فهي غير موجودة.

وفي جنوبي هذه المجموعة، نجد غرفة مستطيلة انظر الشكل ذا الرقم (١٤) تفتح على الجهة الغربية، بفتحة عريضة على شكل قنطرة وهذا تَشَكّل وحيد يوجد في دير سوباط يشابه ما نجده في قبر جماعي.

أما المجموعة الثانية من الأبنية فتضم مكان العبادة «بهواً» طوله ١٤,٣٠ مترا وعرضه ٧,٥ أمتار يقوم عرضانياً على محور البناء، يمكن الدخول إليه عن طريق بابين قائمـين في مقـدمـة مدخـل الكنيسة (النارتكس)، والى الشرق توجد غرفة مربعة الشكل، تنفصل عن الرواق بفتحة يحيط بها نافذتان، تقوم مقام المحراب، وفوق هذه الغـرف يقوم الطابق الأول. ان هذا التطور في توسعة عرض الرواق، لانجده في الكنائس المحلية التي تتبنى المخطط الطولاني.

إن الأوضـاع التي أتينـا على وصفهـا سابقـاً يوجد في معظمها، وفي الأديرة

الأخرى. سور مجهز بجدار مستمر، ومدخل متعرج، وأبنية موزعة حول كتلتين من البناء، تضم أحداهما قاعة الصلاة وقبررا جماعيا يقع تحت الكنيسة، أو في بناء خاص.

جان باسكال فوردران

زخرفة الكنائس:

تتمتع كنائس المنطقة الشمالية، في جبال، باريشا الأعلى والوسطاني بغنى زخرفي كبير يغطي واجهات الأبنية أكثر مما يوجد في داخلها. حيث لانراها إلا في الحنية، وتيجان الأعمدة والمنبر (البيما)، وتوابيت ذخائر (بقايا) القديسين، وألواح المذبح (الهيكل). تتركز هذه الزخارف حول الكوى والفتحات (أبواباً، ونوافذ، وأقواساً) على شكلين: زخرفة نافرة أو زخرفة منحوتة.

فالزخارف الناتئة تظهر نافرة وتدريجية على سواكف الأبواب. كما تظهر هذه الزخارف النافرة على أفاريز الأعمدة بشكل مضلع أو شكل متطاول. ونرى في بعض الكنائس أن أرباع الدائرة (ربعية) والقولب الطوقي (في قاعدة الاعمدة) قد حلت محل الشكل المضلع. ومنذ الربع الأخير من القرن الخامس، تحت تأثير فن الزخرفة الموجودة في قلعة سمعان أدخلت طريقة القولب الطوقي المجزأ التي أصبحت من مميزات الزخرفة في القرن السادس الميلادي، وفي المرحلة نفسها أدخل استعمال فن الحفر الغائر.

لقد مرّ تطور فن الزخرف النافر والجوانب، بمراحل: اذ غدت الجوانب أكثر تجهيزا والفنون النافرة أكثر تعدداً، وظهرت الأشكال الحلزونية في أسفل الدعامات، وفي كثير من الحالات كانت الزخرفة النافرة تستمر وتلتف حول الواجهات، وتتفق هذه المراحل ومراحل فن التزويق.

لقـد تكيف فن الحفر ونيا أحيانا بنمو ودعمٍ من الحفر النافر ومع ذلك فقد ينفصلان أحيانا. أما أكثره فهندسي ونباتي في آن واحد. فثمة زخارف على أشكال متعددة حين تكون مجتمعة : لألى، ودوائر، وأكاليل، وزوايا، ونواتىء ، أسنان منشار وجدائل مشبكات، ونقوشاً متناسقة، وهي أفاريز من أوراق الأكانت وزخارف ملتفة كالأغصـان حين تكـون منفصلة. إن هذه النـماذج تكـون مصحوبة أحيانا بحلية بيضوية، أو صور وجوه دائمة ومعروفة كثيرا.

إن هذه العجالة لاتكفي لوصف الغنى والتنوع العمراني لمئات الكنائس التي بنيت بين منتصف القرن الرابع وبين الربع الأول من القرن السابع في جميع أنحاء الكتلة الكلسية، وفي خلال ثلاثـة قرون كان الحدث الهام حقاً هو بناء المجموعة الـرائعـة لقلعـة سمعـان الذي اسهم في ازدهار المنطقة وذيوع صيتها، ومع ظهور الأشكـال الجـديدة في تخطيط الزخرفة والبناء. إن كل جبل لم يحتفظ، إلا قليلا، بخصائصه : فخصائص كنائس جبال: باريشال والوسطاني والأعلى وسمعان، كثيرة ومتنوعة، أما كنائس جبل الزاوية فهي أقل عددا، وتتشابه من حيث الزخرفة والنقش النافر بالمنازل. أما قلعة سمعان فتشكل استثناء، إذ إن الأبنية الجميلة والهامة تقوم في جبلي الأعلى وباريشا (قلب لوزة، باقرحا، دير سيتا، خربة تيزين، بابزقا. . . .)

إن المنـاحي التقليدية (الكـلاسيكية) والمحلية، تختلط والأشكال الجديدة، وتحمـل رمـزا مسيحيا، كما أنها تشترك، وتشتق أحيانا، بخلق فن معماري للأبنية الأخرى في المنطقة وذلك عن طريق التأثير المتبادل.

أليس نقاش

التـطور السكـاني والاقتصادي والاجتماعي للكتلة الكلسية من القرن الثاني حتى القرن السابع :

لقـد قمنا بدراسة منهجية لخمس وأربعين قرية، ماتزال قائمة، وكاملة، في

ثلاث مناطق متباعدة من أنحاء الكتلة الكلسية : جبل سمعان، وباريشا والأعلى والزاوية، ولقد كانت نتائج الحفريات دقيقة وواسعة. فمنذ البداية، لاحظنا ببساطة، أن جميع المنازل تتبع نموذجا واحدا، وهي تتألف من حجرات سكنية كلها، متشابهة. وهي تشكل وحدة ثابتة تتيح لنا أن نعرف في كل قرية وفي كل ممنزل، حجم الفعاليات الاقتصادية. وعدد الرجال، وبنية الوحدات العائلية، وهكذا يمكننا أن ندرس قرى كاملة محفوظة. ونضع خطا بيانيا، ونرسم صورة تقريبية لتطور المنطقة بين القرن الثاني والقرن السابع.

ونستطيع أن نستخلص، نتيجة هامة، من هذا التطور هي أن توسعا ديموغرافيا واقتصاديا كبيرا قد تم خلال خمسة قرون (مابين الثاني والسادس)، لكنه ينقسم إلى مرحلتين متتابعتين من الارتفاع والانخفاض.

يبدأ أول ارتفاع مع بداية مرحلة الميلاد ويتوضح منذ بداية القرن الثاني الميلادي ويبلغ ذروته في النصف الاول من القرن الثالث ويتوقف فجأة حوالي عام /٢٥٠/ الميلادي، وقد ارتبط هذا التوسع ارتباطاً غير مباشر بالفتح الروماني ولاسيما حين ساد النظام والسلم الرومانيان خلال ثلاثة قرون تقريبا. ولقد خلقت هذه النهضة مناخا لأفضل الشروط للتوسع الديموغرافي فقد عمد الفلاحون الذين لايملكون أراضي للاستثمار إلى الحصول على أرضٍ خالية في الجبل لاستصلاحها، وذلك وفق تشريع يسمح لهم باستجار أراضٍ تابعة لأملاك الإمبراطورية مدة طويلة الأمد. ففي هذه المرحلة نستطيع أن نحدد بدء عملية رفع الحجارة من الحقول، ووضعها فوق المرتفعات الصخرية بحيث تبقى شاهدا على ذلك، أما التوقف المفاجىء، فقد حصل، كما يظهر في مرحلة انتشار الطاعون المعروف باسم «سيبريان» الذي اجتاح كل المقاطعات الشرقية للإمبراطورية، في منتصف القرن الثالث.

أما التوسع الثاني فقد بدأ حوالي عام ٣٣٠ الميلادي، ووصل إلى غايته في القرن الخامس الميلادي، ثم بدأ ينحدر في النصف الأول من القرن السادس الميلادي، وتوقف مابين /٥٤٠ و ٥٥٠م/ تقريبا. لقد كانت هذه المرحلة أطول من سابقتها وأكبر أثرا، ولها مميزة مزدوجة كما وكيفا، فبين عامي /٣٣٠ و ٥٥٠/ تضاعف عدد

ابنية السكن أربع مرات وخمسا. حسب المنطقة. ومن حيث الكيفية ظهرت تغييرات في البنـاء والزخرفة، دلت أيضا على تبدلات اقتصادية إذ أن الأبنية أصبحت تبنى بجـدران متعـامدة وتستعمل فيها الحجارة المربعة التي يتطلب نحتها وبناؤها عمالا اختصاصيين مأجورين. أما الزخرفة فقد أصبحت كثيرة ومتنوعة، ويتطلب عملها مجمـوعـات نحـاتين اختصاصيين أما الفلاحون فأصبحوا أكثر غنى إذن، ولم يعد اقتصادهم اقتصاد حاجة فقط، فقد اصبحوا يبيعون جزءا من إنتاجهم، وكان هذا الجزء هو الزيتون، وزيت الزيتون والعنب والحيوانات ايضاً. ان مما يفسر هذه الفعالية الاقتصادية هو قرب المدن والأسواق التي ارتادوها.

لم ينتج من هذا التغيير اية نتيجة في تطور المجتمع. والتحول الوحيد الذي اثبتتـه الدراسات الأثرية، هو ظهور المنازل الكبيرة غير انها لم تكن تشبه الدارات (الفيلات) بالمفهوم الروماني لهذه الكلمة. لقد كانت تضّم عائلات كبيرة، لم تكن لديها أراضٍ أوسع ممايكون عادة لكل فرد منها، إلا أن هذه العائلات كانت تعمد إلى تكثيف أعمالها وكانت هذه هي الوسيلة الوحيدة، لتحسين الانتاج في زمن لم يكن التقدم التقني الزراعي قد وجد.

لقد كانت سعة الأرض الواحدة التي تستثمرها العائلة الواحدة، تتراوح وسطيا بين ٣ و٥ من الهكتارات، يندرج فيها القسم الصالح للزراعة، وهذا يشكل الحد الأدنى، حيث لايمكن استثمار مساحة أقل منها. ولهذا فان الاقتصاد الزراعي وصل إلى نقطة مسدودة حوالي منتصف القرن السادس الميلادي. فلم تعد تتوافر الأراضي، بينما زاد عدد السكان، ونقص الفائض، حتى إنه اختفى، ولاسيما أن الشروط المناخية كانت سيئة، وأدى ذلك إلى ظهور الأزمات الغذائية في أوائل القرن السادس الميلادي وإلى انتكاسها منذ منتصف القرن. ولقد شكل فقر السكان، مناخا ملائما لتفشي الـطاعـون المعروف «جوستنيان» (سنوات ٥٤٠). ومنذ ذلك التاريخ لم تعد تبنى البيوت، الا أن بعض الكنائس قد بنيت في نهاية القرن السادس. أما الوفيات الكثيرة فأتاحت المكان للجيل الجديد الذي استطاع الاستفادة من الأراضي المهملة ـ الا أن الكتلة الكلسية لم تعـد ترى مثل نهضتها في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، برغم أن سكانها كانوا كثيرين حتى بداية القرن الثامن. ثم ما لبثوا أن افتقروا وجاء

الانحطاط السكاني الذي عرفته سورية الشمالية في القرن التاسع والعاشر، وكان من أسبابه الحروب بين العرب والبيزنطيين، وكل ذلك جعل هذا الجبل يخلو شيئا فشيئا. وقد غادر الفلاحون قراهم الى السهول المجاورة حيث كان أجدادهم قد غادروها قبل ثمانية قرون، ولم تنقصهم الأراضي الزراعية بعد الآن.

جورج تـات

مشروع دراسة منطقية وافية حول قرى شمال جبل الزاوية:

من أجل إتمام الدراسات السابقة وتأكيدها، يقوم بحث جماعي حول قسم من الكتلة الكلسية: قرى شمالي جبل الزاوية، حيث ما زالت هذه القرى قائمة جيداً وهي تشكل مجموعة كاملة ومستمرة: البارة، ومجليا، وبتيرسا، والوادي الذي يصل أريحا بمعرة النعمان ووادي مرتحون، وبسّلا، والجانب الغربي لدير سنبل، ودللوزا، وسرجيللا، بعودا، وربيعا، والجانب الشرقي من شنشراح

فبالرغم من يقظة السلطات المختصة، فإن مجموع هذه المواقع مهدد بسكن الفـلاحـين الـذين يزدادون بسرعة كبيرة، بل بانفجار سكاني يجتاح سورية اليوم، وتهدف دراستنا إلى الحفاظ عليها حفاظاً علمياً، في سلسلة دراسات يدعم قسم منها بالصـور الهـامـة، كما نقـوم بوضع خرائط توضح مواقع القرى والأراضي الزراعية القـديمة في وسطها الطبوغرافي. وقد تم تربيع منطقة شمالي جبل الزاوية في الواقع بشبكات عمودية بالحجارة المتراصفة تحدد حدود الحقول الطولانية والضيقة، إذ تعود هذه الأراضي الـزراعية إلى العصور القديمة في المرحلتين الرومانية والبيزنطية، أما التخطيط الهندسي فيدل على تحديدها في كل المنطقة. وإن هذه الدراسات تضم أيضا مخططات القرى، والأشكال البيانية، من حيث المخطط والارتفاع مع تفاصيل تقنية البنـاء والزخرفة للمنازل والحمامات والكنائس والقبور، وقد أخذت الصور اللازمة للخـرائب والطبيعة. ولقد تقدمت هذه الدراسات مؤخرا جيداً، فقد وصفت هذه القـرى، وتم رفع مائة وخمسين واجهة، وكذلك زخرفة ثلاث قرى. ولقد وضعت الشروح اللازمة للصور أيضا.

أما الموضوع الثاني لبحثنا، فهو دراسة القرى والأراضي الزراعية والأبنية كما هي، كما يدرس من خلالها حياة ساكنيها في القديم منذ البداية في خلال تطورهم. ولهذا الغرض تكاتفت جهود كثير من الزملاء كالرسام (إ. بخاش) والرسام الطبوغرافي (ي . بودوان) والمهندسين: (ج. ل. بيسكوب، ب برونت، ج. ب فوردران. ج شاربنيتية) والأثارية (أ. نقاش) والمؤرخ (ج. تات).

أما الدراسات المعمارية للكنائس والحمامات، فتكتنفها الصعوبات، إذ إن حالتها ليست جيدة دائما، خلاف ما رأيناه في الجبال الشمالية. أما المنازل فهي على العكس من ذلك، فدراستها سهلة وهي جيدة، وتتبع طرازاً واحدا. والغاية الرئيسة من الدراسات المعمارية تنحصر في كشف التفاصيل الرئيسة لتقنية البناء، وخصائصها المحلية. أما دراسة فن الزخرفة، فهامة، لأن تقنية البناء تسمح بالتمييز بين أبنية القرن الثالث والقرن الرابع، أولاً، وبين أبنية القرنين الخامس والسادس ثانياً، وأما دراسة فن الزخرفة فتتيح لنا تحديد هذه الناحية الأخيرة. إن أعمالا سابقة قد أتاحت تحديد مراحل توضع الحلقات العريضة على قاعدة المجموعة الزخرفية للواجهات وإن الرفع المنهجي لكل العناصر الزخرفية سوف يتيح لنا التوصل لتأريخ مؤكد أكثر. وثمة فائدة أخرى نجنيها من دراسة الزخرفة، تقودنا إلى الكشف عن الخصائص المحلية الخاصة بقرية أو مجموعة من القرى وهي التي لديها الدلالات الكثيرة على حياة الرجال، وتنقلات مجموعات النحاتين وقاطعي الأحجار.

إن بدهيات الحياة الريفية في مجموع قرى الكتلة الكلسية، قد عرضت في مؤلفات سابقة، ونحن هنا جئنا لتأكيد الخصائص المحلية ولاسيما من الناحية المورفولوجية (التشكلية) لتشكل القرى، والأسس الثابتة للحياة الاقتصادية والحياة الاجتماعية. أما تطور هذه القرى فيتميز هو نفسه في خلال التبدلات التي طرأت على توزيع مختلف الفعاليات الاقتصادية في كل أسرة وفي التبدلات التي تميز عصراً من آخر، وعدد حجرات المنازل وحجم المجموعات العائلية. إن هذا العمل، إن هو إلا مقدمة لمقارنات والأقسام الأخرى للكتلة الكلسية والكتلة البازلتية المجاورة.

أليس نقاش ـ جورج تات

المصادر والمراجع الأرمنية عن تاريخ مدينة حلب

المطران بطرس مراياتي

مهران ميناسيان

لما كانت مدينة حلب مركزاً تجارياً وثقافياً وصناعياً وسياسياً كبيراً في الشرق الأوسط، فقد توافد إليها الناس من كل حدب وصوب وترك بعضهم كتابات وشواهد عن الحياة فيها في مختلف الأزمنة.

فلا بد لمن يريد كتابة تاريخ هذه المدينة كتابة شاملة ومفصلة، أن يعود إلى المراجع باللغات الإنكليزية والفرنسية واللاتينية والسريانية والأرمنية والعثمانية فضلاً عن العربية.

وقد انكب الدارسون والباحثون على المراجع الأوربية القديمة لينهلوا منها ما يشفي غليلهم، ويسترشدوا منها أين يضربون معاولهم، ويستنيروا بها في أي مداد يغمسون يراعهم، ليتابعوا البحث والتنقيب عن الآثار ورفع الحجاب عن الزوايا الغامضة من تاريخ مدينة حلب. وقد سهوا أن للمراجع الأرمنية كلمة هامة تقولها في تاريخ الشرق الأوسط عامة ومدينة حلب خاصة.

لقد حظيت مدينة «بيريا» أي حلب بنصيب وافر من الاهتمام لدى المؤرخين الأرمن وذلك لسببين:

١ـ لموقعها الجغرافي المميز وأثرها الاقتصادي والثقافي في منطقة الشرق الأوسط والهلال الخصيب.
٢ـ لوجود جالية أرمنية متأصلة فيها منذ عهد قديم قامت بمهمة بارزة في تاريخ المدينة وشاركت في بناء كل شبر من أرض هذا الوطن.

فالمؤرخون الأرمن لم يدونوا تاريخ بلادهم فحسب، بل تطرقوا إلى تاريخ

شعوب أخرى كانت تجاورهم جغرافياً. ونذكر على سبيل المثال لا الحصر، المؤرخ كيراكوس كانتساكيتسي[1]، الذي عاش في القرن الثالث عشر وكتب عن المغول وعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم. والمؤرخ موسيس كاغانكادفاتسي[2]، الذي وضع تاريخ الشعب الأغواني المجاور لبلاده في القرن السابع. والرحالة هو فهانيس ديردافيتيان[3]، الذي زار بلاد الهند والنيبال وجبال همالايا والتيبت (عام ١٦٨٢- ١٦٩٣) ودوّن مذكراته وأصبح كتابه أهم مرجع تاريخي عن تلك البلاد، وغيرهم كثيرون.

وكتب المؤرخون الأرمن صفحات خالدة في العرب وفتوحهم وحضارتهم، ولعل أهم مصدر من هذه المصادر هو كتاب المؤرخ سيبيوس[4]، الذي وصف فيه الفتح العربي لأرمينيا في القرن السابع للميلاد.

ولما كنّا اليوم نسعى لإحياء تراثنا العربي القديم، والبحث عن تاريخ مدينتنا حلب للإحاطة بجميع الجوانب المندثرة منها، وإعادة لحمة الحلقات المفقودة وإلقاء الأضواء على الصفحات الغامضة، كان من الطبيعي أن نبحث في طيّات كتب التاريخ الأرمني علّنا نجد شيئاً يساعدنا فيما نسعى له.

من هنا تبرز أهمية هذه المصادر والمراجع الأرمنية التي نتشرّف بعرضها على جمهور الباحثين، إسهاماً منا في وضع تاريخ مفصّل وشامل ودقيق لمدينتنا العزيزة. وأملنا أن تحظى هذه المصادر والمراجع بالأهمية المرجوة وتتبوأ مكاناً رفيعاً بين سائر المصادر الأجنبية التي تتكلم على حلب.

النوع الأول من المصادر والمراجع: المؤرخون.

غُرف الأرمن بشغفهم بالتاريخ، فمنذ أن وجدت الأبجدية الأرمنية عكف الأدباء على تدوين ملاحم أبطالهم وتاريخ أجدادهم وأحداث عصرهم. ونحن هنا نخص بالذكر بعض المؤرخين الذين كتبوا عن مدينة حلب.

آ ـ المؤرخ ماتيوس اورهايتسي[5]

ولد في النصف الثاني من القرن الحادي عشر في مدينة الرها، وتوفي فيها عام

١١٤٤. يؤرخ كتابه المسمى «الحوليات» للمرحلة الزمنية الواقعة ما بين العامين ٩٥٢ و١١٣٧م، أي مدة مائتي عام تقريباً. وهو يقسم إلى ثلاثة أقسام، يتكلم فيه المؤلف على أسرة البـاكرادونيين الملكية الأرمنية، وعلى غزوات الأتراك، وهجرة الأرمن إلى بلدان أخرى، وعلى الإمارات الأرمنية في المهجر. وهناك معلومات قيّمة عن أبناء البلدان المجـاورة وعـلاقـاتهم بالأرمن كالكـرج، والعرب، والبيزنطيين والسلاجقة الأتراك والصليبيين وغيرهم.

طبع هذا الكتاب مرات عدة باللغة الأرمنية ونقل إلى لغات أخرى كالفرنسية والتركية.

لقد ذكر المؤلف مدينة حلب في كتابه «الحوليات» أكثر من خمسين مرة وأرّخ بعض الحوادث المتعلقة بها. وقد اخترنا هذه الفقرات التي تأتينا ببعض التفاصيل عن حوادث عام ١١٢٥:

«في هذا العـام (أي عام ١١٢٥) قام ملك القدس بغدين والملك جوسلين بجمع جنود الفرنج وساروا على مدينة حلب وقدم إلى جوسلين ملك العرب صالح بن دبيس صهر غازي، ليوقع معه معاهدة صداقة. وجاء بجيوشه ليساعد جوسلين وجـاء أيضـاً إلى جوسلين حفيد السلطان تتش وسلطان ملاطيه ابن قليج أصلان واحتشد أمام مدينة حلب جيش عرمرم ودام الاقتتال أياماً كثيرة، وبدأت المدينة تعاني من خطر المجاعة فلجأ أهل البلد إلى أمير موصل البرسقي وطلبوا منه النجدة فجمع قوة كبيرة وبعد ستة أشهر وصل إلى حلب وهزم جيوش الفرنج فنجت مدينة حلب وعادت جيوش الفرنج إلى أماكنها من دون خسائر. أما ملك العرب فهجم واحتل مدينة الموصل وجميع البلاد التابعة للبرسقي، أما البرسقي فمكث في حلب بضعة أيام ثم ذهب إلى دمشق ووقع على معاهدة صلح مع أميرها تكتكين» (ص٢٤١-٢٤٢).

انهى المؤرخ ماتيوس كتابه «الحوليات» عند سنة ١١٣٧ وقام مؤرخ آخر يدعى الخوري كريكور وأكمل تاريخه إلى العام ١١٦٢. وقد اتّبع نفس النمط في عرض الوقائع. وهو أيضا ذكر مدينة حلب مرات كثيرة (لان الأحداث التي يؤرخ لها تدور في منطقة الشرق الأوسط). ونختار هذا المقطع الذي يتحدث فيه عن زلزال مدينة

حلب في سنة ١١٥٦ «في اليوم السادس والعشرين من شهر تشرين الأول حدث زلزال في جميع البلدان. دام الزلزال بشكل مستمر حتى العام التالي وطوال اربعة عشر شهراً حدثت هزات متواصلة لا يحصى عددها»(ص٢٧٩).

ب ـ المؤرخ هيتوم[٦]

هو من الشخصيات السياسية البارزة في مملكة كيليكية الأرمنية. وقد عاش بين نهاية القرن الثالث عشر ومطلع القرن الرابع عشر. كان قائداً للجيش ولكنه اعتزل الحياة السياسية ودخل في السلك الكهنوتي وكتب تاريخه المعروف الذي يتكلم فيه على هجمات التتر على الشرق الأوسط.

إن لكتابه قيمة تاريخية كبيرة لدى دارسي تلك الحقبة، وشعوب منطقة ارمينية والقوقاس والبلاد العربية. لقد ذكر المؤرخ هيتوم مدينة حلب في مقاطع كثيرة من كتابه «تاريخ التتر» ولكننا سنكتفي بهذا المقطع الصغير الذي يتحدث فيه عن محاصرة الطاغية هولاكو التتري لمدينة حلب وفتحه لقلعتها بحد السيف.

يقول المؤرخ هيتوم في كتابه: «امر هولاكو بمحاصرة مدينة حلب التي كانت مدينة قوية محصنة بالاسوار وحاشدة بالسكان وغنية بالممتلكات. هجم هولاكو بعزم على تلك المدينة بواسطة الممرات تحت الارضية والآليات المعروفة بالمراكب والسهام والمنجنيقات وبواسطة أنواع أخرى من الاسلحة. وبالرغم من أن المدينة كانت تبدو منيعة إلا انه استطاع خلال تسعة أيام ان يحتلها ووجد فيها كنوزا لاتحصى. وكانت في وسط المدينة قلعة احتلها بواسطة فجوات احدثها فيها. وهكذا وقعت في يده مدينة حلب كاملة عام ١٢٥٠م» (ص ٤٧).

ج ـ المؤرخ كريكور تاراناغتسي[٧]:

عاش في الربع الأخير من القرن السادس عشر حتى عام ١٦٤٣. ويعدّ تاراناغتسي من الشخصيات الدينية المعروفة في ذلك الحين.

كتب تاريخه بشكل حوليات عاماً بعد عام في بداية القرن السابع عشر. وبما أن المؤلف عاش مدة طويلة في دير القديس يعقوب للأرمن في القدس، فإن لكتابه قيمة تاريخية كبيرة لأنه يتكلم على الأحداث المرتبطة ببلاد الشام ولاسيما عن حركة الجلاليين

وأسباب نشوئها ونتائجها الاجتماعية. وقد وصف الوضع الداخلي للدولة العثمانية وحالة الأرمن فيها.

لقد ذكر مدينة حلب في صفحات متفرقة اقتطفنا منها هذا المقطع الذي يشير فيه إلى الجلاليين: «في هذا العام (أي في عام ١٦٠٦) عندما كنا في القدس كان صاحب كلّس جانبولاد ثائرا ولكونه جلاليا فقد ضيّق على حلب والشام حتى في القدس تضايقنا من الحصار. ثم أن مراد باشا قتل جميع الجلاليين في حلب وجانبولاد هرب مع ثلاثمائة شخص نجوا بصعوبة إلى كلس وأخذ معه امه وطفله الذي كان جميل المنظر وذهب إلى القسطنطينية عند السلطان وقدم له الخضوع واعطى امه وابنه رهينة للسلطان. واشتكى له على نصوف باشا وغيره لانهم جعلوه جلاليا بالرغم منه» (ص ١٠١).

د ـ المؤرخ المطران ابراهيم كوبليان (كوبلّلي):

هو من مواليد كلّس عام ١٧٨٦. تلقى تعليمه في ديربزمار في لبنان وبعد رسامته كاهناً جاء إلى حلب وبعد مدة أصبح مطرانا للأرمن الكاثوليك في حلب وتوفي فيها سنة ١٨٣٢.

كتب كوبلّلي الشعر وقام بترجمة كتب دينية عدة باللغتين العربية والأرمنية ولكن أهم ماوصل إلينا منه هو دفتر يومياته حيث دوّن فيه الكثير عن حلب من حوادث سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية وثقافية ودوّن أيضا معلومات قيمة عن تاريخ المدن المجاورة لحلب. ولكن أغرب مافي هذا الدفتر يومياته عن ثورة الحلبيين ضد خورشيد باشا العثماني وحصار مدينة حلب مابين عامي ١٨١٩ و١٨٢٠، حيث يصف الحوادث مفصلةً ومعاناة الشعب في خلال أيام الثورة التي دامت أكثر من مائة يوم حتى نفدت الذخيرة وبدأت المجاعة فدخل الباشا العثماني المدينة بالخدعة وفتك بزعماء الثورة.

بدأ كوبلّلي بكتابة هذه اليوميات باللغة الأرمنية ثم مالبث ان تابع عمله باللغة العربية. ونختار هنا صفحة من المخطوط من القسم العربي من دون تعديل في النص ليتعرف القارىء إلى الأسلوب اللغوي السائد في ذلك الوقت: «واما يوم الثلاثة وهو رابع وعشرون من ربيع اي ٨٠ (من القومة) فاتفقوا اهل البلد يطلعوا على الباشا

ويضربوه وصار الصوت في البلد انه أي من كان نصراني مسلم يهودي بالعصا، بالمقلاع، بالسلاح، يطلعوا يحاموا عن دمهم وعرضهم امة محمد طلعت إلى البرية واما محمد اغا لم يرتضي. قال انا اريد اصالح فهجمت عليه النسوان والمسلّحين وارادوا يقطعوه قايلين بعد ان قتلت ولادنا ورجالنا وخربت دياراتنا انت تريد تصالح واخذوا اربعة بغال ذخره وتجمعوا على بنقوسة وطلعوا لبرا والنسوان كانوا يودعوهم قايلين ياشباب الذي يخاف لايطلع نحن نطلع بداله وصار بكا عظيم فصارت الشباب تبكي ودموعها على وجهها وتقدموا الى قدام نحو خمسة الاف وهجم منهم سبع ماية وتقدم خمسة عشر دالاتي وهربوا وكاد ان يعفّسوا بعضهم وطلع الباشة مزرخ مع مماليكه وكادكليه فوقع من المماليك والكادكليه وقتل ثلاثة فراص ركبتهم الباشة وكان يضرب طواب بالحوار والحجر والكلل وصار جروحات وهمّ العسكر على الهزيمة واهل البلد جابوا معهم روس ورجعوا الى البلد منصورين وخف من عنهم ذلك الوهم الذي اعتراهم قبل وفي الحال وصل ساعي معه ورقة من صالح باشة والي الشام يقول باشتكم معزول والمنصب عليّ فضاينوا كم يوم وانا واصل لطرفكم واخذ الورقة جاويش آغا وشقها وحبس الساعي ليرى حقيقة الامر وحين هجمة الناس على البرية العسكر تركوهم وهجموا على الحيطان ظانين أن المتاريسات فاضية واما أهل المتاريسات كانوا صابرين ضربوهم ورموا منهم وردوهم وقتلوا منهم مابة وسبعين عدا المجروحين». (من الصفحة ٣٣ من المخطوط). هذا وصف يوم واحد. وهذه الحوليات أكثر من يوميات، إنها ملحمة نضالية.

النوع الثاني من المصادر والمراجع: أدب الرحلات:

منذ عصور غابرة خرج بعض المغامرين الأرمن من بلادهم وراحوا يجوبون المعمورة الشاسعة بحثاً عن عالم جديد. ودوّنوا ذكرياتهم في كتب فكان أدب الرحلات. ومن هؤلاء الرحالين نذكر أبرزهم الذي زار مدينة حلب وهو:

الرحالة سيمون ليهاتسي[٨]:

ولد سيمون (سمعان) في بولونية عام ١٥٨٤ وكانت مستقرة فيها جالية أرمنية منذ عهد قديم. وقد قام برحلات كثيرة وزار مدناً وقرى مختلفة في بولونية ورومانية وبلغارية وبوسنية وتركية واليونان وإيطالية وأرمينية وسورية وفلسطين ومصر، وخلّد ذكرياته في كتاب مشوق.

نجد في هذه الصفحات أخباراً هامة عن عادات الشعوب وتقاليدهم وحياتهم الاقتصادية والاجتماعية وطقوسهم الدينية. ويذكر أيضاً المسافات بين مختلف المدن ليساعد الحجاج الذين يطلبون الذهاب إلى القدس الشريف.

وما يهمنا في هذا الكتاب ما ذكر عن زيارته لمدينة حلب في عام ١٦١٧م وخصها بصفحات طويلة نقتطف منها هذه المقاطع:

«إن حلب مدينة محصنة بالأبراج والقلاع. لها عشرة أبواب وعلى كل برج مدافع مصنوعة وما عدا القلعة هناك حصن منيع يشبه حصن حمص (وربما أراد بها سراية أبي بكر الوفائي الشيخو بكر) ولكن القلعة هي أكبر وأعلى وحولها خندق ومبنية على تلة مرتفعة ومن هناك مدافع تظهر أفواهها من النوافذ وكان الخندق العميق والكبير ممتلئاً بالماء وفي الطرف الآخر من الماء يرقد النسيمي وعلى ضريحه ارتفعت شجرتان باسقتان.

وفي حلب ٣٦٥ خاناً، الواحد أفضل من الآخر. وهناك عدد لا يحصى من الحوانيت والمحلات والمتاجر وكل ما تطلبه تجده هناك لأنها مدينة تجارية كبيرة. وكذلك خانات الفرنج حيث يقيم القناصل ويباع فيها الأطلس والجوخ والقماش الأجنبي. وكذلك هناك حمامات جيدة، مياهها وفيرة وصحية. ومكثنا في حلب شهراً لما وجدنا فيها من حفاوة من قبل سيادة المطران (صفحة ٣١٧ و٣٢٤).

ويتابع الرحالة حديثه ويتكلم على علاقات الطوائف ببعضها بعضاً. ويذكر أن في حلب أربعة قناصل. وكذلك يتكلم على وضع الأرمن فيها ويصف كنائسهم وبيوتهم وعودة الحجاج من القدس الشريف.

النوع الثالث من المصادر والمراجع: حواشي المخطوطات

من المعروف أن للمخطوطات قيمة ثمينة ولكنها تحوي في ثنياتها قيمة أخرى لاتقل شأنا عن قيمة نص المخطوط نفسه. إذ إن في ذيل المخطوطات جاءت حواش وضعها النساخ أو أصحاب المخطوطات بخط يدهم، كتبوا فيها عن الظروف الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية والتقلبات السياسية التي كانت تسود في أيامهم.

وهذه الظاهرة قلما نجدها في مخطوطات غير المخطوطات الأرمنية. وقد جمعها عدد من الباحثين وبوبوها بحسب التسلسل الزمني وطبعت في مجلدات ضخمة يناهز عدد صفحاتهاعشرة الالاف.[٩]

وهناك عشرات الحواشي التي كتبت في حلب عن أوضاع حلب في مختلف الأزمنة نختار منها هذه الحاشية التي جاءت في ذيل ديوان شعر لشاعر أرمني حلبي نسخ في عام ١٦٧٩م:

«يوم الاربعاء في السادس والعشرين من عام ١٦٣٣م دخل نيفابي باشا كبيكلاربيكي الى حلب (اي واليا) جعله الله خيرا.

في الحادي عشر من شهر تموز عام ١٦٣٩ يوم الخميس دخل السلطان الى حلب. وفي الثامن والعشرين من شهر تموز يوم السبت غادر حلب ومعه ابنة الفرنج.

في السابع من شهر كانون الاول من عام ١٦٣٣م، يوم السبت، في الساعةالثالثة، دخل الوزير احمد باشا الى حلب»[١٠]

النوع الرابع من المصادر والمراجع: المراسلات القديمة

كانت الجالية الأرمنية في حلب ذات ارتباط بمراكز روحية عالية عدة في سيس (كيليكية) وبزمار (لبنان)والقدس واتشميازين (ارمينية) والقسطنطينية. لذلك كان الرؤساء الروحيون القائمون على رعاية الأرمن في حلب يراسلون أديرتهم ومراجعهم العليا فيعرضون شؤون الرعية وأحوال البلد الاقتصادية والسياسية وانعكاساتها على الأمور الدينية. فنجد في طيات هذه الرسائل أخبار طريفة وقيّمة عن حقب مختلفة من تاريخ حلب.

إن هذه الوثائق محفوظة في أديرة ومراكز روحية مختلفة مثل دير القديس يعقوب بالقدس، ودير السيدة في بزمار (لبنان)،ودير الآباء المختارين في البندقية وفيينة، وبطريركية القسطنطينية،ومكتبة يريفان الوطنية.

إن معظم هذه الرسائل لم تنشر، وهي طي الأرشيف. ونذكر على سبيل المثال رسالة كتبها القس هوسيب من حلب إلى رئيسه في دير بزمار في ٩ نيسان ١٧٣٣، يصف فيها تفشي وباء الطاعون في المدينة وكيف كان عدد الأموات يزداد يوما بعد يوم حتى وصل إلى المئات يومياً. ويذكر كيف أقفلت المدينة واعتصم الناس في بيوتهم ولم يكونوا يخرجون إلا لدفن موتاهم في خارج المدينة. ويذكر ايضا أن الأغنياء غادروا المدينة ولم يبق فيها سوى الفقراء ممن لاحول لهم ولاقوة. (أرشيف دير بزمار ٩/ ١٩٢).

النوع الخامس من المصادر والمراجع: «الصحافة القديمة»

لقد ظهرت أول صحيفة أرمنية في الهند في مدينة مادراس عام ١٧٩٤، ثم تلتها صحف ومجلات كثيرة في أرمينية والمهجر. ولما كانت هذه الصحف تهتم بالأرمن المقيمين في مختلف الأقطار فمن الواضح أنها كانت تنشر الرسائل الواردة إليها من كل الأصقاع.

ومن بين هذه الرسائل ماجاء فيه ذكر حلب وأخبارها وأحوالها وأحوال الأرمن فيها وكل مايتعلق بالحياة التجارية والثقافية والدينية والسياسية.

وبعد الحرب العالمية الأولى ومذابح الأرمن في تركية واستيطانهم هذه المدينة العامرة ازدهرت الصحافة الأرمنية وأخذ الصحفيون يكتبون عن حلب وأحداثها بغزارة.

---

١ ـ كيراكوس كانتساكيتسي، «تاريخ الأرمن» تحقيق فاراك اراكيليان، يريفان، ١٩٨٢، ٣٥٢ صفحة.

٢ ـ موسيس كاغانكادفاتسي، «تاريخ بلاد الأغوان» تحقيق فاراك اراكيليان، يريفان، ١٩٦٩، ٣٢٣ صفحة.

٣ ـ هوفهانيس ديردافيتيان، «سجل الحسابات» تحقيق ليفون خاجيكيان وهاكوب بابازيان، يريفان ١٩٨٤ ٤٢٧ صفحة.

٤ ـ سيبيوس «تاريخ سيبيوس» تحقيق كيورك أبكاريان، يريفان، ١٩٧٩، ٤٤٨ صفحة.

٥ ـ ماتيوس أورهايتسي «الحوليات» تحقيق هراج بارتيكيان، يريفان، ١٩٧٣، ٣٧٤ صفحة.

٦ ـ هيتوم «تاريخ التتر» البندقية (إيطالية) ١٨٤٢، ٩١ صفحة.

٧ ـ كريكور تاراناغتسي «الحوليات»، تحقيق الأب مسروب نشانيان، القدس، ١٩١٥، ٦٦٧ صفحة.

النوع السادس من المصادر والمراجع:«مواد المحفوظات والوثائق (الأرشيف)»

إن الجـالية الأرمنية كانت تشكل جماعة مستقلة ملتفة حول كنيستها. ولهذه الجماعة لجان مِلّية كانت تجتمع لإدارة شؤون الرعية. وكانت تدون القرارات على ضوء الأحـداث الجـارية في المدينة ومنها نستطيع ان نستلخص بعض الحوادث التاريخية والمواقف الشعبية من منظور الجالية الأرمنية.

بعد هذه النظرة إلى المصادر والمراجع الأرمنية عن تاريخ مدينة حلب نأمل أن نكون قد أعطينا فكرة شاملة عن الموضوعٍ في انتظار أن يُجمع كل ماكتب عن تاريخ حلب باللغة الأرمنية وينشر في كتابٍ خدمةً للعلم.

المطران بطرس مراياتـي
مهران ميناسيان

---

٨ ـ سيمون ليهاتبي «ذكريات رحالة» تحقيق الأب نرسيس اكينيان، فيينة، ١٩٣٦، ٤٤ و٣٩٣ صفحة.

٩ ـ الكاثوليوس كاريكين الأول «حواشي المخطوطات»، الجزء الأول، بيروت، ١٩٥١.

ـ آ. ماطيفوسيان «حواشي المخطوطات الأرمنية من القرن الخامس إلى القرن الثاني عشر»، يريفان، ١٩٨٨.

ـ آ. ماطيفوسيان «حواشي المخطوطات الأرمنية في القرن الثالث عشر» يريفان، ١٩٨٤.

ـ ليفون خاجيكيان «حواشي المخطوطات الأرمنية في القرن الرابع عشر» يريفان، ١٩٥٠.

ـ ليفـون خاجيكيان «حـواشي المخطوطات الأرمنية في القرن الخامس عشر» ثلاثة مجلدات، يريفان، ١٩٥٥، ١٩٥٨، ١٩٦٧.

ـ واسكـين هاكوبيان واشود هوفهانيسيان «حواشي المخطوطات الأرمنية في القرن السابع عشر»، ثلاثة مجلدات ١٩٧٤، ١٩٧٨، ١٩٨٤.

١٠ ـ المطران ارداواست سورمييان «فهرس المخطوطات الأرمنية» القدس ١٩٣٥، ص ٣٨٧ و٣٨٨.

كتاب «حلــب»

تأليف الباحثين: غاوبه وفيرت

التعريب والتلخيص و(التعريف) المهندس عبد الله حجار

صدر كتاب «حلــب» تأليف الباحثين الألمانين هاينس غاوبه وأوجين فيرت عام ١٩٨٤ ضمن سلسلة «أطلس توبنجن للشرق الأدنى» العلوم الإنسانية (رقم ٥٨٥) وعنوان الكتاب (حلب: موضوعات جغرافية وتاريخية عن التكوين العمراني والتنظيم الاجتماعي والفعالية الاقتصادية لمدينة تجارة خارجية كبيرة في الشرق الأدنى.»

يتبيّن من عنوان الكتاب الطويل كثرة الموضوعات التي تناولها وتعددها ضمن صفحات الكتاب االضخم التي بلغ عددها ٤٧٨ صفحة بما في ذلك صور الأشكال والجداول والملحقات وكشاف أسماء المواقع الأثرية والهامة وقد بلغ تعدادها ٧٧٠ موقعا وبناء مما لم يسبق إحصاؤه في أي كتاب آخر، بالإضافة إلى الخرائط الملحقة بالكتاب والموضحة للموضوعات التي جاءت فيه ولاسيما التطور في المراحل الزمنية المختلفة والمواقع الفعلية لتلك الأماكن المذكورة.

يتـألف الكتـاب من مقدمة وثمانية عشر فصلا ضمتها ٣٣٨ صفحة تناوب معالجة موضوعاتها الباحثان غاوبه وفيرت وقد قسمت هذه الفصول ضمن ثلاثة أقسام رئيسة أُلحق بها كتالوج، وهي:

آ ـ المقـدمة: وضمّت خمسة فصول تكلّم الفصل الأول منها على حلب من حيث هي مركز تنظيمي وعقدة للتجارة الخارجية بين الشرق والغرب في شمال سورية. بينما اختص الفصل الثاني بتاريخ مدينة حلب وبيّن الحاجة إلى إنجاز حفريات في تل العقبة لمعرفة مراحل ما قبل التاريخ وتأثير المصريين والحثيين في تاريخ حلب في الألف

االثاني ق. م وتوسعها أيام السلوقيين والرومانيين ثم البيزنطيين وفي المراحل العربية والإسلامية المتتابعة حتى المرحلة العثمانية ونهاية القرن التاسع عشر. وبيّن الفصل الثالث الدراسات التي سبق أن قام بها باحثون عن تاريخ العمارة بحلب والناحية الاجتماعية والاقتصادية من أمثال سوفاجيه وجان كلود وأندره ريمون وحوراني ومدى التأثير الأوروبي الغربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. كما ذكر بين المراجع دراسات فان برشم وسوبرنهايم وهرتسفلد (ويذكر الأخير وجود ٢٨٢ كتابة على أبنية حلب) وكذلك كتب ابن الشحنة وابن العجمي وابن شداد وابن العديم وأبحاث اليسيف وسورديل وحميدة ومايتكه وسواهم. وقد ذكر في هذا الفصل ملاحظات على خريطة المؤلفين بمقياس ١/٢٠٠٠ رسمت في الأعوام ١٩٧٥ و٧٩و١٩٨٢ وسجلت لت عليها المواقع الأثرية والتاريخية وسواها داخل الاسوار وخارجها من الرقم ١ حتى الرقم ٦٢٢ حتى ربيع ١٩٨٢ ثم أضاف فيرت المواقع من ٦٦٣ إلى ٧٧٠ في خريف ١٩٨٢ ومعظمها من الأبنية الحديثة.

أما الفصل الرابع فقد اهتم برصد الخرائط الطبوغرافية لمدينة حلب واقدمها خريطة نيبور Niebuhr المرسومة عام ١٧٦٦ ثم خريطة الطبيب الكسندر راسل في كتابه «التاريخ الطبيعي لحلب» المطبوع عام ١٧٩٤. وكانت أول خريطة مرجعية للأماكن مخطط مدينة حلب وضواحيها المرسوم بين ١٨١١ و١٨١٨م واكملت في ما بعد وفيها تبيّن واقع الدور والأحياء قبل زلزال عام ١٨٢٢ المدّمر وقد رسمها عام ١٨١٨ أحد موظفي القنصلية الفرنسية وأكملها القنصل الفرنسي روسو عام ١٩٢٥ وتذكر هذه الخريطة ٩ أبواب للمدينة و٢٥ حيا داخل الأسوار و٤٣ حيًّا خارجها وتبيّن المقارنة بين خريطتي نيبور وروسو أن التطور الذي طرأ على المدينة بين عامي ١٧٦٦ و١٨٢٥ كان ضئيلا جدا.

ثم كان «المخطط العام لمدينة حلب» الرائع الذي رسمه مهندسو الطرق والجسور في الولاية: شارتيه وراغب وبيزير بمقياس ١/٥٠٠٠ مع كتابة بالعربية العثمانية والفرنسية وانجز عام ١٩٠٠ وقد ضم مسطحا للمدينة وكل عقار رسم بدقة لكنه كان صعب القراءة بسبب مقياسه الصغير.

أما في مرحلة الانتداب الفرنسي فكان أول مخطط لحلب بمقياس ١/٥٠٠٠ ثم صغّر إلى ١/١٠٠٠٠ أصدره في بيروت المكتب الطبوغرافي في جيش الشرق الفرنسي فيي أيلول ١٩١٩ ، ثم تمت أعمال المساحة العقارية (الكاداسترو) بين عامي ١٩٢٦ و١٩٣٠ وقد قام بذلك دورافور C. Durrafourd وثقت فيها الأبنية وصوّرت وقيست مساحاتها وغطيت حلب بـ ٢٠١ من مخططات كاداسترية شملت حوالي ٣٠٠٠٠ عقار وعمل خريطة بعنوان »مدينة حلب مخطط عام لمنطقة المدينة« بمقياس ١/٢٠٠٠٠ وظهرت عام ١٩٣١ خريطة مؤلفة من أربع قطع بمقياس ١/٥٠٠ باسم «مدينة حلب مخطط عام» بيّن فيها امتداد المدينة وحدود الشوارع والعقارات. . . ووجدت عام ١٩٤٨ خريطة كهرباء حلب بعنوان «مدينة حلب مسطح عام مقياس ١/٥٠٠٠» ظهرت فيه بالألوان أجزاء المدينة التي بنيت بين ١٩٣٠ و١٩٤٨. وقد ظهر في ربيع ١٩٥٤ المخطط الجوي لمدينة حلب بمقياس ١/٥٠٠٠. كما أنجز عام ١٩٧٢ مخطط «تنظيم الحي التاريخي بحلب» بمقياس ١/٢٠٠٠ ونذكر عمل سوفاجيه لخريطة الأسواق عام ١٩٤١ والمخطط الذي رسمه سمير عقاد بمقياس ١/٥٠٠ ومخطط الدكتور م. شرابي وأخيرا مخططات غاوبه وفيرت في عامي ١٩٧٥ و١٩٧٩.

أما المصادر الأدبية والكتابية فتقسم إلى ثلاث مجموعات: الأولى من القرون الوسطى مثل كتاب ابن حوقل (٩٧٨م) والمقدسي (٩٨٥م) وناصر خسرو (الذي زار حلب عام ١٠٤٥م) وابن جبير الأندلسي (الذي زار حلب عام ١١٨٥م) وياقوت الحموي الذي أقام مدة بحلب وكتب عن حلب عام ١٢٢٩م والرحالة ابن بطوطة (الذي مرّ بحلب عام ١٣٥٥م) والقلقشندي المتوفى عام ١٤١٨م.

أما المجموعة الثانية من المصادر فكان أصحابها حلبيين كتبوا الكثير عنها وكان آخرهم ابن شداد (المتوفى عام ١٢٨٥م) وابن الشحنة (المتوفى عام ١٤٨٥م) وابن العجمي (المتوفى عام ١٤٧٩م) وله مخطوطات في الفاتيكان والقاهرة ترجم سوفاجيه إحداها جزئيا) وقد وفرت معلوماتهم فكرة عن بنية المدينة في النصف الثاني من القرن الخامس عشر.

أما المجموعة الثالثة من المصادر فهي كتابا الاستاذين الحلبيين الطباخ والغزي اللذين ظهـرا بين ١٩٢٣ و١٩٢٧ للطباخ و١٩٢٤ و١٩٢٦ للغزي وكان الأول في سبعة مجلدات والثاني في ثلاثة مجلدات. وقد وصف الغزي في الجزء الثاني من كتابه الأحياء وقـد زاد عددهـا على مائـة حي مع السكـان بحسب أجناسهم وطوائفهم وعـددهم في كل حي مفصـلاً في ذكـر مختلف الوقفيـات بحلب بتواريخها وأسمـاء اصحابها من الخسروية أو الخسرفية والعادلية والبهرمية والأحمدية وسواها. . .

ويتكلم الفصـل الخـامس على حلب ضمن إطار التجمع السكاني الحديث والتطورات الأخيرة والعلاقة بين المدينة وأطرافها الريفية القريبة التي أصبحت جزءا منهـا فـي المرحلة المملوكية المتأخرة، بينما كان فيهـا معالم هامة منذ المرحلة الأيوبية كحي الحاضر في الجنوب الغربي لأسوار المدينة والذي ضم الحرفيين والجنود وحقق التكامل الاجتماعي مع سكان المدينة داخل الأسوار. كما ارتبط حي بانقوسا في الشمال الشرقي للمدينة والرمادة في الجنوب الشرقي عن طريق شوارع هامة بابواب وأسوار للمدينة الشرقية (كباب الحديد وباب النيرب) أمّنت الاتصال ٠''بـ.ديه في شمال سورية وحوت ما يحتاج إليه المجتمع الريفي البدوي. لذلك كانت حلب ومنذ أكثر من ٥٠٠ عام مركـز تجمـع متعـدد الوظائف استقطبت نواته «المدينة» الفعاليات الاقتصادية والأسواق والخانات التي تعرض فيها البضائع ويقيم فيها القناصل والتجار الأوروبيون منـذ منتصف القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر. كما كان ارتباط حي الجديدة الشمالي وثيقا كذلك بالمدينة داخل الأسوار. أما حي الكّتاب حيث حدائق الجهة الغربية التي يمر منها نهر قويق فقد لجأ الأوروبيون إلى بناء بعض الاستراحات الصيفية فيه إثر الدمار الذي خلّفه زلزال عام ١٨٢٢ في دور المدينة.

وتتطور المدينة وتتسع وينشأ حي العزيزية عام ١٨٦٨ في القسم الشمالي الغربي ويتبعـه إنشـاء حي السليمانية عام ١٨٩٠، ويبدأ توسع حي الجميلية عام ١٨٨٣ ويسكنـه الأوروبيون واليهـود في البدء ثم يشيد فيه الوالي والحاكم العسكري عام ١٨٨٥ قصرين لإقامتهما.

ويقدم المهندس المعماري الألماني يونغ مخططا تنظيميا للحكومة العثمانية عام

١٨٨٢ يبين فيه توسع المدينة والبناء في قسمها الغربي وقد اعتمد فيه مبدأ التوزيع الشطرنجي للشوارع والطراز الأوروبي لبناء الدور السكنية (من دون باحة داخلية مع وجود شرفات ونوافذ مطلة على الشارع مع وجود حديقة صغيرة) وقد أمكن عن طريق الجيزان المعدنية على شكل حرف I التي بدأ استيرادها بوصول الخط الحديدي إلى حلب عام ١٩٠٦، بناء مجموعات سكنية ذات طبقات عدة والقيام بتأجيرها. وقد اقتصر الانتقال نحو الغرب على دور السكن فقط بينما بقيت التجارة في الخانات والأسواق القديمة للمدينة. أما الاتصال الوثيق بين أحياء السكن الجديدة والفعاليات الاقتصادية التقليدية فقد كان يتم عن طريق منطقة باب الفرج حيث بني برج الساعة عام ١٨٩٩، وأقيمت الفنادق والمقاهي والملاهي والمصارف ومكاتب رجال الأعمال بحسب طراز بناء أواخر القرن التاسع عشر.

ومع بداية القرن العشرين امتد الشارع من ساحة باب الفرج فوق جسر الحديد حتى «محطة الشام» غربا (وهو ما سمي في ما بعد بولفار فرنسا) ليصبح مركزا للبضائع الحديثة وانتشرت جنوب الشارع وفي حي بستان كل آب الفنادق والمطاعم وورشات العمل والمكاتب كما بني فندق بارون عام ١٩١١ وألغي الدفن في المقابر شمال الشارع المذكور، وبدىء منذ عام ١٩٥٠ بتشييد الأبنية الوقفية في تلك المقابر وقد ساعد وصل حلب بخط حديد بغداد والشرق السريع على وصول المسافرين والبضائع من الغرب وتوسع الطراز الغربي للبناء.

أما المخططات التنظيمية المتعاقبة للمدينة منذ مخطط المهندس يونغ عام ١٨٨٢ فهي مخطط دانجه عام ١٩٣١ وايكوشار ١٩٣٦ وغوتون ١٩٥٢ وبانشويا ودافيد ١٩٧٢ - ١٩٧٤ ثم يجيء تقرير اليونسكو عام ١٩٨٠ من إعداد السويسري بيانكا وآخرين بعنوان «الحفاظ على مدينة حلب القديمة».

ب - بعد المقدمة المسهبة التي ضمت ٥٥ صفحة ينتقل المؤلفان في القسم الثاني من الكتاب لإعطاء لمحة عن تاريخ وفن العمارة والتنظيم المساحي للأقسام التقليدية في المدينة القديمة ضمن عشرة فصول تكلمت على حلب من حيث هي مثال نموذجي معبّر عن المدينة الإسلامية الشرقية الكبيرة وذكرت كيفية تطورها في القرون الوسطى

حتى المرحلة العثمانية في خلال وصف غير حلبيين كإبن حوقل والمقدسي وناصر خسرو وابن جبير وياقوت الحموي وابن بطوطة وفي خلال كتابات المؤرخين الحلبيين: ابن شداد وابن العجمي وابن الشحنة ومقارنة ما ذكره كل من الآخيرين حارة حارة وحيا حيا داخل الاسوار وخارجها بما في ذلك من مدارس وجوامع ودوروتُرَب عامةكانت قائمة حتى أواخر مرحلة المماليك، أي في القرن الثالث عشر وفي القرن الخامس عشر.

أما عن المرحلة العثمانية والقرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر فقد اختار المؤلفان تقارير ثلاثة أوروبيين أقاموا بحلب، أحدهم من أهالي البندقية يعود إلى عام ١٥٥٦ والثاني القنصل الفرنسي شوفاليه دارفيو (١٧٥٦) والثالث الطبيبان راسل (١٧٤٠ ـ ١٧٥٣ و١٧٥٠ ـ ١٧٦٨) صاحبا كتاب تاريخ حلب الطبيعي وقد وصفا تطور المدينة في المرحلة العثمانية بأحيائها خارج الأسوار وكذلك داخل الأسوار ولاسيما تفصيل الأوقاف العثمانية وأثرها العام في توسع المدينة العمراني. كما تم تخصيص فصل خاص لأهمّ أنواع الأبنية ووظائفها: من الأسبلة والحمامات والخانات والخانقاهات والمدراس والمقامات والبيمارستانات والمصابن والمساجد والقساطل والقيسريات والترب. كما تم استعراض التحصينات والأسوار والأبواب والقلعة بفصول خاصة وما في كل منها من كتابات وكذلك تطور الأسواق ولا سيما من خلال توسع الأوقاف بما في ذلك التكلم عن موضوع تأمين مياه الشرب لمناطق المدينة المختلفة في القرن الثالث عشر (أيام ابن شداد) وفي أيام المماليك حيث تم إيصال مياه الساجور إلى حلب وتوزيع النظامات والقساطل على أنحاء المدينة داخل الأسوار وخارجها في القرن السادس عشر مع الخرائط المبينة لكل مرحلة. ويبين الفصل الرابع عشر وهو الأخير من هذا القسم البنيان المساحي والتنظيم الاجتماعي في نهاية القرن التاسع عشر من حيث تصنيف الأحياء وبنية السكان والمنشآت العامة في تلك الأحياء معتمداً خاصة على الدراسة الدقيقة والإحصاء الذي ذكره الشيخ كامل الغزي في الجزء الثاني من كتابه «نهر الذهب في تاريخ حلب» والذي يعدد لنا فيه وجود ٢٤٨ مسجدا وحوالي ٧٥ بناء دينيا إسلاميا مختلفا و١٥ كنيسة وكنيسا واحدا وما يزيد عليى ٤٠ مدرسة من مختلف الأنواع و٣٤ حماماً ١٨٩ قسطلاً و٣٩ فرناً و٤٤ مقهى وما

يزيد على ٩٠ خاناً و٤٠ قيسسرية كبيرة و٩ مصابن وما يزيد على ٢٠ ورشة لصنع الأقمشة والصباغة و٥٩ مطحنة.

وقد تابع المؤلفان مواقع هذه المباني الدينية والتجارية والصناعية في كل حارة وحي بحسب الموقع الحالي لكل منها على مخططات تفصيليية لأجزاء المدينة المختلفة داخل الأسوار وخارجها.

جـ ـ أما القسم الثالث من الكتاب، وهو الخاص بمركز حلب الاقتصادي في القرنين التاسع عشر والعشرين فقد ضمّت فصوله الثلاثة الأخيرة معلومات عن تجارة حلب الخارجية وارتباطها بالتجارة العالمية مع ذكر تقارير القناصل الغربيين من حيث هي مصادر عن التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لحلب وازدهارها من أواخر القرن الخامس عشر حتى القرن الثامن عشر وما كانت عليه من أيام الحروب الصليبية حتى النصف الأخير من القرن الخامس عشر مع ذكر سنوات الانحطاط حتى عام ١٨٦٠ والانتعاش الاقتصادي بين ١٨٦٠ و١٩١٤.

ويتكلم الفصل السادس عشر على التصنيف المساحي والتطورات الأخيرة لمواقع الفعاليات في حلب بدءا من الجزء التجاري المركزي والمراكز الثانوية والمواقع الاقتصادية خارجه مع بحث مختلف المحاور بين المركز وكل من أبواب حلب المختلفة مثل باب انطاكية وباب جنان وباب قنسرين وباب النيرب وباب الحديد وباب النصر وباب الفرج مع التكلم على مراكز بحسيتا والجديدة وأسواق الأحياء الصغيرة فحي الخندق الذي هو جزء من الشارع المحلق حول المدينة القديمة مع التطرق إلى المناطق التجارية على الطراز الغربي وذكر الأبنية الدينية والحمامات والمدارس والمقاهي والساحات العامة.

ويتكلم الفصل السابع عشر على مراكز التجارة والصناعة في المدينة القديمة: موقعها العام وبنائها واستخدامها ذاكرا موقع التجارة الرئيس والسوق المركزية وأسواق الأحياء والمراكز المحيطة خارج نطاق المدينة مع ذكر مركز التجارة والصناعة بين السوق المركزية وكل من باب النصر وفي سوق الجديدة وبانقوسا والمحور الشمالي خارج أسوار المدينة والمحور الجنوبي الشرقي داخل نطاق المدينة وخارجها (منطقة باب النيرب).

وينتقـل الفصل الثامن عشر ليتكلم عن أستراتيجية الحفاظ على الصناعات اليدوية والتقليدية وتـطور ذلـك حتى الحرب العالمية الثانية، ويعطي نماذج حديثة للتكيف والتحول ولاسيما في االصناعات النسيجية وتراجع الانتاج التقليدي ودمج التقنيات الحديثة في عمليات الانتاج مع ذكر ورشات صغيرة ومتوسطة حديثة والكفاءة االعالية في أعمال الإصلاح للصناعة اليدوية والوضع الحالي في خلال أمثلة نموذجية على صنـاعـة النسيج والمصـابن والألبسـة المتسعملة (البالات) وصناعة الحلويات والصياغة ومكان إعداد الشاي أو القهوة في الأسواق

د ـ كتالوج المباني والمواقع الهامة في المدينة:
وقد ذكر فيه ٧٧٠ موقعا هاما في حلب ضمن ٧٩ صفحة صنّفها الباحث غاويه وقد ذكر في كل موقع هل ورد في خريطة روسو أو كتاب الغزي أو الطباخ أو هرتسفلد أو سوفاجيه أو شرابي مع ذكر تاريخ البناء والترميم واسم السلطان والموقع على الخرائط المرفقة.

وذكرت أسماء المصادر والمراجع في ثماني صفحات وأخيرا أضيف ملحق على شكل جداول في ١٤ صفحة ضمّت أسماء أحياء حلب وعددها ٩٩ حيا وعدد سكانها وتوزعهم بحسب الديانة والطائفة مع نسبة عدد السكان في كل بيت من دور هذه الأحياء مع مساحة الدور ومايلحق الساكن الواحد من هذه المساحة. وقد بلغ مجموع عدد السكان في الأحياء التسعة والتسعين المذكورة (ماعدا أحياء الضواحي الجديدة آنئـذ وعـددها ستة وهي العزيزية والجميلية والنيال والسليمانية والحميدية والصليبة الصغرى)، /٩٨٥٣٤/ نسمة (منهم ٧٠٦٠٢ من المسلمين و٢٠٣٩٨ من المسيحيين و٧٥٣٤ من اليهود) وكان عدد الدور (ماعدا دور سويقة حاتم والكتّاب التي لم يذكر عددها) ١١٦٦٠ دارا.

أما عدد سكان أحياء الضواحي الجديدة الست فبلغ ١٠٥٨٤ نسمة وبذلك أصبـح عدد سكان حلب عام ١٩٠٠ : ١٠٩١١٨ نسمة كان يسكن منهم خارج المدينة القديمة نسبة ٩,٦ ./:

هـ ـ المسطحات والخرائط:

لقد ضم الكتاب بين صفحاته ٧١ مسطحا وخريطة لأحياء حلب المختلفة وفي مختلف المراحل ولاسيما للمدينة ضمن الأسوار والتفرعات القديمة خارج الأسوار مع التعرض لأهم الأبنية ورسم مسطحاتها من مدافن ومصابن وخانقاهات وترب وبيمارستانات والقلعة وكتاباتها والأسواق وتطورها وكيفية توزيع المياه على المناطق في مختلف العهود مع الأمكنة الدينية من مدارس ومساجد. . .

بالإضافة إلى ذلك فقد الحق بالكتاب ضمن مغلف خاص خمس خرائط ضمت الأولى وهي بمقياس ١/٢٥٠٠ المدينة داخل الأسوار والضواحي القريبة خارجها بأحيائها القديمة، وتألفت من ورقتين إحداهما لمناطق المدينة شرقي القلعة والأخرى غربها وقد وضعت الأرقام من ١ إلى ٧٧٠ لبيان مواقع الأماكن المذكورة في الصفحات من ٣٤٤ إلى ٤١٨ من مسطح المدينة.

أما الخريطة الثانية وكانت بمقياس ١/٥٠٠٠ فقد لوّنت الأبنية الأثرية بألوان تميّزها بحسب المرحلة التاريخية التي تعود إليها وقد قسمت إلى ٦ مراحل تاريخية أقدمها مما بُني قبل عام ١٢٦٠ ثم مابين عامي ١٢٦٠ و ١٤٠٠ (حتى مجيء تيمورلنك) ثم مابين ١٤٠١ و ١٥١٦ (حتى وصول العثمانيين) ثم مابين ١٥١٧ و ١٧٧٠ (المرحلة العثمانية المبكرة) ثم مابين ١٧٧١ و ١٩١٨ (المرحلة العثمانية المتأخرة) ثم مرحلة مابعد العثمانيين عام ١٩١٨.

أما الخريطة الثالثة ومقياسها ١/٥٠٠٠ فق بينت توزيع الأسواق والتجارة والبضائع بالجملة وبالمفرق بين مختلف أنحاء المدينة القديمة داخل الأسوار وخارجها مع أماكن وجود الحمامات والمقاهي والأبنية الدينية.

أما الخريطة الرابعة وهي بمقياس ١/٥٠٠٠ فقد بينت توزيع أنواع البضائع في المدينة داخل الأسوار من بيع أقمشة وثياب ومنسوجات وخيطان ومواد غذائية وحبوب وأدوات منزلية ومواد خشب وأحذية وجلود وصاغة. . . كما بينت بلون خاص أماكن العبادة الدينية والمدارس والحمامات والمقاهي.

أما الخريطة الخامسة وهي بمقياس ١/١٠٠٠٠ فقد بيّن عليها مواقع الأبنية الدينية وشوارع البيع الحديثة وأماكن وجود ورشات الإصلاح الميكانيكي والصناعات والحدائق والمدافن وخط الحديد مع أماكن وجود المطاعم والسينما والمرائب والفنادق ومكاتب السياحة وذلك في المدينة القديمة وفي الأحياء الحديثة خارجها وحتى الخط الحديدي والملعب البلدي غربا وحتى جامع الفردوس جنوبا ومعمل العوارض والمقابر المسيحية شمالا وخزانات المياه وحي قاضي عسكر شرقا. وحبذا لو تم ترجمة الخريطة الأولى بجزأيها بعد جعلها قطعة واحدة وكتابة أهم أسماء الأماكن الاثرية عليها بدل الأرقام المكتوبة، وبذلك يصبح لمدينة حلب خريطة يستدل المواطن والسائح بها على مكان وجود الموقع الأثري ليقصده بسهولة.

وأخيـــــرا:

إن كتـاب البـاحثين غاوبه وفيرت عن «حلب» يعد لبنة أساسية تضاف إلى المصادر الرائعة التي توثق الأبنية والنسيج العمراني والحياة الاجتماعية لمدينة حلب، وهو جدير بأن يترجم إلى العربية كله ويوضع تحت تصرف طلاب كلية العمارة ومحبي الـتراث فيغني معلومـاتهم ويتابعون من خلاله دراسة الأبحاث والتساؤلات الكثيرة والمتنوعة التي تحرّضها موضوعاته في خلال المراحل العربية الإسلامية المختلفة لتاريخ فن العـمارة بحلب، وفي مختلف اجـزاء المدينة، داخل الاسوار وخارجها، ولاسيما إسهامه بنداء المحافظة على النسيج العمراني الفريد للمدينة القديمة، ودراسة وظائفه وأبعاده، وتَمَثّل عمارة تراثية أصيلة ومعاصرة في الوقت نفسه.

موقع تل دينيت بمحافظة إدلب

(دراسة في الجغرافية التاريخية)

د. شوقي شعث
مدير التنقيب الأثري بتل دينيت

يقع تل دينيت في الجنوب الشرقي من مدينة إدلب، على بعد ستة كيلو مترات منها، وبالقرب منه مزرعة تحمل اسم مزرعة دينيت وقرية قميناس، يتوسط التل سهلا انهداميا خصبا يجري فيه وادي أريحا، تزرع فيه أشجار الزيتون والعنب والفاكهة والخضار والحبوب وغيرها، ويتمتع بموقع جغرافي هام يتحكم في طرق المواصلات بين الشمال والجنوب وبين الشرق والغرب، ولذلك كان أثره هاما في مختلف الحقب المتعاقبة، والسؤال المطروح الآن هو: ما المدينة أو ما المدن التي كانت تقوم في تل دينيت. . . ؟ وما أهميتها. . . ؟ والجواب عن هذا السؤال هو موضوع هذا البحث[١].

إن الدراسات الميدانية في خلال المسوح والتنقيبات الأثرية، التي قمنا بها، تدل على أنّ مدينة أو مدنا هامة كانت تربض في هذا التل في العصور القديمة من تاريخ المنطقة حتى نهاية العصور الوسطى تقريبا. واستناداً إلى ذلك لابد من أن نتصور أهمية خاصة لموقع تل دينيت ولاسيما أنه يقع على مسافة قصيرة إلى الغرب من مدينة إيبلا[٢] (تل مرديخ اليوم) وإلى الجنوب الغربي من تل آفس (مدينة حزرق القديمة أو أبسو Apšu [٣]، وإلى الشرق غير البعيد من تل المسطومة (اشتاماكو القديمة)، فهو يقع في بقعة حضارية تحيط بها الجبال من الجنوب والغرب وهي بوابة سهل الغاب والمناطق الساحلية.

يذكر نص من نصوص جوديا Gudea ملك لاغاش Lagash في بلاد ما بين النهرين أنه أحضر الأخشاب لبناء معبد نينجرشو Ningiršu من مدينة أورشو في جبال

إيلا، ولما كانت إبلا قد أصبحت اليوم معروفة بعد اكتشافها في تل مرديخ، غير بعيد عن تل دينيت إلى الشرق، فقد بات يمكن البحث عن مدينة أورشو Uršu أو أورشوم Uršum في المناطق القريبة منها. وتذكر النقوش الأكادية السابقة لعصر جوديا جبال الأرز وجبال الأمانوس وجبال الفضة مرات عدة. وقد اعتقد كثير من العلماء الباحثين أن جبال الأرز هي جبال لبنان، أو جبال الأمانوس الواقعة الآن في تركية. وكلتا التسميتين منسوبة إلى نوع الأشجار التي كانت تنبت في تلك الجبال، وهي تسمية قد تكون غير دقيقة لأن تبدل المناخ يسبب انقراض بعض الأنواع من الأشجار، كما أن تبدل الأرض يؤدي إلى الأسباب نفسها، فمن يستطيع أن يؤكد أن جبال الأرز هي جبال لبنان وهي لا تحمل الآن إلا بضع شجيرات من الأرز كانت الأهداف السياحية وراء المحافظة عليها، وإلا لانقرضت نهائيا. والأمر نفسه ينطبق على جبال الأمانوس، لذلك لابد من أن تصاحب الأبحاثَ التاريخيةَ الأثريةَ أبحاثٌ أخرى تكملها كالبحث في النباتات القديمة ونوع الأشجار وتطور المناخ والمياه، وتسمى المناطق والجبال نسبة إلى المدن التي تقوم بجوارها فنقول اليوم جبال اللاذقية نسبة إلى مدينة اللاذقية الهامة، كما نقول جبال الخليل وجبال نابلس أو جبال عفرين. وقد يقودنا هذا إلى أن نتصور أن جبال الزاوية القريبة من إبلا هي جبال إبلا التي ورد ذكرها في نص جوديا المار ذكره، ولاسيما أن هذه الجبال كانت مغطاة بالأشجار الحراجية وما تزال كذلك إلى الآن؛ يقول يتلر في هذا الصدد عن جبال الزاوية: «إن هذه الجبال بمجملها، حسب اعتقادي، كانت مغطاة كلها بالخضرة والغابات فالغابات يمكن أن تنمو دون تربة، وإذا وجدت الغابات وجدت الرطوبة التي تساعد على نمو الخضر...»[٥]، ويؤيّد هذا الافتراض السيد جورج تشلنكو الذي عاش في المنطقة باحثا ومنقبا قرابة ثلاثين عاما[٦].

ويذكر سدني سميث أن السبب االذي جعله يعتقد أن أورشو واقعة في الجبال القريبة من إبلا هو نص جوديا ونصوص نارام سين، ويفترض أن تلك الجبال هي جبال الأمانوس[٧]، كما يضيف أنه يمكن أن تكون أورشو مقاطعة وليست مدينة، ويحتمل أن تكون بلاد أورشو هي إبلا Ibla[٨]، ويشير سدني سميث إلى حادثة يذكر فيها أن وليّ عهد مملكة ألالاخ (تل عطشانة) ياريم ليم Yarim - lim الذي أصبح ملكا على يمحاض خطب لابنه ابنة ملك إبلا، وأغلب الظن أنها كانت، في ذلك الوقت،

مملكة تابعة لمملكة يمحاض (النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد[٨]). ونجد في وثائق ألالاخ ذكرا لمدينة أورشو يأتي بعد إبلا، وهذه إشارة إلى أن أورشو كانت مدينة ولم تكن منطقة كما ذكر [٩]، وأنها كانت أقل أهمية من إبلا وربما كانت تابعة لها[١٠]، وذكرت بلاد أورشو في محفوظات ماري (تل حريري اليوم) أنها تابعة لإبلا، ويخلص سميث إلى القول: إنه ربما تكون إبلا الاسم الجغرافي القديم وأن أورشو مدينة أصبحت بعد ذلك عاصمة لـ (دولة مدينة) كبيرة. ونجد أورشو فيما بعد في نحو عام ١٣٨٠ق. م، مدينة تابعة لسيطرة كيزوودانا Qizzuwadana الحثي، وقبل ذلك بقليل (القرن الخامس عشر ق. م) مركز تجاريا هاما[١١].

وما دام تل دينيت يمكن أن يعد أهم من تل أثري بعد إبلا في السهل الزراعي أو ((جزيرة الزيتون)) على الطريق المؤدي إلى الساحل السوري عبر ممر جسر الشغور ـ بداما، فإنه يصبح في مقدمة التلال المرشحة لاحتضان مدينة أورشو التي سبق الحديث عنها[١٢].

وفي النصوص الأشورية التي تعود إلى مطلع الألف الأول قبل الميلاد نجد ذكرا لكثير من المدن الآرامية في المنطقة مثل: عدينو، وبارغا، وأرغانا واشتاماكو. وفي خلال دراسة هامة أجراها الأستاذ اميل كرايلنغ حول الجغرافية التاريخية للمنطقة، يفترض أن مدينة عدينو قد تكمن في تل دينيت[١٣]، على حين نجد بعض الباحثين الآخرين يخالفونه الرأي بقولهم: إن عدينو واقعة في مكان الدانا الشمالية أي إلى الغرب من حلب بنحو أربعين كم [١٤] بالقرب من بلدة ترمانين، ويفترض بعضهم الآخر وجودها في مكان الدانا الجنوبية بالقرب من موقع معرة النعمان. أما الأستاذ مايكل أستور فيعتقد أن عدينو هي أعزاز الحالية[١٥] على حين يناقش الأستاذ دوسو الأمر فيقول: إن هناك موقعين يمكن أن نتوقع وجود عدينو فيهما، هما الدانا الشمالية والدانا الجنوبية[١٦]، ونجد في مكان آخر إشارة إلى أن مدن عدينو، وأرجانا، وبارغا، واقعة إلى الشمال من قرقر وأنها كانت تابعة لمملكة حماة الآرامية في القرن التاسع قبل الميلاد.

نعتقد أن المعطيات التاريخية والأثرية والبيئية تؤيد رأي كرايلنغ، وهو أن مدينة عدينو الأرامية تكمن في تل دينيت، ونميل إلى الأخذ بهذا الرأي للأسباب الآتية :

١) إن النصوص التي تذكر عدينو مقرونة بمدن برجا، وأرجانا[١٧]، نذكرها على أنها تأتي بعد حلب باتجاه قرقر، وأنها تابعة لمملكة حماة لذا يمكن افتراض أن عدينو تقع إلى الجنوب من حلب وفي المناطق الشمالية من حماة.

٢) ليس من االمعقول أن تكون «عدينو» هي الدانا الشمالية الواقعة إلى الغرب من حلب والتي يفصلها عنها سلسلة جبلية يصعب اجتيازها، وهي لا تقع على طريق قرقر وتبعد عن الطريق المألوف اليها. هذا بالإضافة إلى أنه قد لا توجد تلال أثرية في موقع (الدانتين) تعاصر الحقبة التي نحن بصددها (في مطلع الألف الأول ق. م).

٣) لايمكن أن تكون «عدينو» في تل أعزاز، لأن هذه واقعة إلى الشمال من حلب والغالب أنها في هذه الحقبة كانت تابعة لمملكة أرباد ولم تحدثنا نصوص شلمانصر بأيّ شيء عنها.

يبدو أنه بعد احتلال شلما نصر الثالث لعدينو[١٨]، ثم تدميرها بيد سرجون الأشوري نحو عام ٧٢٠ ق. م، هبط شأنها وأخلت مكانها لمدينة جديدة في المنطقة، وأكدت ذلك التنقيبات الأثرية التي أجريناها في الموقع وزادت تنقيبات تل مرديخ وآفس ذلك تأكيدا[١٩]، إذ تبين أنها كانت مدينة فقيرة في أواخر العصر الحديدي الثاني وأوائل العصر الحديدي الثالث، ويعتقد أن التدمير امتد إلى سائر المدن في المنطقة في هذا العصر، فقد ترك سرجون البلاد خرابا.

ولم نتمكن من العثور على أيّ ذكر للمدينة التي كانت تقوم في تل دينيت في المراجع الأدبية التي تعود إلى العهدين الفارسي والهلينستي. وعلى الرغم من أن النتائج التي ظهرت في التنقيبات الأثرية تقودنا إلى القول بوجود مدينة على درجة من الأهمية، إلا أنها لم تزودنا باسم المدينة[٢٠].

برز شأن دانيث (دينيت اليوم) ثانية في العصور الوسطى نظراً إلى أهمية موقعها، فقد ورد ذكرها على لسان المؤرخين العرب والفرنج مرات عدة، فقد ذكرها ياقوت الحموي في «معجم البلدان» على أنها بلدة واقعة بين حلب وكفر طاب[٢١]، وأشار إليها أسامة بن منقذ في كتاب «الاعتبار» في معرض حديثه عن الحرب بين المسلمين والفرنج، بأن جيش شيزر اتجه من كفر طاب إلى دانيث للمشاركة في المعركة الكبيرة هناك[٢٢]. وذكرها القلانسي باسم «دانيت»[٢٣] على حين أوردها الأستاذ جورج تشالنكو باسم «دينيت»، وأنها قرية في السفوح الشمالية لجبل الزاوية وعلى بعد ٦ كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة إدلب[٢٤]، ويؤيد هذا الأستاذ كهن[٢٥]، أما نيكتيا اليسيف فيتحدث عن دينيت على أنها تقع في الجزء الشمالي الشرقي من جبل الزاوية بين حلب وسرمين، «وغير بعيد من إدلب الحالية يقع حصن من العصور الوسطى يسمى حصن دانيت يتوسط سهلاً متسعاً خصباً كان مسرحا لمعارك بين الفرنجة والمسلمين في القرن االسادس الهجري / الثاني عشر الميلادي»[٢٦].

خلاصة القول اعتماداً على ما سبق عرضه من المناقشات: أنه يمكن افتراض أن يكون تل دينيت هو مدينة أورشو التي ورد ذكرها مراتٍ في النصوص التاريخية القديمة في الألف الثاني قبل الميلاد، وأنه يمكن أن يكون مدينة عدينو الآرامية التي ورد ذكرها في حوليات شلما نصر الثالث، وعلى الأنصاب البرونزية في أبواب البلوات، أما في العصور الوسطى فهي دانث أو دانيث دونما ريب، تؤكد ذلك الشواهد المادية والتاريخية، وقد تبرهن التنقيبات الأثرية المقبلة على ما ذهبنا إليه أو تزودنا بمعلومات جديدة.

الهوامش :

١) تجري المديرية العامة للآثار والمتاحف بالقطر العربي السوري بإدارة الباحث تنقيبات أثرية بالتل منذ عام ١٩٧١ ، وقد أسفرت تلك التنقيبات عن نتائج هامة واكتشاف كثير من القطع الأثرية . انظر ما كتبه الباحث حول تلك التنقيبات في المقالات التالية :

- «التنقيبات الأثرية في تل دينيت وجاراته» الفكر العربي العدد ٥٢ ، ص ١٥٨ - ص ١٧١ ؛ النقود الأثينية اليونانية المكتشفة في تل دينيت، الحوليات الأثرية العربية، ٢٦ (١٩٧٦) تل دينيت (دانيت) وأهميته التاريخية، الحوليات الأثرية العربية السورية ٣٢ (١٩٨٢)؛

- Three New steatite Pyxides from Northern syria in Aleppo museum, Bibl. Mesopotamia, Vol. 21, Studies in Hounor of Edith Porada.

وغيرهـــا .

٢) انظر ما نشره مؤخرا الأستاذ باولوماتييه حول الاكتشافات الأثرية في إبلا بكتابه :
Un Impero ritrovato, Torino, 1977.

ومن المفيد أيضا الاطلاع على قائمة المراجع التي نشرت حول إبلا والوارد ذكر معظمها في ذلك الكتاب في الصفحات ما بين ٢٥٧ - ٢٥٩ .

٣) ورد ذكر مدينة أبسو / ابشو ab - su / ab-šu/ ab - zu ابزو في نصوص إبلا / تل مرديخ التي تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد، كما ورد ذكرها في نصوص الالاخ / تل عطشانة التي تعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد باسم أ بسونا Apsuna / ap - zu - na - ويعتقد العلماء أن ابشو المشار إليها كانت تقوم في مكان تل آفس اليوم .

انظـــر:

Pelio Fronzaroli, Semitic Place names of Syria in the Ebla Texts, Orientalia suecana Vol. XXXIII - XXXV (1984 - 1986) P. 139.

٤)

4)Pritchard J. B., Ancient Near Eastern Texts (ANET) relating to old Testament, Princeton, P. 368; CAH I/2, P. 426; Ming L. W., a History of Sumer and AKKad P. 261.

٥)

5) Butler H. C., Architecture and Other Artes AAES 2 (1908) PP. 7 - 9.

٦)

6) Tchalenko G., Villages antiques de Syrie du Nord I (1953), PP. 65 - 68.

٧)

7) Smith S. Anat. std. 6 (1956), P. 35; Matthiae, op. Cit., P. 54.

٨)

8) Matthiae P. , op. cit., P. 56

٩)

9) Smith S. , Anat Std. 6 (1956) P. 39

١٠)

10) Ibid , P. 40.

١١)

11) Ibid , P. 42

١٢) هناك دراسات كثيرة تتعلق بمدينة أورشو منها:

E. Herzfeld, The Persian empire, Studies in Geography of the Ancient Near East Places, Ursu and Hahum, Wiesbaden 1968; Lewy J., Studies in Historical

Geography of the ancient Near East, II. Or. NS. 21 (1952) P. 289; Edzard D. O. et al., op. cit., P. 180.

(١٣

13) Kraeling E., Aram, New york, 1918, p. 73; Dussaud R. RA 1 (1908), P. 225.

(١٤

14) Elliger K., Samàl und Hamat in Ihren Verhaltins Zu Hattina, Unqi und Arpad, Festschrift O. Eissfeldt, Halle 1947, P. 88; Forrer E., Die Provinzeinleitung des Assyrichen Reiches, Leipzig 1921; Astour, JNES 22 (1963), P. 228.

(١٥

15)Astour M., The Partition of the confederacy of Mukis -Nuhasse - Niya by Suppiluliuma, a study in political Geography of the Amarna age, Or. 38 (1969), P. 412.

(١٦

16) Dussaud R., Topographie de la Syrie antique et medievale, Paris 1927, P. 243.

(١٧

17) Lukenbill D.D., ARAB. § 610 and § 613.

(١٨

18) King L W., Bronze Reliefs From the Gates of Shalmanaser, King of Assyria 860 - 825 B. C. London 1915, P-. 29, Pls. XLVIII - LIII, P. 30 and Pi. III and ff.

(١٩

19) Matthiae P., op. cit., P. 50.

٢٠)

200) Ibid., P. 50.

٢١) الحموي ياقوت: معجم البلدان جـ ٢ ص ٥٤٠ جـ ٤ ص ٢٧.

٢٢)

22) Oerebourg H., Vie d' Ousama, P. 105

٢٣) ابن القلانسي أبو يعلى: ذيل تاريخ دمشق ص ٢٠١.

٢٤)

24) Tchalenko G.,Villages II, CLIV and CLV 3/D - IX - 2.

٢٥)

25) Cahen O., La Syrie du Nord a l' epoque des croisades, Paris, 1940. P. 157.

٢٦)

26) Ēlisseef N., Nur Eddin, I, P. 218, II, PP. 321, 360 et 410, Paris 1953.

المختصرات التي استعملت في البحث:

AES - American Expedition to Syria

Anat. std. - Anatolian studies

ANET - Ancient Near East Relating to Old Testament

ARAB - Ancient Records of Assyria and Babylonia

Bibl. Mesop. - Bibliotheca Mesopotamica

CAH - Cambridge Ancient history.

JNES - Journal of Near Eastern Studies

Or. Ns - Orientala Nuva Sera

RA. - Revue d'Assyriologie et d'Archéologie

احتـلال مدينـة جـوبا (يافـا)

مخطوط يعرف ببردية هاريس (٥٠٠)
مـن
عهد الإمبراطـوريـة المصريـة

دكتور عزالدين إسماعيل غربية

★ مخطوط باللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) على ورق البردى، يعود إلى الأسرة المصرية التاسعة عشرة، ويعرف ببردية هاريس (٥٠٠)

عثر عليه في طيبة بمصر، وهو موجود الآن في المتحف البريطاني تحت رقم (١٠٠٦٠)

وتؤرخ بحـوالي ٣٠٠ق.م وتـوجد له صورة في - E.A.W. Budge, Facaimiles of Egyptians Hieratic papyri in the british museum, second series, Edition (London 1923), PL. XlVII.

★ صاحب المخـطوط جحـوتي THOTHI, THOTH- وهـو أحد القادة المعروفين في جيش تحتمس الثالث (١٤٩٠ـ ١٤٣٩ق.م)، مؤسس الإمبراطورية المصرية ويبين جحوتي في مخطوطه كيفية انتصاره على أمير يافا، واقتحامه المدينة بخدعة عسكرية.

★ الدراسات السابقة للمخطوط

ـ دراسة قام بها هـ. ب. بلوك، عام ١٩٢٥

H.P.Block, De beide Volka Sverhalen Vass Papyrus Harris 500 verso (Leyden, 1925).

ـ دراسة قام بها ت. ا. بيت، عام ١٩٢٥.

T.E.Peet, JEA, XI(1925), 336-37 Translations by Peet, JEA, XI, 1425225227.

ـ دراسة قام بها إرمان، عام ١٩٢٥.

Erman, LAE 167- 69 (1925).

- نشر جاردنر نسخة بالهيروغليفية من المخطوط، عام ١٩٣٢.

A.M. Gardiner, Late- Egyptian Stories (Bibliotheca. Aegyptiaca, I, brussels, 1932), 87-85).

- ترجمها ولسون إلى الإنكليزية، ونشرها عام ١٩٦٩.

J.A.Wilson, Egyptian Myths, Tales, and Mortuary Texts, The Taking of Joppa, In, A.N.T, ed.

J.B.Pritchard 3rd edition, Princeton, University Press, 1969, P.22.

★ السمات العامة للمخطوط:

تتسم لغة المخطوط واسلوبه بسمات العصر المتأخر، ومن الأدلة على ذلك استخدامه(أنت) بدلا من (انتم)، أي أسلوب التعظيم، ما عدا مخاطبة الإله.

المخطوط يدور حول موضوع حصار القائد جحوتي لمدينة يافا، وتشاوره وأميرها لترتيب بعض شروط معينة لإنهاء الحصار.

الترجمة الحرفية للمخطوط[١]

- مقدمة النص [. . . .][٢] مفقودة.

- النص. . .[٣] ٢٢٠ (+)[٤]ماري[٥][نو][٦]. . . هم طبقاً لعدد السلال[٧]. . . ردا على تحوت «[لديهم]. . . ١(+) [أرغفة أعطيت] لهم. حصن[٨] فرعون - له الحياة والفلاح، والصحة! - . . . .» . . . وجوههم.

الآن بعد ساعة، سكروا، قال جحوت لـ[عدو جوبا. «سوف أخلص] نفسي بصحبة زوجـ(ي) وأولادي، (إلى) مدينتك الخاصة[٩]. هل (٥) أحضر المارينو الخيول وأهطوها العلف، أو أن أحد العابيرو[١٠] مر. . . هم» وهكذا قاموا بحراسة الخيول وأعطوها العلف.

و[رغب العـدو من جوبا في رؤية الصولجان العظيم للمـ]لك من ـ خبر ـ رع ـ[11] له الحياة والفلاح، والصحة ١ـ وجاؤوا وأخبروا (هذا) إلى جحوتي. «أريد رؤية الصولجان الـعــظيم للمـلك من ـ خبر ـ رع ـ له الحـياة والفـلاح، والصحـة! وجـاؤوا وأخبروا (هذا) إلى جحوتي «أريد رؤية الصولجان العظيم للملك من ـ خبر ـ رع ـ له الحياة والفلاح والصحة! ـ [الذي] يسمى . . . الجميل. واستحلفك باسم «الكا»[12] الخاصة بالملك من ـ خبر ـ رع ـ له الحياة والفلاح، والصحة! إذا أحضرته اليوم، (١٠) . . . حسنا، وأحضره وهكــذا فعــل وأحضر الصــولجــان العـظيم للملك من ـ خبر ـ رع ـ، [وأمسك] بعباءته ووقف منتصبا وقال: انظر إلي، يا عدو [جوبا! انظر] الملك من ـ خبر ـ رع ـ له الحياة، والفـلاح، والصحة! الأسد الرهيب، بن سحمة[13]! منحه آمـون [نصراً]!» [و] رفـع [يداً]، وضرب عدو جوبـا على جبهتـه. فسقط (iii) وصـار [منبـطحـا] أمـامـه. وكبله في أغلا[ل] . . . الجلد. وهو. . . أجزاء معدنية [كان صنعها] ليعاقب عدو جوبا هذا. ووضع قدميه ثقلاً من معدن [يزن] اربعة نمسان.[14]

وأحضر «السلال المائتين التي سبق أن صنعها، ووضع داخلها مائتي جندي[5] وزودت أذرعهم بقيود وأغـلال، وختمت بأختـام وأعطيت لهم صنادلهم، وكذلك قوائم ـ الحمـل وهـروات. وقـام بحملهم أقـوى الجنود، وكان عددهم خمسمائة. وبلغوا: «حينما تدخلون المدينة، عليكم تخليص زملائكم والقبض على كل الناس الموجودين في المدينة ووضعهم في القيود في الحال». وخرجوا ليخبوا سائق عربة العدو الجوبي[15]: «هكذا يتكلم سيدك: اذهب وقل لمولاتك[16]: افرحي، لأن سيث[17] أعطانا جحوتي ومعه روجه وأولاده! انظري طليعة جزيتهم» ينبغي أن تقول لها بشأن السلال المـائتـين المليئـة بالـرجال بأغلال وقيود[18] ثم انطلق أمامهم، ليأتي بالأخبار الطيبة لسيدتـه، قائـلا: لقد قبضنا على جحوتي!» وفتحوا أقفال المدينة أمام الجنود (iiii) ودخلوا المدنية [و] خلصوا زملاءهم وقبضوا على المدينة[19] الصغار والكبار وقيدوهم

بالقيود والأغلال في الحال وهكذا(٥) قدر للذراع القوية لفرعون ـ له الحياة، والصحة الاستيلاء على المدينة. وفي الليل كتي جحوتي إلى مصر، إلى الملك من ـ خبر ـ رع ـ له الحياة، والفلاح والصحة! ـ سيده، قائلا: «ابتهج من أجل آمون والدك الطيب أعطاك العدو الجوبي، ومعه كل شعبه وكذلك (١٥) مدينة! أرسل رجالا لتأخذهم غنيمة حتى يمكنك ملء منزل والدك آمون ـ رع ملك الآلهة بالعبيد ذكوراً وإناثاً الذين أسقطوا إلى الأبد الآبدين.

وينتهي الأمر إلى نهاية سعيدة، (كُتب) بوساطة (كا)[٢٠] الخاصة بكاتب ماهر بأصابعه، كاتب الجيش، . . .[٢١]

« قصـة الاسـتيلاء على يافـا »

(مـا يفهم مـن النـص)

مقدمـة المخطوط: يمكن الاستنتاج، ان القائد جحوتي أحد قادة تحتمس الثالث المعروفين في عهد الأسرة المصرية التاسعة عشرة «حوالي القرن الخامس عشر ق.م»، كان يحاصر مدينـة يافـا بفلسـطين ويتناور أميرها لترتيب بعض شروط معينة لفك الحصار عن المدينة.

النـــص:

يشير بداية النص إلى المقاتلين والسلال والادوات التي أعدها القائد المصري جحوتي في موقع مجاور من بوابة المدينة تمهيداً لتنفيذ خطة أو «مكيدة» لاحتلال هذه المدينة الكنعانية المحاطة بالأسوار المنيعة.

ويسرد النص القصـة: أنه بعد ساعة من تناول الجنود للنبيذ، قام جحوتي بتنفيذ الخطة، حيث أخبر أمير مدينة يافا أنه لايرغب في احتلال المدينة، وسوف ينتقل وزوجتـه وأولاده إلى منـطقـة مجاورة للمـدينة. وفي الوقت نفسه تفقد استعدادات المحـاربـين والمرتـزقة (من الآسيويين العاملين في الجيش المصري) والخيول لتنفيذ الخطة. كما جاء في النص أن القائد جحوتي علم برغبة أمير المدينة في رؤية صولجان

الملك المصري «من ـ خبر ـ رع». فاستغل جحوتي هذه الفرصة، وتقلد صولجان الملك العظيم، ووقف بقوة إلهة الحرب المصرية وعظمتها يستعرض الصولجان، ثم هوى بيده على جبهة أمير مدينة يافا فأسقطه على الأرض، وأمر بتكبيله بالأثقال المعدة لذلك، التي تحول دون حراكه.

ثم استمر في تنفيذ خطته، فأحضر مائتي سلة أعدت لذلك خصيصاً، ووضع داخلها الجنود المزودين بالتعليمات المناسبة عند دخولهم المدينة تقضي بإخراج الجنود من السلال، حيث يقومون بمهمتهم في مفاجأة حامية المدينة والقضاء على مقاومتهم واحتلال المدينة.

وتحرك الجنود يحملون السلال وقابلوا «ممثل أمير المدينة» الموجود خارج سور المدينة وطلبوا إليه ان يخبر زوجة أمير المدينة أن الإله قد منح المدينة «يافا» النصر المبين على جحوتي، وهاهم أولاء يقدمون الجزية، ومن ضمنها مائتا سلة.

فتقدم ممثل أمير مدينة يافا «قائد حرسه» أمام الجميع ليخبر الأميرة بالأمر ودخلت القافلة المدينة، وقام الجنود بتنفيذ المكيدة المتفق عليها، حيث انقض الجنود على حامية المدينة واستطاعوا فرض سيطرتهم عليها.

وفي المساء كتب القائد جحوتي إلى ملك مصر «من ـ خبر ـ رع» يبشره بالنصر المبين ويخبره بالاستيلاء على مدينة يافا، وعلى خمس عشرة مدينة أخرى مجاورة، وطلب إليه إرسال الرجال لاستلام الغنائم والأسرى.

وينتهي النص نهاية سعيدة، ويشير إلى أنه كتب بوساطة «الكا» بيد كاتب الجيش الماهر بإيحاء من الروح المقدسة.

الموضوعات التي يلقي المخطوط الأضواء عليها

- مدينة يافا
- العبيرو
- حصار طروادة
- الزباء وقصير

مدينة يافا

تقوم مدينة يافا (القديمة) على تل يرتفع نحو ٣٥متراً عن سطح البحر، وتحتل المدينة موقعا يمتاز بمينائه الطبيعي الصالح للملاحة، حيث تحميه سلسلة من الصخور، في مكان متوسط من الساحل الفلسطيني على البحر المتوسط.

يشير المخطوط «قصة الاستيلاء على يافا» إلى أن المدينة كانت محاطة بالأسوار الحصينة، ولها نظام سياسي متميز في القرن الخامس عشر ق. م، وهو النظام السياسي الذي كان سائدا في المدن الفلسطينية والسورية، والذي يعرف بنظام حكومة المدينة (City state) حيث يتبين من النص أن أمير مدينة يافا كان يمثل قمة السلطة، وأن المدينة تخضع لسلطته المركزية التي تتطلب التعاون الكامل بين جميع الفئات في المدينة، سواء في وقت السلم أو أيام الحرب.

كما يتبين من النص أن مدينة يافا من أقدم المدن الكنعانية في فلسطين، فلا شك في أنها نشأت قبل تاريخ الغزو بزمن ليس بالقصير، حتى اتخذت شكلها السياسي ومكانتها المرموقة في تلك المرحلة، ويشير المخطوط إلى سقوط خمس عشرة مدينة أخرى في أعقاب سقوط المدينة.

ويحتمل هيلك (W. Heick) أن تكون مدينة يافا قد سقطت في أثناء الحملة الأولى لتحتمس الثالث بالخديعة المشار إليها التي نفذها جحوتي (Dhwty) ، وأن المدينة فقدت استقلالها، وأصبحت تابعة لمصر[٢٢]. إن منح جحوتي لقب «فاتح يافا»

يدل على أهمية هذه المدينة وقوتها ومكانتها، ويرى هيلك أن هذا اللقب فضلاً عن لقب آخر لُقّب به جحوتي ربما يشير إلى أن مدينة يافا والمناطق الأخرى المجاورة كانت تشكل «مقاطعات» في مرحلة حكم تحتمس الثالث[٢٣]؛ وهذا يتفق والكثير من الأدلة التاريخية التي ترى وجود ظاهرة حكومة المدينة في فلسطين وسورية في مرحلة الألف الثاني ق. م.

وتتبين أهمية يافا من خلال العلاقات التجارية والحضارية بين مصر وفلسطين، ثم بين سورية ولبنان وفلسطين، ثم بينهما جميعا وبين جزر «بحر إيجة». ومما يزيد من أهمية المدينة التجارية مرور الطريق البري الرئيس بين فلسطين وسورية ولبنان في الشمال، وبين مصر في الجنوب عبر مدينة يافا، ثم الطرق القادمة من المدن الكنعانية الأخرى، ومن الأقطار المجاورة، ولا سيما من الجزيرة العربية.

وهذا الموقع الممتاز قد جرّ على فلسطين الكثير من المشكلات، حيث تعرضت فلسطين أكثر من مرة لفقد استقلالها، وتشير بعض المصادر إلى أن مدينة يافا وبعض عواصم الأقاليم مثل غزة وغيرها أصبحت من دون أمراء وتابعة للسلطة الملكية المصرية تحت إشراف موظف مصري بما هي كمركز لتموين[٢٤] القوات المصرية في عصر العمارنة. أما مدينة عسقلان، الميناء الهام بين يافا وغزة فقد أبقي على استقلالها بما هي كدويلة مستقلة يحكمها أمير على أن يحافظ على علاقات ودية بمصر، ويقوم بتزويد القوات المصرية بالمؤونة[٢٥].

ونظراً إلى أهمية المدينة الاستراتيجية فقد تعرضت قبل غيرها من المدن الكنعانية ـ لغزو العناصر اليونانية (البلستّية) القادمة من بحر إيجة في القرن الثالث عشر ق. م.

ويتبين من (خطاب رقم ٣٩ EA2g,30ff)، و(الخطاب الذي جاء في[*] رقم، ٢٩٤ EA2g4 إرسال بعض الناس إلى يافا للعمل في مخازن الغلال، مع عدم الإشارة إلى أمير المدينة، مايرجح أن مدينة يافا قد فقدت استقلالها وكانت تابعة لمصر، كما جاء في تلك الخطابات مايشير إلى شخص سوري اسمه «ياختيري» (Jahtiri) مشرفاً على يافا وغزة[٢٦].

وتشير الأدلة الى أن يافا كانت تتمتع برخاء اقتصادي علاوة على أهميتها الاستراتيجية والتجارية. فقد جاء في بردية اناستازي، وهي بردية تشير إلى بعض المواقع الجغرافية[٢٧]، مايشير إلى الحدائق والزهور والفتيات الجميلات في مدينة يافا، وإلى أن الطبيعة المزهرة لفتت نظر المصريين لأنها لم تكن موجودة في مصر، وأن أجمل أوقات السنة، وصفتها بردية «اناستازي»، كانت في يافا، حيث الطبيعة المزهرة، التي توقظ مشاعر الحب[٢٨].

لقد ورد ذكر يافا في مسلة الملك الآشوري سنحاريب ضمن المدن التي استولى عليها عند اجتياحه فلسطين عام ٧٠١ ق.م، حيث ذكرت مع مدينة بيت داجون، وجازر، وبيت براك[٢٩].

كما ورد ذكرها أكثر من مرة في التوراة[٣٠]، على أنها ميناء هام. وتشير النصوص اليونانية إلى أن الأسطورة اليونانية المعروفة Perseus and Andro Mede قد حدثت في بحر مدينة يافا، حيث كبل البطل اليوناني بالسلاسل على صخور بحر المدينة ليلتهمه وحش البحر.[٣١]

وفي القرن الخامس ق.م. وردْ ذكر المدينة في نقوش أمير صيدا Eshmunazer التي تؤرخ بالقرن الخامس ق.م.، على أن ملك الفرس أهداه مدينة يافا، ودور[٣٢].

أما في العصر الهيلنستي فقد خضعت مدينة يافا للسيطرة اليونانية[٣٣]، وقد ورد ذكر المدينة أيضا في بردية زينونُ (Zenon)، الموظف المسؤول عن الخزينة المصرية في عهد الملك بطليموس الثاني (٢٥٩ - ٢٥٨ق.م)[٣٤].

وتشير الأدلة التاريخية إلى أن المدينة قد دمرت في خلال الحروب الرومانية مرتين، كانت المرة الأولى في عهد Vespasian، والثانية في عهد Cestius gallus وقد أعيد بناؤها بعد ذلك[٣٥].

ومن التاريخ المأساوي للمدينة تعرضها لمجازر عدة في حياتها، فقد تعرضت المدينة لمجزرة وحشية على يد نابليون في عيد الفطر الموافق ٨ اذار ١٧٩٩م.[٣٦] حيث

عمل جيش نابليون على قتل سكان المدينة من دون تمييز بين المقاتلين والنساء والشيوخ والأطفال، بعد أن أخفق في اقتحام المدينة أكثر من مرة لمناعتها وبسالة المدفعين عنها.

وما زال تل الريش أو تل الروس الواقع في شرق المدينة شاهدين على المجزرة وقد حمل هذا الاسم تل الروس نسبة إلى الالاف من القتلى من سكان المدينة.

ومن مآسي يافا أيضاً المجزرة التي تعرضت لها المدينة القديمة عام ١٩٣٦م. على أيدي القوات البريطانية في أثناء الثورة الفلسطينية الكبرى ضد الاحتلال البريطاني حيث عمدت قوات الاحتلال إلى نسف المدينة القديمة بالمتفجرات على سكانها عندما عجزت عن اقتحامها.

وكررت نفس المأساة عام ١٩٤٨م على ايدي العصابات اليهودية التي قامت بمساعدة القوات البريطانية المحتلة بقصف المدينة بالمدفعية وتدمير أجزاء منها على سكانها الآمنين وما زالت القوات الصهيونية تتابع هذه المهمة الوحشية الآن بعد أن أفرغت المدينة من معظم سكانها، بتدمير كل أثر عربي اسلامي بما في ذلك المساجد، والمنازل وغيرها.

وما زالت المدينة الأثرية (القديمة) تمثل التراث الأثري التراكمي لمدينة يافا من حيث الأثار، والتخطيط، والعمارة من أسوار وقلعة برغم تدميرها وإعادة بنائها مرات عدة بسبب الغزوات الخارجية.

ويذكر أن آخر مرة رممت فيها قلعة المدينة كان في عهد أحمد بن طولون (٨٣٥ - ٨٨٤م.).[٣٧] كما رمم السور آخر مرة عام ١٩٢٠، بحجارة جلبت من مدينة قيساريه.

ومن المواقع الأثرية الهامة في المدينة:[٣٨]

تل جريشة، أو «تل نابليون»

عثر فيه على بعض المخلفات الأثرية منها مقبرة، ويرى المؤرخون أنها مخلفات مدينة «جنت رمون» الكنعانية.

تل قدادي:

يقع عند مصب نهر «العوجا»، ويعرف باسم «الشونة». وتشير الحفائر التي أجريت في الموقع إلى أنه كان من المواقع الحصينة. وقد عثر فيه على بقايا برج من العصر الحديدي يعود إلى حوالي ١٢٠٠ق.م. كما عثر على بعض المخلفات لبيوت وبعض قطع الفخار.

تل القصيلة:

يقع في ظاهر «تل قدادي» الشمالي الشرقي وهو من المواقع الأثرية في جوار مدينة يافا.

تل مكمش: أو «ظهر مكمش»، كما يعرف «بتل القنطور»

يقع في الجنوب من قرية الحوم (سيدنا علي). عثر فيه على تلال من الأنقاض من بينها «تل القنطور»، كما عثر على أساسات مبانٍ، وشقف فخار، وقطع أعمدة.

وفي عهد الاحتلال الصهيوني للمدينة، قام P.L.O. Guy بالتعاون ودائرة الآثار الاسرائيلية ببعض الحفائر في المدينة فيما بين (١٩٤٨ و ١٩٥٠).

وفي عام ١٩٥٢ قام كل من B.S.J. Isserlin و J. Eowman باستكمال الحفائر التي قام بها Guy بالتعاون وجامعة ليدز Leeds، واعلنا أنهما عثرا على بعض الآثار التي تعود إلى القرن الخامس ق.م، كما وجدا آثار بناء يعود إلى القرنين الرابع أو الثالث ق.م، وأنه قد تم إصلاح أحد جدرانه في القرن الثاني ق.م وأشارت نتائج الحفائر إلى أن المنطقة التي تم الحفر بها كانت مأهولة ومستقرة في خلال مرحلة البيزنطيين.

وفي عام ١٩٥٥ قام J. Kaplan بالتنقيب في المدينة القديمة بالتعاون ومتحف الآثار اليهودي في تل أبيب ويافا. كما استؤنفت الحفائر عام ١٩٦٤م، وتم التنقيب في ثلاث مناطق في خلال ستة مواسم في المدينة القديمة فضلاً عن بعض التنقيبات في ميدان الساعة، قرب المدينة القديمة، حيث عثر على بعض شواهد القبور التي تعود إلى العهدين الهيلنستي والروماني.

يتضمن المخطوط مايشير إلى أن بعض العبيرو قد خدموا القوات المصرية أثناء حصار مدينة يافا، حيث جاء في النص:

«إن أحد العبيرو مر. . هم، وهكذا قاموا بحراسة الخيول وأعطوها العلف. . . فمن هم العبيرو؟ وهل توجد صلة بين مصطلح عبيرو، وخبيرو، وهيبرو، أو عبري؟ وما دورهم في منطقة الشرق الأدى القديم؟ ثم ما علاقتهم بفلسطين؟

أشارت الوثائق القديمة في الوطن العربي إلى العبيرو في أكثر من موقع سواء السامية منها، أو المسارية، أو المصرية، ولاسيما في القرون، الخامس عشر، والرابع عشر، والثالث عشر ق.م ففي القرن الخامس عشر ق.م أشارت إليهم رسائل العمارنة، ووثائق أوغاريت، ووثائق مدينة ماري، ووثائق مدينة نوزي بالفرات، ووثائق من مصر. كما أشارت إليهم وثائق الحثيين في آسية الصغرى، ووثائق من سورية، ومن فلسطين في القرن الرابع عشر ق.م، ثم النص الذي سجله الملك سيتي الأول على مسلة بيسان بفلسطين في القرن الثالث عشر ق.م، فضلاً عما ورد ذكره عنهم بعد ذلك في التوراة، وفي بعض دراسات المؤرخين والباحثين الإخصائيين في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارتها. أما أحدث المصادر حول الموضوع فكان التقرير الذي نشرته بعثة ألمانية عام ١٩٧٠ عن نتائج حفائرها في قرية كامد اللوز بسهل البقاع في لبنان.[٣٩]

من هم العبيرو؟

المعنى الواسع لمصطلح عبيرو، أو خبيرو بالمسارية، هو جماعات من أجناس مختلفة، بمعنى عابرين، أي أجانب، أو مهاجرين، أو متجولين.

ويتفق معظم المؤرخين على وجود العبيرو بإهم غرباء وعصابات متجولة تعمل لصالح بعض القوى أو مستقلة في وقت الاضطرابات، أو مستخدمين وعمالاً وقت السلم في منطقة الوطن العربي القديم.

يقول جري إنه في خلال الألف الثاني قبل الميلاد، كان في أوغاريت، وهي الحاضر الكنعانية المعروفة، وفي جميع دول الشرق الأدنى، كبيرة وصغيرة، جماعات من العبيرو، وإنهم كانوا طبقة أجنبية عن البلاد تسكن مقاطعات خاصة بها، يمكن ضبطهم فيها وتجنيدهم منها، ويرى أن ذلك كان أفضل لئلا يلجأ إليهم أحد، فيغزوا بهم بلادا يطمع في السيطرة عليها.(٤٠) فوجود العبيرو في الوطن العربي القديم أمر مقرر، أما أصولهم فغير متفق عليها، وترجع كينيون سبب ذلك إلى عدم اتفاق المصادر حول الموضوع، فتقول: إن بعض المراجع تعدهم عبيدا، وأخرى تعدهم عصابات سلابة نهابة، وأخرى مستخدمين لدول كبرى فهم لايحترفون حرفة محددة، إذ نجدهم أحيانا جنودا محترفين، أوعصابات مستقلة، وأحيانا عمالا عاديين، وأحيانا عبيدا مستخدمين.(٤١) وقد رجحت أحدث نتائج الحفائر التي جرت في سهل البقاع بلبنان ذلك، حيث أشارت إلى عدهم عموماً جنودا يدفع بهم إلى الحرب أحيانا، والقيام بثورات ضد سادتهم، والاستيلاء على الحكم في المدن أحيانا أخرى.(٤٢)

وترى كينيون، أن مثل هذه الجماعات يمكن أن تجند من مصادر متنوعة من الأشخاص الذين لامأوى لهم، من العصابات المغامرة التي تفتش عن أراض غنية تغزوها مثل الحوريين، ومن العصاة الخارجين على القانون ممن أخرجوا من ديارهم، ومن جماعات بدوية فقيرة من جزيرة العرب.(٤٣)

أما برايت، فيرى أن مصطلح عبيرو يشير إلى أية طبقة من الناس ليس لها جنسية أو مكان في ترتيب المجتمع القائم. . وتعيش جماعة العبيرو أحيانا حياة قائمة على الغزو، ويقول برايت: إنه صادف أن سكن أفراد هذه الطبقة المدن، وكان يمكن في الأحوال المضطربة أن يؤجروا أنفسهم (كما ظهر في مخطوط الاستيلاء على يافا، كما يظهر في ألواح العمارنة) بماهم جماعة غير منتظمة لأية مصلحة تعود عليهم بالفائدة. كما يمكن اضطرتهم الحاجة أن يقدموا أنفسهم عبيداً (كما هي الحال في وثائق نوزي)، وفي مصر حيث استخدمت أعداد منهم عمالاً في مشاريع ملكية مختلفة.(٤٤)

أما بروس، فيقول: نادرا مايوصف العبيروا بأنهم مستقرون في بيوت لهم، إنهم يوصفون غرباء بل غرباء أعداء أينما ذكروا. كما يرى أنه على الرغم من أن

للمصطلح عبيرو معنى خاصا فقد درج استعماله عموماً بمعنى أعداء، أو ثوار، أو قوم غير محترمين، وفي بعض الحالات كان ذلك نعتا قبيحا ترمي به عدوك.(٤٥)

هل العبيرو ساميون؟

وقبل الإجابة عن هذا السؤال ينبغي توضيح المقصودبالسامية.

يرجع أصل تسمية السامية إلى سام الذي ورد ذكره في قصة الطوفان في التوراة(٤٦) على أنه أحد أبناء نوح الثلاثة الذين بقوا في الارض بعد فناء جميع سكانها، والابنان الآخران هما حام ويافث، ومن نسلهم انتشر الناس في الأرض. وفي عام ١٧٨١. اطلق لعالم الألماني شلوتسر كلمة السامية(٤٧) على مختلف اللهجات التي كان يتكلم بها سكان الجزيرة العربية ومابين النهرين، وسورية وفلسطين، وعلى اللغات التي انتشرت ـ بحسب رأيه ـ فيما بعد في الحبشة، ثم مصر، وشمال إفريقية.

ونتيجة للأبحاث الأثرية الحديثة والدراسات التاريخية واللغوية و بولوجيه المقارنة تبين ان الشعوب التي أطلقوا عليها سامية في الأصل إلى جنس واحد، هي الأمة العربية.

أما بالنسبة إلى صلة العبيرو بالسامية، فترى كينيون، أنه يمكن الاعتراف بالعبيرو على أنهم جماعة تنتسب إلى عرق واحد، ولايوجد لهم أسماء خاصة تدل عليهم.(٤٨) إن مصطلح عبيرو مهما كان مصدره لايرجع في الأصل إلى وحدة عرقية، وإنما إلى طبقة في المجتمع، وعلى الرغم من أن أكثر اسماء العبيروسامية، فإن لها أسماء أخرى كذلك، ويمكن أن يكون الرجل من أي جنس، ومع ذلك يكون عبيرو.(٤٩)

وتشير الأدلة الأثرية إلى أن بعض أسماء العبيرو سامية، بينما بعضها الآخر هندوأوربي فعلى حين ترى كينون أن أغلب أسمائهم سامية، فضلاً عن بعض الأسماء الحورية،(٥٠) فإن بورس يرى اعتمادا على الوثائق السورية، أن أكثر أسمائهم في منقوشات الألاخ (تل عطشان) غير سامية.(٥١) كمايرى بروس أن الأسماء السامية لدى العبيرو لاتدل على أصولهم، لأنهم كانوا يلجأون إلى الهلال الخصيب من وراء الأنهار والجبال، ومن جهات أخرى مختلفة.(٥٢) أما اقتباسهم للتراث السامي، فإن ذلك يعود إلى طوافهم غالبا في بلاد سامية.(٥٣)

وقد اتجه بعض المؤرخين إلى ربط العبيرو ببعض الصلات بالقبائل الآرامية، فيرى بريستد أن العبيرو عناصر آرامية، وأنهم كانوا يعملون في أوقات السلم من حيث هم عصابات متحولة مغامرة تغير على المدن والقرى وتعيث في الأرض فسادا.[٥٤] فيرى أن مصطلح عبيرو وخبيرو مرادف لمصطلح آرام، وحدد المنطقة التي تمتد بين سورية وبلاد مابين النهرين على أنها المنطقة التي عاشوا فيها.[٥٩] على حين يرى سوسة أن العبيرو هم إحدى القبائل العربية الآرامية الرحل، التي كانت تجوب الجزء الشمالي من الجزيرة العربية.[٥٦] ولاتوفر هذه الآراء ادلة واضحة أو قوية لأية صلات عرقية بين العبيروا والآراميين.

ومما سبق يمكننا أن نقول إن العبيرو خليط من الساميين، والهندواوربيين لايجمعهم أصل واحد، بل هم فئة من الناس تجمعهم صفات وممارسات مشتركة تتمثل بعصابات مغامرة في الأماكن المضطربة، ويستخدمون مرتزقة في جيوش الدول القوية، وهذا يتفق تماما وما جاء في المخطوط (الاستيلاء على يافا) وفي أيام السلم يبيعون خدماتهم على أنهم عمال وعبيد للحكومات القوية.

هل توجد صلة بين العبيرو والعبرانيين؟

يرى الكثير من المؤرخين وجود صلات بين العبيرو والعبرانيين، فمنهم من يرى أن العبرانيين من حفدة العبيرو وفريق يرى أن بينهم صفات مشتركة تتمثل بالعصابات المتجولةوعدم الاستقرار، والعمل في خدمة الدول القوية.

فمن الناحية اللغوية، يرى بعض المؤرخين أن مصطلحات: عبيرو (Abiru) وخبيرو (Khabiru) عبري أو هبري(Hebirew)مصطلحات مترادفة في المعنى، ولاتثير أي اعتراض لغوي.[٥٧] ويتفق بعض المؤرخين والتوراة على أن اسم العبرانيين مشتق من عابر بن شالح الذي ترده التوراة إلى سام بن نوح،[٥٨] ويعدون ساماً أباً لكل بني عابر، أي العبرانيين. ومن هنا جاء القول: إن اليهود ساميون، إلا أن الوثائق الأثرية والدراسات الحديثة تدل على أن العبرانيين المذكورين في التوراة، هم جماعة من العبيرو (Abiru) وأن نسبة الجنس السامي فيهم ضئيلة.

ولاشك في أن مصطلح عبيرو أسبق وجودا من مصطلح عبرانيين، ويرى نوث أن العبيرو الذي أشارت إليهم رسائل تل العمارنة، هم أنفسهم الذين تدل عليهم كلمة العبرانيين التي تستعملها التوراة، وأن أولئك العبرانيين قد وجدوا في نواحي الشرق القديم كله وأن تسمية تدل على شعب ذي أصول متنوعة وتشير إلى وضع اجتماعي وقانوني معين ويتفق هذا الوصف وما جاء في التوراة (سفر الخروج ٢١/٢، سفر التثنية ١٤/١٢) من أن العبيرو ذو مستوى وضيع وموارد ضئيلة في وسط البلاد التمدنة في الشرق القديم.[٥٩]

وترى كينيون أن هذا التفسير للعبيرو ينطبق على الوصف الذي يوصف به إبراهيم من حيث هو عبراني لأنه كان متجولاً، وأن قصة الآباء العبرانيين والمنطقة التي تجولوا فيها تشبه ما نعرفه عن قصة العبيرو وتنقلاتهم[٦٠] ويرى شارف أن العبيرو اسم يطلق على مجموعة بعنيها من الشعوب، وأن بعضها كان يقطن أواسط آسية الصغرى، وأن هذه المنطقة لم يصل إليها العبريون.[٦١] أما من حيث الصلة بين التعبير عبيرو، وخبيرو بالمسمارية، فيرى ولسون أن خبيرو هو الأصل في مصطلح عبيرو (Abiru) وأن خبيرو ليس تعبيرا عن سلالة، وعبيرو الحالية ليست هي (Hebirew) .[٦٢] أما سوسة، فيرى أن تسمية عبرانيين أطلقت على أتباع موسى بعد ظهورهم من حيث هم من القبائل الرحل لأنهم لم يكونوا قد وجدوا بعد عندما كانت هذه الكلمة تستعمل لتعني البدو الرحل، أو المهاجرين، أو العابريين.[٦٣] وقد أشارت أحدث نتائج الحفائر في سهل البقاع بلبنان إلى قبائل الخبيرو على انها قبائل تجمع أفراد من جنسيات مختلفة[٦٤] على حين يرجح «ازادور ابيشتين» أن العبيرو والعبرانيين شيء واحد،[٦٥] فإن «والترميتشل» يؤيده في ذلك، ويرى أن تاريخ العبرانيين يبدأ بين الشعوب التي تشغل البلاد الواقعة بين النيل أولاً، ودجلة والفرات ثانياً، وأن تركيبهم العرقي قد أدى إلى جدل كثير.[٦٦] وأما كينون فتؤكد أن الإسرائيليين هم حفدة جماعات العبيرو التي دخلت إلى فلسطين من شمال سورية، وقت دخول إبراهيم وجماعته[٦٧] (حوالي ١٧٥٠ ق.م.) وهذا الرأي لايختلف كثيرا ورأي الكثير من المؤرخين، اذ يرى برانت أن العبرانيين من حيث الأصل يتألفون من عناصر ذات أصول مختلفة جداً،[٦٨] أما نوث، فيقول: إن اليهود ظاهرة فريدة بين الأمم التاريخية، الأخرى وأنه لايمكن إطلاق معنى الأمة عليهم، وإنهم يرجعون إلى أصول متنوعة جداً، كما يوجد مابين

«العبرانيين».[٦٩] وتشير الاكتشافات الأثرية الحديثة في «ماري» إلى أن أحد أسباط إسرائيل، وهو بنيامين، يصف كلا منهما بأنه سراق نهاب.[٧٠]

يتبين مما سبق أن العبرانيين من حفدة جماعات العبيرو الذين يشكلون فئات أو جماعات خاصة لاتنتمي إلى أصول واحدة، وتجمعها صفات مشتركة، كانت تجوب أقطار الوطن العربي القديم، تظهر من حيث هي فئات مقاتلة في الأماكن المضطربة أو بوضعهم مستخدمين في أوقات السلم، ولايربطهم بسكان المنطقة أو بالأرض روابط مستقرة.

ما علاقة العبيرو، العبريين بفلسطين؟

إن تحركات العبيرو جاءت إلى فلسطين بجماعات من أجناس مختلفة، كالهكسوس والحثيين والحوريين، إلا أن الأساس في سكان فلسطين كان الجنس السامي (الكنعاني)، الذي تميز بخاصة القدرة الكبيرة على البقاء، وامتصاص غيره من العناصر.[٧١] وترى كينون أن سورية وفلسطين كانتا في تا‌‌‌لي المراحل ساميين برغم وجود بعض الأسماء الحورية.[٧٢] وهذا يؤكد أن العنصر السامي (الكنعاني) كان هو العنصر السائد صاحب الأرض في فلسطين منذ استقرار السامية الكنعانية في مطلع الالف الثالث ق.م.[٧٣] وأن العبيرو كانوا فئة، أو جماعات غير مستقرة تشكل عصابات في وقت الاضطرابات أو تعمل في الخدمة في أوقات السلم، وتعيش على هامش حياة السكان في فلسطين.

إن ذكر العبيرو في المخطوط (الاستيلاء على يافا) على أنهم تعاونوا من حيث هم عصابات مأجورة ضد سكان المدينة، مما يؤكد عدم انتمائهم إلى السكان أو ارتباطهم بالأرض.

يعتمد اليهود والكثير من المؤرخين الغربيين على التوراة أساساً مقدساً ووحيداً في كتابة تاريخ اليهود، بل تاريخ منطقة الشرق الأدنى القديم. وقد ثبت نتيجة للكثير من الدراسات التي لامجال لذكرها هنا، أن التوراة قد كتبت ابتداء من القرن الثامن إلى القرن الخامس ق.م.، وأن اليهود يرجعون ذلك إلى أوامر من ربهم يهوه.

ومهما كانت صلة العبريين بالعبيرو، فإن صلة العبريين (اليهود) بفلسطين تبدأ بعد خروجهم من مصر بقيادة النبي موسى في عهد الملك مرنبتاح حوالي ١٢٠٠ق.م.، وإن الجرائم التي ارتكبها اليهود في اقتحام مدينة أريحا عند محاولتهم دخول فلسطين، كما جاء في التوراة، لترجح الصلة الوثيقة بين صفات العبيرو وممارساتهم، واليهود على مر العصور.

قصة الإستيلاء على طروادة
(حصان طروادة)

تدور القصة حول الحرب التي قامت بين مينيلاوس Menelaus ملك اسبرطة ضد ملك طروادة(٧٤)، حيث ذكر أنها استمرت نحو عشر سنوات. كما تعد هذه الحرب من أبرز أحداث التاريخ الإغريقي القديم. جاءت وقائع قصة الحرب في أشعار هومر(٧٥)، الشاعر الإغريقي المعروف في قصائده: الإلياذة Iliad، والأوديسة Odyssey

وتشير القصة إلى أن سبب الحرب: أن باريس Paris بن بريام Príam ملك طروادة اختطف هيلين Helen زوجة مينيلاوس أخي اجاممنون ملك اسبرطة. وجاء في القصة أن ملوك المدن اليونانية بقيادة مينيلاوس حاولوا اقتحام مدينة طروادة، إلا أنهم لم يستطيعوا ذلك، ففرضوا عليها الحصار بحرا وبرا مدة عشر سنوات. ثم لجأ قائد الجيوش اليونانية المهاجمة «أوليس» إلى المكيدة، فتظاهر بفك الحصار عن طروادة، وابتعد بجيوشه عن مشارف المدينة وموانئها، بعد أن ترك حصانا خشبيا كبيرا على الشاطىء قريبا من أسوار المدينة. وظن الطرواديون أن الحرب انتهت فاحتفلوا بشرب الخمر ابتهاجا بالنصر، وبناء على اقتراح بعض القادة، قام الطرواديون بإدخال الحصان الخشبي الذي تركه الأعداء إلى داخل المدينة، ولكبر حجمه اضطروا إلى فتح باب كبير في سور المدينة.

وتروي القصة أنه في المساء وبعد إدخال الحصان إلى المدينة خرجت مجموعة من الجنود الأشداء الذين كانوا مختبئين داخل الحصان وفقا للخطة المرسومة، وفاجأوا

الحراس، واستطاعوا فتح أبواب سور المدينة مما مهد السبيل أمام الجيوش اليونانية المعادية دخول المدينة والاستيلاء عليها.

قصة الزباء وقصير[٧٦]

تتلخص القصة بما يأتي:

كانت الزباء ابنة عمرو بن ذرب بن حسان بن أذينة بن السميداع، وهي من قبائل العماليق ملكة الشام والجزيرة. وقد جاء الأمير جذيمة الأبرش مع مجموعة من عشيرته ليخطب الزباء زوجة له. وقد طمعت الزباء بثروته فتآمرت عليه وقتلته مع جميع ذويه، ولم ينج من القتل إلا قصير بن سعد الذي نجا بأعجوبة، ثم عمل بعد ذلك على الانتقام من الزباء، فاستعان بأقرباء جذيمة، وبعض القبائل، إلا أنه لم يوفق إلا مع عمرو بن عدي. ففكر الاثنان قصير وعمرو بأفضل وسيلة للانتقام من الزباء التي كانت تسكن في مدينة مسورة وحصينة، ويصعب اقتحامها فاقفقا على أن يجدع قصير أنفه، وأذنه، وذهب إلى الزباء، فوثقت الزباء بقصير واتفقا على محاربة عمر. فاقترح قصير على الزباء أن يحاربا ضد عمرو اقتصادياً أول الأمر، بأن يقوما بشراء جميع المواد التموينية من بلدة عمرو قبل بدء القتال بينهما كي لا يقوى عمرو على المقاومة طويلاً عند نشوب الحرب.

وقام قصير بتنفيذ الخطة عن طريق مكيدة وهي وضع ألف جمل تحمل ألفين من المقاتلين داخل صناديق، وتقدم قصير القافلة إلى مدينة الزباء، وبعد دخول الجمال المحملة بالصناديق داخل سور المدينة، خرج المقاتلون من الصناديق وقتلوا الحامية. وفي أثناء المعركة بين المهاجمين والمدافعين حاول عمرو أن يقتل الزباء بنفسه، إلا أنها تناولت السم الذي كان في خاتمها وهي تقول عبارتها «بيدي لابيد عمرو»، التي أصبحت مثلا بعد ذلك.

خاتمـــة:

ـ إن قصة الاستيلاء على مدينة يافا تعود إلى القرن الخامس عشر ق.م.، بينما تعود قصة طروادة إلى حوالي القرن الحادي عشر ق.م.، في حين تؤرخ قصة الزباء بالقرن الثالث ق.م.

ـ إن الجوهر متشابه في القصص الثلاث على الرغم من البعد الزمني بينهما

ـ إن تكرار هذه القصة في يافا بفلسطين وطروادة في اليونان وبلاد الشام يدل دلالة واضحة على العلاقات المتينة بين هذه الأقطار. وهذا ماتؤكده المصادر التاريخية عبر القرون حيث شهدت سواحل كنعان وفينيقية ومصر علاقات حضارية مختلفة بالبلدان الايجية منذ الألف الثالث ق.م.

ـ إن العلاقات الحضارية المختلفة بين مصر وفلسطين والساحل الفينيقي والمدن الإيجية لخير دليل على قوت الصلات بين هذه الأقطار التي تبادلت المظاهر الحضارية المختلفة.

ـ ويؤكد المخطوط على أهمية العلاقات الفلسطينية المصرية في مرحلة الألف الثاني قبل الميلاد، ولاسيما في عهد الإمبراطورية المصرية.

المصادر والمراجع

ـ أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، دمشق، ١٩٧٥.
ـ أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق الأدبي القديم، القاهرة، ١٩٦٣.
ـ جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبعة التفيض، بغداد، ١٩٥٢.
ـ حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم، مكتبة الدراسات اللغوية، القاهرة، ١٩٧١.
ـ رشيد الناضوري، المدخل التحليلي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا، ك١، ط٢، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، ١٩٦٧.
ـ محمد أديب العامري، عروبة فلسطين في التاريخ، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٧٢.
ـ محمد عبد القادر محمد، الساميون في العصور القديمة، دار النهضة، القاهرة، ١٩٦٨.
ـ محمد عزة دروزة، تاريخ إسرائيل من أسفارهم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٩.

- مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج١، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٤.
- نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، ك٣، دار العارف، القاهرة، ١٩٦٤.
- نسيب وهيبة الخازن، أوغاريت، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦١.
- التوراة (التوراة)، نشر جمعية التوراة البريطانية والأجنبية، بريطانية، ١٩١٣.
- إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٩٢٩.
- أنطوان مورتكارت، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة توفيق سليمان، من دون تاريخ.
- ج كونتنو، الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة، ١٩٤٨.
- جون ولسون، الحضارة المصرية، ترجمة أحمد فخري، القاهرة، ١٩٥٥.
- رينيه ديسو، العرب في سورية قبل الإسلام، ترجمة عبدالحميد الدواخلي، القاهرة، ١٩٥٩.
- سبينيو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة يعقوب بكر، دار الكتاب العربي القاهرة، ١٩٥٧.
- غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر، دار الكتب المصرية القاهرة، ١٩٧٠.
- فيليب حتي، تاريخ العرب (مطول)، جـ١، دار الكشاف، بيروت، ١٩٦١.
- هاوكس ول وول، ما قبل التاريخ وبداية المدنية، ترجم ثلاثة فصول منه، عبدالرزاق الجوهري، بيروت، مكتبة الجامعة العربية، ١٩٦٧.

---

(١) تعتمد هذه الترجمة العربية على الترجمة الانجليزية للمخطوط، التي قام بها جون ولسون عام ١٩٦٩ ونشرت في ANET، الطبعة الثالثة، جامعة برينستون، نيوجرسي، الولايات المتحدة الأمريكية..

(٢) [...] فراغ شوه فيه النص تماماً.

(٣) ... فراغ في أول الكلمة.

(٤) ( ) حواشي من إدخال المترجم.

(٥) [ ] تستخدم للنصوص المرممة.

(٦) المارينو وتعني المحاربين الآسيويين، أصل الكلمة هندي إيراني وتعني «الأشراف»..

(٧) ــــ خط تحت الكلمة يعني أن الترجمة مشكوك فيها، أو من أجل النطق Trans Literations

(٨) حصن أو حامية.

(٩) إن إدخال الزوج والأولاد يجعل من المعقول افتراض أن جحوتي أبدى استعداده للرحيل إلى جوار جويا.

(١٠) العابيرو كانوا أجانب، بعض هؤلاء خدم المصريين في هذا الوقت. أما من حيث احتمال الصلة بين التعبير عابيرو، والتعبير الذي ظهر في المسمارية خابيرو، فيفترض في التعبير الأخير الأصل الكلمة «Hebrew» انظر '..J.A.Wilson Ajsl,LIX (1933), 275-80 خابيرو ليس تعبيرا عن سلالة، وعبيرو الحالية ليست هي «Hebrew» بقدر ما لدينا من دليل.

(١١) أي الملك تحتمس الثالث.

(١٢) تعني الروح الحارسة، القوة الحية.

(١٣) إلهة الحرب المصرية.

(١٤) ربما تعني ثقلاً، أو حزاماً «قمطة».

(١٥) من المحتمل أن سائق العربة ممثل لأمير جويا للتفاوض، وكان منتظراً خارج المعسكر المصري.

(١٦) زوج أمير جويا.

(١٧) الإله المصري الذي ساوى المصريون بينه وبين آلهة الأقطار الأجنبية.

(١٨) تمثل الخدعة، أي مملوءة بعساكر مصريين.

(١٩) أي سكان المدينة.

(٢٠) كا أي: الروح.

(٢١) اسم الناسخ غير مقروء.

(٢٢) W. Helck, Die Beziehunger Agyptens Vorderasien im 3und 2Jabrtausend, V. chr (Ag.Ab. 5) (1962), P.139.

(٢٣) Ibid. P.260

(٢٤) W.Helek, Op. Cit., P. 190.

(٢٥) أطلق المصريون كلمة شنوتي على مراكز التموين أو مخازن الغلال، ويبدو أنها الكلمة المصرية المستخدمة الآن «شونة».

(٢٦) W. Helck, OP. Cit., P.919

(٢٧) Ibid., P. 335

(٢٨) وهذا يتفق مع اسم المدينة الكنعاني يافا (Yaffa 6 أو يافي (Yaffi)، أي الجميل أو المنظر الجميل.

★★ من خطابات العمارنة، وهي وسائل متبادلة بين ملوك فلسطين وسوريا ولبنان والعراق وأمرائها، وبين مصر وتؤرخ بالقرن الرابع عشر ق.م. وأحدث دراسة لها قام بها:

W.Helck, Lexikon der Agypto Losie, Band 1 (1975) 173- 174.

(٢٩) E.A.E.H., Ed. Oxford University, London, 1975, V:2, P.532

(٣٠) سفر يوشع، ١٩/ ٦، سفر التكوين ٢/ ١٥، عزرا ٣/٧ وغيرها.

(٣١) علي المليجي، يافا، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٤٣، ص٧٣ ثم أنظر، Opcit. P534.

(٣٢) Ibid. P. 534.

(٣٣) Ibid.

(٣٤) علي المليجي، يافا، المرجع نفسه. ثم انظر، Ibid.

(٣٥) علي المليجي، يافا، المرجع نفسه. .Opcit. P.534

(٣٦) مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، جزء١، بيروت، ١٩٦٤، ص٤٣٠.

(٣٧) علي المليجي، المرجع نفسه، ص٩.

(٣٨) مصطفى الدباغ، المرجع نفسه، ص٤٣١.

(٣٩) بدأت هذه البعثة الأثرية أعمالها عام باشراف رولف إخمان، ونشرت تقريرها حول الموضوع، جريدة النهار، بيروت، ١٩٧٠/١١/٣.

(٤٠) J. Gray, Archaecology and old testament study, PP.156-7

(٤١) K. Kenyon, Archaeology in the Holyland, London, 1979, 4th.ed., P.167.

(٤٢) بعثة رولف إخمان، المرجع السابق.

(٤٣) K.Kenyon, OP. cit., P.167.

(٤٤) J.Bright, A History of Israel, S.C.M., Press Ltd., Bloomsbury Str., London, 1967.

(٤٥) Bruce, Archaeology & Old Testament Story, P.10,11.

(٤٦) سفر التكوين، الإصحاح / ١٠.

(٤٧) Wolf Leslau Encycl. Brit. 1963, Vol. 20, P.314.

(٤٨) K. Kenyon, Opcit., P. 169, 192.

(٤٩) J. Bright, Op. cit., P.85.

(٥٠) Kenyon OPcit., P.192.

(٥١) Bruce, Opcit. P.11.

(٥٢) Ibid.

(٥٣) Kenyon, Opcit., P.167, 192

(٥٤) بريستد، تاريخ مصر حتى الفتح الفارسي، القاهرة، ١٩٢٩، ص٢٥٧.

(٥٥) A. Grohmoun, The Arabs, The Enc. of Islam, New ed. P.255.

(٥٦) أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، دمشق، ١٩٧٥، ص٩٨-٩٩.

(٥٧) K.Kenyon, Opcit. P. 167, 182.

(٥٨) تكوين، ١٠/ ٢٩، ١١/ ١٤.

(٥٩) Noth, Martin, The History of Israel, Adam and Charles Black, Lodon, 1960.

(٦٠) K.Kenyons, Opcit. P. 167, 102.

(٦١) شارف، تاريخ مصر من فجر التاريخ حتى إنشاء مدينة الإسكندرية، ترجمة، عبدالمنعم أبو بكر.

(٦٢) J.A.Wilson, A.N.E.T., 1969, P.22.

(٦٣) أحمد سوسة المرجع نفسه، ص٩٨-٩٩.

(٦٤) بعثة رولف إخمان، المرجع نفسه.

(٦٥) Epstein, Isidore, Judism, Penguin Books, Middlesex, England, 1968, P.14

(٦٦) Encyclopaedia Britannica, William Benton, 1963, Vol., 13, P.42E.

(٦٧) K.Kenyon, Opcit., P. 167-68, 178.

(٦٨) J. Bright, Opcit. P.12

(٦٩) Noth, Opcit, PP.5, 34,81.

(٧٠) Parrot, Archaeollgy & Old Trstament Study, P.141.

(٧١) K.Kenyon, Opcit., P. 167, 192.

(٧٢) K.Kenyon, Digging up Jericho, Benn Ltd., London, 1957, P. 222-4.

(٧٣) Vaux, R.de, Out Line of History, C.A.H., 1966, P.28.

(٧٤) طروادة Tory ، مدينة إغريقية قديمة على شواطىء بحر إيجة Aegean قرب مضيق الدردنيل Dardanelles. ويرجح أن القصة تعود إلى القرن الحادي عشر ق.م.

(٧٥) هومر Homer ، شاعر إغريقي، عاش حوالي ٨٥٠ق.م.

(٧٦) المسعودي: ج٢، ص٩٣ (تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مصر، ١٩٦٤) ويعود تاريخ القصة إلى حوالي ٢٧٤ق.م.

دار العـدل بحلـب

الدكتور محمود حريتاني

أدت دار العـدل مهمـة هامـة في العهـدين المملوكي والعثماني، ولا سيما في الاخير، في جميع الميادين السياسية والاجتماعية، فضلاً عن كونها أكبر مركز قضائي في حلب.

ولقد عرفت بأسماء متعددة إضافة إلى تسمية دار العدل، فهي دار العدلية، ودار السعـادة، ودار النيابة، ودار الحكومة، والسراي. وقد تكون التسمية الأخيرة جاءت في عهدها الأخير، لأمرين:
أولاً: اشتقـاقهـا من اللغـة الايطالية، وثانياً: لأنها كانت مقراً رسمياً شاملاً لكل فعاليات الدولة تقريباً.

قد نقول: إن دار العدل بحلب كانت ذات أهمية، إذا علمنا أن في دمشق داراً للعدل أخرى، اهتم بها نور الدين، حتى أن أسد الدين شيركوه، خاف أن يقاضيه نور الدين فيها فعمل على إزالة المظالم التي سببها نوابه.

لا نستـطيع أن نحـدد، بحسب المعلومات المتوافرة لدينا الآن، أيها أقدم: مكاتب العدول أو دار العدل، أو أن مكاتب العدول كانت البداية ودار العدل النهاية مع علمنا بأن النظامين تعايشا مدة طويلة في العهد المملوكي وأن مكاتب العدول قد ألغيت في النصف الثاني من القرن السادس عشر ببدايات الحكم العثماني لحلب. وعندئذ أخذت دار العدل أهميتها الكبيرة، وتنوعت أعمالها كما سنرى.

ومهما يكن من أمر فإن هناك فروقا واضحة بين مكاتب العدول ودار العدل، فالأولى كانت لامركزية - إن صح التعبير- حيث وزعت بحسب الاحياء، وفي كل أطراف المدينة وخارجها، وحكمت وفق المذاهب الأربعة، وأفتت وفق ذلك أيضاً، أما دار العدل، كونها مركزاً قضائياً كبيراً، فقد كانت مركزية، يتربع فيها رئيس القضاة

ـ أو قاضي القضـاة ـ والمفتي الأول، وترفع إليها قضايا خاصة، بينما ترفع القضايا العادية إلى مكاتب العدول.

أقدم معلوماتنا عن دار العدل، تدل على أن الملك الظاهر غياث الدين غازي ٥٦٨ـ ٦١٣/١١٧٢ـ ١٢١٦ الأيوبي، الذي تعود إليه نهضة حلب العمرانية. ملأ المدينة بالمباني والأسبلة. والقساطل والمساجد والأضرحة وغير ذلك. وهو الذي بنى دار العدل. فقد أورد الغزي[1] نقلاً عن الرضى الحنبلي المتوفى سنة ٩٧١/ ١٥٦٣ قوله: «الظاهر غياث الدين بنى سوراً من شرقي البلد، على دار العدل، وفتح له باباً من جهـة القبلة، وبـابـا من جهة الشرق والشمال على حافة الخندق سمي الباب الصغير، وكان يخرج منه إذا ركب، وبنى دار العدل لجلوسه العام فيها بين السورين، في الجـديد الـذي بنـاه إلى جانب الميدان، والعتيق الذي فيه الباب الصغير، وفيه الفصيل الذي كان بناه نور الدين، وكان الشروع في بناء الدار المذكورة سنة ٥٨٥/ ١١٨٩.»

كما قال ابن شداد[2] المتـوفى سنـة ٦٨٤/ ١٢٨٥: «بنى الملك الـظاهـر غياث الدين غازي» دار العدل لجلوسه العام فيها. . . «ويذكر الغزي في مكان آخر من كتابه[3]: «ولما جاءت دولة الملك الظاهر غازي عمر دار العدل أي دار الحكومة بين السور القديم والجديد. . . » ويضيف رضى الدين الحنبلي[4] أنشأ هذه الدار إقبال الظاهر العزيزي الناصري بتولي مملوكه ايدغدي صنعة المطوع.»

بنيت إذن دار العدل في عهد الملك الظاهر غازي، ثم وسع بناؤها فيما بعد. فقد أضيفت المدرسية الفطيسية التي أنشأها سعد الدين المعروف بفطيس المتوفى سنة ٦٤٩/ ١٢٥١ إلى دار العـدل، وقد أورد الطباخ في الجزء الرابع من كتابه[5] أن: «المدرسة القليجية التي أنشأها الامير مجاهد الدين محمد بن شمس الدين محمود ابن قليج النوري وانتهت عمارتها سنة ٦٥٠/ ١٢٥٢ كانت غربي دار العدل ملاصقة لها ولكن بنيت دور حديثة من جوانبها الثلاثة مضافة إلى دار العدل وفتح لها باب منها وقل الانتفاع منها.»

ولتحديد مكانها يستطرد الطباخ[6] فيذكر: «أقول:تقدم أن دار العدل ويقال لها درا السعادة أيضاً كانت موضع بناء المستشفى الوطني الآن (ولا يزال المستشفى قائماً

حتى الآن) آخذة إلى جهة الغرب ويغلب الظن أن الجنينة المعروفة الآن بجنينة شلم والـدار التي بداخلها هي من دار العدل أيضاً. وهذه المدارس والخانكاه الغطيسية والخانكاه القديم في هذا المكان.» هذا الموقع قد حدد في مصادر تاريخ حلب بجوار المدرسة اليشبكية التي كانت في سنة ٩٣٣/ ١٥٢٦ مجاورة لدار العدل وهي المستشفى الوطني كما ذكرنا حتى إن ابن الشحنة المولود عام ٨٠٠/ ١٣٩٧ يذكر في كتابه الدر المنتخب حين يحدد موقع خان خيربك يقول: «خان خيربك بالقرب من باب السر من دار العدل تجاه باب سوق الدهشة.»(٧) غير أن الغزي يذكر(٨): «. . . وتغير موقع دار العدل وكانت في محلة الطونبغا.»

لقد كانت دار العدل ذات مساحة واسعة فقد بنى يلبغا الناصري جامعاً فيها وسيمر بنا حديثه. لم تدم دار العدل حتى الآن في موقعها الذي ذكرناه فقد خربت لكننا لم نجد مصدراً يحدد وقت خرابها ولعل ذلك جرى خلال الزلزلة الكبرى التي حصلت سنة ١٢٣٧/ ١٨٢٢ وأصبح لحلب دار عدل أخرى باسم دار الحكومة وهي في الأصل دار الجلبي ففي عام ١٢٦٧/ ١٨٥٠ وبعد أن جرت فتنة حلب بين الوالي والثائرين على القرعة العسكرية وزيادة الضرائب الأميرية وغير ذلك أدت دار الحكومة أو دار بني الجلبي مركز الوالي مهمة كبيرة في الصلح والمفاوضات وهذه الدار ولا تزال قائمة بالقرب من القلعة من الجهة الشمالية منها ولكن بحالة يرثى لها.

لم تكن دار العدل متخصصة بأمور العدل والقضاء كما هي الحال اليوم. فقد كانت إلى جانب كونها مركزاً رئيساً للقضاء والقضاة ذات أهمية رسمية واجتماعية كبيرة.

فمن النـاحية القضـائية تعـد دار العدل بمنزلة محكمة عليا ومحكمة إدارية ومحكمة عادية ولا سيما بعد إلغاء مكاتب العدول في بدء العهد العثماني ففيها يحاكم الولاة ويعاقبون، وفيها يحاكم الناس العاديون وتصدر عليهم الأحكام وتنفذ أيضاً. فقد ذكر الغزي(٩) نقلاً عن در الحبب أن «شاد الوقف بدر الدين تيليك قد نكب في سنة ٧٣٩/ ١٣٣٨ لكلمة صدرت عنه وعقد له بدار العدل يوم العيد مجلس مشهور وأفتى العلماء بتجديد إسلامه وعزله وضربه فشمت به الناس.» ثم قال ابن الوردي في حوادث ٧٤٢/ ١٣٤١ «عـوقب لؤلؤة القنـدشي بدار العدل بحلب حتى مات

واستصفى ماله وشمت به الناس» كما اعتقل دمرداش المحمدي نائب حلب الأمير جكم بن عبدالله بن عوض الظاهري أحد عتقاء الملك الظاهر برقوق في دار العدل بحلب مدة ثم أطلقه ولكن جكم قاتل دمرداش في ٨٠٧/ ١٤٠٤ وتغلب على حلب. وقد زاد السخاوي في الضوء اللامع فذكر في ترجمة جكم أنه اعتقل بقلعة المرقب ثم نقل إلى حلب فحبس بدار العدل ثم نقل إلى غيرها. ثم إن محاكمة القضاة كانت تتم فيها وأمام قضاتها الأربعة. وكما يظهر ذلك فيما أورده رضى الدين الحنبلي في كتابه در الحبب: «أوصى بعض الناس إلى كافل حلب أزدمر أن القاضي رضى الدين أبو بكر المتوفى في أواخر القرن التاسع الهجري/ القرن الخامس عشر الميلادي يتعاطى شرب الخمر في مكان كذا فأرسل إلى مكانه من أحضره في حالة فظيعة بعد أن أشهد عليه بأنه كان يتعاطى شرب الخمر طوعاً شاهدين معتبرين من عدول حلب كان أحدهما صاحباً له. وكان الشاهدان سبقاه إلى باب دار العدل ليشهدا عليه عند أحد القضاة الأربعة المنعقد بهم المجلس هناك(١٠).»

لم يقتصر الأمر على محاكمة الولاة والقضاة فقد كانت تجري في دار العدل محاكمات الافراد مثال ذلك محاكمة عماد الدين النسيمي: فقد ادعي عليه بدار العدل بحضور مشايخ حلب واعتقل فيها باشراف نائب حلب حتى قضي في الأمر وعرض على السلطان لاخذ موافقته على إعدامه.

ولأهمية دار العدل كان يجلس كافل حلب بنفسه لفض الخصومات بدار العدل. فقد ذكر أن خايربك والي حلب في السنوات الأخيرة من العهد المملوكي اعتاد أن: «يسلك مسلك كفال حلب المتقدمين فيجلس في دار العدل فيقرأ بين يديه مايرفع من القصص اليه لفصل الخصومات لديه بحضرة قاضي القضاة ومفتي دار العدل على وجه يكون الشافعي عن يمينه وتحته الحنبلي والحنفي على يساره ودونه المالكي(١١).» وأحيانا يفصل في الخصومات التي تجري بين الموظفين الكبار بحلب. ففي ٨٨٤/ ١٤٧٩ وقعت خصومة بين كيخيا كلز عمر بن ككجا وبين القاضي علي بن محمد الانصاري وتطور الخلاف إلى أن اعتصم القضاة وتوقفت الأعمال في مكتب العدول إلى أن سعى الفخر عثمان الكردي بالصلح بين القضاة وبين الكيخيا وحاجب الحجاب بدار العدل.

دار العـدل، دار للفتـوى أيضـا تهتم بمشكـلات الناس وتجد لها الحلول، والمعروف أن الفتوى كانت تعطى أحيانا على المذاهب الأربعة وهذا يدل على مدى أهمية العاملين في الافتاء. فقد كان لدار العدل مفتيان كما ذكر ابن الشحنة في كتابه الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب[١٢]؛ ويعتبران في الطبقة الثانية من حكام حلب في عهـد المـماليك. وقد ذكر الطباخ[١٣] أن عبد الرحمن بن الشحنة المتوفى سنة ٨٣٠/ ١٤٢٦ ناب عن أخيه في قضاء الحنفية وولي إفتاء دار العدل، كما ولي قضاء المالكية ببلده نيفا وعشرين سنة. كما أن عبد القادر بن سعيد الشافعي المتوفى سنة ٩٣٤/ ١٥٢١ أصبح مفتي دار العدل بحلب من غير أن يكون غيره مفتياً بها يومئذ. وإن كانت في الزمن السابق ذات مفتيين كما ذكرنا.

أدت دار العدل مهمة بارزة في الحياة الإدارية بحلب وهي وإن لم تكن مقر كافل حلب في العهد المملوكي، أو مقر الوالي في العهد العثماني إلا أنها كانت المركز الـذي تجري فيه مراسم التـولية والخلع، ومكـان انـطلاق المـواكب الـرسمية، والاجتماعات الهامة وفيها تتخذ القرارات الحاسمة، ففي هذا المجلس ماجرى سنة ٦٤٠/ ١٢٤٢ حين توفيت الصـاحبـة ضيفـة خاتون زوجة الملك الظاهر غازي، فاستقل ابنها الملك الناصر بالسلطنة «وأشهد على نفسه بالبلوغ وله نحو ثلاث عشرة سنة، وأمر ونهى وقطع ووصل وجلس في دار العدل.» كما أن الامير جكم الذي قتل دمـرداش في ٨٠٧/ ١٤٠٤ وتغلب على حلب قام في ٨٠٩/ ١٤٠٦ وأخذ البيعة لنفسه من أعيان حلب وخلع السلطان الملك فرج بن برقوق ولبس أبهة السلطنة في دار العدل وركب بشعار السلطنة من دار العدل إلى القلعة وتلقب بالملك العادل أبي الفتح.

وليس أدل على أهمية دار العدل بحلب، من أنها كانت أكبر مركز رسمي، كما هو مركز الدولة في استانبول، فقد ذكر أن: «القاضي محمد بن محمود بن خليل بن آجا المتوفى سنة ٨٨١/ ١٤٧٦، وكان قاضيا للعسكر يحضر بدار العدل يوم الموكب كما يحضر القضاة وقضاة القضاة وهو مثل الديوان السلطاني في الدولة العثمانية.» علما بأن حلب لم تكن قد دخلت في عهدة الدولة العثمانية بعدئذ.

كما اتخذ قرار هام، بدار العدل، بعد هزيمة سلطان المماليك قانصوه الغوري في ٩٢٢/ ١٥١٦ في معركة مرج دابق أمام السلطان العثماني سليم الأول: «فقد دخل

حلب من بقي من عسكره في اليوم الثاني فما بعده ليلا ونهارا، ووقع الرأي بعد وصول خير بك ودخوله دار العدل، على توجهه وتوجه من بقي الى الشام فتوجهوا، وتحقق أوباش الناس وفاة سلطانهم، فأوقعوا النهب فيمن تخلف عن التوجه إلى الشام ودخلوا دار العدل فنهبوها وقتلوا من قتلوا.»(١٤)

أخيرا ليس أدل على أهمية دار العدل من كونها المركز الرئيسي في حلب «يوم الموكب» وهو تقليد وجد في العهد المملوكي، واستمر في العهد العثماني ولاسيما في بداياته.

فقد ذكر ابن الشحنة(١٥) المولود عام ٨٠٠/ ١٣٩٧، ان النائب إذا قدم إلى حلب ليتسلم مهام عمله، دخلها في موكب اشترك فيه رجال الدولة ومنهم رجال القضاء: قاضي القضاة، وقاضيا العسكر، ومفتيا دار العدل. وبعد أن يقوم بمراسم معينة أمام باب القلعة يتوجه الى: «دار النيابة (في القلعة) فيقرأ تقليده بحضرة القضاة المباشرين وهو واقف على قدميه...» ثم يغادر دار النيابة ويمتطي جواده أمام باب القلعة «وتعرض عليه الخيول والأملاك ويجهر الندا بالأمان للرعية واظهار العدل. ثم يتقدمه كتائب الأمراء من هناك إلى باب دار العدل وهو مدى طويل، المقدمون ثمانية لكل واحد منهم مماليك..»

أما في بداية العهد العثماني فقد استمرت تقاليد الموكب، ومن ذلك ما اعتاده خاير بك والي حلب المتوفى ٩٢٨/١٥٢١، حيث كان يفصل في الخصومات في دار العدل، بالعدل.

ومن التقاليد المعروفة في دار العدل أن والي حلب إذا صلى صلاتيْ العيد يذبح الذبائح ويصل، وهو ماش إلى باب دار العدل، وكان يطلق عليها كما ذكرنا دار السعادة، فيدخلها وينحر بها لنفسه ولمن كان من سكانها.

لم يقتصر الأمر على الولاة فقط، إذ يحدث، حين يولى أحد أهالي حلب، منصباً هاماً تجري مراسم توليته في دار العدل أيضاً، فقد انعم الملك الظاهر خشقدم ٨٦٦-٨٧٢/ ١٤٦١-١٤٦٧ على يوسف بن عبدالرحمن الحنبلي بمنصب قاضي الحنابلة بحلب، وبعث له خلعة، أمر كافلها، في كتاب كتبه إليه، بأن يلبسه إياها

بدار العـدل. وفي ٨٩٩/ ١٤٩٣ كان قد ولي مشيخة الشيوخ بحلب مضافة إلى منصب القضـاء وما معه، بعد أن اجتمع بدار العدل بها وكافلها يومئذ السيفي، ازدمر. ويقول الطباخ[١٦] نقلاً عن الدرر الكامنة: «ومعهم جماعة من قضاة ومشايخ الأسلام وجمع غفير من الفقراء القادرية والرفاعية وغيرهم، ورضوا به أن يكون شيخ شيوخ حلب فألبسه الخلعة كافلها فذهب بها إلى منزله وهم معه في يوم مشهود، مد لهم فيه السماط على جاري العادة.»

لقد أدت دار العدل مهمة كبيرة في الحياة العامة في مدينة حلب، ولا ندري أباستطاعتنا أن نطلق عليها اسم مجلس المدينة أو القصر البلدي أو ما شابه ذلك من أسماء. ،لا غرو فقد كانت في أواخر عهودها، وقبل انقضاء الحكم العثماني في بداية القرن العشرين، كما يصفها الشيخ كامل الغزي[١٧]: «دار الحكومة في محلة العوينة ـ أي الجبيلة اليوم [وهذا مكانها الجديد والحالي بعد أن هدمت بزلزال عام ١٢٣٧/ ١٨٢١] معـروفة بالسراي وهي بناء فسيح يشتمل على دوائر الملكية والعدلية ودار البريد والبرق والبلدية وثلاثة حبوس ودار العدلية.»

ومهما يكن، فهي في مكانها القديم أو الجديد، كانت مركز الفعاليات العامة في مدينة حلب وإليها يتجه الجميع في حل مشكلاتهم واستشاراتهم وأعمالهم العادية والخطيرة، حتى إنها عدت المرجع الرئيسي لكل مملكة حلب في عهودها المختلفة، وحتى إن الأمور التي لا يجد لها الناس تفسيراً. من ذلك ما ورد في المصادر التاريخية من أنه في «سنة ٧٤٩/ ١٣٤٨ ظهر بمنبج، على قبر النبي متى وقبر حنظلة بن خويلد أخي خديجة وقبور أخرى، أنوار عظيمة، وصارت الأنوار تنتقل من بعضهم إلى قبر بعض، وتجتمع وتتراكم، ودام ذلك إلى ربع الليل حتى انتبه لذلك أهل منبج، وكتب قاضيهم بذلك محضراً وجهزه إلى دار العدل بحلب.»[١٨] وفي سنة ٧٥٠/ ١٣٥٠ طلب السلطان المملوكي النـاصر ناصر الـدين حسن (١٣٤٧/ ١٣٥١) نائبـه في حلب فخر الدين إياز، إلى القاهرة، فأحس بمكيدة تدبر له فالتجأ إلى دار العدل، فخاف الأمـراء أن يهرب: «فركبوا من أول الليل وأحاطوا به فخرج من دار العدل وسلم نفسه، فأودعوه القلعة ثم حمل إلى مصر فحبس»[١٩].

وفي سنة ٧٨٩/ ١٣٨٧ تفاقم الخلاف بين السلطان الظاهر برقوق، وبين نائبه

في حلب يلبغا الناصري وخشي هذا الأخير أن يتم اغتياله خلال صلاة الجمعة فقام ببناء جامع بدار العدل، وكان عدد من نواب حلب يصلون فيه.

وفي العـام نفسـه أدى النزاع بين يلبغى الناصري وسودون المظفري النائب السابق إلى أن دبر يلبغا مكيدة لسودون، إذ بينما كان مندوب السلطان يحاول أن يوفق بين الاثنين في اجتماع جرى بدار العـدل ـ وكان يطلق عليها آنئذ دار السعادة ـ فطلب: «قضاة حلب والأمير سودون المظفري ليقرأ عليهم المراسيم التي جاءت بالأمر بالصلح بين يلبغا الناصري وسودون. فلما أرسل خلف سودون، لم يحضر إلى دار السعـادة، فأرسـل خلفـه أربع مرات، والقضاة جالسون والأمير تلكتمر (مندوب السلطان) فما حضر سودون إلا بعد جهد كبير، فطلع سودون وهو لابس زردية من تحت ثيابه، وكان يلبغا الناصري هيأ جماعة من مماليكه في دار السعادة وهم لابسون آلة الحرب. فلما دخل سودون من باب دار السعادة تقدم إليه مملوك من مماليك يلبغا وجس كتف سودون فرآه لابسها من تحت ثيابه فقال له يا أمير سودون الذي يريد الصلح يدخل إلى دار السعادة وهو لابس آلة الحرب فلكمه سودون فصاح على ذلك الكمين فخرجوا إلى سودون وقتلوه في دار السعادة وقتلوا معه أربعة مماليك من مماليكه.»[٣٠]

وفي عام ٨٨٥/ ١٤٨٠ وفي خلال أحداث جرت بحلب تجمعت جمهرة من سكان حلب عرفت بالحوارنة، وعرفوا بنصرة الضعفاء وبطشوا ببعض أعوان كافل حلب إزدمـر، فعمـد هذا إلى ملاحقتهم، فتكتلوا وحاصروه بدار العدل، إلى أن تدخل شيخهم ابن سيرك.

كما اعتصم في عام ٩٢٢/ ١٥١٦ـ عام احتلال العثمانيين لسورية ـ إينال كافل حلب بدار العدل تعبيراً منه عن معارضته للسلطان في القاهرة، فجاءت الأوامر بأن «يرمى على إينال وهو بدار العدل من القلعة المنصورة بالمكاحل ويقبض عليه ويرفع إلى القلعة»

وقد ادعى أحمد ابن الشيخ الفقيه الصالح موسى أن زوجته من ذرية العباس فجلس يوماً بدار العدل ليثبت نسبها بحضرة قاضي القضاة.

كما أن وفاه جيهان كير ابن السلطان سليمان سنة ٩٥٦/ ١٥٤٩ كانت بدار العدل حيث كان ينزل الده، وقد غسل بدوار دار العدل في بقعة جعلها قباذ باشا ـ إذ صار باشا حلب ـ جنينه «لطيفة وزرع بها الرياحين والأزهار الظريفة صونا لها عن وطء الأقدام وسلوكاً في التبجيل لها والاحترام»[٢١].

وبعد ثلاث سنوات أي في ٩٥٩/ ١٥٥٢ توفيت بحلب كوهر ملكشاه بنت عائشة السلطانة بنت السلطان بايزيد خان فسجي جثمانها فيها: «فبات بدار العدل ليلة دفنها جماعة من الأكابر والعلماء والقراء.»[٢٢] وكان أمير الأمراء بحلب حينئذ ولدها محمد باشا دوقه كين صاحب الأوقاف العريضة في مدينة حلب، وخاصة في أسواقها القديمة.

وأخيراً وفي التاريخ القريب من سنة ١١٨٩/ ١٧٧٥ قام أهالي حلب على واليها علي باشا جه طلجي، بعد أن ظلم وجار، فحاصروه في سراي حلب وضايقوه وبطل الأذان ستة أيام، ويذكر الطباخ[٢٣]: «وفي اليوم الثاني من ذي القعدة ضرب دزدار قلعة حلب الحاج طه الزنانيري على المسلمين الموحدين من القلعة رصاصاً خزنويا (؟) وفي اليوم السادس من الشهر المذكور أخرجوا الباشا مع جماعته من باب الفرج، وشبكوا التفنك على رأسه مثل الجملون من دار العدل إلى باب الفرج والنساء خلفه بالزغاريط والأولاد بالشتم الشنيع وصار نهاراً مهولا.»

مما تقدم، يتبين لنا أنه فضلا عن النواحي العامة في دار العدل، فقد كان جهازها القضائي ـ إن صح التعبير ـ يتألف من قاضي القضاة، والقضاة الأربعة الذين يحكمون بحسب المذاهب الاربعة، وقاضيا العسكر والمفتيان. وإن كان هذا العدد تقلص قليلا في العهد العثماني لاعتماده على المذهب الحنفي فقط.

لقد عرف عدد كبير ممن عملوا بدار العدل وعرفت بهم. منهم: حسن بن محمد الحنفي المتوفى سنة ٧٧٢/ ١٣٧٠، وكان مفتي دار العدل، أقام بالقاهرة مدة وتحول إلى حلب وباشر وظيفة الافتاء والتدريس بها. ثم الأمير ناصر الدين بن التقا المتوفى سنة ١٨٥٥ / ١٤٥١: «أنشأ مدرسة بحلب ومكتبا للأيتام ومسجداً يصرف عليها من ماله، وقد عرف بوجاهته، وكان يتكلم خيرا بدار العدل ويدافع عن بلده»[٢٤] ثم أبو بكر النصيبي الحلبي الشافعي، أخذ علوم عصره في حلب والقاهرة، ودرس بالمدارس

المعروفة آنذاك: العصرونية، والظاهرية والسيفية. وناب في القضاء عن ابن الخطيب الناصرية ـ المؤرخ المشهور ـ وفي كتابة السر، بل استقل بها مدة، كما ولي وكالة بيت المال وإفتاء دار العدل، مات بالطاعون سنة ٨٦٣/ ١٤٥٨. وإن سليمان ابن الشيخ شمس الدين محمد المنبجي الشافعي المتوفى سنة ٩١١/ ١٥٠٥ كان مفتي دار العدل بحلب. وكان لعلي بن حسن السرميني المتوفى سنة ٩٢٩/ ١٥٢٢ مكتب على باب دار العدل يطلب منه لكتابة الوثائق المتعلقة بدار العدل وغيرها وأصبح عبدالقادر بن سعيدا الشافعي المتوفي سنة ٩٣٤/ ١٥٢٧ مفتي دار العدل بحلب، من غير أن يكون غيره مفتياً بها يومئذ، وإن كانت في الزمن السابق ذات مفتيين.

وبعد. فهذه هي دار العدل بحلب، تلك المؤسسة القضائية العليا، وقد عرفت بتقاليدها الخاصة بها، فمن النواحي التنظيمية، يذكر الرضى الحنبلي(٢٥): «أن كتاب الدست هم من موظفي الطبقة الاولى في ديوان الإنشاء. وهم الذين يجلسون مع كاتب السر بمجلس السلطان بدار العدل في المواكب على ترتيب منازلهم بالقدم، وسموا كتاب الدست إضافة إلى دست السلطان وهو مرتبة جلوسه لجلوسهم للكتابة بين يديه، ويسمون بالموقعين لتوقيعهم على جوانب القصص بخلاف غيرهم.»

ولقد ذكر الرضى الحنبلي(٢٦) في مكان آخر تقاليد أخرى فقال: «ترفع بعض الجهلة على عبدالقادر بن محمد بن عثمان في عقد مجلس صار بدار العدل بحلب فجلس في أرفع من مكانه فلامه بعض المخاديم على ذلك.» وحدث أن إبراهيم بن علي المتوفى سنة ٩١٧/ أو ٩١٨هـ أي ١٥١٠م حضر بمجلس ورديش كافل حلب في مجلس عقد بدار العدل والجمالي والحنبلي وسائر القضاة حاضرون فتكلم بما يتعين رده فقال له الجمالي الحنبلي: يا إبراهيم تأدب وإلا تؤدب.

إن القاضي بدار العدل شخصية مميزة ولها أهميتها، فلا يجب أن تطالها الألسنة بشيء وقد حدث في سنة ١١٧٨/ ١٧٦٤: «أن تنكر أحد القضاة بزي الإنكشارية ليتجول بالازقة ويجلس في المقاهي فعزل عن وظيفته.»(٢٧)

انها تقاليد استمرت في العهدين المملوكي والعثماني، ففي عهد قباذ بن خليل بن رمضان القرماني أمير الأمراء بحلب في العهد العثماني، والمتوفى سنة ٩٦٦/ ١٥٥٨، استمر التمسك بهذه التقاليد. وذكر الرضى الحنبلي(٢٨): «أنه أظهر بها ـ كما

في أسلوب الجـراكسة ـ الشهادة الزائدة ومزيد الحرمة على مماليكه وحشمه وخدمه، بحيث لا يقدر أحد منهم أن يدخل دار العدل بخمر ولا أن يظهر منه شربها.»

أما مكاتب العدول فقد بوشر القضاء في حلب في القديم بطرق متعددة، بدأ من المحـاكم الخاصة، ومروراً بمكاتب العدول، وانتهاءا بدار العدل. وسنعرض لذلك كله بالتفصيل، لما لهذا الموضوع من أهمية في تاريخ حلب.

لقد ذكر أكثر من مصدر، وجود محاكم خاصة في حلب يرأسها أحد الضالعين بأمور الدين. فقد أورد رضي الدين ابن الحنبلي ٩٥٨ـ ٩٧١هـ، أن محمد بن عبدالله القطان المتوفي في أواخر القرن العاشر الهجري قد عمل في «محكمة الكمال الشافعي مع أبيه وهو يومئذ كاتب المحكمة يكتب له الوثائق فيرقم بها شهادته فينتفع بها إذا أريد منه أداؤها اسوة من كان بمحاكم القضاة الأربع من العدول. ثم لما زالت الدولة الجركسية (٢٩) وصار أبوه يكتب بعض الوثائق لا في محاكم القضاة الرومية (٣٠)بل في داره باذن منهم، ويحكم نيابة بفسوخ الانكحة في مواضيع الخلاف. . . . .(٣١)» كما كانت هنـاك محكمـة الجـمالي يوسف الحنبلي، ومحكمة الجمالي يوسف بن اسكندر، ومحكمة نظام الدين يحيى الحنبلي، ومحكمة المحب محمود بن أجا على المذهب الحنفي وغيرها. . . .

ويظهر أن هؤلاء القضاة ما كانوا ليباشرون عملهم القضائي إلا بإذن من قاضي حلب المسمى رسمياً، وأن محمد بن عبدالله القطان المتقدم ذكره استأذن قاضي حلب سبط ابن الفنـاري، وسعى لديه في النيابة وكتابة الوثائق فأذن له، إلا «أن بعض الناس حسّن له ـ كما يقول رضي الدين الحنبلي ـ أن يجلس بمحكمة جدي بمسجد النـارنجية بجـوار المصابغ ويتعاطى الأحكام الشرعية الخلافية والوفاقية، فأستأذن وجلس وراجع الفروع وكتب الشروط واستفتي عند الاحتياج فمهر في صنعة القضاء. . . .(٣٢)».

وقد تجري الأمور أحياناً دون اذن القاضي، فمن المعروف أن البدر حسن بن

السيوفي قد عقد بعض الأنكحة من غير استئذان القاضي بناء على ما يعهد في أيام المماليك.

أما مكاتب العدول، فهي برأينا، المحاكم الرسمية المنظمة المنتشرة في مدينة حلب، بحيث تغطي جميع المناطق. لم نجد مصدراً يذكر نظام العدول في حلب أو في غيرها. وقد جاءت تسمية العدول من الآية القرآنية. قال الله تعالى في القرآن الكريم: «يا أيها الذين آمنو إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل(٣٣)». وفي اللغة العربية: عدّلت الشاهد نَسَّبْتُهُ إلى العدالة ووصفته بها وعدل هو بالضم عدالة وعدولة فهو عدل أي مرضي يقنع به ويطلق العدل على الواحد وغيره بلفظ واحد وجاز أن يطابق في التثنية والجمع فيجمع على عدول. قال ابن الانباري: وأنشدنا أبو العباس:

وتعاقدا العقد الوثيق واشهدا   من كل قوم مسلمين عدولا (٣٤)

وقد عُرِّف العدول في كتاب در الحبب في تاريخ أعيان حلب بما يلي: العدول ومفردها عدل هم جماعة الشهود الذين يختارهم القاضي لمعاونته في أعماله فيجلسون حوله يمنة ويسرة بمجلس الحكم، على ترتيب الاقدمية في تعديله لهم، ويقومون بما يقوم به المسجل في أوربة الوسيطة الحديثة، ومنهم من يتولى الوظائف الكبرى كالحسبة ووكالة بيت المال والنيابة في أيام الدولة الفاطمية وكانوا يتزيون بزي خاص بطبقتهم كالمناديل تحت الخلوق.»(٣٥).

لقد كان اختيار العدول أمر هام في فترة حكم المماليك، لما لهم من أثر كبير في القضاء، فقد كان يفترض في الشاهد العدل: الثقافة العالية في الدين والأدب والشعر والوعظ، وحتى حسن الخط، لكتابة الوثائق القضائية، وقد تلعب الوراثة دوراً، فيرث الابن أباه، كما رأينا في حالة محمد بن عبدالله ابن القطان، كما أن محمد بن عبدالله أحد عدول حلب، كان أبوه الشيخ ناجي الدين من أكابر عدول حلب وأحد خطبائها. وقد وصف علي بن محمد العلاء الموصلي المتوفى سنة ٩٢٥/١٥١٩ بأنه قرأ على كبار مشايخ عصره، وسمح له بتدريس الامور الدينية: «وأما الفتوى فربما افتى وجلس بمكتب الشهادة بحلب تحت قلعتها، وتردد طلاب الفضائل إليه لكونه ابن

بجدتها، ولم يزل معدوداً من العدول بل من فضلاء المعقول والمنقول. . . .(٣٦)».
وكما لاحظنا في قضاة المحاكم الخاصة، فمن الخصائص التي يجب أن تتوفر في العدول أن يكون موقعا شروطياً أي أن يقوم بتثبيت الاحكام الثابتة عند القاضي في الكتب والسجلات على وجه يصح الاحتجاج به عند انقضاء شهود الحال. كما أطلق على أحد عدول حلب وهو الشيخ زين الدين المصري أبو بكر بن محمد بن ابراهيم صفة الشيخ الفاضل البارع المفنن. وعلى آخر وهو عمر بن محمد المرعشي المتوفى سنة ١٥٣١/٩٣٨ بأنه كان في أول شأنه فقيهاً شروطياً يجلس بمركز العدول المشهورة قديماً - اعطى صفة القدم لان مراكز العدول اقفلت مع بدء الحكم العثماني بحلب ١٥١٦/٩٢٢ كما سيمر معنا - ومعنى ذلك توفر شرط الفقه في العدول ايضاً.

وأخيرا نجد وصفاً في الشاهد العدل، فيما ذكره الرضى الحنبلي في در الحبب (٣٧) فقد قال: «محمد بن الحسن الانصاري السعدي المتوفي سنة ١٥٤٦/٩٥٣ أحد عدول حلب في كلتا الدولتين الجركسية (المماليك) والعثمانية، كان فقيهاً شروطياً حلو الخط، نظيف العرض، له استحضار لتواريخ الناس وميل إلى مطالعة التواريخ القديمة. وحظوة عند قضاة حلب، وقبول في قلوب أهلها بحيث انتفع به الناس في وثائقهم بالنسبة إلى جهلة الموثقين ومن لا يعرف اللسان العربي ولا أساليب أهل الشروط، ومع ذلك كان يتعاطى شهادة الجريدة (أي تسجيل الشهادات على جريدة تثبيتاً لها) بسوق حلب.» (٣٨).

أما عن عدد العدول فأنا لم نجد مصدراً يذكر عددهم في المحاكم والمراكز، غير أنه من الثابت أن هناك في كل مركز اربع محاكم تحكم على المذاهب الأربعة: الحنفي والشافعي والحنبلي والمالكي، ولا غرو فالمرء في ذلك العصر يعرف بمذهبه، وذلك حتى بدء الحكم العثماني، حين الغي القضاء حسب المذاهب الثلاثة الأخيرة. فقد اكتفى العثمانيون بقضاة الأحناف، ولقد اورد الرضى الحنبلي في در الحبب (٣٩) أن «محمد بن علي ٨٧٤-٩٥١/ ١٤٦٩-١٥٤٤ آخر مالكي وجد من من أهل حلب وآخر قضاة المالكية بالمملكة الحلبية في الدولة الجركسية وابن قاضيها.» وأن القاضي يحيى الحنبلي كان آخر قاض حنبلي بحلب.

كان العدول يرجعون في أعمالهم والسلطات الممنوحة لهم إلى القاضي أو قاضي القضاة في المدينة. ففي عام ٧٤٩/ ١٣٤٨، اسقط القاضي المالكي الرياحي تسعة من الشهود، ويظهر انه لم يتصرف وفق الاعراف المتبعة فاضطرت السلطات العليا إلى اعادتهم لعدالتهم ووظائفهم، وحين قام خلاف بين القاضي علاء الدين ابن الشيخ شمس الدين وبين عمر بن ككجا، الكيخيا(٤٠) في كلز، ارسل الجمالي الحنبلي إلى القضاة ليمتنعوا عن الحكم، وارسل إلى مكاتب العدول بحلب يأمرهم بالكف عن الجلوس بها، ففعلوا إلى أن وقع الصلح بدار العدل بحضرة القضاة.

وهكذا نفهم مما تقدم أن أعمال العدول. كانت الشهادة بالدرجة الاولى، وتلك مهمة لعبت دورا كبيرا في القضاء المحلي، وتتناول الشهادة في القضايا الحقوقية المعروضة، وفي النظر بالخلافات الناتجة عن الأوقاف، وما أكثرها في العهدين المملوكي والعثماني، فضلاً عن ذلك يقومون بأعمال التوثيق، وفي عملهم هذا يتبعون تقاليد عامة وخاصة.

فمن التقاليد العامة: يقومون بما يكلفهم به القاضي من أعمال كتابية وشهادة، وأحياناً يقومون باعمال القاضي نيابة عنه. وفق تقاليدهم الخاصة، ان بعضهم لا يشهد على امرأة.

ولا بد من ذكر حادثة تدل على أهمية الشهادة لدى العدول، من ذلك أن عمر بن رجب شيخ محلة باحسيتا (وقد هدمت هذه المحلة في مشروع باب الفرج عام ١٩٨٠) دخل على الجمالي الجنبلي في شهادة، فلما أتمها قال له: «يا ولدي هل معك من يعدلك؟ قال يا مولانا قاضي القضاة، وهل أنا أمرأة حتى يعدلني أحد، فتبسم وقال: يا ولدي مرادي، من يكون شاهدا بعدالتك كما تعدل المرأة لزوجها ليلة زفافها». (٤١)

عرفت مكاتب العدول باسماء خاصة أحيانا، مثل مكتب الصوفي(٤٢) وبأسماء المحلات التي تتواجد فيها مثل مكتب سوق الهوى، ومكتب الجامع الأعظم وغير ذلك.

وكما ذكرنا، فقد انتشرت مكاتب العدول، في وجهات المدينة المختلفة، وقد استطعنا أن نحصي خمسة عشرة مركزا أو مكتبا وزعت كما يلي: ستة في مركز المدينة أي في أسواق المدينة القديمة وهي ما تعرف اليوم باسم «المدينة» قلب الحركة والفعاليات الاقتصادية والاجتماعية حتى أواخر الحكم العثماني، وهي حتى اليوم المركز الرئيسي التجاري. فقد كانت مكاتب العدول في: سوق الصابون أو حسب التعبير القديم: في رأس سوق الصابون، ولدى باب الجامع الاعظم (الأموي) الشرقي، وفي سوق العلبية، وسوق الابرية(٤٣) وسوق الزردكاشية(٤٤)، وسوق الهوى(٤٥)، وسوق يشبك(٤٦). وهناك اربعة بالقرب من قلعة حلب أمام مدخلها وحولها: مكتب تجاه باب القلعة، ومكتب أمام دار العدل، وآخر في سويقة حاتم بالقرب من حي الفرافرة، ومكتب لدى باب المدرسة الاسدية الجوانية، والتي ادخلت ارضها في بناء المدرسة الخسروية في أوائل الحكم العثماني.

ثم هناك ثلاثة مكاتب في أطراف المدينة القديمة أحدها في داخل باب النصر والثاني في حي باحسيتا، والثالث بجوار جامع الضروي في حي البياضة. وأخيرا مكتبان فقط خارج أسوار المدينة القديمة: أحدها خارج باب النصر والثاني بالقرب من جامع الزكي وهو ما عرف بمكتب الصوفي.

لم نستطع تحديد متى ظهرت مكاتب العدول، انما عرفنا اوج ازدهارها في عهد المماليك بين القرنين الثالث عشر والسادس عشر الميلاديين، أما انقضاؤها فهو معروف ومحدد مع بدايات الحكم العثماني بحلب.

فقد ذكر الطباخ(٤٧) نقلا عن الدرر الكامنة «أن رمضان بن خضر المتوفى بين سنتي ٩٢٢ و٩٢٧/ ١٥١٦ و١٥٢٠ الذي جلس بمركز العدول داخل باب النصر، وكتب الوثائق، فقد افتقر عند اضمحلال الدولة الجركسية لبطلان مكاتب العدول بحلب في الدولة الرومية (الدولة العثمانية) وأن علي بن محمد العلاء الموصلي المتوفي سنة ٩٢٥/ ١٥١٩ والذي جلس بمكتب الشهادة بحلب تحت قلعتها وتردد الطلاب إليه، لم يزل فيه إلى «أن زالت الدولة الجركسية، وعدل عن مكاتب العدول بالكلية.» ومن المعروف أن القضاء على دولة الجراكسة المماليك تم على يد السلطان سليم الأول

لدى احتلاله سورية ومصر في عامي ١٥١٦م و١٥١٧م. وأخيرا فان علي بن الحسن السرميني المتوفى سنة ٩٢٩/ ١٥٢٢ كان له مكتب على باب دار العدل يطلب منه لكتابة الوثائق. يذكر الرضى الحنبلي(٤٨) «أنه لما كانت الدولة العثمانية، وابطلت مكاتب الشهود بحلب أخذ في نسخ المصاحف والانتفاع بثمنها، وفي تأديب الاطفال بمكتب داخل باب انطاكية».

ويظهر أنه كانت هناك فترة انتقالية، إذ لم تلغ مكاتب العدول فورا، بدليل أن بعض العدول استمروا في عملهم عدة سنوات، بعد الاحتلال العثماني، وتعايش النظامان القضائيان: نظام العدول ونظام دار العدل، وبعدها انتقلوا إلى المحاكم الخاصة التي تكلمنا عنها في مطلع البحث، أو إلى دار العدل.

لقد اشتهر بعض العدول في حلب، وخاصة منهم الذين جعلوا عملهم هذا مهنة يعيشون من دخلها. منهم الحسن بن سلامة ٧٧٠-٨٥٦/ ١٣٦٨-١٤٥٢ (يلاحظ هنا تاريخ بعض مكاتب العدول في عهد المماليك) والذي كان اماما لجامع حلب وشارك في حصار القسطنطينية، وعمل في دراسة الحديث. ثم أحمد بن أحمد الشهاب الحاضري، وقد تتلمذ عليه الموفق بن أبي ذر االمحدِّث، شيخ شيوخ حلب، وكان واعظاً في الجامع الأموي وقاضي الحنفية. ومثله محمد بن عبدالله النبهاني المتوفى سنة ٩١٩/ ١٥١٣، وعلي بن محمد العلاء الموصلي المتوفي سنة ٩٢٥/ ١٥١٩، وحسن بن خطيب الناصرية المتوفي سنة ٩٣٤/ ١٥٢٧، وقد اشتهر بابن خطيب الناصرية، وعمر بن محمد المرعشي المتوفي سنة ٩٣٨/ ١٥٣١ الذي عرف بانه أحد رؤساء حلب واشتهر بـ «الفقيه الشروطي» وامامته لجامع الزكي خارج باب النصر، وأحمد بن محمد ابن الشيخ شهاب الدين اشتهر بعلوم النحو والمنطق والكلام والاصول، وقد كان امام جامع الصروي بحلب ثم المدرسة السلطانية (أمام باب قلعة حلب) وأخيرا خطيب الجامع الاموي الكبير والمدرسة الحلوية، وخلال الحكم العثماني حصرت أعمال الافتاء به وقضاء العسكر. ثم أحمد بن أبي بكر أحمد سبط العجمي المتوفي سنة ٩٦٢/ ١٥٥٤ شيخ شيوخ حلب في الدولة الجركسية وأحد أصحاب النفوذ في العهد الغثماني، كان يلقي الدروس الدينية في المدارس: الظاهرية والصاحبية والشدادية والصلاحية (٤٩)، ثم ابراهيم بن عبدالله بن أبي المكارم حمزة،

وكان من أئمة الشيعة بحلب دفن لدى وفاته سنة ٩٥١/ ١٥٤٤ داخل مشهد الحسين بحلب. وغيرهم كثيرون.

وهكذا انقضى تقليد قضائي، عرفته حلب خلال مئات السنين، كان فوق السلطات التنفيذية، ولو استعرضنا بعض الحالات، لرأينا كيف أن الولاة والسلاطين حين تجاوزوا سلطاتهم وارادوا النيل من رجال لقضاء، تصدى لهم هؤلاء واجبروهم على التراجع. نظام رضي عنه الجميع بمذاهبهم المختلفة، ومشاربهم المتنوعة، انتشرت المكاتب في جميع ارجاء المدينة داخلها وخارجها لتسهيل أمور المواطنين، والقضاة.

جاء العثمانيون، وقبلوا بالنظام القائم، وبالرغم من أنهم اهتموا بدار العدل كمركزية قضائية، إلا أنهم اعترفوا بشرعية القضاء في مكاتب العدول غير أن تعصب العثمانيين للمذهب الحنفي، وصراع أهل المذاهب مع بعضهم أحيانا، جعل القضاء بحسب المذاهب الثلاثة الاخرى يتراجع، بحيث أنه لم يمض القرن السادس عشر، حتى أصبح القضاء بحسب المذهب الحنفي هو السائد، ولم يعد لمكاتب العدول من وجود، وبقي القضاء مرتبطا برجال دار العدل.

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب الشيخ كامل الغزي الجزء الثاني ص ٤.

(١) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة الجزء الأول ص ١٧.
(٢) الغزي الجزء الثاني ص ١٤.
(٣) در الحبب في تاريخ أعيان حلب رضى الدين الحنبلي الجزء الأول ص ١٤٨.
(٤) إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء الشيخ راغب الطباخ الجزء الرابع ص ٤٣٤.
(٥) المصدر نفسه ص ٤٣٦.
(٦) الدر المنتخب ص ٢٤٨.
(٧) نهر الذهب الجزء الثاني ص ١٥.

(٨) نهر الذهب في تاريخ حلب الجزء الثالث ص ١٨٠ .
(٩) در الحبب الجزء الثاني ص ٣٠٨ .

(١٠) در الحبب الجزء الأول ص ٦٠٥ .
(١١) الدر المنتخب طبعة المطبعة الكاثوليكية ببيروت عام ١٩٠٩ .
(١٢) الطباخ الجزء الخامس ص ١٨٣ .

(١٣) در الحبب الجزء الثاني ص ٥٥ .
(١٤) ابن الشحنة ص ٢٥٨ .
(١٥) الطباخ الجزء الخامس ص ٣٥٢ .

(١٦) نهر الذهب في تاريخ حلب الجزء الثاني ص ٣٨٩ .
(١٧) المصدر نفسه الجزء الثالث ص ١٨٦ .
(١٨) الطباخ الجزء الثاني ص ٤٢٤ .

(١٩) الطباخ الجزء الثاني ص ٤٦٤ ـ ٤٦٥
(٢٠) در الحبب الجزء الأول ص ٤٦٠ ـ ٤٦١
(٢١) المصدر نفسه الجزء الثاني ص ٦٩ .
(٢٢) الطباخ الجزء الثالث ص ٣٤٩ .

(٢٣) الطباخ الجزء الخامس ص ٢٥٤ .
(٢٤) در الحبب الجزء الأول ص ٦١٦ .
(٢٥) المصدر نفسه ص ٨٢٣ .

(٢٦) سوفاجية في كتاب حلب ١٩٨ (باللغة الفرنسية) توتل في الجزء الثاني الوثائق التاريخية بحلب ص ٧٩ .
(٢٧) در الحبب الجزء الثاني ص ٥٧ .

(٢٨) دولة المماليك .
(٢٩) ويقصد بها دولة العثمانيين .
(٣٠) اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، راغب الطباخ الجزء السادس ص٨٤ .
(٣١) نفس المصدر ص٨٥ .
(٣٢) سورة البقرة الآية ٢٨٢ .
(٣٣) كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي تأليف أحمد الفيومي المتوفي ٧٧٠هـ ص٥٤٢ .
(٣٤) در الحبب . . . رضي الدين ابن الحنبلي طبعة وزارة الثقافة بدمشق ص٣٠ الجزء الأول .
(٣٥) نفس المؤلف الجزء الثاني ص٣٢ .

(٣٦) اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء محمد راغب الطباخ الجزء الخامس ص٤١٠ .

(٣٧) در الحبب الجزء الثاني ص٢٧٦ .

(٣٨) نفس المصدر ص٣٢٥ .

(٣٩) نفس المصدر ص٢٧٦ .

(٤٠) الكيخيا أو كتخدا أو كتخداي : ألفاظ فارسية يستعملها أرباب السياسة لمعتمد الوالي ومدير أشغاله (در الحبب الجزء الأول ص١٠٢) .

(٤١) در الحبب الجزء الأول ص١٠٣٢ .

(٤٢) الطباخ الجزء الخامس ص٤٩٢ .

(٤٣) بجانب سوق الفرايين.

(٤٤) سوق كانت تعمل فيه الزرديات (ما يصنع من الزرد كالدرع المزرودة يتداخل بعضها فوق بعض) واللبوس (الدروع) في الدولة الجركسية، ثم خرب وبني في مكانه السوق المشهور بالسوق الجديد (سوق القطن حاليا) أنشأه محمد باشا كافل حلب.

(٤٥) بجوار خان الجمرك .

(٤٦) بناه الأمير سيف الدين يشبك سنة ٨٢٤/ ١٤٢١ بالقرب من المدرسة اليشبكية حاليا مدخل سوق الزرب .

(٤٧) الطباخ الجزء الخامس ص٤٠١ .

(٤٨) در الحبب الجزء الأول ص٩٢١ .

(٤٩) نفس المصدر ص٩٢١ .

أسماء مصادر البحث

- كتب نهر الذهب في تاريخ حلب لمؤلفه كامل بن حسين بن محمد البالي الحلبي الشهير بالغزي طبع المطبعة المارونية بحلب.

- كتاب الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب تأليف محمد ابن الشحنة الحلبي الحنفي المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٩ .

- الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة تأليف ابن شداد المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ١٩٥٣ .

- اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء محمد راغب الطباخ المطبعة العلمية حلب ١٩٢٤.

- وثائق تاريخية عن حلب الاب فردينان توتل اليسوعي المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٤.

- حلب جان سوڤاجية «باللغة الفرنسية».

- در الحبب في تاريخ أعيان حلب تأليف ابن الحنبلي تحقيق محمود فاخوري ويحيى عبارة وزارة الثقافة في سورية ١٩٧٣ .

- كنوز الذهب سبط ابن العجمي جان سوڤاجية المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ١٩٥٠ .

- زبدة الحلب في تاريخ حلب ابن العديم تحقيق د. سامي الدهان المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية

- كتاب الاشارات إلى معرفة الزيارات أبو الحسن علي بن أبي بكر اليهودي تحقيق جانين سورديل - طومين المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٥٣ .

تمثال السفيرة ذو الطراز المصري: صورة متعبد

من النصف الأول للألف الأول قبل الميلاد

التأليف اوجين فرمنبول
العرض والتخليص: المهندس عبد الله حجار

قام الباحث البلجيكي أوجين فرمنبول بنشر دراسة قيمة في مجلة «دراسات فينيقية» التي نشرت وقائع الندوة التي تمت في بروكسل بين يومي ٩ ـ ١٠/١٢/١٩٨٣ وكانت بعنوان «فينيقية وجاراتها» وكان هدفَ الدراسة تمثالٌ صغيرٌ موجود في متحف حلب وسط الجدار الشرقي للقاعة التي تحتوي فيما تحتويه آثار مملكة إبلا سبق أن وجد في منطقة السفيرة القريبة من حلب. ونظراً إلى أهمية المقال والاستحسان الذي قوبل به باحثه في مؤتمر «فينيقية وجاراتها» اقدم فيما يأتي تلخيصاً لمقال الباحث الذي كان يتمنى نشره في كتاب عاديات حلب الذي احتجب عن الظهور منذ عام ١٩٧٩ فقام بنشره عام ١٩٨٥ في مجلة «دراسات فينيقية» والمقال مؤلف من ثماني عشرة صفحة من بينها خريطة تبين مواقع السفيرة وتل رفعت والباب من حلب وصورة تمثال السفيرة بأوضاع مختلفة فضلاً عن الكتابة الموجودة على ظهر التمثال والملحق الخاص بتخمين موقع مدينة أرباد الأرامية.

اكتشف التمثال ـ وهو موضوع هذا البحث ـ في السفيرة التي تبعد ٢٥ كم إلى الجنوب الشرقي من حلب، والتي تقع في حوض سبخة الجبول، تلك المنطقة التي أصبحت اليوم كئيبة، وكانت غنية بالمياه والخضار التي كانت تكسوها أحيانا أيام السنة، كما تؤكد ذلك روايات المسافرين منذ زمن ليس بالبعيد. وقد أدت السفيرة مهمة اقتصادية هامة في المنطقة حيث كان رجال جمارك حلب في القرن الماضي يحصون حمولات القوافل، ويخبرون بمحاولات المهربين، وكانت السفيرة آخر مرحلة تمر بها

القوافل القادمة من الصحراء وتدمر أو من الفرات ومسكنة (إيمار) قبل وصولها حلب. وفي وسط السفيرة تل أخذ معظم تربته في أعمال الردميات مما أدى إلى اكتشاف التمثال حوالي عام ١٩٢٨.

أدخل التمثال في مجموعات متحف حلب في أول شهر آذار ١٩٢٨ وسجل اكتشافه في أكاديمية الكتابات في نيسان ١٩٢٨. ونذكر هنا أن نُصُبَ السفيرة الشهيرة ظهرت في أسواق تجارة القطع الأثرية في شهري أيار وحزيران من عام ١٩٢٨ وربما نتيجة الحفريات السرية نفسها التي أظهرت تمثال السفيرة. وقد قررت المديرية العامة للآثار بدء حفريات فورية في تل السفيرة إثر اكتشاف التمثال وعهد بالتنقيب إلى ليونس بروسيه كما يعلمنا المصدر الوحيد لذلك، وهو الدليل الأزرق للشرق الأوسط الذي يذكر وجود باب حصن كبير مبني بالأحجار الكبيرة السود الشبيهة بحفريات زنجرلي مع وجود ممر طويل، بالإضافة إلى سور شبه دائري وأبراج تبعد عن بعضها بعضاً قرابة ٤٠ م. ولم تذكر حفريات بروسيه بين الحفريات الأثرية التي تذكر عادة في مجلة (سورية) عام ١٩٢٨ أو عام ١٩٢٩، كما لم تذكر في جداول مواقع الحفريات المذكورة في كتاب: (سورية المصورة في الفترة الكلاسيكية والقرون الوسطى) المطبوع عام ١٩٣١ لذلك نعتقد أن حفريات بروسيه وكذلك أعمال رونزفال الذي عمل في السفيرة عام ١٩٣٠ كانت أعمال كشف نظامي سطحي بسيط ومحدود. كما أن رونزفال لم ينقب في السفيرة ذاتها بل في (سوجين) التي تبعد ١٣٠٠م إلى الشمال الشرقي من االسفيرة مما يجعلنا نعتقد ـ مع دوبون ـ سومر أن المعلومات التي قدمها عن موقع اكتشاف النصب اهالي السفيرة كان هدفها توجيه الاب رونزفال وجهة خاطئة بينما كان مصدر النصب الثلاثة تل السفيرة الذي ربما لم يجر فيه أي تنقيب أثري حقيقي.

وصف التمثـــال:

يمثل تمثال السفيرة شخصا واقفا ارتفاعه ٤٢ سم وهو من دون رأس وقد ضاع قسم كبير من ساقيه، وقد تقدم هذا الشخص بساقه اليسرى إلى الأمام وذراعاه مطويتان أمام صدره وقد أمسكت يده اليمنى كأسا وأحاط أسفل جسمه تنورة ذات

ثنيات بحسب الطراز المصري، ويبدو جذعه أول وهلة وكأنه يرتدي قميصا ويحمل في حزامه خنجرا عريضاً ضمن غمد ذي زخرفة (انظر الشكل ذا الرقم ١ ـ ٥) وتعلمنا كتابة مسمارية محفورة على ظهر الشخص أن اسمه ادونيابيا. وقد أرجع التمثال إلى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد كل من العالمين رونيه دوسو وجورج دوسان، اللذان قاما بنشر الكتابة كما أعادها باولو ماتيه عند إعادة دراسته للتمثال إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وقد استند دوسو إلى الكتابة المسمارية التي أرجعها دوسان إلى المرحلة الأشورية المتوسطة وإلى اللباس المصري في تأكيد الوجود المصري في سورية في تلك المرحلة. أما لباس التمثال فهو تنورة طويلة ذات احديداب دائري أيام حكم امنوفيس الثالث وتظهر بكثرة في مرحلة العمارنة أيام الفرعون رمسيس من دون أن تنفي باندثارها. وتغطي هذه التنورة مؤخرة الساقين، وتحتوي طياتها منحنيات كبيرة من الأمام وترسم خطوطا شبه مستقيمة على الأرداف وغالبا ما يستكمل هذا النوع من التنورة برداء أمامي معقد يحيط به من أطرافه الداخلية رأسا حية رسمتا ظهرا لظهر. وربما اختفت بسبب كسر التمثال إلا أن اللباس على كل حال متميز وتسمح ثنيات الرداء وحدها بتعريفه.

لم يكن ادونيابيا الوحيد الذي ارتدى هذا اللباس في عالم الشرق فقد وجدنا التنورة نفسها على التمثال المصري المكتشف في (صور) و(ساربته) وفي الكثير من تماثيل عمريت، وقد كانت مقدمتا تنورتي التمثالين الأولين مكسوتين برأس الأفعى، بينما أحد التمثالين كان ذا رأس فهد، كما هو المألوف في مصر.

كذلك نرى التنورة وقد لبسها الاله ملقارت في نصب (البريج) قرب حلب ونصب (بارحدد) وجميع هذه التماثيل تعود إلى الألف الأول قبل الميلاد.

ومن مقارنة تمثالي السفيرة وصور نجد نفطة أخرى مشتركة هي أننا نرى بين الطوق والحزام في تمثال صور الخطوط المحفورة نفسها التي ترسم من طرفي الجذع منحنيا عريضا ممتدا من الأكتاف حتى البطن، ومن الرقبة إلى الحزام وهي موجودة في تمثال السفيرة. كما أن هناك خطاً ثالثاً في صدر تمثال السفيرة يصل وسط الرقبة باليد اليمنى ويعد (غوبل) الخطوط والمنحنيات في تمثال صور آثار شكل جلد حيوان.

ونعتقد معه أننا في تمثال السفيرة أمام جلد فهد كان يرتديه الكهنة في مصر ولاسيما (كهنة ـ سيم) المعروفون بأثرهم في احتفالات فتح الفم والدفن أو يرتديه الفرعون الذي يقوم بأعمال الكاهن.

إن التنـورة ذات المئـزر الأمامي الحاوي رأس فهد (الموجودة في تماثيل صور وساربته والسفيرة) خاصة بآلهة أخرى (نيتي) لكن الحالتين تتعلقان في مصر بالابقاء على القوى الجنسية و الحفاظ عليها.

ويجب ألا تستوقفنا مشكلة وجود الخطوط الرفيعة المرسومة على المعصمين التي قد تكون دليلاً على أطراف أكمام الثوب. لكن نظرا إلى عدم وجود تماثيل في مصر الشرق تضع وشاحا تمسك به كتمثال ملاطية الملكي يمكننا أن نعد الخطوط المحيطة بمعصمي ادونيابيا أساور، كما هي الحال في تمثال صور الذي كان يحمل سوارين في معصم الذراع الباقية. كما نجد أن وضع الذراع اليسرى لجذع تمثال السفيرة يماثل وضع الذراع في تمثال (مرسلة) وهو عمل مصري باسلوب تمثا[1]. صور وساربته وطرازه نفسيهما. وهكذا نجد أن الكثير من العناصر يقرب تمثالنا من التماثيل الفينيقية التي تعود إلى الألف الأول قبل الميلاد.

ومن مقارنة الخنجر الكبير المعلق بحزام تمثال السفيرة وزخرفته بقطعة عاج من (نمرود) فيها جزء من غمد يعود إلى القرنين التاسع أو الثامن قبل الميلاد نتأكد من أن مكان تمثال السفيرة ليس في النصف الثاني من الألف الثاني بل في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد.

الكتابة المسمارية :

لقد ترجم جورج دوسان الأسطر السبعة على التمثال كما يأتي:

(أنا ادوني ـ أبيا ابى انا ـ ايا بنيت لإله النيرب سكنا إلهيا وأقمت أمامه تمثالا. من يهدم تمثالي فليختف اسمه من الأرض.).

إن قراءة دوسان وترجمته هما صحيحتان عموماً لكنهما في مكان واحد من النص غير مؤكدتين. وهذا ليس بذي أهمية وفي مكانين آخرين هما خاطئتان حيث يجب قراءة كلمة (انايا) على شكل (انابي) و(نيربي) يجب أن تقرأ (نيروبي) وهذا هام. لأن مقطعي (بي) و(كاك) في السطر الثاني من الكتابة، نتيجة مقارنتهما مع كتابة أرامية نجد أنه يجب أن تقرأ (كاك) على شكل (رو) وهذا معروف حقاً في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد تحديداً لا في الألف الثاني.

وهكذا نجد أن الكتابة أيضا تثبت فرضيتنا بأن التمثال يعود إلى الألف الأول قبل الميلاد. بالإضافة إلى أن الاسمين (ادوني ابيا) و (اناب) يعودان إلى أسماء العلم السامية الغربية المعروفة في الألف الأول لا في الألف الثاني. كما أننا لا نجد أي تمثال من الألف الثاني في سورية الداخلية يحمل سمات مصرية بينما هناك الكثير من التماثيل ذات سمات مصرية موجودة في سورية الداخلية والشرق تعود إلى الألف الأول قبل الميلاد. وتمثال السفيرة أحد هذه التماثيل المصرية التي منها نصب ملقارت المكتشف في البريج قرب حلب وحجر المدخل البازلتي المعاد استعماله في الجامع الأموي بدمشق وهو يحمل شكلا مجنحاً لابي الهول (سفينكس). إن وجود تمثال مصري في السفيرة ليس بالامر المدهش عندما نعيده كأمثاله من تماثيل صور وساربته إلى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، بل إلى مرحلة أحدث قليلا. فما دام التمثال يحتوي كتابة مسمارية فمن المحتمل أن يكون من فترة لاحقة لاحتلال ارباد أي من عام ٧٤٠ أو عام ٧٤١ قبل الميلاد عندما أصبحت (بيت عجوزي) ولاية آشورية وأصبحت (ارباد) مركز الحاكم الاشوري والسفيرة احدى مدنها الرئيسة.

ويبدو أن بعض التلال المجاورة للسفيرة مثل تل أبوضنة كانت في تلك المرحلة مهملة إلا أن وجود جيوش مصرية عند أسوار كركميش عام ٦٠٥ق.م قد يكون له نتائجه في المنطقة. ولم تكن جميع تلال البلاد مهملة إذ إن تل النيرب المذكور في كتابة تمثال السفيرة وإن لم يفدنا في تأريخ مرحلة التمثال إلا أنه من الواضح أنه كان يقوم بوظائفه من حيث هو طقسي بعد اندحار الاشوريين والمصريين. وهكذا نستنتج أنه يجب أن ننسب التمثال إلى مرحلة تقع بين منتصف القرن الثامن حقاً وبين نهاية القرن السادس قبل الميلاد احتمالاً.

لقد لاحظ باولو ماتيه أن رسوم الأشخاص المصرية في سورية في الألف الأول

قبل الميلاد ليست كافية وحدها فقط بتمييز مستقل للمدارس لكن يمكن معرفة حالات مصرية عدة تعكس ذوقا يمكننا من تحديد المرحلة الزمنية لكل حالة منها برغم الصعوبة الكبيرة في تحديد موطنها الأصلي. وقد أكد السيد (ونتر) ذلك بنسبة مجموعة عاجيات غير مصرية الطراز إلى كونها من إنتاج ورشة دمشقية اعتماداً على التشابه الكبير بين المجموعتين.

ونلاحظ ـ أخيراً ـ أن التأثير الفينيقي كان قويا في المنطقة وهو وجود واضح في حوض بحيرة الجبول حيث يبدو أنه كان للفينيقيين نوع من الرقابة على الطرق الرئيسة الواصلة بين الإسكندرونة والفرات.

الملحق:

(من رفعت إلى السفيرة ومن شيبري إلى ارباد) وكان من الضروري إلحاقه بالمقالة عن تمثال السفيرة لعلاقته بموقع السفيرة الحالي ونصب السفيرة الثلاثة التي ذكر فيها اسم المدينتين (كتكاء) و (ارباد) وقد سبق ان اقترح رونيه دوسو عام ١٩٢٨ وجود (شيبري) في السفيرة. ويعرج الكاتب على اقتراح السيد شيفر عام ١٩١١ بجعل تل رفعت موقع مدينة أرباد عاصمة مملكة (بيت عجوزي) الآرامية التي جاء ذكرها أول مرة أيام (ادد نيراري) الثالث. كما يذكر حفريات السيد هروزني التشيكي في تل رفعت عام ١٩٢٤ وحفريات سيتون وليامز الانكليزي في التل نفسه في أعوام ١٩٥٦ و ١٩٦٠ و ١٩٦٥ ولم يجد العالمان مايدل على وجود أرباد في التل المذكور.

وبعد مناقشة مختلف أفكار الباحثين واللغويين يدحض السيد فرمنبول فكرة وجود ارباد في تل رفعت ويذكر أنه إذا قبلنا بوجود (عرنة) العاصمة الأولى لمملكة بيت عجوزي الآرامية قرب السفيرة في تل عرن الحالي فمن الطبيعي أن تكون العاصمة الجديدة (ارباد) غير بعيدة عنها بل من المحتمل أن تكون أرباد في السفيرة ذاتها.

إن أكوام الملح على أطراف بحيرة الجبول مازالت تستثمر حتى الآن وربما كانت سبب غنى المملكة الآرامية فيما سبق مما أعطاها أهمية استراتيجية من حيث هي أداة إجداب وإمحال للأراضي وقيمة اقتصادية كبيرة قبل قرنين من الآن حيث كانت تؤمن الملح لجميع المناطق السورية لذلك لانستغرب إذا فضل ملك ارباد اختيار عاصمته بالسفيرة مثلا قريبا من مكان وجود الملح.








السخرية اللاذعة للملك الأشوري شمشي حدد الاول

التأليف : اندره فينـه

التلخيص : المهندس عبد الله حجار

وجد في الأدب الأكادي نص دُعي « الحوار العقيم التشاؤمي» عبّر منذ زمن بعيد عن عبث الحياة وهو حوار بين سيّد وعبده مليء بالامثال يوافق فيه العبد سيده في كل مايقول:

ـ أيها العبد استمع إليّ

ـ ها أنذ ياسيدي

ـ أريد أن أقوم بثورة

ـ قم بها ياسيدي قم بها، اذا لم تقم بثورة فمن يلبسك ثوباً؟ ومن يملأ بطنك بالطعام؟

ـ ولكن لا ، أنا لاأريد أن أقوم بثورة.

ـ لاتقم بها يا سيدي لاتقم بها. لأن الثوري إماّ أن يُقْتَل وإما أن يُسلخ جلده وإما أن تُقْتَلع عيناه وإما أن يُوقف وإماّ أن يُلقى في السجن.

لقد وجد مثل هذا النوع من السخرية اللاذعة، حيث لايتوقع أحد وجودها في المكان الذي وجدت فيه وهو مراسلات الملك الاشوري شمشي حدد الاول الى ولده (يَسْمَـحْ أدو) الـذي كان نائب الملك في مدينـة ماري (تل الحريري) على الفرات الاوسط عنـدما غزت أشور ماري في القرن الثامن عشر قبل الميلاد واحتفظت بها حوالي عشرين عاماً.

كان الابن البكر للملك شمشي حدد ويدعى «إيسمى داغان» ذا إدارة حازمة يدير حكومة في بلاد أشور ذاتها ويقود الحملات العسكرية التي أعطته سمعة واسعة بينـما كان الابن الثـاني «يسمح أدو» نقيض أخيه، إذ أنه برغم إدارته لامور أجزاء المملكة الغربية المعرضة لهجمات البدو ودولة مملكة يمحاض القوية وعاصمتها حلب.

لم تكن فيه الصفات العظيمة التي يتمتع بها المحارب، وكان يفضل ملذات الموائد وصحبة النساء على قيادة الحملات العسكرية مما كان يعرضه لتوبيخ والده وتوجيهاته ليكون رجلا مثل أخيه.

ونبين فيما يأتي بعض المقاطع ذات السخرية اللاذعة التي وجهها الملك «شمشي حدد» لولده يسمح أدو» في بعض المناسبات التي أثارت غيظه وغضبه: «لِمَ لاتتصرف كأخيك الذي ينتقل من نصر الى آخر، بينما تبقى مضطجعاً بين النساء. عندما تذهب الان الى قطنا فاصنع لنفسك إسماً وشهرة كما فعل أخوك».

ويبدو أن الحياة كانت أكثر بهجة في ماري مما هي عليه في أشور، مما جعل الموظفين يتركون باختيارهم العاصمة للذهاب الى ماري مما أغضب الملك «شمشي حدد» وعدّ ذلك فراراً. وها هو ذا يكتب الى ابنه رسالة يذكره بعدم تبديد أموال الدولة ويقول: «هرب اليك طبيب وخمسة طباخين... ووجدوا لهم وظيفة دون أن يعملوا، لقد هربوا اليك للتسلي وقضاء الوقت في الملاهي سأرسل لك «يسمى حدد» للقبض عليهم وارسالهم اليّ حيثما أكون». ويلمح في رسالة أخرى الى تعاطف ابنه وأحد الحكام ذوي التصرفات المشكوك فيها فيقول ساخرا: «هل يوجد منجم فضة في مقاطعته». كما كان يطلب أن تنفذ أوامره دون تردد: لقد حدّد موعداً لاستقبال موفد من (دلون) مرّ في طريقه بماري وانخلع هناك عظم وركه مما أخره عن الحضور فأرسل يعاتب ولده ساخراً من هذه الذريعة التافهة: «حسناً هل يمنعه انفكاك عظم وركه من ركوب الحمار والمجيء اليّ.»

وبمناسبة الاعداد لحملة عسكرية كلف الملك ابنه البكر «إيسمي داغان» أن يكتب الى أخيه في ماري لتحريك «الجنود المنتخبين» لكن إيسمي داغان نسي أن يعلم أخاه بذلك فكتب الملك الى ابنه يسمح أدوّ مؤنبا: «اذا نسي أخوك الكتابة اليك لتحريك الجنود المنتخبين لديك. فلماذا لم تسائل نفسك هل هناك حملة قيد الاعداد، والجنود المنتخبون لماذا يبقون لديّ؟ مامنفعتهم يجب أن أرسلهم لماذا لم تفهم هذا وتعمله؟ لقد كان الملك شمشي حدد يأخذ على ولده الثاني عدم النضج وقد أنب ولده في أكثر من مناسبة منها احتجازه في ماري مرسلين من مدينة قطنة كانوا في طريقهم الى آشور، فيطلب اليه ارسالهم فوراً اليه. كما يرق قلب يسمح أدوّ على دافعي

ضرائب من (إشنونا) يحتفظ رهائن في ماري فيرغب في تأمين عمل لهم ويكتب بهم الى والده قائلا: إنهم أبناء ملوك ولهم سمعتهم. فيجيبه: بإبقائهم محتجزين كالسابق.

وباختصار لم يكن في «يسمح أدّو» أيٌ من صفات أبيه من حيث هو سياسي فطن وأداري مقتصد ويقول له والده بسخرية لاذعة جدا بمناسبة تأخره في تسمية موظف رئيس للادارة شغر مكانه: «ستبقى صغيرا، ألم ينبت شعر على ذقنك؟ أو لم تكتمل بالعمر لتؤسس بيتاً؟ اذا لم يعط رئيس ادارة تعليماته في خلال يومين أو ثلاثة أفلا تخرب الادارة؟ لماذا لم تُعين شخصاً في اليوم نفسه الذي توفي فيه صاحب الوظيفة لشغل وظيفته؟».

لقد أثرت هذه الشكاوي والتوبيخات في «يسمح أدّو» وقد وجد في محفوظات القصر وثيقتان متشابتان يحاول فيهما ان يبرىء نفسه وكأنهما مسودة رسالة لم ترسل. ويتوجه «يسمح أدّو» في الرسالة إلى ابيه ويدعوه «أدّا» تعبيراً عن الاحترام والمحبة وبعد أن يسرد ماذكره ابوه عنه يقول: «كيف أكون صغيراً وغير قادر على القيادة و«أدّا» هو الذي عيني وترعرعت بوجوده وعندما سأراه سأعرض عليه هموم قلبي». كما يذكر في جزء الرسالة الأخرى تأثير ابنة حميه في عدم المحبة التي يظهرها أبوه نحوه حاليا كما يذكّر الملك بالمستشارين الذين وعد بارسالهم ولم يرسل منهم العدد الكافي أو قام باستعادتهم.

وهناك رسائل متبادلة بين الاخوين يقترح فيها الاخ البكر ان يدقق في طلبات أخيه للملك فيقول: «لاتكتب للملك، المنطقة التي اقيم فيها قريبة من العاصمة، ماتريد كتابته للملك اكتبه لي وانا أنصحك بالتصرف الامثل الواجب اتباعه». لقد كان «إيسمي داغان» يعطف على أخيه ويحاول تجنيبه انفجارات غضب أبيه. ويعاتب اخاه على شتائم ارسلها لعدم ارتياحه تسمية احد حكام المقاطعات وقد صدرت عن الملك أبيه. ويبدو أن نصائح الاخ أو التأنيبات اللاذعة من الملك الاب لم تغيّر من سلوك الابن «يسمح أدّو» أو تصرفاته.

ملحوظات عن فن العمارة الايوبية في حلب

التأليف : تيري ألن
التلخيص : المهندس عبد الله حجار

يبين الباحث ـ وهو أميركي مختص في فن العمارة الاسلامية ـ بعض الملحوظات التي لفتت انتباهه في بعض الابنية الايوبية الطراز حول القلعة من مثل المدرسة الشاذبختية والمدرسة السلطانية ومدخل القلعة.

أمّا المدرسة الشاذبختية أو جامع الشيخ معروف فهو البناء القديم المتبقي داخل أسوار حلب بعد وفاة نور الدين، ويمثل مايسمى بفن العمارة ذي الطراز البسيط الخالي من الزخرفة الذي استعمل مباشرة بعد اهمال الطراز الزخرفي الذي كان معروفا في الابنية السلجوقية والزنكية كزخرفة مئذنة الجامع الأموي وجامع الشعيبية. وقد بنى المدرسة جمال الدين شاذبخت الذي كان يحكم القلعة أواخر أيام نور الدين وهناك كتابتان تعودان الى عام ٥٨٩ هـ/١١٩٣م تبينان وقفه للبناء وانها بنيت في المرحلة الايوبية أي عام ١١٩٣م أو ماقبلها بقليل لأن كتابات الوقف كانت تضاف أحيانا، الى البناء بعد الانتهاء منه. ويعلمنا الرحالة ابن جبير (القرن ٦ هـ/١٢م) أن سوق الزرب ـ حيث تقوم المدرسة ـ كانت مسقوفة جزئيا بالخشب ويضم باب المدرسة من الخارج أحد نماذج المقرنصات الاولى في حلب، بالاضافة الى محراب جميل بألواح مرمرية منزلة فيه ويتميز دهليز المدخل وغرفة القبلية بمثلثات الانتقال التي تستند عليها كلتا القبتبن وهي مثلثات يشطرها خط فكأنها نتيجة لقاء مستويين بدل أن تكون مثلثا كرويا وقد سهل الانتقال من المثلثات الى قاعدة القبة الدائرية وجود أحجار بارزة ربما هي مساند تعليق مصابيح الانارة، وهي عناصر مثبتة فريدة (انظر الشكل ذا الرقم (٤) من نص المقال الانكليزي).

إن اسم المعمار في المدرسة الشاذبختية هو قاسم بن سعيد وربما كان ـ كما يذكر هرتسفلد ـ ابن سعيد المقدسي المعمار الذي بنى المدرسة الشعيبية، أي أن المدرسة الشاذبختية هي مثال على الانتقال الاستمراري من أب لابنه من طراز زخرفي الى طراز آخر بسيط ترك مجالا لابراز فن الحفر على الخشب الذي ازدهر في المرحلة نفسها.

أما المدرسة السلطانية أمام القلعة فنجد في بابها نموذجا جيدا لفن البناء بالحجر المنحوت في العمارة الايوبية، وهو بارز بمقدار سنتمترين عن الجدار، ويبدو وكأنه تابع لبنـاء من مرحلة أخـرى، وهذا غير صحيح كما تبين الشطفة الموجودة في الاحجار الانتقالية (انظر الشكل ذا الرقم (٦) من النص الانكليزي).

ويعلمنا ابن شداد أن الظاهر غازي بدأ البناء سنة ٦١٠هـ/١٢١٣ ـ ١٢١٤م بينما تبين الكتابة انها بنيت أيام الملك العزيز محمد، وكان قاصرا، وتضم تربة والده الظاهر غازي وقد قام بالبناء شهاب الدين طغريل وانجز سنة ٦٢٠هـ /١٢٢٣ ـ ١٢٢٤م. وهذا يعني ان الكتابة تم تسجيلها يوم اوقف البناء ايام العزيز محمد.

أمـا قلعـة حلب الفريدة بمثالها على فن الدفاع والتحصين الاسلامي فهي بمدخلها مثال كذلك لطراز العمارة الايوبية والتركيب الصحيح لتصميم فن البناء في المراحل المختلفة.

لقد ضم مدخل القلعة وقاعة العرش فوقه أعمال بناء من مراحل مختلفة لكن الجزء الاصلي للكتلة مصمم بابداع ايام الظاهر غازي سنة ٦٠٦ ـ ٦٠٨ هـ/١٢٠٩ ـ ١٢١٢م حيث يتم اجتياز الابـواب الثلاثة: باب الثعابين والباب الحامل لشعار الشجرة وحولها الاسدان والباب الثالث ذي الاسدين الضاحك والباكي. وقد لاحظ كاتب المقال في نجفة باب الثعابين (انظر الشكل ذا الرقم (٨) من النص الانكليزي) وجود نهاية حرف إضافي في الاطار مما يؤكد أن الكتابة الحالية التي سجلها قره سنقر نائب السلطان قلاوون بحلب سنة ٦٩١هـ /١٢٩٢م أخذت مكان كتابة تمت ازالتها تعود الى أيام المللك الظاهر غازي. كما لاحظ أن الكتابة أو جزءا منها ربما كانا مغطيين بدهان ملون كما هي الحال في كتابات جامع الفردوس في جدره الداخلية والخارجية.

وهكذا نجد ان المباني الايوبية التي تبدو أول وهلة بسيطة الصنعة وخالية من الزخرفة تستحق الدراسة والملاحظة حقا ففيها تكامل في التصميم وفهم دقيق لبناء الاحجـار المنحـوتـة التي عرف بناؤو حلب بها من حيث التعامل واياها في المرحلة الايوبية وعمموا استعمالها في المراحل التاريخية اللاحقة.

اناء من الالباستر من تل قناص

الاعداد : مادلين تروكيه
التعريب والتلخيص : جبرائيل غزال

بين روائـع الفن السـوري التي عرضت في مدن وعواصم اوربية واميركية عدة في المتحف الجوال للاثار السورية اناء من الالباستر (الحجر المرمري) من مرحلة اوروك الحديثة وهو من ممتلكات متحف حلب. انه اناء من سبعة اوان حجرية وجدت في تل قناص على الفرات الاوسط (إلى الجنوب من حبوبه ومأخذ مياه الفرات إلى حلب) وجد في منطقة المعابد القديمة التي تعود الى مرحلة اوروك بين ركام احد المخازن المجاورة للمعبد الشرقي وقد تعرض لحريق أضرّ به وبمجموعة الابنية ودمرها. ورغم الكسور الكثيرة التي تعرض لها الاناء فقد امكن ترميمه ترميا يكاد يكون تاما.

هو اناء مغلق له قعر بحافة ورقبة واسعة تنتهي بفوهة رقيقة وتنعطف بانحناء عند قاعدة الكتف الذي يحمل زخرفة هندسية محززة. وهناك عروة اذن يقابلها من الجهة الاخرى انبوب بارز ربما لسكب السائل في خلاله قام بينهما زوجان من الاذينات المزدوجة كما أن هنـاك ثلاثة مواضع زخرفة منفصلة عن بعضها. الاول على سطح الإناء تحت الاذينات الصغيرة وتمثل افريز مثلثات مهشرة متصالبة ويزخرف الثاني النتوء الثلاثي المتوضع على عروة الاذن على شكـل خطوط مائلة متـوازنة تحيط بصلبان والثالث محفور على الاذينات ويبين هيكلا عظيما لسمكة. والاناء متوسط الارتفاع وارتفاعه ٢٢سم وقطره في القاع ٨٫٥سم وقطر وسطه ٣٠سم وفي قاعدة رقبته ١٦٫٥سم وعرض عروة الاذن ٣سم وانبوب السكب للسائل لايعمل (انظر الشكل ذا الرقم (١)

ومن مقارنة اناء تل قناص مع آنية مختلفة يتبين احتمال كون مصدر الاناء من سوسا التي كانت مركزاً فنياً نشيطاً لانتاج الآنية المماثلة من الالباستر وكذلك الاختام الحجرية. كما أن هناك شبهاً بمنتجات من مدينة أوروك لآنية حجرية أو معدنية أو فخارية. وبرغم قلة مصادر المقارنة يبقى اناء تل قناص من الوثائق الهامة الذي يدل على المستوى الحضاري العالي والازدهار الذي كان في المدينة التي وجد فيها وحفظته أي تل قناص.

اللغات الآرامية الجديدة في سورية

تأليف جاسترو أرلنجن

هناك علاقة وثيقة الصلة بين القطر العربي السوري واللغة الآرامية. فأقدم النقوش الآرامية التي تعود الى القرن التاسع قبل الميلاد قد اكتشفت في شمال سورية. ومنذ ذلك الوقت فقد استمرت اللغة الآرامية في الوجود. ومازالت في الوقت الحاضر أيضاً هناك ثلاثة أشكال من اللغة الآرامية الحديثة متداولة في سورية وهي : آرامية معلولا، وآرامية طور عبدين (أو الطورية) والآشورية (آرامية الخابور).

أما آرامية معلولا التي تحكى في القرى الثلاث: معلولا، بخعة، وجبعدين، هي اللغة الوحيدة المنتمية الى الآرامية الغربية وان اللغتين الأخريين فتنتميان الى الآرامية الشرقية. إن اللغة الآشورية (آرامية الخابور) وطنها الأصلي في جبال هكاري (في تركية حاليا)، والآرامية الطورية أصلها جبال طور عبدين (في تركية حاليا). وتجدر الإشارة الى أن آرامية معلولا لم تغير موقعها الأصلي عبر العصور، خلافاً لما حدث للغتين الأخرتين.

إن اللغات الثلاث المذكورة سابقا مشتقة من الآرامية القديمة، وهي مستقلة عن بعضها بعضاً حتى إنه يصعب على الناطق بالطورية أن يفهم أية من اللغتين الأخرتين، أعني: الآشورية وآرامية معلولا. إن آرامية معلولا هي أقدم هذه اللغات برغم احتوائها عدداً كبيراً من كلمات استعارتها من شقيقتها اللغة العربية.

تعالج هذه الدراسة بعض الجوانب الصوتية والصرفية للغات الثلاث المذكورة، وتظهر الاختلافات بينها. وفي الخاتمة يشير الباحث الى أن اللغة الآرامية بأنواعها الثلاثة الموجودة في القطر العربي السوري هي جزء من التراث الحضاري لهذا القطر وتستحق من الاهتمام ماتستحقه الأوابد الاثرية.

حلب القديمة في وثائق مصر وماري في الالفين الثالث والثاني ق . م

التأليف : بيتر شولتزة

التعريب والتلخيص : المهندس عبد الله حجار

لم تجرِ للأسفَ حتى الآن حفريات في منطقة مدينة حلب تدلنا على تاريخ انشاء المدينة التي يَستدل من تسميتها غير السامية : خلبوا أو حلب أنها تعود إلى عصر البرونز القديم تميزت بموقعها الممتاز عند تقاطع طرق التجارة التي كانت من بينها الطريق المحاذية للفرات القادمة من سومر مروراً برابيكو (الرمادي) وماري حتى إيمار (مسكنة) حيث تتابع غرباً إلى الساحل مروراً بحلب وإبلا لتتابع إلى قبرص وكريت ومصر. كما كانت هناك طريق أخرى تنزل من جبال الأناضول محاذية العاصي والليطاني مارة بحلب وقادش ودمشق لتتصل بطريق التجارة المعروفة في فلسطين (والمسماة طريق حورس) والمحاذية شواطىء سيناء حتى الفرع الشرقي لدلتا النيل.

ورد ذكر حلب أول مرة لدى الملك الاكادي سرغون الأول (٢٣٧١ - ٢٣١٦ق.م) تحت اسم أرمانوم وكذلك ذكرها الملك الاكادي نرام سن (٢٢٩١ - ٢٢٥٠ق.م) وبعد مائتي عام امتدت سيطرة سلالة اور الثالثة إليها. ولانجد من نفس المرحلة سوى بعض التأثير المصري في الساحل السوري فحسب. أما في الالف الثاني وحكم السلالة المصرية الثانية عشرة (١٩٩١ - ١٧٨٦ ق.م) فنجد تماثيل صغيرة وجعلان (خنافس) وأجزاء من الاثاث مصرية الطراز في معظم المدن السورية. وبعد قرون عدة وجد التأثير الفني السوري في مصر في شكل الديانة وتنظيم الدولة والتجارة والفنون ووجد من يحمل أسماء سورية بين طبقات الموظفين العليا في بلاط الفراعنة. ويعود أول وجود للأسيويين في مصر الى عهد المملكة المتوسطة وأيام حكم امنحت الأول (١٩٩١ - ١٩٦٢ ق.م) وسيسوستيريس الثاني (١٨٩٧ - ١٨٧٨ ق.م) وكان ذلك على جدران المقابر في «بني حسن».

وتبين رقم ماري التي تعود الى القرنين من الثالث عشر والسابع عشر ق.م أن أواسط سورية كانت مقسمة الى عواصم صغيرة أهمها في الشمال مملكة يمحاض

وعاصمتها حلب وذكر ذلك أيضاً في الالاخ (تل العطشانة قرب انطاكية). وبينت محفوظات ماري أن أول ملك لمملكة يمحاض ذكر في رسالة من زمريليم ملك ماري حوالي ١٧٩٢ ق.م كان يدعي يريمليم وكان يسيطر على عشرين أميراً تابعين له. وتربع بعده على عرش حلب ملك يدعى حمورابي وهو غير حمورابي مشّرع بابل العظيم ـ وكان ذا علاقة طيبة به. وكان سكان حلب من أصل عموري مثل أهالي بابل وماري وكـانوا يسيطرون على طريق التجارة بني ايهار وساحل البحر المتوسط. وقد تمكنت مملكة يمحاض حتى القرن السادس عشر ق.م من مقاومة الحثيين وقبائل الحوريين وقام في نهاية القرن السابع عشر حتوشيلي الأول بغزو حلب وقام خلفه مورشيلي الاول بتدميرها عام ١٥٩٥ق.م. وذلك في أثناء قيامه بحملته ضد بابل التي أنهى فيها حكم سلالة الملك العظيم حمورابي. وقد تغير الوضع السياسي في سورية بظهور الميتانيين في غربي أسية. ولم تكن سيطرة الحثيين على حلب محكمة فقد كانت تقوم ثورات ضد الحكام الحثيين الضعفاء تمتد حتى نهاية القرن السادس عشر ق.م. ويقوم أحمس الأول عام ١٥٥١ ق.م بتأسيس المملكة الحديثة بمصر إثر انتصاره على الهكسوس وغزوه آخر معاقلهم في فلسطين. ويبدأ يهتم بسورية التي ‹‹ يت ريتينو Retenu وتم الاتصال أول مرة دبلوماسيا بين المصريين والحثيين وكذلك الميتانيين الذين سُمّوا نهرينا Naharina وجـاء المصريون لمسـاعـدة السـوريين للتخلص من سيطرة الميتانيين في الشمال. وتصبح حلب مستقلة عن مصر ويصبح حاكمها إيليليما فتثور ـ عليه المدينة ويخلفه ولده الملك إدريمي.

وتذكر حلب ثانية في معبد الكرنك باسم خلبا Khalaba أيام تحوتمس الثالث (١٤٥٧ ق.م) الذي زودنا بصور النباتات والحيوانات بمافيها الفيلة التي رآها في حملته على سورية. ويكمل أمنوفيس الثاني (١٤٣١ ق.م) قائمة أسماء الحيونات ونعلم أن حلب كانت خاضعة للميتانيين ثم خضعت بعد سنوات للحثيين.

لم تذكر حلب في رسائل تل العمارنة المكتوبة بالأحرف المسمارية وباللغة البابلية لغة الدبلوماسية آنئذ وهي المعروفة بالمراسلات الدبلوماسية للفراعنة أمنوفيس الثالث والرابع واخناتون وتوت عنخ أمون. وربما يعود السبب في عدم ذكرها إلى أن تلك

المراسلات كانت تهتم بالدول العظمى فقط كدولة الحثيين والميتانيين والبابليين والمصريين دون ذكر الدويلات التابعة لها مثل حلب.

وتذكر حلب في معركة قادش عام ١٢٨٦ ق.م التي سجلها وبالرسوم رمسيس الثاني على جدران معبده في طيبة وكانت بين المصريين والحثيين بقيادة ملكهم مُوُتَلِّي وكان تلمي شاروما ملك حلب من بين حلفائه.

وكان آخر ذكر لحلب في الألف الثاني ق.م. على جدار معبد رمسيس الثالث (١١٨٣ - ١١٥٣ق.م) في مدينة حبْو Habu إثر معركة ضد شعوب البحر القادمين من الشمال وقد قاومتهم مصر ببسالة بينما انهار الحثيون أمامهم ودمروا حلب وقد استعادت حلب أهميتها من حيث هي مركز تجاري تحت حكم الأشوريين في الألف الأول قبل الميلاد.

صورة غلاف العدد الأول من مجلة العاديات ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م.

مجلة العاديات

تصدر شهرياً بعناية جمعية عاديات حلب



العدد الاول شهر ايار سنة ١٩٣١ السنة الاولى

الموافق ذي الحجه سنة ١٣٤٩



جمعية عاديات حلب

حلب (سوريا)

مطبعة المعارف نجيب كنيدر - حلب

المدير المسؤول: كامل الغزي

مقدمة العدد الأول لمجلة العاديات، وهي بقلم مدير المجلة العلامة المؤرخ الشيخ كامل الغزي .

المقدمة

الغاية المقصودة من هذه المجلة هي :

(١) ذكر ما كان وما سيتجدد من الابحاث المختصة بالآثار القديمة في حلب وضواحيها المعروفة باسم (العاديات) اي المعروفة عند العامة باسم (انتيكات) .

(٢) ذكر العاديات التي يستحصل عليها وتحفظ في مكان خاص مع بيان نوعها وجنسها ليطلع عليها السياح وذوو الولوع بالآثار القديمة .

(٣) ذكر المباني القديمة الفخمة الاسلامية وغيرها مما يوجد في منطقة سوريا الشمالية كقلعة حلب ذات الشهرة الذائعة والعظمة التاريخية وكالمباني العظيمة التي اقيمت بحلب في القرون الاولى من التاريخ الهجري مع بيان ما سيبذل من الجهود والاعتناء في حفظ مثل هذه الاثرية من الاضمحلال والدثور ومايصرف من الاهتمام على ترميم ما يحتاج منها الى الترميم مما فيه بقاء عينه وحفظ اصله .

(٤) اذاعة محاسن تلك الآثار واخذ رسوم احاسنها التي تجمع بعد وتطبع عند توفرها بكتيب خاص يوزع على الاندية العلمية

٢

والاماكن العمومية في مشاهير الممالك الغربية والبلاد الاجنبية فيطلع عليها ذوو الولوع بالآثار القديمة فتحدث فيهم الشوق الى التفرج عليها فيقصدونها وبذلك تستفيد منهم حلب فوائد مالية لا يستهان بها نظير ما تستفيده من هذه الناحية مصر وبيروت ولبنان وبعلبك وتدمر وغير هذه الجهات التي عرف السياح عظمتها التاريخية بواسطة الرسوم الشمسية والمقالات المحررة في صحف الاخبار والمجلات العلمية المدبجة بيراع جمعيات اسست لهذا الغرض خاصة فقصد السياح تلك النواحي من كل اوب وصوب واستفادت منهم فوائد يعيأ القلم بعدها .

ان مدينة حلب وضواحيها وملحقاتها كجبل ليلون وجبل سمعان وخراب البارة وقاركمش قد اشتملت على ما لا يحصى من المباني الأثرية كآثار الحثيين والاشوريين وغيرها من الدول التي حكمت هذه الاصقاع وهي آثار لا تقل قيمتها التاريخية عن قيمة الآثار التي تظهر في حفائر الجهات التي سبق بيانها ، انما بقيت حلب محرومة من الاستفادة منها نظير تلك الجهات لان اولى الثقافة من اهلها اهملوا ذكرها وتقاعسوا عن الدعاية لقصدها فبقيت كنوزاً مخبؤة بين طبقات الرغام ولم يستلفت احدا نظار السياح ليقصدوها ويفيضوا الذهب الوهاج على اسواق حلب بما يتزودونه من بضائعها الفائقة كالمنسوجات وانواع الحلي وغيرها من البضائع التي انفردت حلب بصنعها واختصت تربتها بانباتها .

٣

وهناك دواع اخر لقصد السياح هذه الجهات الا وهي منتزهاتها الطبيعية البديعة الجيدة المناخ المدهشة المناظر التي لا يظهر لها في غير حلب وضاحيتها لو كانت يد الصناعة تمتد الى معاونة ما كسته يد الطبيعة لتلك المتنزهات من الجلابيب الجميلة التي لا تقل بل التي يربو الكثيرون على متنزهات لبنان ومقاصفه التي ضنت الطبيعة عليها بجمالها فجادت عليها يد الصناعة بما جعلت له منظراً خلاباً ومنتزهاً بديعاً وستتكلم على شيء من هذه المتنزهات عند سنوح الفرصة في غير هذا العدد .

كامل الغزي



مقالة: منبر المسجد الأقصى للعلامة المؤرخ راغب الطباخ

نشرت في العدد الثالث من مجلة العاديات والذي صدر في شهرربيع الأول ١٣٥٠هـ المصادف شهر تموز ١٩٣١م.

منبر المسجد الاقصى

— في القدس الشريف —

بقلم الاستاذ الفاضل الشيخ راغب الطباخ

من جملة الصناعات التى حازت قصب السبق فى العصور الغابرة فى مدينة حلب صنعة النجارة فقد كان لها فيها القدح المعلى وتفوقت فيها على كثير من البلدان والبقية الباقية من آثار ذلك المشاهدة بالعيان هى خير شاهد على ذلك . ومن هذه الآثار الخالدة المنبر الموجود الى الان فى القدس الشريف فى المسجد الاقصى

هذا المنبر صنع فى حلب وحمل الى القدس فوضع ثمة وحفظته لنا ايدى الزمان من الحدثان وابقته لنا الى الان واذا تأملت رسمه هنا تتجلى لك بداعة الصنعة فيه وتبدو لك دقة هندسته وتتذكر عندئذ قول من قال ليس فى الامكان ابدع مما كان

وقد احببت الان ان اذكر السبب الذى دعا لصنع هذا المنبر فى حلب وحمله الى المسجد الاقصى فاقول ذكر المؤرخون ابن الاثير وصاحب الروضتين وغيرهم ان فى رجب من سنة ٥٨٣ ه فتح السلطان صلاح الدين البيت المقدس وقد كان اخذ من المسلمين سنة ٤٩٢ وبعد فتحه رتب فيه صلاح الدين خطيباً واماماً برسم الصلوات الخمس وامر ان يعمل له منبر فقيل له ان نور الدين محموداً كان قد عمل بحلب منبراً امر الصناع بالمبالغة فى تحسينه واتقانه وقال هذا قد عملناه لينصب بالبيت المقدس فعمله النجارون فى عدة سنين لم يعمل فى الاسلام مثله فامر باحضاره فحمل من حلب ونصب

بالقدس وكان بين عمل المنبر وحمله ما يزيد على عشرين سنة وكان هذا من كرامات نور الدين وحسن مقاصده

قال فى الروضتين نقلاً عن العماد الكاتب ما خلاصته انه كان بحلب نجار يعرف بالاخترينى من ضيعة تعرف باخترين (١) لم ياف له فى براعته وصنعته قرين فامره نور الدين بعمل منبر لبيت الله المقدس وقال له اجتهد ان تأتى به على النعت المهندم والنحت المهندس فجمع الصناع واحسن الابداع واتمه فى سنين واستحق بحق احسانه التحسين . واتفق ان جامع حلب فى الايام النورية احترق فاحتيج الى منبر ينصب فنصب ذلك المنبر وحسن المنظر وتولى حينئذ النجار عمل المحراب على الرقم وشابه المحراب المنبر فى الرسم ومن رأى حلب شاهد منه على مثال المنبر القدسى الاحسان

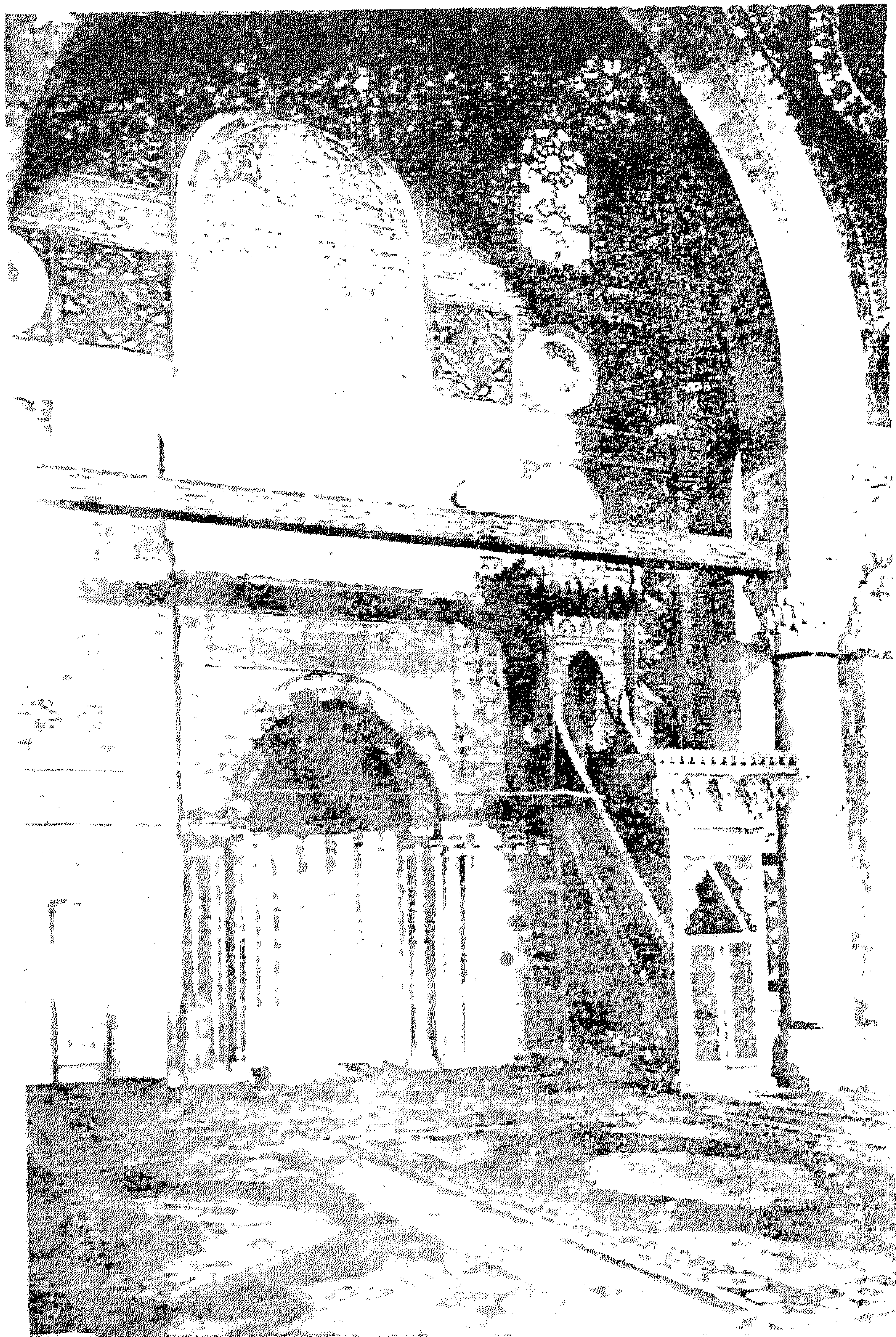
وجاء فى كنوز الذهب فى تاريخ حلب للحافظ ابى ذر قال قرأت فى تاريخ الاسلام للذهبي وقد كان نورالدين انشأ منبراً برسم الاقصى قبل فتح بيت المقدس طمعاً فى ان يفتحه ولم تزل نفسه تحدثه بفتحه وكان بحلب نجار فائق الصنعة فعمل لنور الدين هذا المنبر على احسن نعت وابدعه فاحترق جامع حلب فنصب فيه ثم عمل النجار المذكور ويعرف بالاخترينى منبراً آخر شبه ذلك المنبر فلما افتتح السلطان بيت المقدس امر بنقل المنبر فنصب الى جانب محراب الاقصى

وقال قبل نقل كلام الذهبي واما المنبر الذى هوالآن به (اى بجامع حلب) فعمل فى ايام السلطان الملك الناصر محمد وصانعه محمد بن على الموصلى بتولى محمد بن عثمان بن الحداد

(يتبع)

---

(١) لم تزل هذه القرية موجودة وهي في شمالي حلب احدي محطات سكة حديد بغداد وبنيها و بين حلب كيلو متر



المسجد الاقصى فى القدس الشريف
JÉRUSALEM — Mosquée el-Aksa

Page 44 A. - Revue Archéologique

Thoughts about Ebla

G LA. G. Celb

(1)

In this article prof of Gelb discusses the following problems:

1 - Chronology of Ebla tablets. from the pointview of this kind of writing

2 - Ebla and its relations with mesopotamia, especialy with Abu Salabikh, Mari and kish

By extensive comparisons which included, verbs, nouns and other articles, he (Gelb) proved that Ebla was a great kingdom covering a wide area and it had its own language. Gelb spoke about the aspect of that language by offering numerous examples.

Finally he held a long discussion about the relations between Ebla language, and other semitic languages.supporting his ideas with a comparative chart between Ebla language and Ammoritic, ugaritic, Akkadian and Hebrweic languages.

He concluded that Ebla language must be added to the list of semitic languages to become the ninth after. Akkadian, Ammoritic, ugaritic, canaanite, Aramaen, Arabic, Southern Arabic and Ethiopic languages.

See Arbic translation in Arabic Section

postérieure à l'époque proposée par les spécialistes (Précités), l'auteur a présenté trois nouveaux arguments. Le premier montre que par le décor imbriqué sur la gaine du poignard dont elle est armée, la statue peut se comparer ă une autre pièce du ler millénaire, un ivoire de Nimrud des 9e?- 8e siècles. Le deuxième permet de supposer que par la forme de ses signes, son inscription peut être placée également à cette époque. Le dernier conduit à observer qu' elle ne pourrait pas appartenir à la sculpture actuellement connue de la Syrie intérieure du 2e millénaire car celle-ci ne présente aucun trait égyptisant. En revanche, elle peut se classer auprès de monuments du Levant du ler millénaire qui en presentent souvent comme la stèle de Melqart trouvée à Breidj (Alep) et le bas-relief au sphinx réemployé dans le soubassement de la grande mosquée de Damas.

Un nombre estimable de faits semble donc attester que la statue de Sfiré représente une oeuvre de la première moitié du ler millénaire. En outre, le tèmoigmage de l'histoire de la region où elle fut retrouvée pourrait permetter de la considérer comme une oeuvre phénicienne. Par aileurs, en annexe, l'auteur a utilisé le témoignage de l'oeuvre pour traiter du problème de l'identification de Sfiré avec Arpad, capitale du Bît-Agusi.

La Statuette Egyptiante : de Sfiré en Syrie du nord

Une image d'orant de la premiéue moitié du 1er millénaire av. notre ére

Par Eugéne Warmenbol

tvaduit par A. Hadjar

Dans cet article, l'auteur a essayé de définir l'appartenance artistique et la date d'une statue acéphale retrouvée à Sfiré (Lac de Djabbul) en l928 dans un contexte arc. ·ologique mal connu. Il s'agit d'une statue égyptisante portant sur le dos une inscription cunéiforme qui cite le nom du personnage qu'elle représente, un certain Adûni-abia ,constructeur d'un temple dédié au dieu de Nêrab. Le texte a été traduit par G. Dossin en l930. En se fondant sur des critères iconographiques, stylistiques ou philologiques, respectivement: R. Dussaud, G. Dossin et P. Matthiae l'ont datée entre le l5e et le l3e siècle av. J.C.

L'auteur est arrivé à des conclusions différentes en rapprochant la statue de plusieurs personnages sculptés phéniciens créés dans le Levant au ler millénaire av. J. C. qui sont vêtus d'un pagne analogue au sien; un type de costume égyptien uo,nb trauvait surtout entre le règne d'Aménophis III et l'époque des Raméssides. Ce sont des statues découvertes respectivement à Tyr, à Sarepta et à Amrit.

Pour appuyer cette comparaison qui laisse penser que l'oeuvre pourrait être

Et vu que cette cour était la principale pour les affaires gouvernementales et judiciaires, Sa domination était considérée comme la dernière limite dans la lutte pour le gouvernement d'Alep, et cette domination était le travail définitif.

Puis vu son importance aussi elle était le lieu d'accueil et de séjour des sultans ottomans lors de leur passage à Alep. Le sultan Suleiman en 1549 Y était descendu. Son fils Y est décédé et son corps Y est resté un certain laps de temps, comme celui du cadavre de Guohar Malekshah, fille du sultan ottoman Bayazid l'an 1552.

L'assemblée judiciare de cette cour était composée du juge en chef et de quatre juges qui suivaient les quatre doctrines, plus un juge militaire. Puis ce nombre a été réduit: seul un juge hanafite jugeait selon sa doctrine, la seule le gouvernement ottoman ait acceptée. Des greffiers aidaient les juges, qui étaient des fonction naires de première Classe, puis, un secrétaire. Tous siégeaient, Chacun d'après son degré dans la hiérarchie aves leurs accoutrements spéciaux qu' ils ne pouvaient changer.

Dar El Adel

La Cour de Justice

Dr.M.HREITANI

Depuis le 13ème siècle, la plus grande cour judiciaire a été créée par le roi AZAHER fils de Saladin, près de la citadelle d'Alep. Les sentences judiciares émanaient à la fois pour les gouverneurs, les juges et les individus, présisdées parfois par les gouverneurs d'Alep. Comme il existait aussi une cour de juris-prudence selon les quatre doctrines islamiques (Hanafite, Chafiite, Hambalite, et Malkite)

Vu l'importance de cette jurisprudence, on Y Opérait les cérémonies d'accés au pouvoir et de licenciement des gouverneurs, le point de départ des cortèges officiels, en plus des réunions impotantes et de la liqidation des affaires de la cité, avec la cérémonie de la prise de possession des hautes charges des grands fonctionnaires de la ville, tels les juges, les Muftis, et les cheikhs d'Islam.

La cour de justice a joué un grand rôle dans les derniers jours du gouvernement Ottoman dans la Vie publique, de sorte qu' on peut lui attribuer le titre de l'assemblée de la cité ou de la cour Municipale, où l'on discutait des affaires générales de la vie et non seulement des affaires judiciaires, aves les événements extrodinaires et de l'opposition aux gouverneurs, la résolution des chicanes, les confirmations des identités et bien d'autres questions.

Harris Papyrus andTheconquering off jaffa City (1)

Ezz Eddin Garibah

Kuwait Museum

In this article, I shall summarise the story of conquering the city of Jaffa as it is mentioneed in Hariss papyrus. I shall give special attention to the Egyptian Leader «thoth» and how he conquereel the city by a trick

After a literal translation of the papyrus I shal try to analyze it by speaking about its contents like: Jaffa city, Hariru, troy horse and the story of Zenobia with Qassir.

Any how, trough this papyrus, we can trace the cultural and political relations between Egypt and Syroi- Palestinian coast.

1- See Arabic text: Arabic section

Identification Of Tell Deinit Site

Shawqi shaath

Aleppo Museum

Tell Deinit is archaeological site located about 6 km to the east of Idib city. Since 1971 the General Department of Antiquities has been conducted excavations under my dirretion. After giving an idea about the importance of the site and the archeaological discoveries, I have attempted to identify the site and its name (or names) through historical ages. I have reached the following:one could imagine the following citites were located in Tell Deinit which might the city of Uršum during the second mill. Addinu during the first mill, and Danith during middle ages Future excavations, however will perhaps offer more and more evidence or evidences about the ancient names of the site of Tell Deinit.

See, Arabic text in arabic section.

4. Most previous studies have concentrated on the areas of the central sūq and the larger, generally extra -muros sub- centers which have produced a very limited picture of the city as a whole. In contrast, systematic survey of the entire old city has revealed numerous concentrations of public, religious and commercial buildings, resulting in a new, rather surpising conceptualization of Aleppo as an oriental- islamic city.

5. In the last one hundred and fifty years, European observers did not think that the traditional crafts and industries of Aleppo had much chance for survival. In spite of massive penetration of European products, our study has revrealed that in the nineteenth century, Aleppo's crafts and industrial production appears to have increased. Even in the twentieth century, the traditional crafts have managed to survive through modern strategies of adjustment and adaptation.

ing with urban and architectural studies, islamic studies and cultural history as well as social and urban geography, social and economic history.

Even though a number of scholars from different fields have worked on Aleppo during the past fifty years, this reseach was restricted to certain limited problems of the city, and even here our knowledge was incomplete. For this reason, the authors, H. Gaube and E. Wirth, attempt to proceed beyond the present state research in the following manner:

1 . The research to date has often been founded on too small an empiricabase or too few literary sources and documents. On the basis of survey, mapping, interviews, informal talks, informal talks, planning buildings and analysis of all availble inscriptions and .lieary sources, the results of previous research were checked, corrected, augmented and enlarged.

2. With few exceptions, orientalists and historians of architecture have confined their research to the pre- Ottoman and early Ottomanbuildings inscriptions. In contrast, this study examines Aleppo from the pre- Mamluk period to the early twentieth century with a special focus on the nineteenth century. It is the nineteenth century with its socio- economic situation and concomitant urban development that has decisively shaped the Aleppo one can see today.

3. Within the frame of later Ottoman history, the economic and social history of Aleppo deserves a new and more balanced approach. The Ottoman empire of eighteenth century was commonly depicted as powerless, decadent, disorganized and increasingly dependent on Europe. The example of Aleppc should demonstrate how much this kind of superficial judgement needs correction.

Aleppo

Historishe und geographische beiriage zur baulichen Gestaltung zur sozilaen Organistion und zur wirtschaftliche Dymaenik einer vorderasiatischen fernhandelsmetrpole

Heinz Gaube und eugen wirt.
Translated with abrevition, A. Hadjar.

Aleppo is one of the few important centers of long distance trade in the old world. The city is situated in the heart of an area of intensive economic interaction which encompassed the Islamic Near East as wall as Southern, Middle and Western Europe. With its flourishing export oriented industries and its trade relations that bridged continents, Aleppo has long been a center of world trad. Not only do the splendid buildings of the late Middle Ages to the early twentieth century bear witness to Aleppo's great prosperity, but the spatial organization within the old city as a whole is a unique document of urban self- consciousness in the Oriental Islamic World.

The present work builds upon the classic studies of Ernst Herzfeld and Jean Sauvaget. In the large maps and the text, the important buildings are recoded, studied within the context of the historical development of the city, and differentiated according to their use and function. It was then attempted to interpret the building remains of varying periods within their urban and human environment, i.e., to understand the consciously created framework for the economic activities, social needs and cultural creativity of successive generations of Aleppo's inhabitants. Taken into consideration are questions deal-

6.- LES ARCHIVES

Nous trouvons une immense matière de recherche sur la ville d'Alep dans les archives des évêchés et des couvents des religieux qui avaient une mission spéciale parmi les Arméniens.

Nous espérons grouper tous ces documents dans un livre pour contribuer d'une manière efficace à la réalisation d'une histoire générale et complète de la ville d'Alep.

D.- APRAHAM KUPELIAN, étant le Chef de la Communauté Arménienne Catholique d'Alep, il consacre en ses mémoires plusieurs pages sur l'histoire de la ville au début du XIX siècle, et surtout il dècrit jour après jour le siège de Khorshud Pacha et l'insurrection des Alépins déclit entre 1819- 1820.

2.- LES VOYAGEURS

SIMON LEHATSI /Le Polonais/ c'est la personne la plus célèbre parmi les voyageurs qui ont visité Alep. Il nous a laissé ses notes de voyage où il décrit la ville avec ses souks, ses khans et la vie sociale des habitants, surtout les moeurs et les fêtes de la Colonie Arménienne.

3.- Les ANNOTATIONS DES MANUSCRITS

Les transcripteurs des manuscrits avaient l'habitude d'inscrire dans les marges des notes sur la situation politique, sociale et économique de l'époque. Une dizaine de ces gloses contiennent des indications importantes sur des faits divers advenus à Alep.

4.- LES ANCIENNES CORRESPONDANCES

La Communauté Arménienne d'Alep était attachée à plusieurs centres religieux existants à l'étranger. Nous trouvons par-ci par-là des lettres écrites éparpillées.Ce sont des lettres adressées par des prêtres à leurs Supérieurs religieux oû ils décrivent la situation de leurs églises dans le contexte contemporain de la ville. La majorité de ces lettres est encore inédite.

5.-LES JOURNAUX

Dès le début, la presse arménienne dans le monde entier consacrait des pages entières au sujet d'Alep et de ses habitants arméniens.

Les journaux et les périodiques publiés à Alep reflètent aussi la situation dominante.

LES SOURCES ARMENIENNES ET L'HISTOIRE LA VILLE D'ALEP

MGR. BUoutros Marayati

Mihran Minassian

La Ville d'Alep était au Moyen Age, un centre commercial, culturel, industriel et politique d'une grande importance dans tout le Moyen- Orient. C'est pourquoi de nombreux arméniens sont venus s'y installer avec leurs familles. il-syont laissé des inscriptions et des documents relatant la vie des habitants de la ville en des temps divers.

Il est évident que pour écrire une histoire complète de la ville d'Alep, il faut prendre en considération aussi les sources arméniennes qui présentent une valeur scientifique et historique très importante.

Parmi ces sources nous signalons:

1 - LES HISTORIENS.

A.- MATHEOS OURHAYETSI qui a écrit la description des faits entre 952 et 1137 au Moyen- Orient, où nous trouvons des données intéressantes sur les Croisades et sur la ville d'Alep. Le Père KRIKOR a continué la rédaction du livre de MATHEOS jusquén 1163.

B.- L'Historien HETOUM, qui a décrit «l'Histoire des TATARS», ou il raconte d'une manière détaillée l'occupation de la ville d'Alep par le tyran Holaco.

C.- KRIKOR TARANACHTSI qui parle du mouvement des Gelalines au Moyen- Orient. Il explique les causes et les conséquences de ce phénomène. Dans son livre, plusieurs fois il mentionne la ville d'Alep.

déjà exposées dans un travail antérieur. Il s'agira donc ici de préciser les particularismes régionaux quant à la morphologie des villages et aux bases permanentes de la vie économique et sociale.

L'évolution, quant à elle, est marquée par les changements intervenus dans la répartition des différentes activités économiques dans chaque maisonnée et dans les variations qui marquent de siècle en siècle, le nombre des pièces des maisons et, en conséquence, les dimensions des groupes domestiques. Ce travail n'est lui-même que le prélude à des comparaisons avec les autres parties du massif calcaire et avec le massif basaltique voisin.

société et sur les phénomènes culturels dont les monuments sont l,expression.

LE DEVELOPPEMENT DEMOGRAPHIQUE, ECONOMIQUE ET SOCIAL DU MASSIF CALCAIRE DU IIE AU VIIe SIECLE

Par l'étude systématique de 45 villages bien conservés, groupés par ensembles complets dans trois régions éloignées du massif calcaire: Gebels Sim'an, Barisa et Il A'la et Zawiye, les résultats de la fouille ont été précisés et étendus. Au point de départ, une constation simple: toutes les maisons appartiennent à un type unique. Ce sont des assemblages de pièces, toutes pareilles. Elles constituent des paramètres permettant de mesurer dans chaque village et dans chaque laison, le volume de l,activité économique, le nombre des hommes et la structure des unités familiales, dès lors que l'on prend des villages entièrement conservés.

Des graphiques ont été ainsi dressés. Ils donnent une image approchée de l'évolution de la région entre le 2e et le 7e siècle.

Le fait majeur de cette évolution est une double expansion, dèmographique et économique étalée sur cinq siècles (2e - 6e s.)

UN PROJET DE MONOGRAPHIE REGIONALE SUR LES VILLAGES DU NORD DU GEBEL ZAWIYE

Pour compléter et préciser les travaux précédents, une autre recherche collective est en cours sur une partie du massif calcaire: les villages du nord du Gebel Zawiye dont l'état de conservation est exceptionnellement bon et qui forment un ensemble continu et complet:

EL BARA, MUGLEYA, BTIRSA, le long du ravin menant d'ARRIHA à MAARRAT EN NO'MAN, WASI MARTAHOUN et BSILLA sur le flanc ouest et DEIR SUNBUL, DALLOZA, SERGILLA, BAUDEH, RBE'A et SINSARAH sur son flanc est.

Les constantes de la vie rurale dans l'ensemble du Massif Calcaire ont été

AL MISSION DE HAUTE - SYRIE (MASSIF CALCAIRE) DE L. I. F. A. P. O. : RESULTATS DES RECHERCHES EN COURS

Georges TATE

Le massif calcaire de la Syrie du Nord, qui s'étend de la frontière turque à la ville antique d'Apamée, est unique au monde grâce à l'abondance, l'état de conservation et l'intérêt archéologique et historique de ses vestiges antiques. On n'y a pas recensé moins de 700 villages d'époques romaine et byzantine dont une soixantaine ont conservé la totalité de leurs maisons antiques, églises, couvents, tombes et parfois des éléments très importants du parcellaire. Les recherches de l'IFAPO s'inscrivent dans la suite de l'oeuvre de ses grands devanciers: M. de VOGUE, H. C. BUTLER, MATTERN et surtout G. TCHALENKO qui a dirigé la mission de Haute - Syrie jusqu' en 1975.

Depuis lors, des archéologues plus nombreux se sont engagés dans l'étude de la région et les travaux en cours se sont diversifiés.

Ils contribuent tous à reconstituer la vie et la mentalité des simples paysans qui ont vécu dans cette région entre le 2 ème le 7 ème siècle et légué à la Syrie d'aujourd' hui un patrimoine monumental d'un caractère exceptionnel et d'une valeur sans égale.

Du point de vue des activités agricoles qui constituaient, dans l'Antiquité, la base de l'économie, le massif calcaire est une région marginale. Malgré l'absence quasi générale de sources, l'eau ne manque pas, grâce à une pluviométrie abondante en hiver, dès lors qu'on sait l'emmagasiner dans des citernes creusées dans le roc; mais la terre fait souvent défaut: elle se répartit en plaques de surface inégale au milieu de roc stérile et les sols sont peu profonds.

Depuis 1975, les recherches de l'IFAPO se sont efforcées de multipier les perspectives d'approche. Elles ont combiné fouille, prospection et relevés des vestiges conservés en surface, et associé études monumentales, sur l'architecture et le décor, et recherches sur la démographie, l'économie, la

The Birth of a Crwnprince in the Temple: A Neo- Sumerian Literary Topos. Lambert W.G a Presenté une image générale sur la femme dans L'Antiquite': Goddesses in the pantheon: a refle ction of women in society?

Neumann H., Bemerkungen Zu Ehe, Konkubinat und Bigamie in neusumerischer Zeit.

Les études sur le mariage politique ont été tirées de riches documentations du 2'millénaire presentées par Lofont B., les filles du voi de Mari.

P.«Woman, Child, and family, their imagery in Assyrian art». Asher- Greve J.M., «The oldest female On eir omancer».; Ben- Barrak Z., «The Queen consort and the struggle for succession to the thorne». Demare s., L'interprétation de Nb5, 31à la lumière des droits cunéiformes.

GREENFIELD J.C., Some Neo- Babylonian Women.
GROSZ.K. Daughters adopted as sons at Nuzi and Emar. HELTZER M., The Neo- Assyrian Šakintu and the Biblical Sōkenet (IReg. 1,,4). Joannes Fr., Un cas de Remariage de L'epoque néo- babylonienne.

READE J., Was Sennacherilb a feminist?
STEINER G., Die Femme fatale im alten Orient.
TAVARES A.A., L'Almanach he'braïque et l'Almattu des textes akkadiens.
WILCKE., Die Schwester des Ehemannes (/erib/). enfin, WINTER I.J. Women in Public: the Disk of Enheduanna, The Beginning of the Office of EN- Priestess and the Weight of Visual Evidence.

de nouveau les documents littéraires sumériens représentés par les récits my thologiques. les hymnes, lamentations, proverbes et les préceptes. Cela complete les informations importantes de textes économ iques, administratifs et docouments historiques. Puis Kremer a presenté la femme sumérienne en tant que fille, soeur, épouse et mère, ce qui nous montre la place importante de la femme dans la société sumérienne, aussi, ses émotions psychologiques et sentimentales.

D'autres études concernant le 3'mille naire Foster B.R., Notes on Women in Sargonic Society. Biga M.G. Femmes de la famille royale d'Ebla.

Fronzaroli P., La Formation des Noms personnels féminins à Ebla. Vanstiphout H.L.J., Un carré d'amour sumérien, Or Ways to Win a Woman. Klein J.,

La Femme dans le Proche- Orient Antique.

Dr. Faysal Abdallah

On trouvera dans cette étude une exposition de toutes les communications présentées àl'occasion de la xxxIII' Rencontre Assyriologíque Internatioale, qui s'est tenue au Collège de France du 7au10 Juillet 1986 à Paris, Sous la Prèsidence du Professeur Paul Ģarelli, Membre de l'Institut. L'édition de l'ouvrage a été réalisée par le professeur Jean- Marie Durand (Editions Recherche sur les civilisations) Paris 1987 sous le titre «La Femme dans le Proche- Orient antique».

Le theme avait déjà été abordé en 1956, lors de la Vi' Rencontre. Mais il n'avait pu aboutir à aucune publication d'ensemble. Nous pourrons signaler aussi, après trente ans, l'abondante documentation féminine, comme l'ont montré les récentes études sur Mari. D'autre part, les études archéologiques nous font assister à des défilés de mode ou à des représentations de coiffures raffinées, ells nous font même part de leur doute sur l'identité sexuelle de certains personnages.

Nous avons vinzt quatre communications qui sont publieés dans l'ouvrage couvrant les périodes de trois mille ans avant notre ére. Le grand Sumérologue S.N.Kramer a examiné «Les Filles du roi de Mari»; ABDALLAH F «La femme dans le Royaume d'Alep au XVIII' siècle av. J-C.;ARTZI P.» The influence of political Marriages on the international relations of the Amarna- Age.

D'autres aspects de l'histoire de la femme ont été étudiés: Albenda

inhabitants, i.a a respectable densitiy (580 inhabitants per hectar, in Germany 90!). The houses are in good condition, well - aired. The inhabitants are middle and lower class: 28% shop - keepers, 24% craftsmen, 15% teachers and employees, 11% drivers, 9% factory workers, 13% butchers, a fact which is explained by the former vicinity of the slaughter - house. The women are mostly house - wives, 10% work at home spinning.

The oldest house according to the land - register nr. 2110/2111, is situated in the north - west of the area. It has two rooms in the ground - floor and three in the first floor (in the west). All rooms have the same size. It was built in 1700; on the iron - door is the date 1880.

Out of the 800 houses, there is only one without any modifications; it dates from the end of the Mamluke. period.
The buildings date from five different periods:

1) 1700 one floor, low rooms, thick walls, rough stone
2) 1750 one floor, lager rooms and windows, thinner walls
3) 1800 bay - windows, large distances between them, square stones
4) 1850 stonework is is more refined, the bay - windows are cuneiform (nr. 277, 1415)
5a) 1900 same windows, with iron grating, water- pipes in metal.
5b) 1900 windows are protruding from the walls, European influence, four to five floors.

were destroyed, damaged, reconstructed or newly constructed, and in the developomentof the town we can see phases of decline and flourishment. The house being the nucleus of urban life acts on the quarter, and the quarter acts on the whole town and vice versa. During its history the town and its houses have seen various epochs, the last being one of Western influence.

What we have tried toinvestigate, too, are the values of the inhabitants, to see how they live and how they want to live. Changes in family life react on changes in housing, changes in the houses act on the quarter, and the quarter acts on the town, and vice versa.

Out of four planned stays we have accomplished two, during which the following are achieved:

1. mapping of the whole area.
2. mapping of the condition of the houses.
3. mapping of 800 houses scale 1: 200.
4. documenting these houses by 600blacks whiteand 1500 colour photographs.

5. Opinion polls in the mentioned 800 houses with 20 questions about social condition, number of inhaitants, profession etc., moving into the quarts and moving out of them, research about land- lords in the archives (dating from Ottoman times) in order to see what kind of modifications had taken place.

A next important step will be the computer - aided scientific evaluation of the data.

An example is given in drawing 2, a part of the Bakraji quarter, 16th century, surface 1900 m2, 140 houses (11 empty), 2khans, 10 shops, 1 mosque, 1100

First report on our Work in the quater- east of Aleppo

Gaube & Gangler

Studies about Islamic cities up till now have often concentrated on the more spectacular (e.g. famous mosques, palaces etc.), that is why we focussed our interest on rather average and normal old town quarters and on the life of its inhabitants, their houses and their lanes.

The area we have studied lies outside the old wall of the town (s. map). It is characterised by a strong economic activity, which partly still takes place in old khans like khan El Akanji, khan Gaadan. In th eastern part of it shops prevail, and in the south craftsmen. The biggest market is that of El-Mahalla which begins at Bab El-Hadid and which is 1 km long. The surface of the whole area covers about 80% of the old Mdine of Aleppo. The social structures are organically grown from old days with of course the modern structures of administration, e.g. police station. It originally consisted of eight quarters: Abraj, Addods Garman, Khan El - Sabill, Ibn Nasser, Sajli khan El-Fawqani, S. El- Tahtani, Shaher Agha, counting 800 houses and 7000 inhabitants, 12 mosques, the most important being the Banqusa Mosque.

We have concentrated on this area since our French colleagues have worked outside the old wall in the north. The region they investigated is mixed, ours is totally Moslem, and it was inhabited longbeforeIslam as results from historical documentation.

The social and historical root of urban life in Aleppo is the house, a longinhearritedtradition valid for all parts of the town.The houses in the course of history

wood, stones, wine, olive oil, horses, honey, and these products appeared in the texts of Mari many times.

Mari played an important role in tin trade to Syria. It imported this metal from north west Iran and reexported it to the Syrian cities Aleppo, Karkemich, Qatna, Ugarit, Urshum, Hasor.

There were two routes between Syria and Mesopotamia: the first one went from Mari northwest, west to Ugarit at the coast of the mediterranean sea across Aleppo; and the second went from Mari to Qatna across Palmyra.

The Relations between Syria and Messopotamia in Eighteenth century B.C.

Dr. Aid mari

Univirsty of Damascus

There were Politcal and economic relations between Syria and Mesopotamia since the old ages. Edla was conencted with Mesopotamia by trade, military, and cultural relations in the second half of the third millennium B.C. The akkadion kings, Sharrukin and Naramsin, occupied northeren syria, but these military relations became peaceful relations in the following ages. Gudea, the ruler of Lagash, sent trade expeditions to Syria instead of military armies. Also economic, and political connections had been established between Mesopotamia and many Syrian towns in the period of III Dynasty of Ur.

In 18th century B.C. there were intensive political and trade relations betwween Syria and Mesopotamia. The archives of Mari tell us that yachdunlim, the King of Mari, marched with his army to the coast of the mediterranean Sea. But he occuqy north Syria for along time. His March had two aims: gain of the hard wood and the prestige.

Later on Yachdunlim was Killed by his servants in palace and Shamshiadad, the King of Assyria, occupied Mari. The crown prince Zimrilim escaped to Aleppo, the capital of the Kingdom of Yamchad. Twenty years later he came back to the throne the help of Yarimlim I., the King of Yamchad.

Mari lived under the rule of Zimrilim (1782-1759) the flourshed period of its history, as witnessed in the texts of ets Archives, that went back to his time. It played also an important political role and connected its politicl and economic relations with many states at that age, especially with the Syrian states: Yamched, Qatna, Karkemish, Gubla (Byblos), and Hasor.

Mesopotamia, especially Mari, imported from these Syrian regions hard

Cette unité linguistique qui caractérise les peuples de la région de l'ancien Proche - Orient et ceux du Nord et de L'Est de L'Afrique, et qui se manifeste par la lecture des sources historiques et des anciennes inscriptions archéologiques, cette unité exige l'existence d'une union culturelle et intellectuelle qui englobe différents aspects vitaux comme les dogmes, les religions, les traditions, et d'autres activités comme l'agriculture, le commerce et l'industrie.

* * *

ou bien š dans d'autres langues, le ḏ est prononcé d ou z; et le son z devient ṭ ou ṣ.

2 . La structure linguistique: c,est l'ensemble des formes phonétiques composées du subtantif, du verbe et de ce qui en découle comme modes et rythmes, connus sous le nom de de syntaxe et morphologie. La structure linguistique est un élèment essentiel dans l'appartenance de langues sémitiques à une origine commune, soit par la conjugaison des verbes, soit par la formation des noms ou par la dérivation.

3 . La racine : C'est l'origine des phonations dans la langue et la matière essentielle.

En egénéral la racine est trilittère, mais il existe quelques phonations bilitères trés anciennes comme: dm (dam) ,ab, ʿm (am), ism, um ('m).

sang père oncle nom mère.

4. La déclinaison: c'est l'accentuation des fins des mots par des accents qui indiquent la situation du mot et sa fonction dans la phrase. La langue arabe a consenvé ce phénomène jusqu'a l'apparition de l'islam, et c'est grâce au Coran que ce phénomène existe de nos jours dans la langue classique, tandis que l'arabe dialectal usuel ne tient pas compté de la déclinaison . A part l'arabe, d'autres langues comme le latin, le russe et l'allemand ont aussi connu ce phénomène mais d'une façon différente decelle de l'arabe.

5. Les phonations essentielles communes: ce sont les phonations fondamentales dans la vie des peuples, elles touchent leur vie à plein comme celles qui expriment la parenté, les animaux, les plantes, les organes du corps humain, les verbes; les pronoms nominatifs, les nombres, les démonstratifs, et quelques lexiques fondamentaux.

La langue arabe et ses relations historiques et linguistiques.

Prof. Dr. Ahmed Hebbo

Les chercheurs sont unonimes sur le fait que la langue est un des facteurs les plus importants dans la création des nations; elle a même la primauté sur les autres facteurs tels que le passé historique commun et la religion. La langue arabe contemporaine est celle de tous les pays arabes, elle est la langue parlée et écrit de cette nation.

Malgré ramification en dialectes régionaux il n'est certes pas difficile de la remonter à son origine qui est l'arabe classique et qui fait partie d'un groupe de longues huma... ~ conventionnellement connues sous le nom de «Langues Sémitiques».

La rivalité et la lutte des cultures a causé la disparition d'un bon nombre de ces langues tandis que d'autres ont pu occuper une place importante parmi les différentes langues des peuples, arrivant ainsi à devenir d'une part la langue unique de leur région et d'autre part être la langue du commerce international et la langue diplomatique reconnues dans l'histoire ancienne.

Les langues sémitiques sont toutes identiques; elles se distinguent des autres langues humaines par les caractéristiques suivantes.

1 . Les sons: La comparaison phonétique confirme l'existence à un moment donné de l'histoire, des mêmes sons dans toutes les langues sémitiques. Avec le temps, quelques - uns de ces sons ont disparu suite à certaines circonstances dont les plus importantes étaient le contact et la coexistence avec d'autres peuples, en plus de la loi de l'évolution linguistique qui exige et entraîne des modifications de phonation des sons: le ṯ arabe est prononcé s

loum,El-Seffehié,Bab Kennissrine etc.) La canalisation dans ces différents quartirs avec ses nombeuses ramifications, ressemblait aux artères dans le corp humain. Elles nourrissaient les maisons, les hammams, les mosquées, les khans etc., coulant dans des tubes en terre cuite de 10 cm de diamèter et d'une longueur de 30 cm reliés les uns aux autres par une matière adhésive spéciale appelée Milat (ciment).

Les Taléh ou colonnes d'équilibre:

Pour assurer la distribution de l'eau équitablement aux bénéficiaires des colonnes d'équilibre ou de contrôle étaient dressées à l'entrée des quartiers acculés au mur et sur une hauteur approximative de deux métres où le Qanawati, l'homme chargé par l'institution du qanayé de surveiller la distribution de l'eau, ouvrait ou fermait l'ouverture d'eau en fonction des droits des ayant-droits. La quantité d'eau et le temps d'écoulement sont établis dans des jugements rendus par le Tribunal charii d'Alep. Le qanayé alimentait bénévolement tous les kastals ou fontaines publiques dressés dans la plupart des quartiers de la ville et qui au début de ce siècle comptaient plus de 94 Kastals.

Le qanayé d'Alep représente pour nous une fameuse réalisation technique que nos pères ont accompli dans les temps passés dans le domaine du captage, de l'adduction et de la distribution de l'eau. C'est un ouvrage pionnier dont nous devons nous vanter et veiller à sa sauvegarde.

qanayé arrivait à la chambre d' emmagasinemennt où l'eau était purifiée par un procédé physiologique et chimique. Près de ce dépot on voit encore les restes de la canalisation assyrienne sculptées dans le roc.

Le qanayé se dirigeait vers la ville d'Alep passant par Machhad El - Afié puic par le village de Béedin, dans des canalisations maçonnées à ciel ouvert ou souterraines La canalisation principale pénétrait en ville à son plus haut niveau dans l'angle nord-est des murailles de Bab El - Hadid.

Le réseau du quanayé hors des murailles d'Alep:

Avant d'arriver à Bab El - Hadid la canalisation principale du qanayé se répartit en plusieurs ramifications qui assuraient l'eau aux régions hors des murailles, chaque canal secondaire portait dans la nomenclature le nom de Nizam et dont l'appellation est attribuée à l'émir ou au personnage qui avait ordonné ou financé sa construction.

1 - Nizam Berd bey, 2 - Nizam Ali bey, 3 - Nizam Ezzedine.
4 - Nizam El Kattaneh, 5 - Nizam El Maraachli.
L'eau qui coulait dans des canaux souterrains passaient souvent sous les bâtiments qui avaient le droit d'en puiser.

Le réseau du qanayé à l'intérieur de la vieille ville:
La principale artére du qanayé se dirigeait de Bab El-Hadid à la mosquée de Mustadamié où un déversoir de pierre noire basaltique dirigeait le tiers de la quantité d'eau vers quatre canaux secondaires «addanat» nourissant les quartierrs sud-est de la ville (Bab El-Makam, Kala't El-Charif, Bab En-Nerab) et les deux tiers dans la direction du quartier El-Farafra et Harat El-Qanaouat Pour alimenter la citadelle d'Alep et les quartiers limitrophes (Kastal El-Hajjarine, Bahsita,El-Banadara, La grande mosquée Omayade,quartier El-Jal-

La technologie du quanayé:

La quantité moyenne des pluiesdans la région de Heilan est entre 350 et 400 mm. Il y avait des ressources d'eau souterraine importantes sises prés du lit du fleuve kouek (Chalus).

Les sources de Heilan étaient localisées dans trois bassins (berkés):

1 - Berké er-Racheh: la plus grande berké d'une superficie de 2099m^2 de forme rectangulaire s'étendait du nord au sud en forme de chapelet encastrée d'un mur de 3 mètres de hauteur avec quatre ouvertures pour infiltration de l'eau. Audessous du lit de berké un réseau maçonné doté d'ouvertures dans lesquelles passait l'eau pure après la déposition de ses matières étrangères sur le lit de la Bérké, se dirigeait vers le sud avec un débit de 18 à 70 litre / sec.

2- Berké El-Abed ou Nenuphar: cette berké en forme de cercle d,une superficie de 450 m^2 était encastrée par un mur de pierre d,une hauteur de 4 mètres. Cette bérké recevait dans le temps le tiers des eaux pures du Kouek. Les eaux de cette berké s'écoulaient dans le réseau principal du qanayé avec une débit de 12 à 18 litre / sec.

3 - Berket El - Khalil: la plus petite des berkés d'une superficie de 350 m^2 de forme ronde était entourée d'un mur en pierre.
L'eau en sortait par un canal secondaire qui débouchait dans la canalisation principale avec un débit de 14 à 24 litre / xec.
Sorti de ses sources le qanayé coule 400 m sous terre puis arrivant à une vanne distributrice mouvante, continue son cours dans une canalisation découverte pour arroser les jardins qui lui sont limitrophes. La prise d'eau se faisait par le charrac (absorbant) système de vases communicants. Puis le

L' historique du Kanayé

Les assyriens puis les perses dejà au premier millénaire avant le Christ avaient organisé en Syrie le captage, l'adduction et la distribution des eaux. Système qui a été repris et amélioré aux temps classiques au troisième siècle avant le Christ Sous Séléucus Nicator qui avait ordonné l'adduction de l'eau du Kanayé jusqu'à l'agora place publique mise au millieu de la ville. Al'époque arabe islamique le réseau du qanayé a été restauré sous les Omayades et étendu au temps de Nour Edine jusqu'aux portes d'Antioche et de Kennessrine. Le roi Zaher Ghazi fils Salah Ed - Dine a entrepris les travaux de réfection des réseaux du qanayé depuis les sources de Heilan jusqu'à leur pénétration en ville du côté de la porte du qanayé (la Porte El - Hadid) tout en y assurant des ouvertures d'aération et d'épuration,

Il a pu ainsi élargir les réseaux dans la vieille ville et du fait construit beaucoup de hammams et de kastals, entreprise bénéfique qui a relevé le niveau hygiénique et social des habitants d'Alep.

Les sources de Heilan (étant) assez maigres pour satisfaire les besoins de la ville d'Alep, Soudoun El - Nassiri gouverneur d'Alep (713 He/1313 A. D.) a entrepris l'adduction des eaux du fleuve Es - Sajour jusqu' au koueik et jusqu'à la prise de qanayé. L'emir Arghoun El - Nassiri a continué cette entreprise puis plusieurs tentatives de restauration et d'élargissements du réseau furent enterprises soit par Berd. Bey ou par Naassan agha ou par l'autorité Ottomane jusqu'au début de ce siécle où avec l'agrandissement d'Alep les eaux du qanayé n'arrivaient plus à satisfaire les besoins les plus urgents d'Alep, le gouvernement a eu alors recours d'abord aux eaux de Ain Ettel puis en 1955 aux eaux de l'Euphrate.

Le Qanayé de Heilan
qui fut l'E uphrate d'Alep dans les temps passés

D. r. Abdul Hadi Nassri

President de la Société

Archéologique

Sommaire

Personne n'ignore l'importance de l'eau pour les habitants du Proche Orient et principalement pour ceux d' Alep qui en étaient assez privé, de sorte que les habitants de ces contrées ont particuliérement adoré les dieux qui les gratifiaient des pluies: Les dieux Baal, Baal Chamine, Adad dieu de la ville d'Alep.

Le qanayé d' Alèp fut longtemps à travers les siècles passés ce que l'Euphrate est aujourd' hui pour Alep.

Linguistiquement le mot Kanayé provient du mot akadien Kana qui veut dire roseau et probablement le mot canalis latin en provient.

Quant à Heilan, C'est un petit village sis à une douzaine de Kilomètres au nord d'Alep. C'était le centre des quelques sources qui alimentaient le Kanayé. D'aillaurs plusieurs historiens ont considéré hailan comme étant la source nourricière du Kanayé et l'ingénieur Dr. Soubhi Mazloum lui a consacré son principal ouvrage:

«L' ancienne canalisation d'eau d'Alep - Le qanayé de Heilan»

le dieu te rendre mûr ! Toutes les idées qui se présentent à toi, séance tenante, de tout ton coeur, tu les écris». Et Išme - Dagan de lui rappeler l'une ou l'autre de ses interventions intempestives auprès du roi.

Il est peu probable que les conseils de son frère ou les récriminations acerbes de son père aient modifié le comportement de Yasmah - Addu. Je ne doute pas que La Bruyère (4) aurait eu plaisir à étudier ces trois «caractères» que je viens seulement d'esquisser.

Notes

1) Voir W.G. LAMBERT, Babylonian Wisdom Literature **(Oxford, 1960), 139 -149.**

2) Cette lettre a été complété par un joint et l'ensemble a fait l'objet d'une étude de J.-M. DURAND dans MARI 5 **(1987), 159-167.**

3) voir **MARI 5** (1987), 172-177, et mes observations dans **NABu** 1988/50.

4) Célèbre moraliste français (1645-1696;, auteur des «Caractères».

lettres. Le sentiment de l'ainé vis -à - vis du cadet recoupe le jugement de leur père: le vice - roi de Mari se comporte en enfant. Aussi son ainé lui a - t - il propose de contrôler toutes les requêtes que Yasmah - Addu adresserait au roi : «N' écris pas au roi. La région où je réside est proche (de la capitale.) La chose que tu as l'intention d'écrire au roi, écris - la moi pour que moi - même je te conseille la tactique appropriée» IV 70, 46 - 50).

Ainsi lorsque Yasmah - Addu souhaitait obtenir du roi autorité sur une ville du Nord - Ouest, son frère, Išme - Dagan, lui écrit ceci: «Au sujet de la demande au roi de Šubat - Šamas dont tu m'as écrit, une fois (déjá) tu m'avais fait porter une tablette et une réponse à ta tablette je t'avais fait porter. Maintenant, une seconde fois, tu m'as fait porter une tablette. Ta demande de Šubbat - Šamas ne convient pas. Car, auparavant, le roi S'est fâché contre toi en disant: «pourquoi, jusqu'á présent, n 'as - tu pas (encore) affermi les fondements de Mari et de Tuttul? - C'est pourquoi la demande Šubat - Šamas ne convie nt pas. Si tu demandes Šubat - Šamas, le roi parlera ainsi: - les fondements de Tuttul, il ne les pas (encore) affermis, et il demande Šubat - Šamas! - Il te tiendra des propos à ne pas dire !» (IV, 27).

Si Yasmaḥ - Addu a suivi les conseils de son frère, ce n'est pas de gaité de coeur, comme on le devine par d'autres passages (IV, 27, 30 - 38; 86, 48, - 54). Et pourtant Išme - Dagan avait de l'affection pour lui, et tentait de lui éviter les éclats de colère du roi, tout en ne se faisant guère d'illusions sur les qualités politiques ou diplomatiques du vice -ROi- de Mari. Ce dernier avait déploré la nomination, vraisemblablement par le roi lui - même, d'un gouverneur de district. Les invectives de son frère sont venues aux oreilles d'Išme - Dagan, qui lui écrit ceci (IV, 70): «pourquoi t'es - tu lamenté à ce sujet? Et pourquoi cela sort - il de ta bouche? Ce n'est pas grand! Que pourrais - je t'écrire de plus? ... Tu habites une région lointaine et il n'y a pas beaucoup de personnes à séjourner chez qui puissent te conseiller sur ces choses. Quant à toi, puisse

S'adresse à son père, qu'il appelle Addâ, terme de déférence et d'affection, de la manière suivante: «J'ai entendu la tablette qu' Addá m'a fait porter. Elle s'exprime ainsi: - jusques - à - quand devrons - nous te conduire sans cesse? Tu restes petit. Tu n'es pas un homme. Il n' y a pas de poil á ton menton. Jusques - à - quand ne gouverneras - tu pas ta maison? Ne regardes - tu ton frère qui dirige de vastes armées? Quant à toi, gouverne ton palais et ta maison - . Voilà ce qu'Addâ m'a écrit. Comment, á présent, suis - je petit et incapale de diriger, bien que ce soit Addá Lui - même qui m'ait promu et que ma désignation ait été prononcée par sa proche bouche? ... Comment se fait -il que, maintenant, des serviteurs aient entrepris, une fois deux fois, de me faire sortir du coeur d'Addá bien que, depuis mon enfance, j'aie grandi en présence d'Addá? Et jusqu'à maintenant le visage d'Addá reste sombre(?). A cause de cela, on m' attaque, et je ne puis ni [voir] Addá ni diriger les serviteurs. Lorsqu'enfin je pourrai [me rendre] chez Addá, je parlerai ainsi : - je viens chez Addà lui exposer le chagrin [de mon coeur] ... (I, 108). Le reste du document est presque totalement perdu.

Quant à la lettre I 113, qui était trés fragmentaire, J. - M. Durand a pu lui adjoindre trois fragments qui permettent d'en lire plus de soixante lignes (3) Yasmah - Addu Y développe les mêmes arguments que dans le document I 108, mais en manifestant sa hargne contre son frère qu'il appelle, sans doute par dérision, «Monseigneur, et en attribuant á l'influence de sa belle - soeur la désaffection que lui marque à présent son père. Ces détails importants figuraient aussi peut - être dans la partie perdue de la lettre I 108, de même que les reproches qu'il adresse au roi concernant les conseillers que ce dernier lui avait promis et qu'il n'a pas envoyés nombre suffissant ou bien qu'il a repris.

Les deux frères Išme - Dagan et Yasmah - Addu, échangent également des

ces hommes! De plus ils ne cessent pas de recevoir régulièrement leurs rations!»

Des tributaires d'Ešnunna sont gardés, sans doute en otage, à Mari. Yasmah - Addu les a pris en pitié; il veut leur faire oublier leur pays et les pourvoir d'un poste au palais. Il s 'en ouvre á son pére qui lui rappelle que ce sont des fils de roi et qu'ils ont du renom. Il conclut en écrivant: «Il n'est pas question de relâcher. Qu'ils soient retenus de même manière qu' auparavant!» (I, 76).

Bref, Yasmah - Addu'n a aucune des qualités de son père, politique avisé et administrateur économe. Concernant une expédition qu'il doit conduire, sans doute à Qatna, il me se soucie pas de choisir avec soin l'itinéraire lemiewx adapté, ni de prendre conseil auprés de ceux qui en ont l 'Expérience. Qu' il discute donc de l'affaire avec des conseillers compétents et qu'il cesse de se conduire en enfant! (I 85) (2)

C' est un thème sur lequel il revient. A propos de la nomination toujours postposée d'un fonctionnaire essentiel pour l'administration de Mari, il érit á son filș: «Tu restes petit. N'y a - t - il pas de poil à ton menton? En ton âge de plénitude tu n' as pas encore fondé de maison» . Et il ajoute à propos du poste à pourvoir: «Si un chef d'administration n'a pas donné d'instructions pendant deux ou trois jours, l' administration, ne. périt - elle pas? pourquoi en ce jour même ‹le jour de la mort du titulaire› n' as - tu pas commis une personne pour cette fonction? » (I, 61).

Ces griefs affectent Yasmah - Addu. On a retrouvé dans les archives du palais deux documents dans lesquels il tente de se justifier. Ils sont fort similaires et on a pu se demander s'il ne s'agissait pas de l'élaboration de brouillons pour une missive qu 'il' n a peut - être jamais envoyée. jusqu'ily a peu, la lettre I 108, dont on a conservé environ la moitié était la plus explicite. Yasmah - Addu

cet homme s'était rendu chez un marchand de bois et, en soulevant une poutre de cèdre, il s'était luxé la hanche. Prétexte futile pour le roi qui écrit à son fils: «parfait ! Mais le fait qu'il se luxe la hanche l' empêche - il de monter sur des ânes?»

A l'occasion de la préparation d'une campagne militaire, il avait chargé son fils ainé, Išme - Dagan, d'écrire á Mari qu'il fallait mobiliser les soldat d'élite. Išme - Dagan a oublié le faire. C'est néanmoins Yasmah - Addu qui est pris à partie par son père (I 31): «Išme - Dagan a oublié de t'écrire au sujet de la mobilisation des soldats d'élite qui sont chez toi. Bon! Mais si ton frère a oublié de t'écrire ... pourquoi ne t'es pas dit ceci: - une expédition est en préparation. Les soldats d'élite qui sont chez moi, pourquoi Y restent - ils? Ils sont à rien. Il faut que je les envoie - pourquoi n'as - tu pas compris cela ?»

Šamši - Adad reproche à son fils cadet de manquer de maturité. Il adopte volontiers un ton sentencieux et, comme l'esclave du «dialogue pessimiste», il aime citer des proverbes quand il donne ses directives. Un gouverneur de district demande des hommes au roi. Celui - ci écrit à son fils à Mari, qui avait peut - être été sollicité d' abord : «Allons - nous faire comme les Turkkéens qui éveillent le dormeur, mais ne donnent pas de ration à celui qui attend? Maintenant, nous, allons - nous procéder de même? A celui qui n' a pas de blé et qui n'a pas demandé d'hommes, allons - nous lui donner régulièrement des hommes A celui qui a du blé et qui a demandè des hommes , allons - nous ne pas lui donner d'hommes?» (I 16).

Le pauvre Yasmah - Addu a retenu à Mari des envoyés de la ville de Qatna, en route vers le roi. Il s'attire de cinglants reproches (I, 15): «Ta présente conduite est admirable! Tu as retenu jusqu'á maintenant les envoyés de Qatna. pourquoi les as - tu retenus? parce que tu les as retenus, vont - ils rester couchés? Envoie - les moi. Tu n'es pas capable de débrouiller ton palais, et tu as retenu

pelle une fuite, mais où je' pense qu'on ne peut voir qu'un «détachement» fort convoité. Le roi d'Assyrie se plaint avec hargne dans une lettre difficile à comprendre exactement et mal conservée, du gaspillage, à Mari, des «derniers de l'état» (I,28): «Un médecin et 5 cuisiniers se sont enfuis chez toi». IL semble qu' ils y aient retrouvé d'autres fonctionnaires, également en fuite. Yasmah - Addu les a pourvus d' un poste à Mari, mais ils ne travaillent guère et ne font que mener grand train. «C'est uniquement, lui écrit le roi, pour s'amuser dans la maison de la cabaretière qu'ils vont chez toi». Ils ne se -lient á aucune autorité, mais cependant Yasmah - Addu les entretient: «Que leur donnes - tu? Tu leur donnes de l'argent ou l'orge. Aquoi sert ton argent et ton orge que tu leur donnes? Maintenant donc je t'envoie Išme - Adad. Ces hommes saisis - les, mets - leur des menottes et qu'on leur lie les bras sur le dos (?). Renforce leurs gardes et qu'on les ramène chez moi! Où que je me trouve, qu'on me les conduise! Et dorénavant, tous ceux qui s'enfuiraient encore chez toi, avant même que je ne t'écrive, enchaine - les et fais - les reconduire chez moi!».

Dans une autre lettre, trés fragmentaire (I, 52), le roi s'irrite vivement du souhait de son fils d'avoir de l'argent pour acheter des esclaves et organiser des fêtes. Il lui rappelle, comme souvent d'ailleurs, qu'il faut d'abord affermir les fondements de Mari et il ajoute : «Pour le service de la table qu'on s'en tienne à ceci : ne fais pas servir de mets ridicules, mais qu'on mange toujours des mets honorables». Il s'en prend encore á son fils à propos de sa collusion avec un gouverneur de province aux agissements douteux (I 73) et il ironise : «Y a - t - il une mine d'argent dans son district?

La patience n'est certes pas le trait dominant du caractère de Šamši - Adad: les ordres qui' il donne doivent étre exécutés sans tergiversation. Il n' admet aucune excuse. Il avait fixé rendez - vous dans sa capitale à un envoyé de Dilmun de passage à Mari et que Yasmah - Addu devait lui dépêcher (I 21). Or

montrer que ce type d'humour caustique se trouve déjá là où on ne l'attendrait guère: dans la correspondance du roi Šamši - Adad d'Assyrie avec son fils yasmah - Addu. Au cours du 18e siécle avant notre ére, l'Assyrie a conquis et conservé peut - une vingtaine d' aannées le royaume de Mari sur le Moyen - Euphrate. Le conquérant avait placé sur le trône de Mari son fils cadet yasmah - Addu, en qui il n'avait cependant qu'une confiance fort limitée. S'il lui adressait un message important, il ne manquait pas de stipuler que cette missive devait lui être lue en présence de certains conseillers dont il citait les noms et qu'il avait peut - être apostés lui - même. Qu'on ne s'étonne pas de cet usage: les rois ne s'embarrassaient guère de pratiquer les cunéiformes, et le message que Šamši - Adad avait dicté à son scribe, c'est un scribe de Mari qui le lisait au prince.

Le fils ainé du roi d'Assyrie, Ĩme - Dagon, dont le père faisait grand cas, détenait un gouvernement en Assyrie même et ne cessait de conduire des expéditions militaires qui lui valaient beaucoup de renom. En revanche, le fils cadet Yasmah - Addu, bien qu' il ait été chargé par son père d'administrer les marches occidentales du royaume, exposées á la pression des nomades à celle du puissant état de Yamhad, á l'Ouest,dont la capitale était Alep, ne semble pas avoir développé de grandes qualités guerrières. Certes, il lui est arrivé de conduire ses troupes au combat, mais il préférait les plaisirs de la table et la compagnie féminine. A la vive indignation de son père qui ne cesse de lui donner des directives et de lemorigéner. Que n'agit - il comme son frère! «Tandis que ton frère, ici, a remporté la victoire, toi, là - bas, tu restes couché au milieu des femmes! Maintenant donc, quand tu iras à Qatna avec les troupes, sois un homme! De même que ton frère s'est fait un grand nom, de même, toi, dans ton pays, fais-toi un grand!» **(ARM)** 1 69,8'-16').

La vie est plus gaie à Mari qu' en Assyrie les fonctionnaires délaissent - ils volontiers la capiale pour la province. C'est ce que le roi Šamši - Adad, irrité, ap-

LA CAUSTICITE DE ŠAMŠI - ADAD I D'ASSYRIE *

André Finet

I I existe dans la littérature akkadienne une oeuvre sans paralléle, qui est un monument d'humour noir. On l'a appelé le «dialouge pessimiste» - je me demande bien pourquoi, car on a constaté depuis longtemps que tout est vanité dans la vie. C'est un dialogue entre un maitre et son eslave, émaillé de proverbes, qui, comme chacun sait, louent aussi bien le blanc que le noir. Le maître appelle son esclave et lui fait part de ses projets. Le serviteur les trouve excellents. Sur quoi le maitre se ravise; tout aussitôt l'escave lui énumére les bonnes raisons qu'il a de renoncer à son dessein. Une strophe,à titre d'exemple (1)

- «Esclave, écoute - moi ! - voilà, mon seigneur, voilà !
- Je veux faire une révolution ! - Fais - la, mon seigneur, fais-la !

Si tu ne fais pas une révolution, qui te revétira d'un habit? Qui sera d'humeur à te remplir le ventre?

- Eh non, esclave, je ne veux pas faire de révolution!
- [Ne la fais pas, mon seigneur, ne la fais pas!].L'homme
qui fait une révolution, ou bien il est tué, ou bien il
est écorché, ou bien on lui arrache les yeux, ou bien il
est arrêté, ou bien il est jeté en prison!»

Mon intention n'est pas de faire l'exégèse de ce plaisant document, mais de

* Les textes de Mari sont cités par le n
du tome la série des Archives Roavles de Mari **(ARM)**, puis du no du document dans ce tome, Et
° enfin,s'ily a lieu, de L'indication des lignes.

Arnold, Werner: Lehrbuch des Neuwestaramäischen. Wiesbaden 1989.

Bergsträsser, Gotthelf: Glossar des neuaramäischen Dialekts von Ma^{c}lūla (AKM vol. 15 no. 4). Leipzig 1921.

Correll, Christoph: Untersuchungen zur Syntax der neuwestaramäischen Dialekte des Antilibanon (Ma^{c}lūla, Bax^{c}a, Ǧubb ^{c}Adīn) (AKM vol. 44 no. 4). Wiesbaden 1978 .

Garbell, Irene: The Jewish Neo-Aramaic Dialect of Persian Azerbaijan. The Haugue 1965 .

Hetzron, Robert: The morphology of the verb in Modern Syriac (Christian Colloquial of Urmi). In :JOAS 89 (1969)p. 112 - 127.

Hobermann, Robert D. : The Syntax and Semantics of Verb Morphology in Modern Aremaie. A Jewish Dialect of Iraqi Kurdistan. New Haven 1989 .

Jacobi, Heidi: Grammatik des thumischen Neuaramäisch (Nordost-syrien) (AKM vol. 40 no. 3). Wiesbaden 1973.

Jastrow, Otto: Laut-und Formenlehre des neuaramäischen Dialekts von Mīdin im Ṭūr ^{c}Abdīn. 3rd enlarged ed. Wiesbaden 1985.

Jastrow, Otto: Der neuaramäische Dialekt von Hertevin (Provinz Siirt) (Semitica Viva, 3). Wiesbaden 1988 .

Krotkoff, Georg: A Neo-Aramaic Dialect of Kurdistan: Texts, Grammar and Vocabulary

Odisho, Edward Y. : The Sound System 0 Modern Assyrian (Neo-Aramaic) (Semitica Viva, 2). Wiesbaden 1988.

Macuch, Rudolf: Handbook of Classical and Modern Mandaic. Berlin 1965

Ritter, Helmut: Ṭūrōyo. Die Volkssprache der syrischen Christen des Ṭūr ^{c}Abdin. A: Texte vol. 1–3,. Beirut 1967–71. B.: Wörterbuch. Beirut 1979.

Sachau, Eduard: Skizze des Felliḫi-Dialekts von Mosul. Berlin 1985.

Sara, Solomon I. : A Description of Modern Chaldean. The Hague 1974.

Spitaler, Anton: Grammatik des neuaramäischen Dialekts von Ma^{c}lūla (Antilibanon) (AKM vol. 23 no. 1) Leipzig 1938.

Tsereteli, Konstantin G. : The Modern Assyrian Language. Moscow 1978.

the history of Aramaic and the land of Syria have been intimately connected. Today Syria is privileged by the existence of three different Neo-Aramai maic languages on its territory; Turkey has only two, namely Ṭūrōyo and Ashūri, while in Iraq and Iran only various dialects of Ashūri are found. Thus no other Near Eastern country can bost an Aramaic heritage as rich as that of Syria. Therefore, the Neo-Aramaic languages of Syria should be regarded as part of the cultural tradition of the country. They should continue to be investigated and they should enter the university curricula in such fields as Arabic language, Semitics, and Ancient History. Most important, however, these languages should be put on the same level as the tthe magnificent archaeological remains of the country and every effort should be made for their preservation.

(11)		Ṭūroyo	Ashūri	
3 sg	m	*ḥzēle*	*xzēle*	he saw
	f	*ḥzēla*	*xzēla*	she saw
pl m–f		*ḥzalle*	*xzēle (n)*	they saw
2 sg	m	*ḥzēlux*	*xzēlox*	you saw
	f	*ḥzēlax*	*xzēlax*	you saw
pl m–f		*ḥzalxu*	*xzēlōxu (n)*	you saw
1 sg		*ḥzēli*	*xzēli*	I saw
pl		*ḥzēlan*	*xzēlan*	we saw

In most dialects of Ashūri the consonant cluster / *xz* / in this verb is assimilated to /*ġz*/, thus *gzēle* , *gzēla* etc. are more common.

The same true for the old prefix tense which has also been preserved only in the Neo- Aramaic of Maᶜlūla and, again, shows a remarkable similarity to the older Aramaic conjugation, as can be shown by a comparison with Classical Syriac:

(12)		Maᶜlūla	Syriac	
3 sg	m	*yikṭul*	*neqṭol*	he may kill
	f	*čikṭul*	*teqṭol*	she may kill
pl	m	*ykuṭṭun*	*neqṭlūn*	they may kill
	f	*ykuṭlan*	*neqṭlān*	they may kill
2 sg	m	*čikṭul*	*teqṭol*	you may kill
	f	*čikṭul*	*teqṭlīn*	you may kill
pl	m	*čkuṭlun*	*teqṭlūn*	u you may kill
	f	*čkuṭlan*	*teqṭlān*	you may kill
1 sg		*nikṭul*	*eqṭol*	1 may kill
pl		*nikṭul*	*neqṭol*	we may kill

Conclusion

In the beginning of this paper we have poihnted to the close bonds that exist between Syria and the Aramaic language. For the last 3000 years,

(9) present tense :

ḳōṭel "he is killing, he kills" < *qāṭel*

past tense :

iḳṭal "he killed" < *qṭal*

perfect tense :

iḳṭel "he has killed–has killed–has been killed < *qṭīl*

future tense–subjunctive :

yiḳṭul "he will–shall–may kill" < *yiqṭol*

The past tense in Maᶜlūla Neo-Aramaic is still conjugated as a suffix tense like in older Aramaic, as can be seen from the comparison with Classical Syriac :

(10)		Maᶜlūla	Syriac	
3 sg	m	*iḳṭal*	*qəṭal*	he killed
	f	*ḳaṭlaṯ*	*qəṭlaṯ*	she killed
pl	m	*iḳṭal*	*qəṭal* (*ū*)	they killed
	f	*iḳṭal*	*qəṭal*	they killed
2 sg	m	*ḳaṭlič*	*qsṭalt*	you killed
	f	*ḳaṭliš*	*qəṭalt* (*ī*)	you killed
pl	m	*ḳaṭličxun*	*qəṭaltōn*	you killed
f		*ḳaṭličxen*	*qəṭaltēn*	you killed
1 sg		*ḳaṭliṯ*	*qəṭleṯ*	I killed
pl		*ḳaṭlinnaḥ*	*qəṭaln*	we killed

It must be emphasized that no other Neo-Aramaic language (with the possible exception of Modern Mandaic) has preserved this type of past tense from old Aramaic times. Instead, the past tense both in Ṭūrōyo and Ashūri is expressed by a completely different construction which is based on the old past particle *qṭīl* "killed". The subject in this verbal construction is expressed by the preposition *l*– with a pronominal suffix, eg. * *qṭīl* + *l–eh* "killed is by him", that is, "he killed". To illustrate this type of conjugation, here is the past tense of the verb "to see" (root **ḥzy*) in Ṭūrōyo and Ashūri; the forms are baszed on the past participle *ḥzē*– ~ *xzē*– "seen".

(the older absolutus) and definite (the older emphaticus). In the plural adjectives still have different forms for both genders. Thus, out of an older paradigm of twelve forms, eight have been preserved in Maᶜlūla, e. g. :

	indefinite	definite	
(7) sg. masc	*izʕur*	*zʕōra*	*small*
sg. fem.	*zʕōr*	*zʕōrča*	
pl. masc.	*zʕūrin*	*zuʕrō*	
pl. fem.	*zʕōran*	*zuʕrōṯa*	

In Maᶜlūla the substantive does not retain the same two states of definiteness vs. indefiniteness but, like in the Ṭūrōyo and Ashūri languages cited above, rather has a single form which goes back to the older status emphaticus, e.g. *payṯa* "hous", cf. Ṭūrōyo *bayto*, Ashūri *bēṯa*~*bēṯa*. However definiteness or indefiniteness of a noun in Maᶜlūla Neo - Aramaic can be expressed by combining il with the respective forms of an adjective, e.g.

(8)	*psōna izʕur*	a small boy
	psōna zʕōra	the small boy

The preservation of a large portion of the original system of noun states in Maᶜlūla Neo-Aramaic no doubt is an extremely archaic feature which is not found in any other Neo-Aramaic language of today.

3. *Morphology of the Verb*

As in the case of the noun, an examination of the morphology of the verb again shows very clearly that the Maᶜlūla language is much more conservative than the other Neo-Aramaic languages. Older Aramaic had the same system of two inflected verb paradigms which is still found in Arabic today: a so-called suffix tense or perfect (*qtal–t*) and a prefix tense or imperfect (*ti–qtol*). In later stages of Aramaic increasing use was made of the active participle (*qāṭel*) to express action in progress (*šāmeʕ* "he is hearing") while the passive participl *qṭīl* or the related *qaṭṭīl* was used to express a resultative or perfective aspect (*sammiʕ* or, with a different construction, *šmīʕ* leh "he has heard"). Thus during the Middle Aramaic period the older perfect-imperfect system gave way to a more complex system of four tense–aspect categories. Exactly this system has been preserved in Maᶜlūla, e.g.

*ṯ > š; in other dialects, intervocalic *ṯ has been dropped altogether. Thus for Ashūri *māta* "village" the following dialectal variants can be found: *māṯa* ~ *māša* ~ *mā*.

2. *Morphology of the the Noun*

In both noun und verb morphology the Maᶜlūla language proves to be far more archaic than the remaining Neo-Aramaic languages. In noun morphology this can be shown by a discussion of the so-called "states" of the noun. In older Aramaic the noun has three states: *status absolutus, status constructus and status emphaticus*. The status absolutus is the form of the indefinite noun (" a man"), the status constructus is the form of the first noun in a genetive construction, and the status emphaticus, an innovation of Aramaic, originally has a deictic function ("that man") which later is weakened to the function of definiteness ("the man"). Together with the respective singular–plural and masculine–feminine alternations a complete paradigm of the noun thus comprises twelve forms. To illustrate this point, here are the respective forms of Classical Syriac (from the adjective *bīš* – "*bad*"):

	Aabsolutus	constructus	emphaticus
(5) sg. masc.	*bīš*	*bīš*	*bīšā*
sg. fem	*bīšā*	*bīšaṯ*	*bīštā*
pl. masc.	*bīšīn*	*bīšay*	*bīšē*
pl. fem.	*bīšān*	*bīšāṯ*	*bīšāṯā*

In Neo-Aramaic both the absolutus and the constructus have survived only in a few fossilized constructions, and the older emphaticus has become the normal form of the noun. Adjectives have only a common plural for both genders. Thus out of a paradigm of twelve forms only four for nouns and three for adjectives survive in most present- day Aramaic dialects, e.g. :

	Ṭūrōyo	Ashūri	
(6) sg. masc.	*zʕūro*	*sōra*	small
sg. fem.	*zʕurto*	*sorta*	
pl. masc. – fem.	*zʕūre*	*sōre*	

Only tho Maᶜlūla language has preserved a much larger portion of the older system. Adjectives still distinguish between two states: indefinite

b) A prominent feature which has already surfaced in some of the above examples is the treatment, in Neo-Aramaic, of the Aramaic long vowel *ā*. In Ashūri this vowel has preserved ist original quality whereas in the two other languages it has been shifted to ō. However, there is an important difference to be kept in mind: In Ṭūroyō, Aramaic *ā* has been shifted to ō in all positions, that is, in stressed and unstressed syllables, whereas in Maᶜlūla the vowel shift has occurred only in stressed syllables. Compare the following data (all stressed on the first syllable) :

(3)	Maᶜlūla	Ṭūroyo	Ashūri	
	ḥmōra	*ḥmōro*	*xmāra*	*donkey*
	sōba	*sōwo*	*sāwa*	*old*

The unstressed final vowels are now short in all the varieties but the vowel shift (or preservation) is still clearly observable. Incidentally, *sōba* in Maᶜclūla is no longer used in the original meaning "old", but only in the meaning of "mayor" (also called *sōb ləblōta*) .

c) A last point which can only be touched upon in passing concerns the interdental fricatives *ṯ* (voiceless, pronounced like Arabic *ṯā*) and *ḏ* (voiced, pronounced like Arabic *ḏāl*). As is well known, the Semitic consonants **ṯ* and **ḏ* in Aramaic were shifted to dental stops, **t* and **d* respectively, thus **ṯlāṯā* > **tlātā* "three", **ḏahbā* > **dahbā* "gold". In the later development of Aramaic, however, the new consonants *ṯ* and *ḏ* came into being by the spirantization of **t* and **d* in intervocalic position, e.g. **tlātā* > **tlāṯā* "three", **idā* > **iḏā* "hand". These new interdentals were preserved in Maᶜclūla and Ṭūrōyō but shifted back again to dental stops *t* and *d* in Ashūri, e.g.

(4)	Maᶜclūla	Ṭūrōyō	Ashūri	
	ōṯ	*ōṯe*	*āte*	he comes
	bnōṯa	*bnōṯe*	*bnāte*	daughters
	iḏa	*iḏo*	*ida*	hand

Thus a simple- looking form like Ashūri *tlāta* "three" in reality has a very complex history in the course of which the last consonant was shifted from **ṯ* to ** t*, then back to **ṯ* and then back to *t* again : **ṯlāṯā* > **tlātā* > **tlāṯā* > *tlāta*. It must be mentioned, howe ver, that not in all dialects of Ashūri the interdentals have been shifted to dental stops. Some dialects have preserved the interdentals while in some others we find the rather unusual sound shift

a Ṭūrōyo or Ashūri speaker, nor would an Ashūri speaker understand Ṭūrōyo speakers talking among themselves. In the following I would like to illustr-ate the differences between these three Neo-Aramaic languages by a number of points taken from the areas of phonology and morphology. I shall rely both on the scholarly literature and on my own findings during twenty years of research into various Neo-Aramaic languages. This paper does not propose to give an account of the history of Neo-Aramaic studies, however, a short bibliography listing the nmost important titles is appended.

1. *Some remarks on Phonology*

a) Semitic languages in general are characterized by the presence of certain consonants which are rarely found in other languages, like, e. g. the emphatics and the pharyngeals. Whereas the two emphatics of older Aramaic (*ṭ*, ṣ) have been preserved in most Neo-Aramaic languages, the two pharyngeal consonants *ḥ* (voiceless pharyngeal fricative, pronounced like Arabic *ḥā*) und ʕ (voiced pharyngeal fricative, pronounced like Arabic *ʕayn*) have survived only in Maᶜlūla and Ṭūrōyo; compare the following data :

(1)	**Maᶜlūla**	**Ṭūrōyo**	**Ashūri**	
	ḥamša	*ḥamšo*	*xamša*	five
	šobza	*šawzo*	*šawza~šawwa*	seven

As can be seen from the above examples, Aramaic *ḥ* in Ashūri has been shifted to a velar fricative *x* (pronounced like Arabic *xā*). It has thus been merged with the consonant *x* derived from older *k which underwent spiran-tization. In present-day Ashūri there is no difference between *x* < *ḥ and *x* < *k; however, in both Maᶜlūla and Ṭūrōyo the two sounds have been kept apart, e. g. :

(2)	**Maᶜlūla**	**Ṭūrōyo**	**Ashūri**	
	mōḥ	*mōḥe*	*māxe*	he hits
	bōx	*bōxe*	*bāxe*	he weeps

The voiced pharyngeal fricative, ʕ, was shifted in Ashūri to a glottal stopʔ which, however, has been preserved only in the most conservative dialects; in the majority of dialects it has been dropped completely, thus *šawwa* ~ *šāwa* ~ *šāwa* in some dialects, and *šawʕa* ~ *šōʕa* in most others.

to leave their native country, and today speakers of Ṭūrōyo can be found on all continents, including Australia and North America; in Western Europe there are many thousands of speakers, especially in Germany, the Netherlands and Sweden. Syria also has received several waves of refugees from Ṭūr ᶜAbdīn, starting as early as World War I. Today there are several thousand speakers of this language in Syria, mostly in the Qāmišli region. All Ṭūrōyo people are Christians and mostly adhere to the Syrian Orthodox Church. Ṭūrōyo consists of a bundle of very closely related dialects which are hundred percent mutually comprehensible. Therefore, Ṭūrōyo is olten perceived as a single language.

The third Neo-Aramaic language spoken in present-day Syria is the so-called Ashūri language, also wrongly but frequently called Assyrian. Again, the speakers of this language do not originate from Syria but have been settled there earlier this century. They occupy a number of villages in the Khabour region. Originally most of these people lived in the Hakkari mountains of South-Eastern Turkey and belonged to the Nestorian Church. Driven out of their native country during World War I they were resettled in camps in Iraq. From there several thousand people crossed the Tigris in the thirties and founded villages in the Khabour valley. The linguistic situation of Ashūri is rather complex. The dialects now speoken in the Khabour region of Syria belong to the large group of North-Eastern Neo-Aramaic. This group comprises a number of languages and dialects originally spoken in Turkey, Iraq and Iran, most of which have not yet been properly investigated. However, it is fair to say that, contrary to the Maᶜlūla and Ṭūrōyo languages, these languages are widely divergent and not always mutually comprehensible. As far as the Khabour region alone is concerned we may assume that the dialects spoken there are divergent but nevertheless mutually comprehensible because of the commun origin in the Hakkari mountains and the close contacts between the villages over the last fifty years. However, one must point out that the Khabour dialects have not yet been investigated systematically; therefore the above statement amounts only to an educated guess.

From the preceding remarks it will have become clear that the three Neo-Aramaic languages found in present-day Syria represent three independent developments from older Aramaic. Originally, they were separated geographically as well but due to later population movements speakers of Ṭūrōyo and Ashūri now live closely together in places like Qāmišli whereas the Maᶜlūla area remains isolated to this day. It goes without saying that the three languages in question are not mutually comprehensible, in other words, a person from Maᶜlūla would never be able to converse freely with

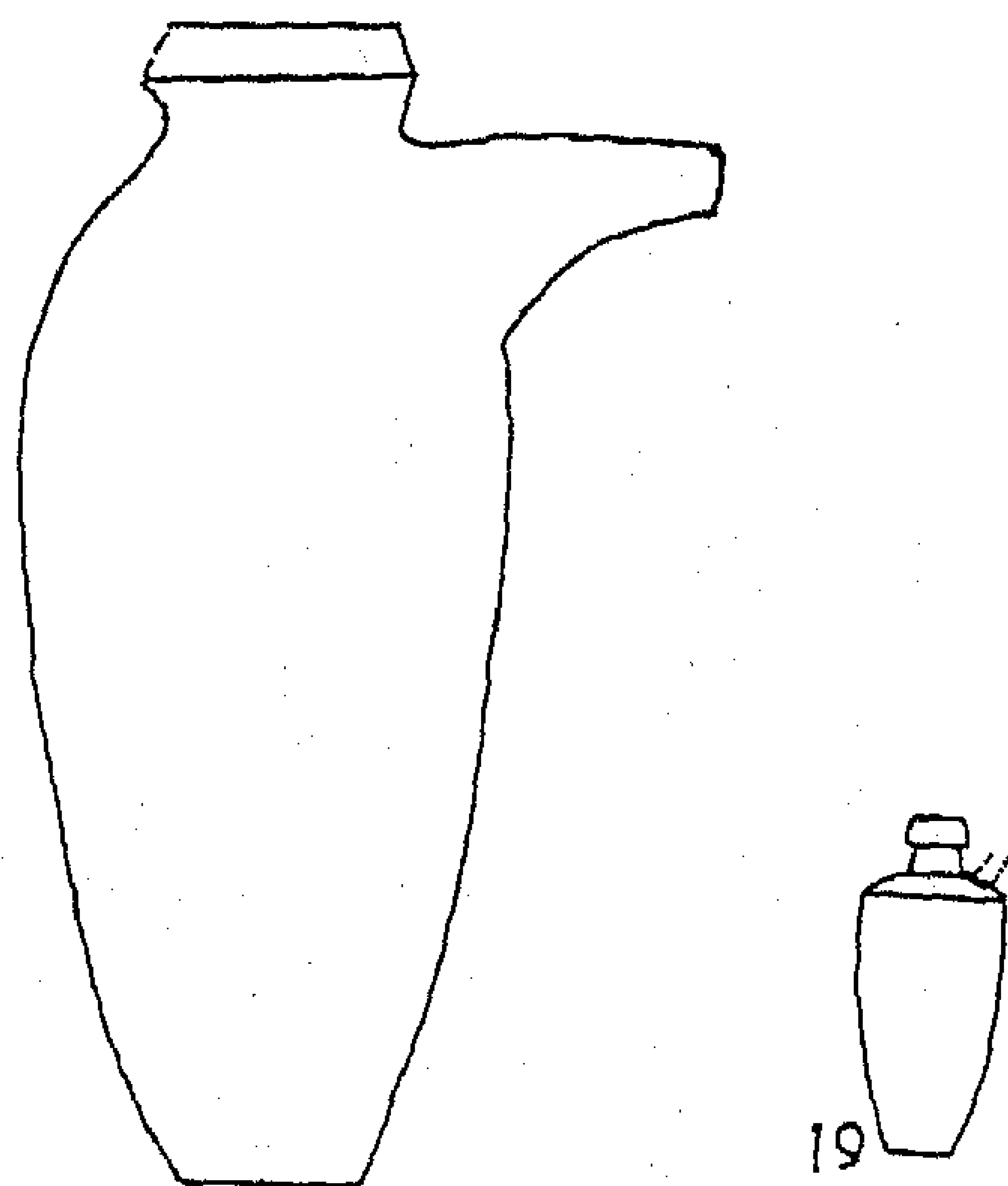
Neo-Aramaic Languages of Present-day Syria

Otto Jastrow,
Erlangen

The history of Aramaic has always been closely connected with the land of Syria. It is in Syria that the earliest inscriptions in Aramaic have been found, especially in the region of Aleppo. These inscriptions in part go back to the 9th century BC. Ever since, Aramaic has, in various historical stages and dialectal varieties, existed continuously in Syria and has survived to this very bond of almost 3000 years of commun history which unites Aramaic and the land of Syria. Today, three different Aramaic languages are spoken in Syria, viz. the language of Maᶜlūla, the Ṭūrōyo language and the Ashūri language. Of these three, however, only the first mentioned is native to Syria in the sense that it has been spoken there from time immemorial; the other two varieties have been imported by immigrant communities during the course of this century.

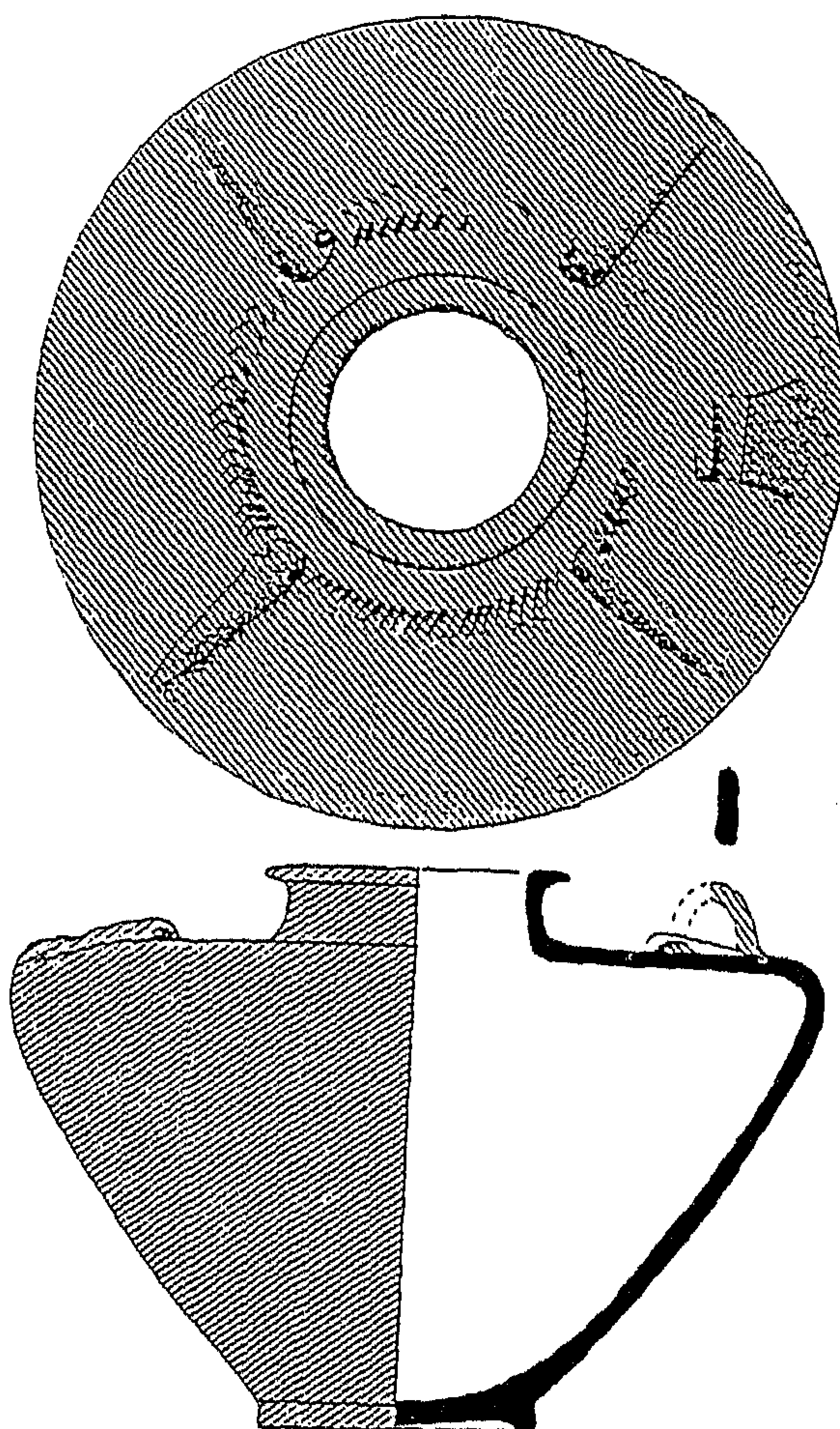
The Maᶜlūla language is spoken by only a few thousand people in the three villages, Maᶜlūla,. Bakhᶜa and Ǧubbᶜadīn north of Damascus. Maᶜlūla is predominantly Christian, whereas the two other villages are nowadays Muslim although, unitil the last century, they seem to have been Christian as well. In any case, this is the only known example of aramaic being spoken by a Muslim population. The Aramaic found in the three villages is not quite identical, in fact we have to do with three different dialects which are, however, mutually comprehensible. The language is often referred to as " Maᶜlūla Aramaic " but a more scientific name is "Western Neo-Aramaic". The Maᶜlūla language is unique as the only living continuation of the older Western Aramaic, all the remaining Neo-Aramaic languages, including Ṭūrōyo and Ashūri, go back to Eastern Aramaic. Maᶜlūla Aramaic is also the most archaic of all living Aramaic languages because it has preserved a number of linguistic features which have been lost in the Eastern Neo-Aramaic languages.

The Ṭūrōyo language originates from the area of Ṭūr ᶜAbdīn in South-Eastern Turkey, just across the border from North-Eastern Syria. Until the beginning of the century this language was spoken in a compact area comprising the little town of Midyat and up to fifty villages in the Turkish province of Mardin. A number of sad events caused most of the speakers

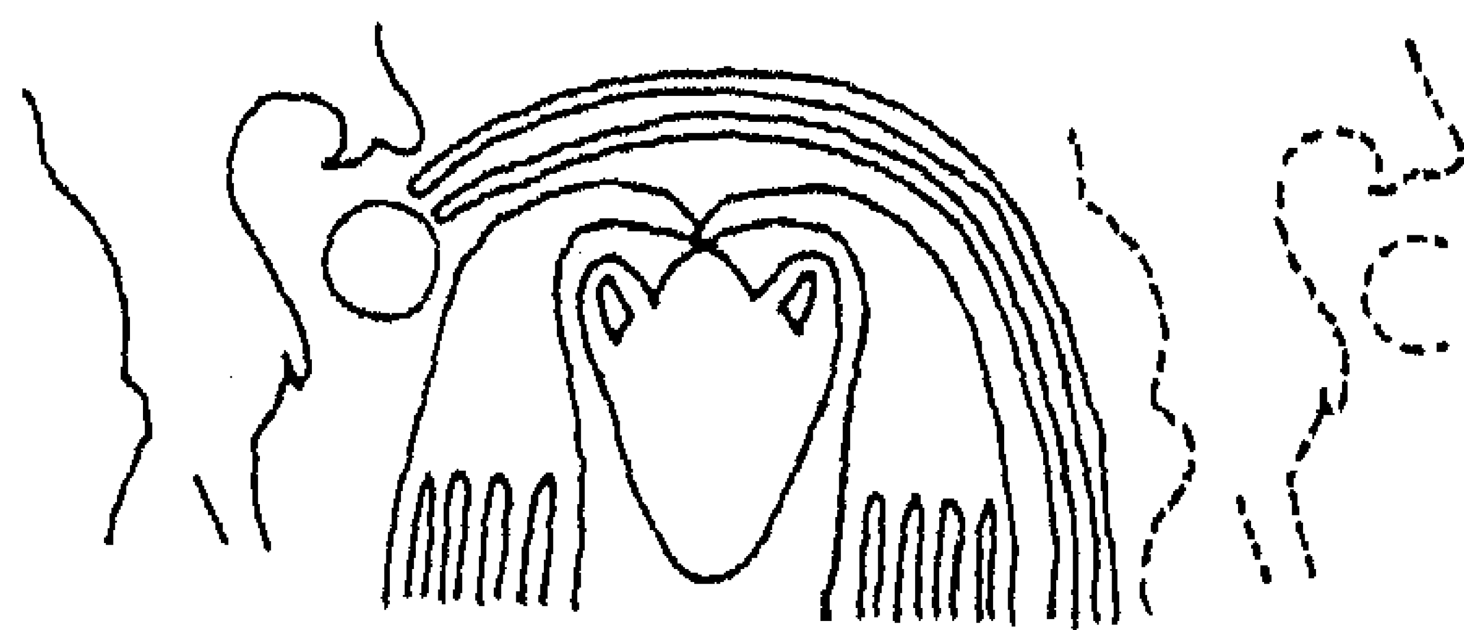


15 - Bouteille à bec verseur en céramique du Tell Kannâs.

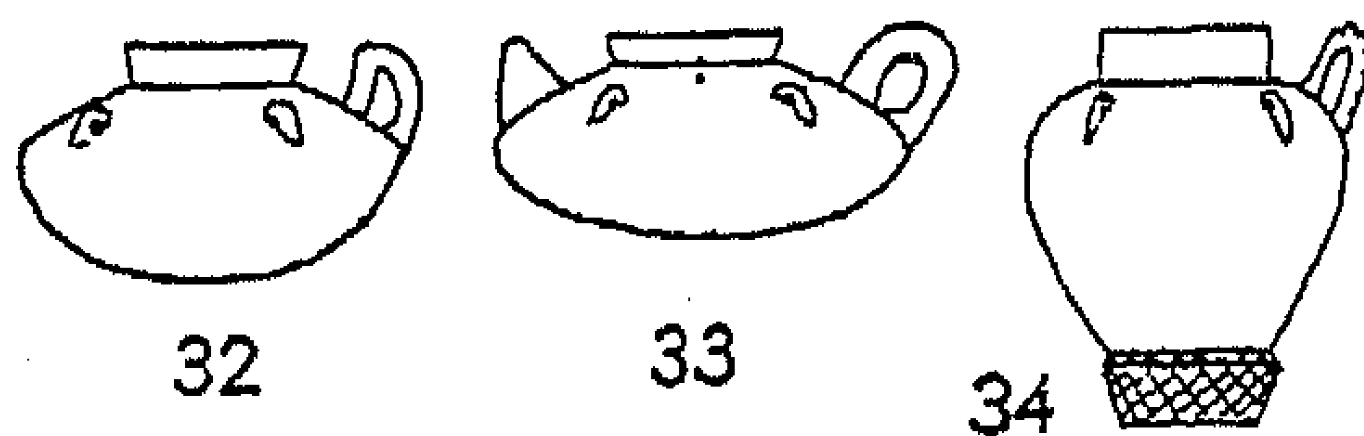
16. Bouteille à bec verseur en pierre de Suse.



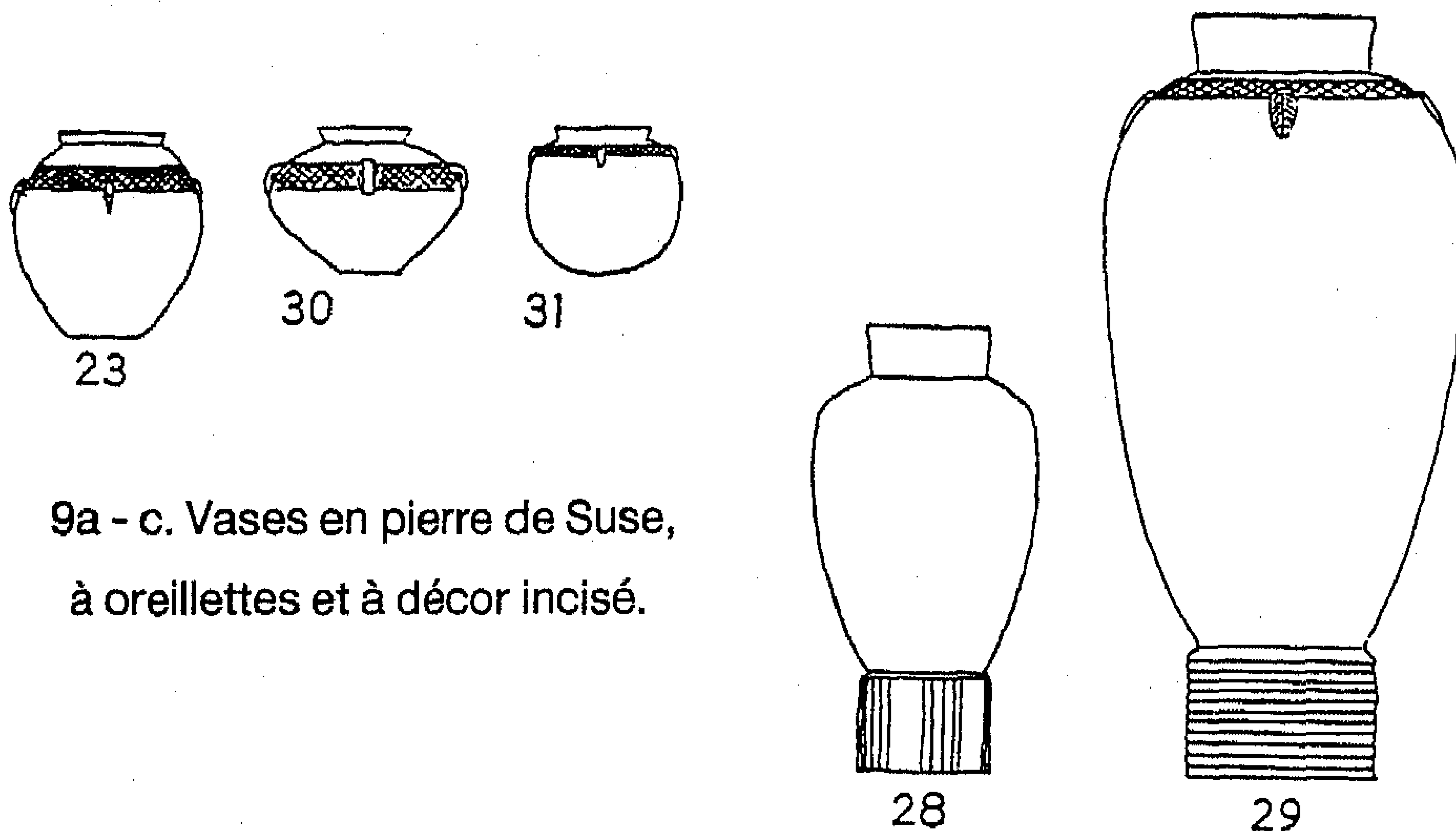
13 - Céramique à engobe rouge de l'acropole de Suse, à décor incisé.



14 - Empreinte desceau-cylindre de Habuba Kabira Sud, à figure de vase à rubans frangés.

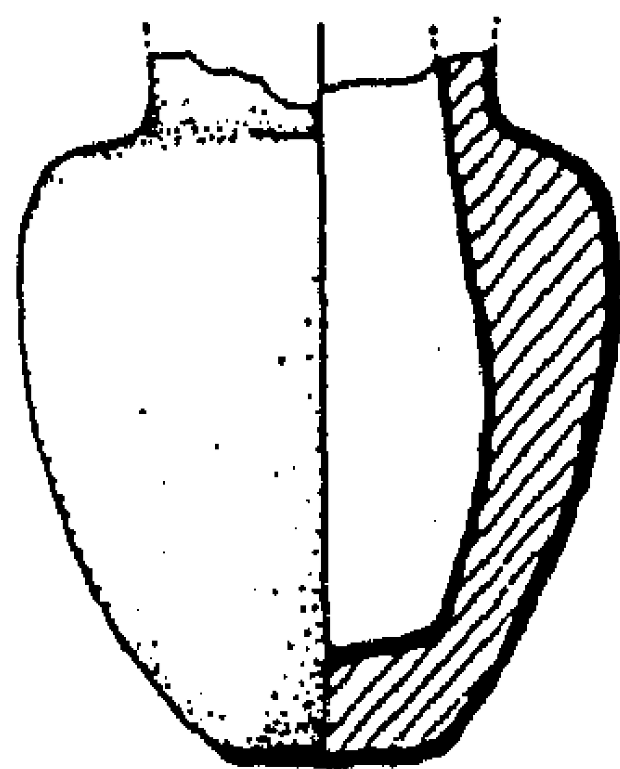


8a - c. Vases en pierre de suse, à oreillettes et anse.

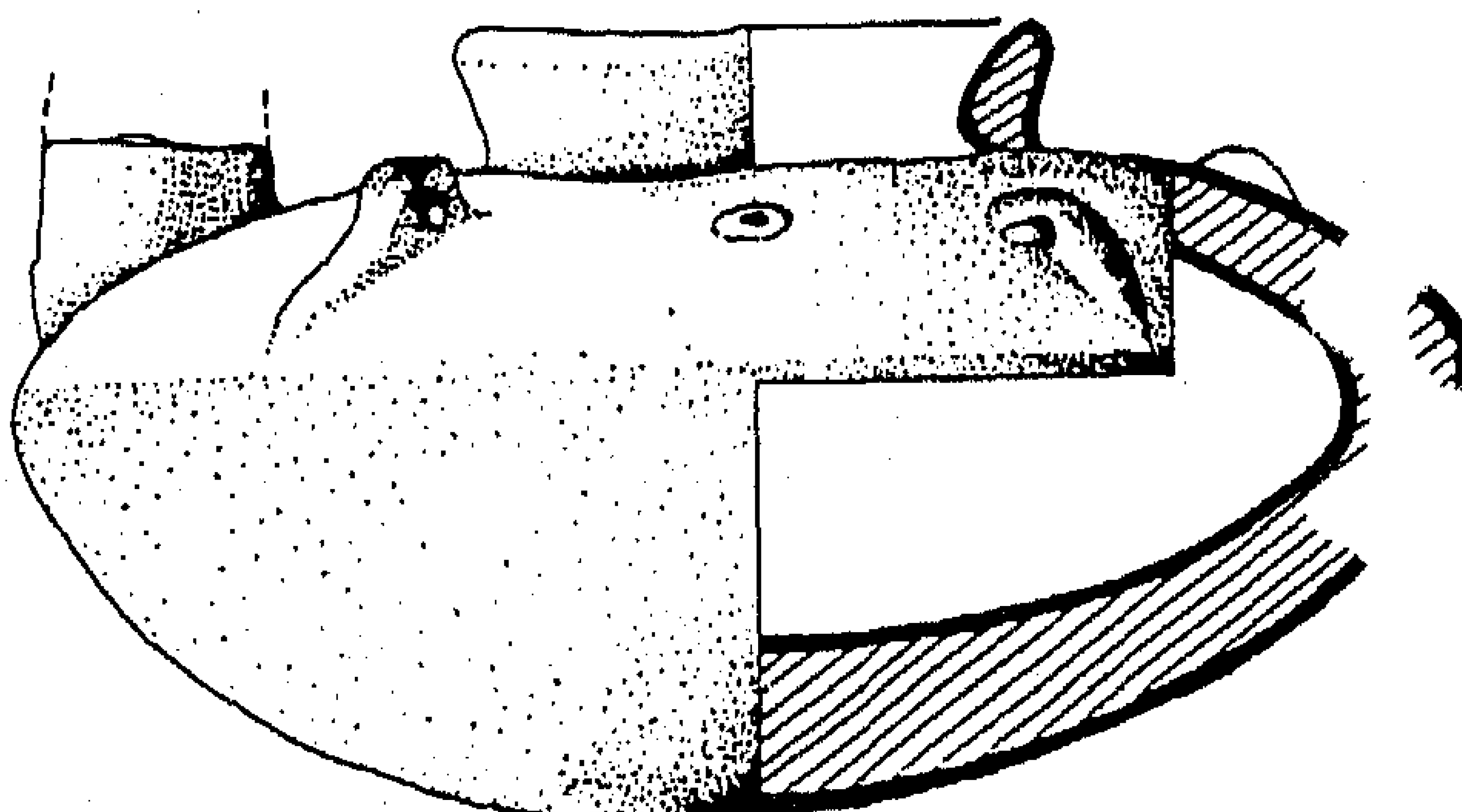


9a - c. Vases en pierre de Suse, à oreillettes et à décor incisé.

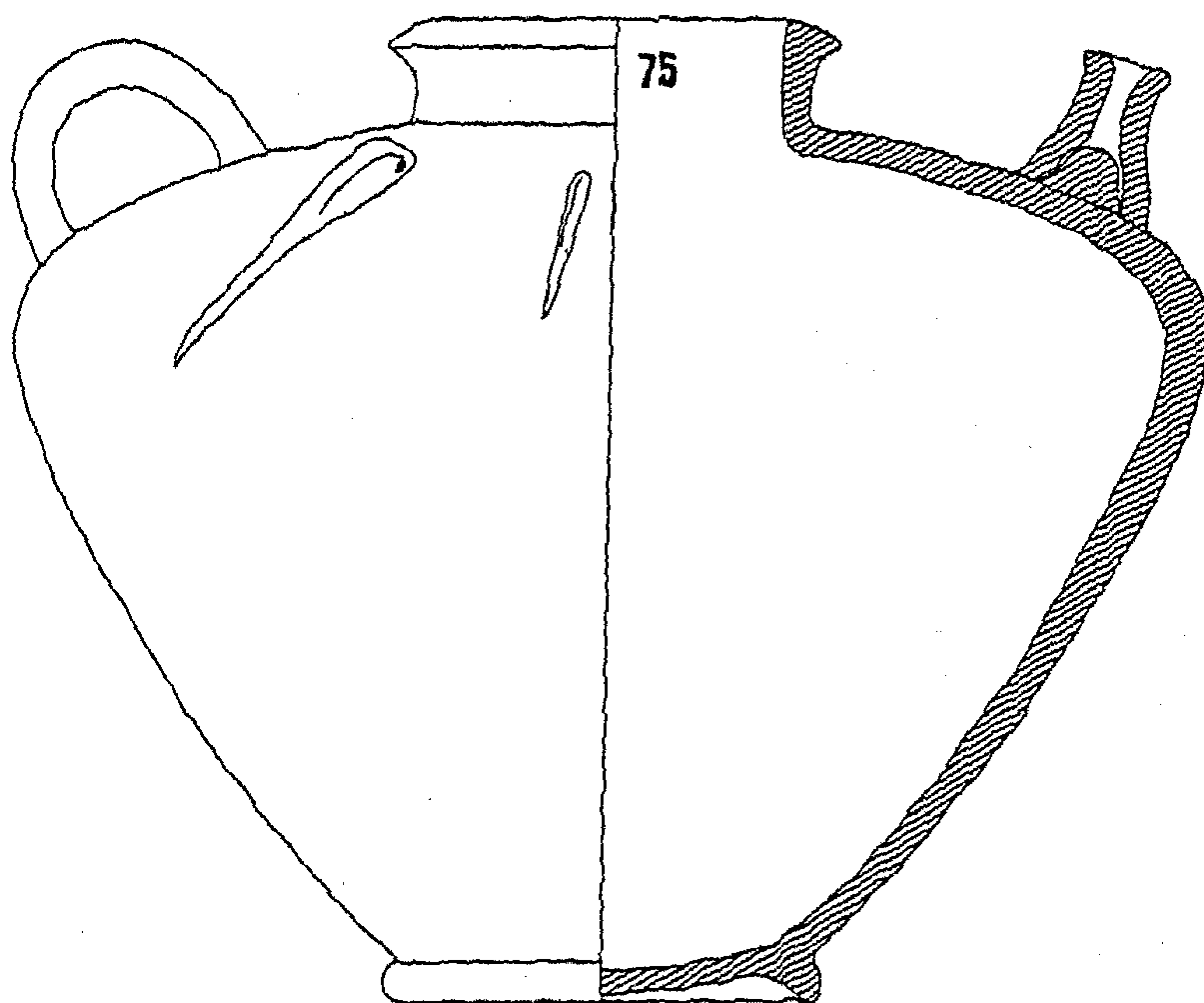
10a - b. Vases en pierre de Suse à profil allongé



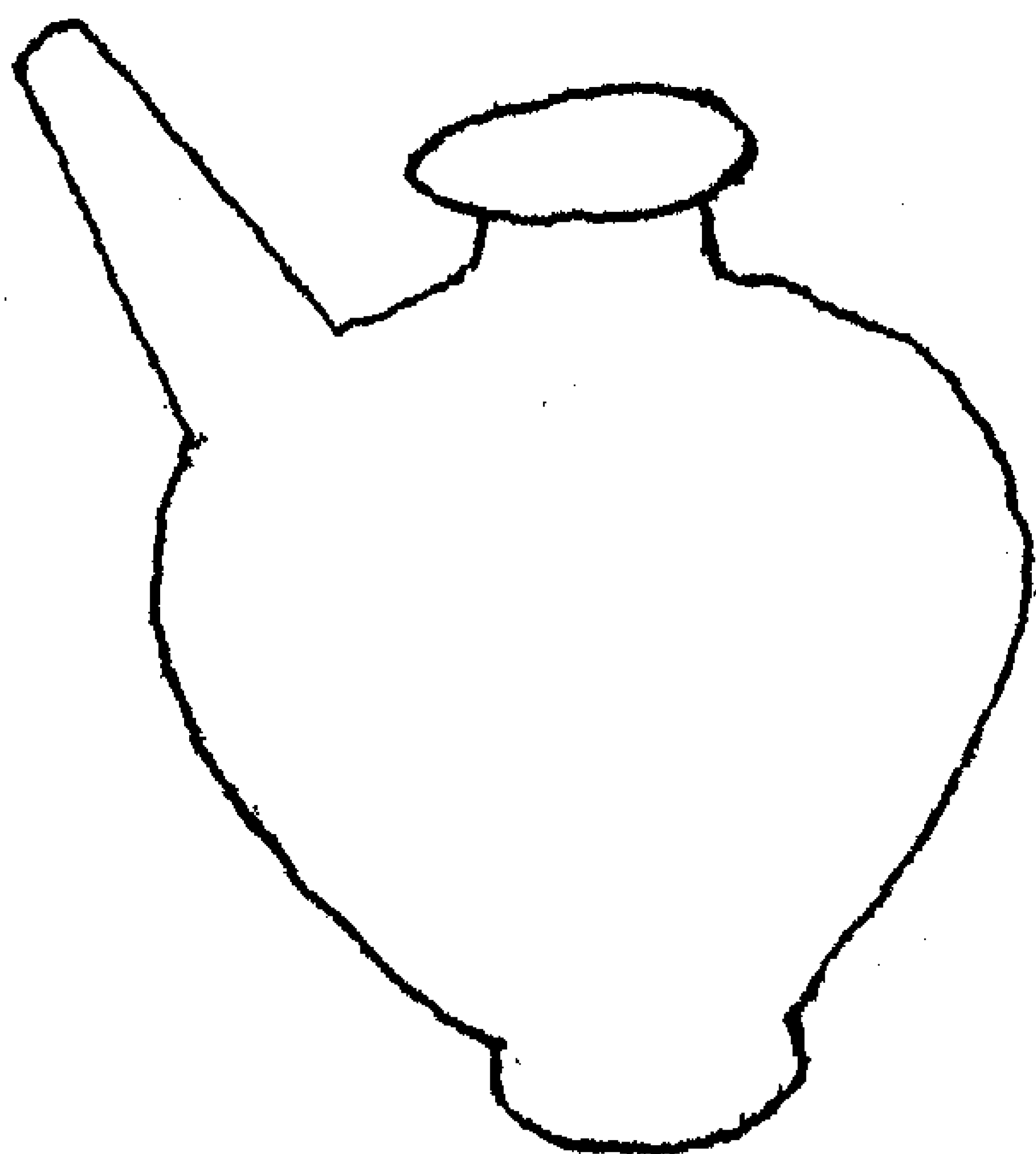
11. Fiole en pierre de l'acropole de Suse.

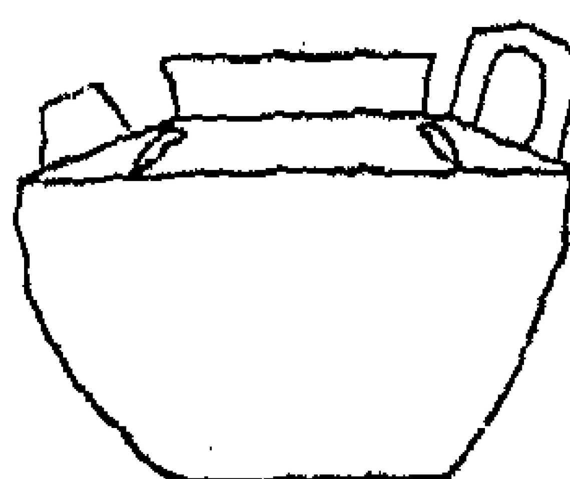


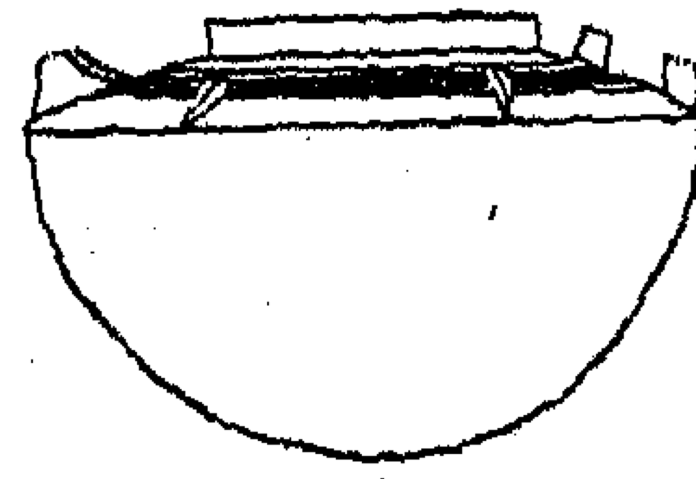
12 - Vases en pierre de l'acropole de Suse, à oreillettes et à bec.



5 - Céramique àengoberouge de Habuba Kabira Sud.

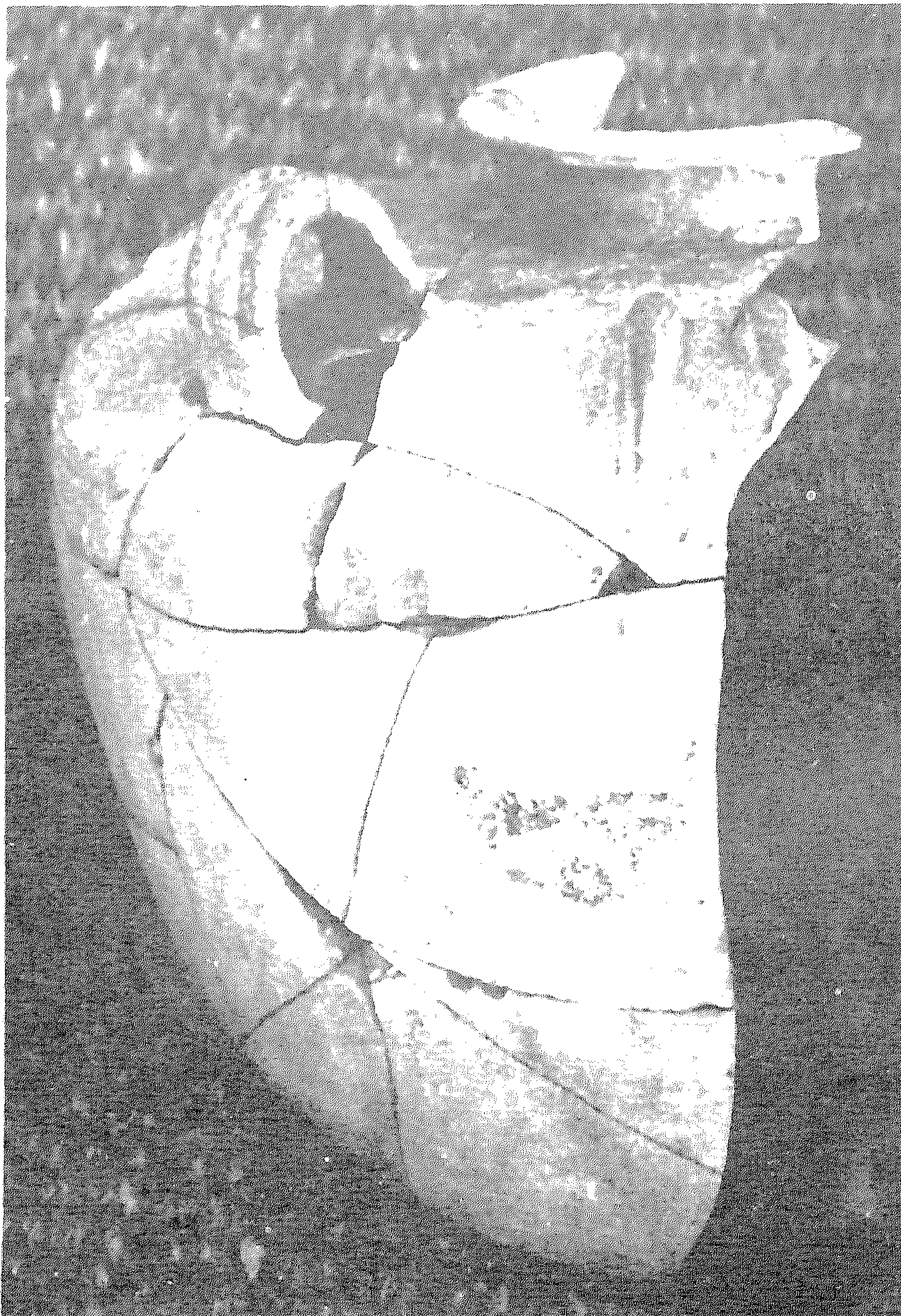




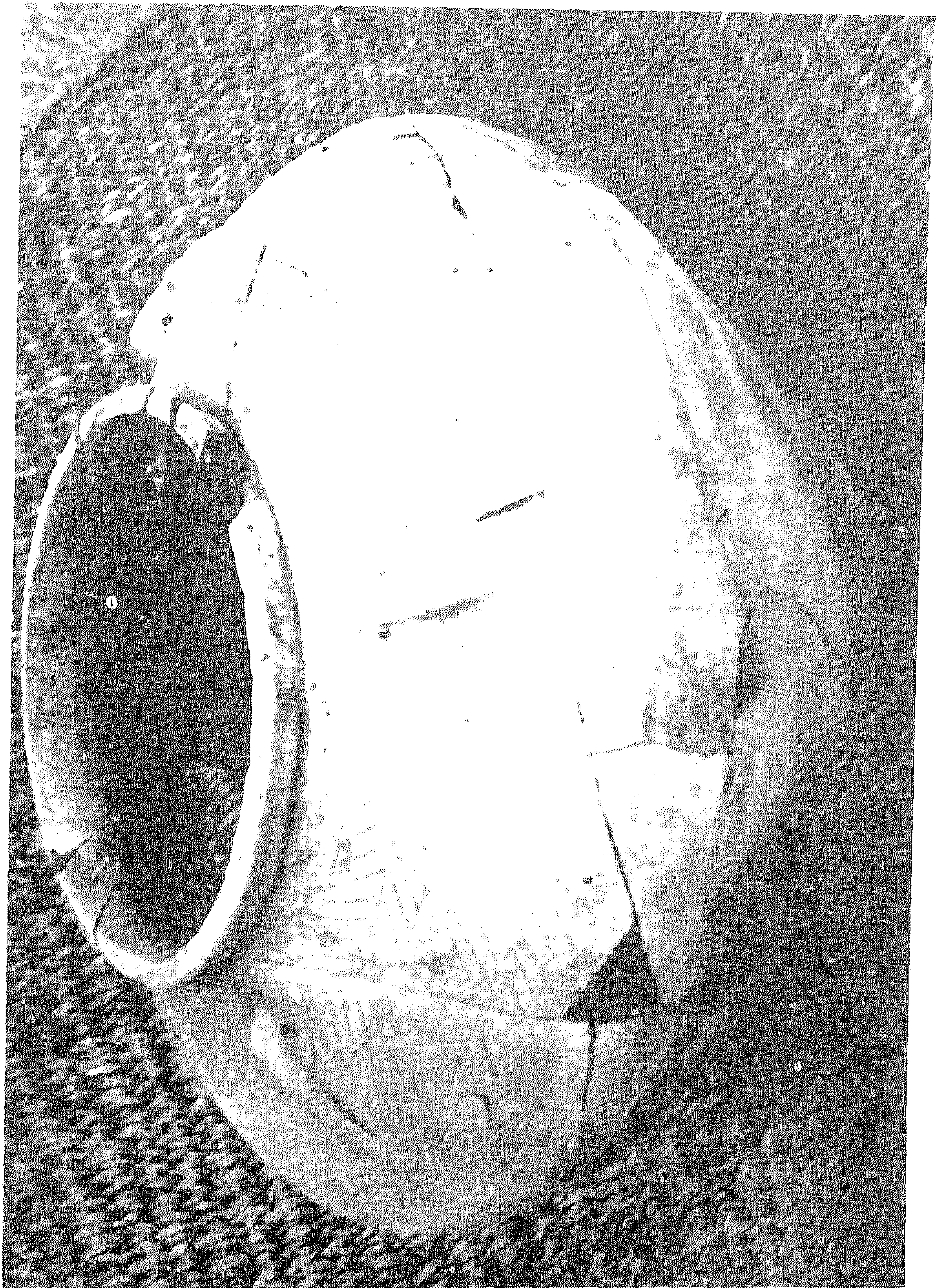


7 a - b. Vases en pierre de Suse, à oreillettes, bec et anse.

6 - Vase en métal d'Uruk, à bec verseur.



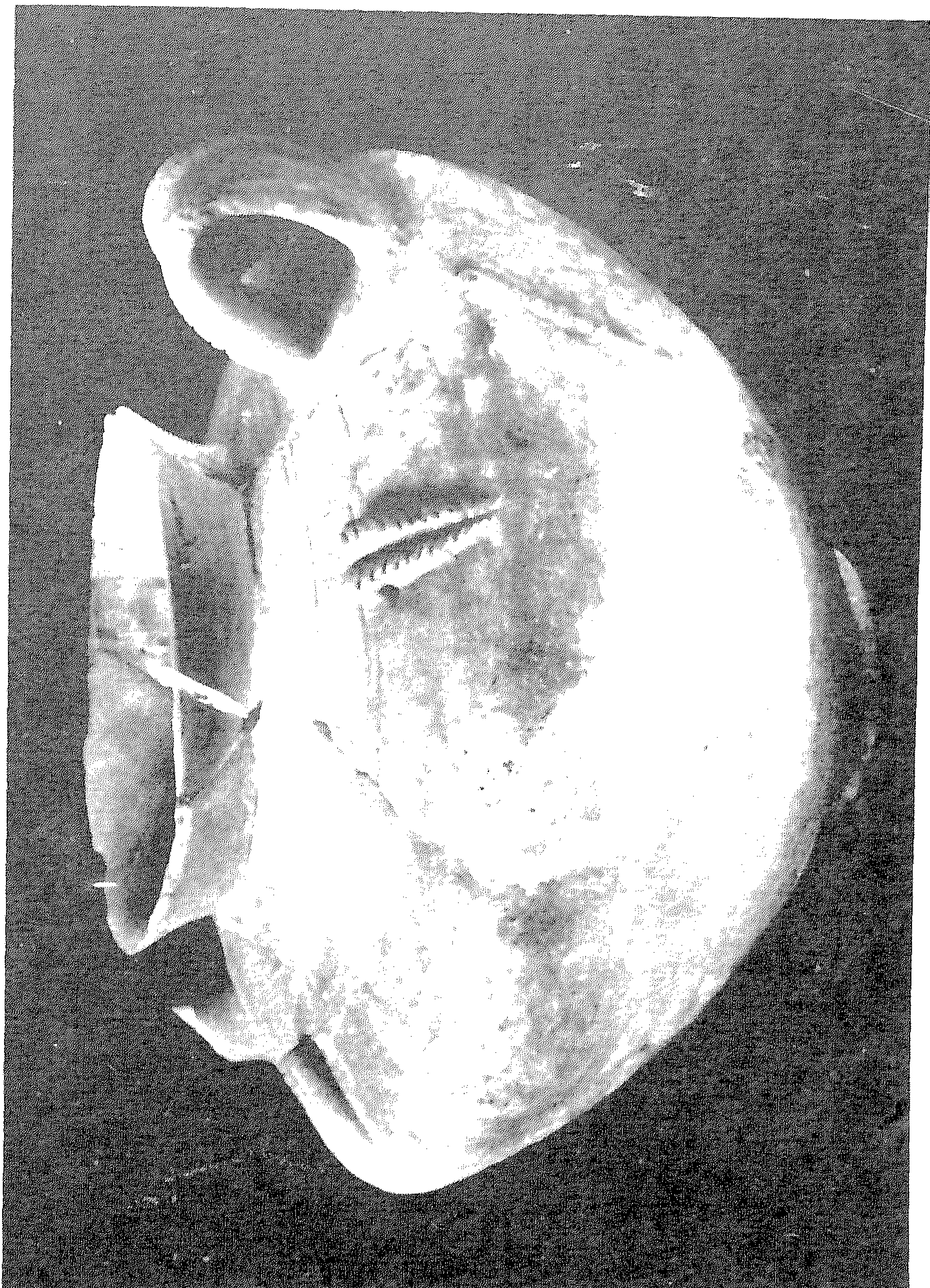
4 - Céramiquefragmentairedu Tell Kannâs oreillettes jumelées.



3 - Céramique du Tell Kannâs, à oreillettes et à décor incisé.



2 - La fiole en albâtre du Tell Kannâs.



1- Le vase en albâtre du Tell Kannâs, à oreillettes jumelées et à décor incisé.

47. V. plus haut, n. 11.

48. V. plus haut, n.30. Ces vases en métal pourraient aussi représenter les prototypes de céramiques à carène et à long bec datées de l'époque d'époque d'Uruk et découvertes notamment à Tello (H. DE GENOUILAC, op. cit. n.28, p. 30, pl.17:2).

ner un caractère rituel? (P.DELOUGAZ, Pottery from the Diyala Region,(OIP, 63), Chicago, (1952), p. 39 - 40, 53, pl.40a) où, sans justifier son opinion, l'auteur suppose que les pièces en pierre imitaient celles en céramique. En outre, le témoignage de l'une d'elles (Ibid.,pl.40a), retrouvée munie d'un couvercle, qui peut être maintenu par un lien passant dans les oreilles, laisse penser qu'elles étaient hermétiquement fermées pour empêcher le contenu de sévaporer.

41. D. SÜRENHAGEN, loc. cit. n.9, 40, citant E. TOPPERWEIN, Kleinfunde, dans E. HEINRICH et al., Habuba Kabira 1971 , dans MDOG, 105(1973)p. 25 - 28, fig. 4 - 5. E.STROMMENGER, Gesiegelter Tonball, dans op. cit.n. 2, p. 36, fig. 12(notre fig.14) et p. 38, pour le le problème de la figuration d'épis de blé. V. aussi P. AMIET, op. cit. n. 27, p. 77 - 78, notamment fig. 246, 261, 263, 264.

42. V. aussi plus haut, n.3 et 9.

43. Ibid. et n. 41, où l'on apprend par les circonstances de leur découverte que les pièces de Habuba (fig.5) semblaient avoir été brisées intentionnellement à un endroit défini; ce qui incite à penser que fabriqués en céramique, les documents auraient pu avoir été l'objet d'un rite encore mal connu.

44. E. SÜRENHAGEN, loc. cit.

45. M. TROKAY, Bouteilles à bec verseur, dans A. FINET, op. cit.n.3, p. 88, fig.11(notre fig.15), (dessin).

46.L. LEBRETON, art. cit. n. 20, fig.28: 19 - 20,
(notre fig.16), des pièces miniatures et un exmplaire incrusté en pierre d'Uruk tautefois du temps de Djemdet Nasr (A. MOORTGAT, op. cit.n.33, pl. 24).

date se situe généralement à l' époque de Djemdet Nasr. V. notament A. MOORTGAT, The Art of Ancient Mesopotamia, Londres, New York (1969), p. 12; fig.9, pl. 19.

34. H. DE GENOUILLAC, op. cit. n. 28, p. 29 pour la question des vases métalliques à bec et p. 53 - 54 pour celle des poteries.

35. p. AMIET, loc. cit. n. 27. M' LEBEAU, Les empreintes de scauxcylindres, dans A. FINET, op. cit. n.3, p. 93 E. STROMMENGER, Habuba Kabira 1972, dans MDOG, 104 (1972;, suppl., p. 5.

36. V. plus haut, n. 3. Toutefois, le fond de petit pot 0. 4020 et le frgment trouvé en surface sont trop endomagés pour être jugés esthétiquement.

37. A. FINET, art. cit. 1975, n. 3. P. 161.

38. V. plus haut, n. 14.

39. V. plus haut, n. 3.

40. D. SÜRENHAGEN, art. cit. n. 9, p. 103, pl.12: 75. Suivant ces données, il faudrait aussi vérifier si les oreillettes de notre vase (fig.1) sont suffisamment larges pour laisser passer un lien afin de les rendre utilitaires (v. plus bas) De plus, au moins deux documents du Tell Kannâs en céramigue présentent aussi des appendices décoratifs: l'anse de notre fig.4 et un bec verseur bouché avec une petite pierre (fiche de fouille n o 855). Ceux de ces récipients qui ont été conçus sans appendices ont été souvent, en raison de leur ouverture étroite, considérés comme ayant servi à conserver des produits coûteux, soit des objets précieux tels des bijoux (H. DE GENOUILLAC, op, cit.n. 28, p. 33, 50), soit des épices, des onguents, de l'encens, ce qui aurait pu leur don-

dans DAFI, 1 (1971), p. 182, fig.54: 1- 2, pl.17b-a et Le niveau 17B de l'acropole de Suse (campagne de 1972), dans DAFI, 9(1978), p. 86 fig.37:1 (notre fig.11), 3-4 et fig.38: 1.

27. Ibid., fig.37:5-6 (notre fig.12). Pour la dataion du site, v. P. AMIET, La glyptique mésopotamienne archaïque, (2e éd. revue) Paris, 1980, p. 200.

28. A. LE BRUN, ibid.n.27, p. 86,n.39 citant H. DE GENOUILLAC, Fouilles de Telloh, 1(Paris, 1934), p. 34, p. 34, pl.V où la documentation est toutefois mal définie.

29. A. LE BRUN, ibid., p. 81, fig. 32: 1, 1 (notre fig. 13), un vase d' environ 20cm de hauteur,2 - 5, des pots miniatures, et p. 92, n. où l'auteur souligme que les céramiques à engobe rouge apparaissent dans les maisons et présentent un parallélisme de distribution avec les vases en albâtre.

30. P. 36, fig. 37: 1 (notre fig.11), et 2un vase zoomorphe.

31. L. LEBRETON, art. cité. n. 20 , p. 98, fig. 11 passim et.D. SÜRENHAGEN, art. cité n. 9, pl. 18.

32. V. notamment P. AMIET, op. cit, n.27, 201, et M. TROKAY, Les cônes d'argile du Tell Kannâs, dans Syria 58(1981, p. 161, n. 1 - 2.

33. H. DE GENOUILLAC, op. cit. n. 28, notamment, p. 54, p.l.5a, p. 53, p.l. IX pl. 6; 4, 3, parfois en marbre blanc. V. aussi A. PARROT, Tello, Paris,1948, p. 47, fig.11 où les pièces sont attribuèes àl' époque Djemdet Nasr. Pour la documentation d' Uruk, v. M. BOEHMER, Steinfunde, dans UVB, XXVI - XXVII (Berlin, 1972), p. 72, pl. 20g W. 22001, dans les éboulis du niveau IVa (Uruk récent). Les vases d'albâtre les plus remarquables de cette cité sont des objets sculptés ou incrustés beaucoup plus élaborés que le nôtre (fig.1) dont la

16. Voir notamment les vases trouvés à Mureybit près du Tell Kannâs (E. STROM-MENGER , op. cit., n.2, p. 22, nos3 - 4) et à Bouqras près de l'embouchre du Habur (j.j. ROODENBERG, Le mobilier en pierre de Bouquras, Istanbul, 1986, passim).

17. A. FINET, Aperçu sur les fouilles belges du Tell Kannâs, dans AAAS, 22 (1972), p. 63. E. STROMMENGER, op. cit. n.8, p. 63 G. BUNNENS, La grande boucle de L'Euphrate dans l'histoire de l' Asie occidentale, dans A. FINET, op. cit.n.3, p.63.

18. R.J. FORBES, op. cit. n. 15, p. 116, 168, 169 avec carte montrant la distribution de l'albâtre dans les gisements du Proche - Orient ancien. Les plus proches du Tell Kannâs apparaissent sur la rive occidentale du Haut Euphrate.

19. P. 169 et j.De MORGAN, Matières minérales employées à Suse dans l'Antiquité, dans MDP, 1 (1900), p. 48. Toutefois, tant pour les pièces de Suse que pour celles du Tell Kannâs, aucune analyse d'albâtre ne semble avoir été faite.

20. L. LEBRETON, The Early periods at Susa Mesopotamian Relations, dans Iraq, 19 (1957), p. 109, 112 et 110, fig.28.

21. p. 110,fig.28:26- 27 (notre fig.7a - b).

22. p. 110, fig. 28: 32, 33,34 (notre fig. 8a -c).

23. p. 110, fig.28: 23, 30, 31 (notre fig.9a -c).

24. Ibid., fig.28: 28- 29(notre fig.10a - b.)

25. V. notre fig.2 et les fragments de jarres allongées citées plus haut, n.3.

26. A. LE BRUN, Recherches stratigraphiques à l' acropole de Suse (1969- 1971),

talistes de l'Université de l' Etat à Liège, 5 (1986), p. 20, 22, n. 21 citant pour les pièces fragmentaires, Mc C. ADAMS, H.J. NISSEN, the Uruk Countryside, Chicago, Londres, (1972), P. 2. 205 - 206, fig. 82, n .

13 M. TROKAY, art. cit. n. 12, p. 20.
86, n.4 citant D. SüRENHAGEN, art. cité n.9, p. 97. v. aussi

14. M.TROKAY, Ibid. n. 7. p.86,n,4citantD.SÜRENHAGEN,art. cité . n. 9,p,97, V.aussi E. STROMMENGER, op. cit. n.8,59.

15. p. 56 - 57 faisant état de certaines de certaines découvertes comptant, tout d'abord, un frangment de damier en cubes de pierres (Ibid., fig.46) et de nombreuses plaquettes en matériaux distincts trouvés vraisemblablement dans un atelier, à l'ouest du tell Kannâs, où l'on taillait sans doute des pierres fines et ensuite, de gros cailloux apltatis d'un côté et rainurés en croix de l'autre, recueillis dans différents endroits du site et pouvant mesurer 7cm,2 de hauteur (Ibid., fig.47). Pour l'autre, les représentations des bas - reliefs égyptiens montrent qu'ils auraient pu servir de poids dans un type de foret utilisé pour tailler des vases en pierre (Ibid.,fig.48 et aussi R.j. FORBES, Studies in Ancient Technology, 7(Leyde, 1963),P. 173, fig.20 d' après J.E. QUIBELL, Hierakonpolis, sans citer de fig, non cosulté).Pour A. LUCAS et J.R. HARRIS, Ancient Egyptian Materials and Industries, (4e éd. revue), Londres, (1962), p. 67, ils sont bien attestés dans la documentation égyptienne et travail de l'outil dont ils fasiaient partie l'est également, notamment à Saqqara (3e dynastie) et dans les bas -reliefs de nombreuses tombes. On en a retrouvé quelques uns au Tell Kannâs, généralement dans les niveaux d'Uruk, d'un hauteur de 5 à 8 cm (A. FINET, Pierres à rainures incisées, dans op. cit. n.3, p. 103, fig.40: 0.3993, 0.3996). Toutefois, ils auraient pu avoir diverses significations et être notamment employés comme poids de filets de pêche si l'on en juge par le témoignage de certains objets conservés dans les musées scandinaves (information de B. Van Den Driessche, Membre de la Mission du Tell Kannâs).

TROKAY, loc. cit. ci - dessous.

7. M.TROKAY, vases carénés, dans A. FINET, op. cit. n.3, p. 89 - 90: fig.9, 04103 (notre fig.3), 04152, photo de fouille (notre fig. 4). Siuvant M. YON, op. cit. n. 1, p. 48 et 192, l'angle du corps de nos vases n'étant pas vif, le terme caréné (à carène) doit être replacé par celui de ployure.

8. E. STROMMENGER, Habuba Kabira, Mainz am Rhein, (1980), p. 32 - 33, fig. 12 plan du site des fouilles avec le Tell Kannâs inclus dans Habuba Sud et dans son enceinte.

9. D. SÜRENHAGEN, Untersuchungen zur Keramikproduktion innerhalb der Spät - Urukzeitlichen Siedlung Habuba Kabira - Süd in Nard Syrien, dans Acta Praehistorica et Archaeologica, 5 - 6 (1974 - 75), P. 103, pl.12 n 75 (notre fig.5) et. E. STROMMENGER, op cit n. 8, pl. Dhaut et p. 53, fig. 39 mesurant chacun une dizaine de centimètres de plus que notre vase (fig.1) pour la hauteur.

10 p. 48 - 49, 58- 59. D. SüRENHAGEN, art. cité n.9, 97, Ce type de vase à couverte rouge est rouge est représenté au Tell Kannâs par des tessons et par un fragment de petit pot à ployure et à oreillettes (M. TROKAY, lac. cit. n. 7, O. 4173).

11. B. HROUDA, Vorderasien, (Handbuch der Archäologie, 1), München, 1971, p. 79. pour cette opinion, v. aussi plus bas,n. 34.

s 177: 1-3, 185: 1 et pour le vase d' Uruk, V. U. FINKBEINER, Uruk- Warka xxxV: survey des stadgebietes von Uruk, dans BaM, 14 (1983), P. 29, pl. 3b, postérieur à l' uruk récent donc un peu plus tardif que nos vases, dessiné dans notre fig. 6. Un vase de Kish qui semble contemporain du précédent, v. L. WATELIN, S. LANGDON, Excavations at Kish, 4(Paris, 1934), P. 26, p. l. 20, peut être également 12.M TROKAY, Les vases d' imitation au proche -Orient ancien, dans Arte ° cité. Fact, Revue des historiens d'art, des archéologues, ses musicologues et des orien-

NOTES

1 . Je remercie M. A Finet, Directeur de la Mission du Tell Kannâs qui m'a permis d'utiliser et de reproduire les documents du site utilisés ci - dessous. Pour le vocabulaire céramique employé, v. M. YON, Dictionnaire illustrée multilingue de la céramique du proche Orient, Lyon, Paris, 1981.

2. E. STROMMENGER, Vierösen Gefäss mit Henkel dans Das Land des Baal, Mainz am Rhein, (1982), p. 42 - 43, fig. 30 (notre fig.1) que j'ai pu reproduire avec l'autorisation du Dr W. Khayata, Directeur du Musée d'Alep à qui j'adresse mes vifs remerciements. Le vase a été très soigneusement reconstitué au Musë d'Alep.

3 A.FINET, Les temples sumériens du TelKannâs, dans AASOR, 44(1977), p. 93 - 94, fig.3. Cinq des pièces viennent du temple, le plus souvent de la salle centrale, soit notre vase (fig.1) et une fiole qui fut exposée avec lui (E. STROMMENGER, Kleine Flasche, dans op. cit. n.2, p. 46, fig. 31, (= notre fig.2), soit les fragments du corps de deux jarres allongées à ployure et à oreillettes (M. TROKAY, Vases en pierre, dans A. FINET, (éd.), «Lorsque la royauté descendit du ciel», Musée royal de Mariemont, 24/9/ 1982 - 16/1/1983 et Musée de Louvain la - Neuve, 4/2 - 27/3/ 1983, P. 102, fig.13 :0.4014 et 0.4229) et, exceptionnellement, d'une pièce en chicane, le fond d'un petit pot (Ibid. 0.4020). Les deux dernières: un gobelet caréné évasé (Ibid. 0.4021) et un fragment allongé de pot (fiche de fouille, n 897) viennent respectivement du grand magasin et de la surface (secteur J.(. Les documents numérotés sous la lettre O sont conservés aux Musées royaux d'art et d'histoire de Bruxelles comme les pièces citées plus bas, n. 7,9,10, 15, 46.

4. A. FINET, loc. cit., 1977 n.3.

5. pour la référence à la figure,v plus haut, n2.

6. A. FINET, loc. cit. 1977, n.3; E. STROMMENGER, loc. cit. n. 2 et M.

mative dans nos hypothèses.En revanche, nous sommes suffisamment informée pour attester qu'avec les autres récipients d'albâtre du Tell Kannâs (fig.2), par ses hautes qualités esthétiques et par sa valeur précieuse, notre vase (fig.1) se joint à une abondante documentation pour souligner le niveau culturel élevé et la nature prospère de la grande cité qui le conservait.

type des vases à fleurs (40). Selon lui, il pourrait s'agir d'oeuvres proches de thèmes dont elles sont contemporaines qui, sur les empreintes urukéennes de Suse et de Habuba, figurent des jarres contenant des «rubans frangés» parfois identifiés à la représentation d'épis de blé stylisés (fig.14) (41). Mais en raison des circonstances de leur découverte et dela nature de leur matière première qui ne sont pas semblables ce modéle (fig.1) et ses imitations probables (fig.5) ne devaient pas avoir des fonctions exactement pareilles. Le premier représentait un objet précieux réservé à la décoration d'un temple al ors que les seconds figuraient des pièces communes destinées à orner une habitation privée (42).

De surcroît, les idées religieuses ayant d'habitude dominé les manifestations de l' art du Proche- Orient, il est vraissemblable que tous ces documents n'avaient pas un rôle uniquement décoratif. Peut - être intervenaient- ils dans quelque cérémonie rituelle dont le sens nous échappe, faute d'informations? le premier dans un sanctuaire, les autres, dans une maison (43).

La valeur ornementale de leurs appendices incite à penser qu'ils devaient nécessairement remonter à des prototypes dont le bec et l'anse avaient été fonctionnels. En retenant que la morphologie de leurs épaules semble s'inspirer de celle des bouteilles à bec verseur d'une date semblable à la leur, on découvre au moins une partie de leurs ancêtres présumés (44). Ce sont des vases allongés parfois pansus qui paraissent avoir été imités en céramique (fig.15) (45) après avoir été créés en pierre (fig.16) (46) ou en métal (fig.6) Façonnés dans cette matière, ils auraient pu figurer cetains des antécédents des jarres de Habuba Sud (fig. 5) (47) qui, toutefois, d'après la documentation du sondage Suse, pourraient aussi descendre de modèles en albâtre à peinture rouge (fig.11) (48).

Actuellement, la pauvreté des sources ne nous permet pas d'être trop affir-

sont soit les fragments de jarres allongées à ployure, à oreillettes et à décor incisé, soigneusement taillées, soit un élégant gobelet fragmentaire évasé etle fond d'un petit vase (36). Ces objets provenant presque tous d'une salle dont seul un gros tiers du sol a été dégagé, on peut se demander il'n y en avait pas d'autre dans la partie non fouillée (37).

Malgré l'apparition de ces traits originaux, ils ont été malheureusement recueillis en nombre trop restreint pour servir à renforcer l' hypothèse selon laquelle ils auraient représenté une production d'artisanat local à traits homogènes (38).

En revanche, le témoignage de leurs caractères exceptionnels pourrait expliquer comment ils auraient pu susciter la création d'imitations à prix modique en céramique si, toutefois, ils avaient été exposés aux yeux du public dans le temple où ils furent généralement découverts (39). Ainsi, le mieux connu, notre vase (fig.1) aurrait pu être apprécié par quelque potier ou par le propriétaire de Habuba dont la maison avait conservé les poteries susceptibles de l'imiter (fig.5).

L'existence de ce phénomène d'imitation peut encore être confirmée par le fait que sur le modèle (fig.1) et sur ses reproductions présumées (fig.5), on avait fixé les mêmes types d'appendices qui avaient perdu tout rôle utilitaire. Comme l'a montré D. Sürenhagen, l'un des fouilleurs de Habuba, on y avait,en effet, placé notamment soit des becs pleins ou bouchés, impr[illegible]s à la distribution des liquides, soit des anses trop étroites qui ne pouvaient ê[illegible] saisies à pleine main pour soulever les récipients dont elles faisaient par[illegible].

Aussi le spécialiste s'est demandé si en perdant leur caractètre fonctionnel ces appendices n' étaient pas devenus des ornements qui auraient transformé les pots sur lesquels ils étaient placés (fig:1,5) en objets décoratifs du

de Habuba / Tell Kannâs, des éléments de l'époque de Djemdet Nasr à des traits urukéens (32).

Les oeuvres mésopotamiennes actuellement connues, qui sont comparables à la nôtre (fig.1) sont beaucoup moins nombreuses que celles de Suse, tout en présentant comme elles (fig.7 - 12) des pièces souvent miniaturisées. Les plus remarquables ont été trouvées dans des couches mal définies à Tello. Elles comprennent quelques pots en albâtre à oreillettes simples et une épaule de vase à décor géométrique incisé auxquels s'ajoutent plusieurs fioles voisines de celle du Tell Kannâs (fig.2) dont on découvre également plusieurs exemplaires à Uruk (33). En s'intéressant à la documentation de Tello, H. DeGenouillac avait dèjà observé qu'elle présentait des pièces qui avaient été imitées en céramique dont la ployure rappelait la carène de certains récipients métalliques (34).

Compte tenu de ces comparaisons et du matériel disponible, si le vase du Tell Kannâs (fig.1) représentait une importation, il aurait pu être originaire de Suse. Le témoignage de liens artistiques propres à unir les empreintes archaïques de cette ville à la glyptique du Tell Kannâs et de Habuba Sud pourrait étayer cette supposition (35). Toutefois, si un tel monument (fig.1) était sorti des ateliers susiens qui semblaient surtout produire des objets miniaturisés (fig. 7 - 12), par ses dimensions relativement élevées, il aurait figuré une oeuvre exceptionnelles; ce qu'il parâit par la teneur des ses caractéristiques.

En effet, dans la documentation de l'époque récente d'Uruk actuellement connue, il constitue une oeuvre originale; précieuse autant par ses qualités de technique et d'art que par la beauté et par la richesse de sa matière (fig.1). De surcroît en dépit de leur état dégradé, les autres récipients d'albâtre du Tell Kannâs semblent témoigner de caractères d'un niveau artisque égal au sien (fig.1). Outre une fiole endommagée aux proportions harmonieuses (fig.2), ce

des parallèlles au Tell Kannâs dans les pièces d'albâtre (fig.2) du groupe de notre vase (fig. 1) (25). De plus, l'une d'elles' la fiole (fig.2) a encore d'autres correspondants susiens (fig. 11) qui furent récemment trouvés avec de nouveaux documents d'albâtre dans un sondage des niveaux urukéens récents de l'acropole (26). Dans cette documentation, on compte aussi deux nouvelles jarres de petite taille à ployure et à oreillettes , morphologiquement proches de notre vase (fig. 1). Mais, leur fond est convexe et elles ne portent ni anse, ni décor, et seule l'une d'elles est pourvue d'un bec (fig.12) (27).

Le fouilleur qui les a recueillies, les a rapprōchées de céramiques à engobe rouge de Tello de sont malheureusement peu connues en raison de leur fragilité (28). A Suse, il a exhumé des oeuvres de ce type à pâte dure et bien cuite comptant, outre plusieurs pièces miniaturisées, un vase de dimensions plus élevées (fig. 13) qu'il compare aux poteries à engobe de Habuba (fig.5) (29). De surcroît, comme il s'orne d'une frise d'épaule à décor incisé (fig. 13) ce document paraît appuyer l'opinion selon laquelle les pots tronconiques à engobe rouge, tels ceux de Habuba (fig. 5), pouvaient imiter comme les autres pièces de leur famille (fig.3 - 4), les oeuves du type de la nôtre (fig. 1). Cette donnée peut encore s'étayer compte tenu du fait qu'en raison des traces de peinture qu'ils portent, deux des vases en albâtre du sondage susien - la fiole citée plus haut (fig. 11) et un pot zoomorphe (30) -laissent penser que notre oeuvre (fig.1) et les autres pièces dont nous faisons état (fig.2 - 7 - 12) auraient été peintes en rouge.

Tous ces objets en albâtre (fig. 1 - 2, 7-12) ont des parallèles dans une p souvent miniaturisée avec ou sans engobe, comme les céramiques tron côniques (fig. 3 - 5) et qui fut découverte non seulement à Suse mais encore à Habuba Sud (31). De plus, si l'on cherche à dater précisément la documentation susienne, on s'aperçoit qu'elle paraît unir comme le font les matériaux

Ce sont les monuments susiens qui paraissent avoir livré les parallèles les plus remarquables. Outre plusieurs vases de la classe du nôtre (fig. 1), mais de dimensions plus réduites (fig. 7 - 10), ils ont aussi révélé l'existence d'autres petits objet en albâtre qui, par leur nombre, par leur variété et par leur nombre, par leur variété et par leurs qualités techniques, tendent à montrer que la ville de Suse, dont ils provenaient était spécialisée dans la taille des pierres soignées. L'approvisonnement en matière première pour sculptèr les pièces pouvant se faire aisément dans les montagnes voisines du lieu de leur découverte , une telle hypothèse semble se vérifier (19).

Comme elles proviennent surtout de fouilles anciennes, les oeuvres susiennes dont nous faisons état sont le plus souvent imparfaitement connues et figurées par des dessins (20). Les deux plus signficatives paraissent coïncider assez exactement avec le vase du Tell Kannâs (fig. 1) par les traits de leur forme et de leurs appendices. Néanmoins, elles n'ont ni fond débordant, ni oreillettes jumelées. En outre, l'une d'elles n'est pas ornée (fig.7a) et l'autre dont le fond est convexe porte un décor dont l'illustration est mal défine (fig.7b) (21).

Les moins remaquables sont de dimensions encoré plus réduites que les deux premières. Ce sont six petits pots oreillettes simples et à fond, soit plat (fig. 8c, et 9a - b), soit convexe (fig. 8a - b, et gc) dont deuxont uneforme aplatie (fig. - 8a - b). Les trois premiers qui ne sont pas décorés habituellement une anse (fig. -8a - c) (22) et, exceptionnellement un bec (fig. 8b.). Les trois derniers sont anse ni bec et ils ont l'épaule décorée de motif géométriques incisés (fig. 9a - c) (23).

En outre, l'ancien matériel de Suse nous offre encore soit une fiole à col bas (fig. 10a), soit une petite jarre allongée à ployure (fig. 10b) (24) qui ont chacune

développées (14). D'autres trouvailles pourraient égallement attester que l'agglomération avait compté des ateliers où l'on aurait taillé des monuments de la famille du nôtre (fig.1) (15).

De surcroît, deux sites néolithiques du Moyen Euphrate dont l'un, celui de Mureybit, était très proche du Tell Kannâs, récélaient déjà dans leurs niveaux des vases luxueux sculptés en pierres assez fines dont l'albâtre. Cependant, nos connaissances sont loin d'être suffisantes pour nous autoriser à présumer que la taille d'objets en pierres de cette qualité représentait au Moyen Euphrate á l'époque des temples du Tell Kannâs une technique traditionnelle d'orine néolithique (16).

En raison de l'état lacuneux des sources,on peut encore penser que notre vase (fig.1) repésentait comme la matière employée pour le tailler un produit d'importation. Il appartenait d'ailleurs au patrimoine religieux d'une métropole commerciale dont le destin devait avoir été favorisé par sa situation géographique dans la grande boucle de l'Euphrate ancien carrefour de voies fluviales et routières qui reliait du sud au nord, Sumer et l'Anatolie et d'est en ouest, la Méditerranée à l'Iran (17).

S'il représentait un bien local, compte tenu de ces renseignements et d'informations disponibles sur l'exploitaion des minéraux dans l'Orient ancien, on peut présumer qu'il avait été taillé dans un ablâtre importé par la route ou par bateau, soit d'Anatolie, soit d'Iran (18).

En revanche, s'il figurait un objet importé, c'est l'évidence ressortant de certaines comparaisons qui permet de conjecturer de sa provenance. Nous disposons, en effet, d'un nombre appréciable d'oeuvres auxquelles il peut se comparer qui viennent de sites dont était sensiblement contemporain. Il s'agissait surtout de Suse en Iran de l'Ouest et Tello et d'Uruk au sud iraquien.

l'une d'elles, le bec est doublé (9). De surcroît, au Lieu de s'orner d'un décor incisé, elles sont couvertes d'un engobe rouge lissé (fig.5) (10).

En étudiant l'art de la période d'Uruk, B. Hrouda a souligné que l'apparition d'un tel enduit lié á la présence d'une ployure donnait aux oeuvres de cette classe (fig.5), l'aspect brillant et le profil angulaire de certains récipients métalliques. Aussi, il a été tenté d'y découvrir (fig. 5) une imitation de vase en métal aprés avoir également noté qu'au moment de leur création, le travail des métaux était déjà bien attesté au Proche - Orient (11). De surcroît, cette hypothèse peut s'illustrer par le témoignage documents urukéens en cuivre et en bronze - des fragments de col et un vase à bec en forme de bouteille pansue (fig.6) qui présentent des analogies avec poteries dont nous faisons état (fig.5) (12).

Suivant ces propositions, le vase du vase du Tell Kannâs se ragerait donc dans une catégorie de monuments créés non seulement en pierre (fig. 1) et en terre cuite (fig. 2 -5) maisencore métal (fig. 6). Exécutés dans le premier et dans le troisième de ces matériaux qui, étant étrangers au sol proprement mésopotamien devaient être importés, de tels documents figuraient sans aucun doute des articles de luxe d'aspect attrayant, réservés à une clientéle fortunée. Aussi, comme cela s'est toujours fait avec certains objets précieux, on les avait mis sur le marché public en les imitant dans une matière commune, peu coûteuse. On les avait ainsi façonné avec de l'argile, minéral abondant partout en Mésopotamie et qui, pour être travaillé demandait un traitement moins élaboré que celui auquel on devait soumettre la pierre ou le métal (13).

Dans la ville où s'élevaint les temples du Tell Kannâs, ces récipients auraient pu être produits ainsi à moindre frais comme le montrer de nombreuses découvertes propres à témoigner de l'existence d'activés céramiques

Le récipient est de taille moyenne. Il mesure 22 cm de hauteur; son diamètre est de 8,5cm au fond, de 30 cm à la ployure et de 16,5cm à la base du col. Son anse qui est trés étroite mesure environ 3cm de largeur et son bec fragmentaire est plein. Il a été soigneusement taillé dans de l' albâtre translucide et sa surface extérieure a été lissée. En revanche, sa décoration a été négliée ; la frise de triangles n'est pas parfaitement régulière et ses hachures débordent parfois de leur cadre (fig .1) (5).

par les traits servant à caractériser non seulement sa forme mais aussi ses appendices et son décor (fig.1), il est identique aux céramiques tronconiques á épaule aplatie et à ployure de l'époque d'Uruk qui portent respectivement des oreillettes perforéés, une frise linéaire incisée et parfois une anse et un bec. (fig. 3.- 5) (6).

Au Tell Kannâs, non loin l'enddroit où il fut exhumé, dans la salle centrale du temple Est, on a mis à jour trois pots de cette classe d'une taille moyenne avec lesquels il présente des similitudes marquées. Outre un profil analogue au sien, les deux premiers qui, néanmoins, n'ont pas un fond débordant, offrent comme il le fait (fig. 1), soit une bande gravée de triangles hachurés croix, soit des thèmes en arêtes de poisson (fig. 3). Le dernier qui est incomplet nous montre avec guelque variantes deux des types d'appendice dont il est pourvu (fig.1): une anse dressée bourrlée mais de profil arrondi et des oreillettes doublées qui; néanmoins ne sont pas accolées l'une á l'autre (fig 4) (7).

D' autres comparaisons sont fournies par une dizaine de jarres de taille moyenne trouvées dans l'une des maisons de Habuba Kabira Sud qui avait l'avantage d'appartenir à la même cité que le centre religieux du Tell Kannâs (8). Les deux plus remarquables concordent assez exactement Avec notre vase (fig. 1). Néanmoins, leurs oreillettes ne sont pas jumelées (fig. 5) et sur

UN VASE EN ALBÁTRE DU TELL KANNAS (Moyen Euphrata (1)

Madeleine TROKAY,

Liège (Belgium).

Parmi les chefs - d'oeuvre de l'art syrien récemment exposés dans différents pays d'Europe et au Japon, on comptait un vase en albátre de l'époque récente d'Uruk qui appartient au musée d'Alep (2). Il s'agit du document le mieux conservé d'un lot de sept récipients d'albâtre souvent trés fragmentaires, qui furent retrouvés au TELL Kannâs (Moyen Euphrate) presque toujours sur le site du plus ancien des sanctuaires de la période d'Uruk, le temple Est et, exceptionnellement, dans les ruines du grand magasin jouxtant cet édifice et en surface (3). Avec les autres piéces du groupe, il avait été endommagé dans un incendie qui avait détruit ces bâtiments (4).

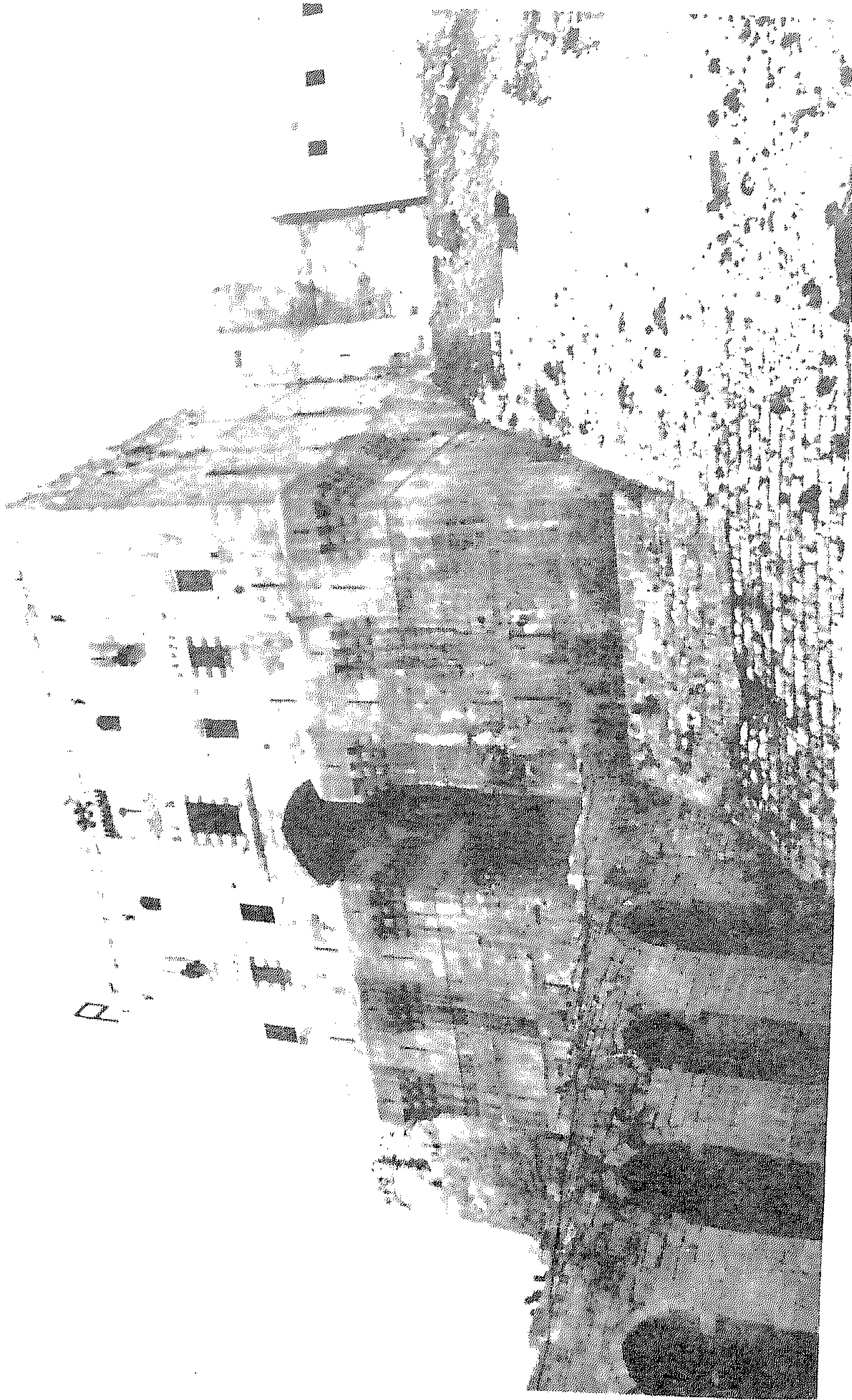
Bien qu'il ait été brisé en plusieurs morceaux dans le sinistre, il a pu être reconstitué presqu' entiérement. C'est un vase|à fermé fond débordant et à col évasé avec lèvre amincie; qui s'incurve sous une ployure située à la base de l'épaule sur laquelle, outre différents,appendices on a disposé un décor géométirque incisé. Ainsi, on trouve d'une part, une anse rubannée dressée á profil quadrangulaire et un bec tubulaire partiellement détruit qui sont opposés l'un á l'autre et entre lesquels s'insèrent de chaque côté, à distance égale, deux paires d'oreillettes perforées jumelées. Ensuite, on rencontre trois zones séparée d'ornementation. La première qui apparaît á la surface du vase sous les oreillettes, figure une frise de triangles á hachures croisées. La deuxiéme qui couvre le triple bourrelet placé à chacun des bords de l'anse, représente des alignements de traits obliques et parallèles encadrant des croix.La troisième qui se trouve sur les oreillettes nous montre un motif en arêtes de poisson (Fig. 1).



11 – Upper entry block, third gate.



10 – Upper entry block, first gate.



9 – Upper entry block.



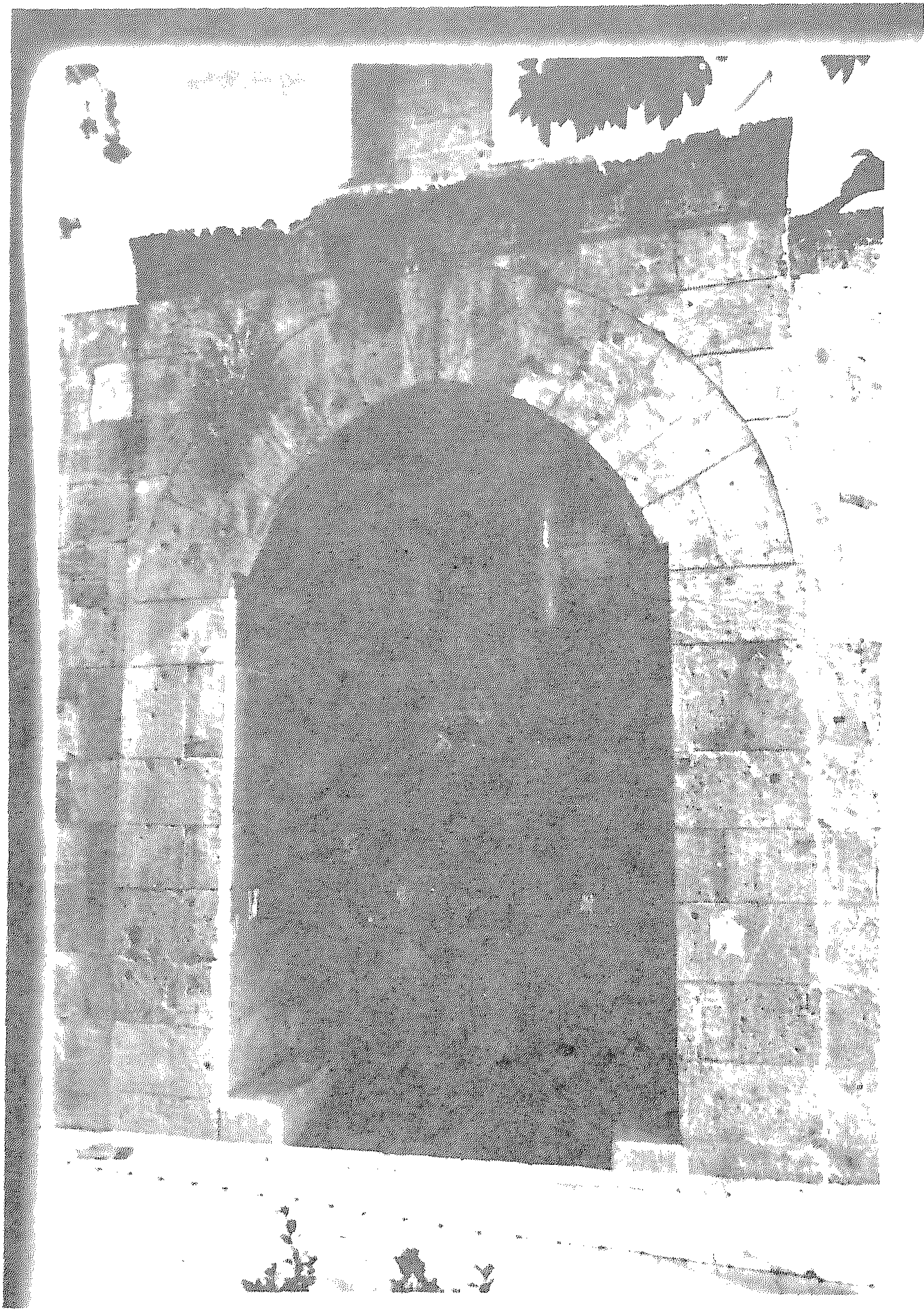
8 – Citadel, upper entry block, detail of inscription.



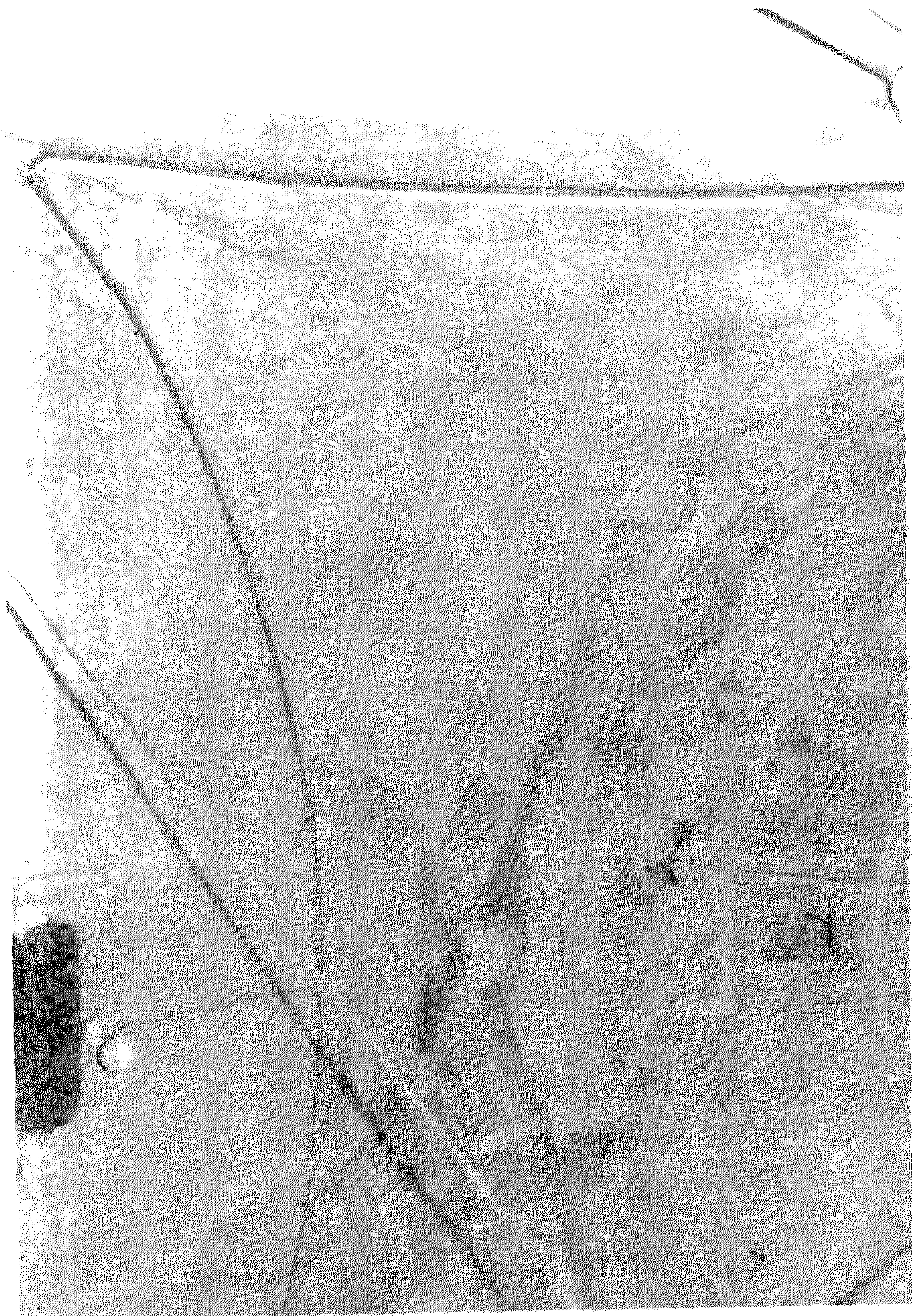
7 – Portal, east side, detail of inscription.



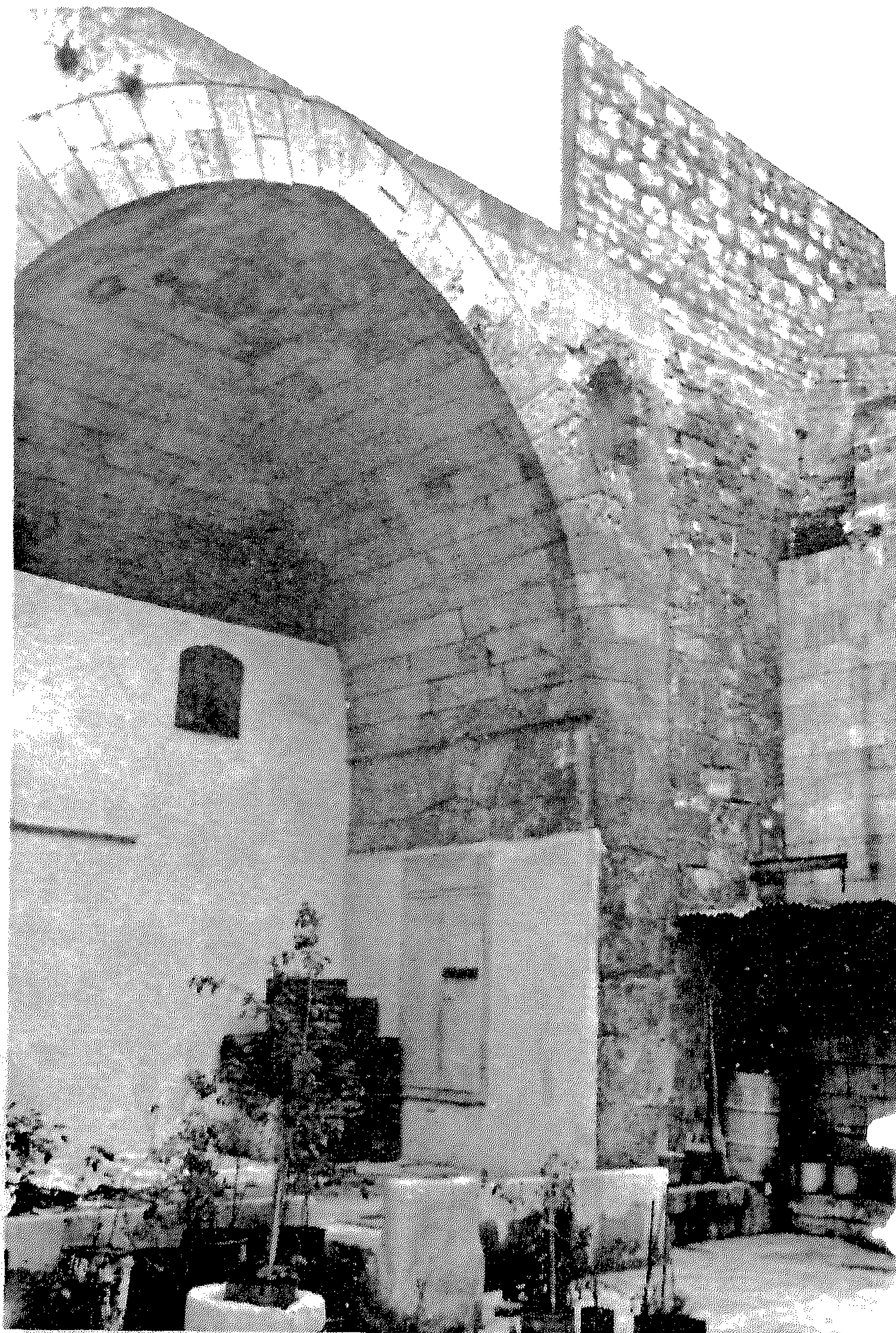
6 – **Portal, west side, detail.**



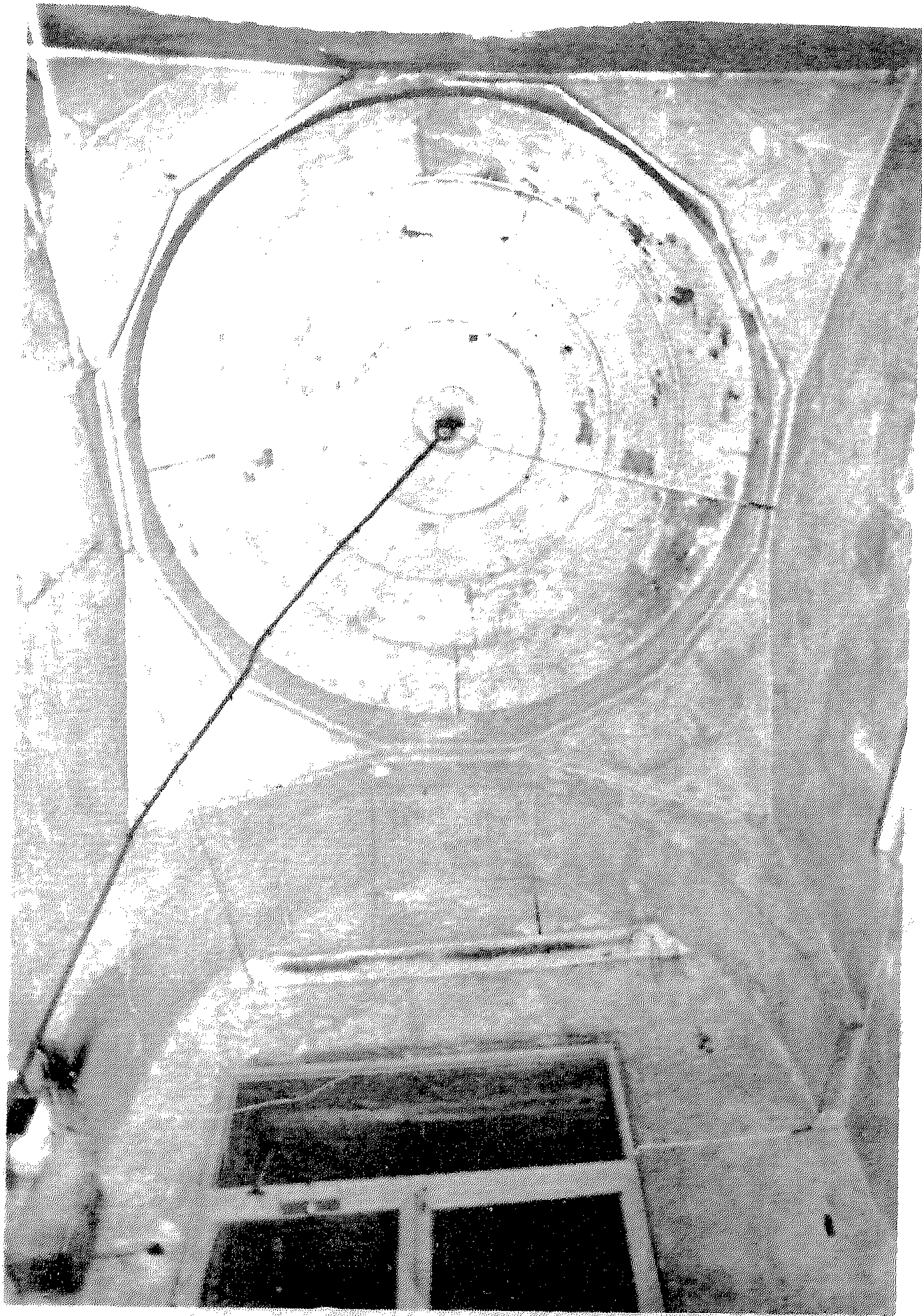
5 – Madrasah al-Sulṭāniyah, portal.



4 – Zone of transition of prayer hall dome.



3 – North iwan-hall.



2 – Vestibule vault.



1 – Madrasah al-Shādhbakhtīyah, portal.

3 - See Terry Allen, *Five Essays on Islamic Art*, Sebastopol, 1988, figs. 94 - 95.

4 - Herzfeld, *op. cit.*, pp. 255 - 60 .

5 - *Ibid.*, pp. 276 - 82 .

6 - Ibn Shaddād, *op.*, *cit.*, pp. 107 - 08 .

7 - Herzfeld, *op.*, *cit.*, p. 276 .

8 - *Ibid.*, pp. 77 - 141 .

9 - Heinz Gaube and Eugen Wirth, *Aleppo (Beihefte zum Tübinger Atlas des Vorderen Orients*, v. B 58) , Wiesbaden, 1944, pp. 165 - 67; Ibn Shaddād, *op.*, *cit.* pp. 24 - 25; Muḥibb al-Dīn Abu'l-Faḍl Muḥammad ibn al-Shiḥnah, *al-Durr al-muntakhab fī ta'rīkh mamlakat ḥaleab*, ed. Yūsuf Sarkīs al-Dimashqī, Beirut, 1909, pp. 50 - 58 .

10 - Herzfeld, *op. cit.*, pl. 27, below, gives a sketch of the original arra gement.

(The inscription directly over the doorway, arranged in two lines on the lintel dates only from a reconstruction by al-Malik al-Ẓāhir Abū Saᶜīd Barquq in 786–1384–85.) In 1988 I noticed the tail of one letter remaining on the left frame of the recessed inscription panel from an earlier inscription (Fig. 8), which shows that an inscription of al-Zahir Ghazī was here, and that Qarāsunqur effaced it.

It is not impossible that all or part of Qarāsunqur's long inscription band and even the archivolt were painted, since other such inscriptions are known to have been painted, and paint would have made a good effect here. In fact there are traces of paint around the serpents, which may be either original or a repainting of the original scheme. This sheltered spot, now so favorable for the preservation of paint, was open to the elem nts before the vault betweenthe towers was added, so it is hard to j ıdge the authenticity of such painted decoration. I have also noted traces of paint in the inscription band within the entry bay of the Madrasah al-Firdaus, leading me to suspect that the long inscription bands both outside and inside and inside the Firdaus may also have been painted originally.

Conclusion

These Ayyūbid monuments may seem plainly designed at first, but they reward patient observation, as their masonry gives many cluse to how they were meant to be seen. All of the great public buildings of this period were built with integrity of design and a very restrained approach to carved stone decoration. Close observation of such details as masonry finish helps show just how carefully the stonecutting is related to the rest of the design, and brings the observer closer to the familiar relationship with these buildings enjoyed by Aleppans of the Ayyūbid age. The modern observer may also enjoy generalizing this experience of masonry to the many other ashlar monuments of Aleppo.

NOTES

1 – Herzfeld, *Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum*, pt. 2 : *Syrie du Nord .Inscriptions et monuments d'Alep*, 2 v. in 3, Cairo, 1954–56 *(Mémoires de l'Institut Français d'Archéologie Orientale*, v. 76 v 77, 1955 – 56, v. 78, 1954), pp. 255 – 60; ᶜIzz al-Dīn Abū ᶜAbd Allāh Muḥammad ibn Shaddād, *al-Aᶜlāq al-khatīrah fi dhikr umara al-shām wa'l-jazīrah*, ed. Dominique, Sourdel, Damascus, 1953, pp. 113 – 14 .

2 – Abu'l-Husayn Muhammad b. Ahmad ibn Jubayr, *Rihlah*, ed. William Wright, revised M. H. de Goeje, Leiden and London, 1907; trans. J. C. Broadhurst as *The Rravels of Ibn Jubayr*, London, 1952, p. 262.

bit on the two lateral faces so that it cuts into the course below, and iniehe center, over the doorway, an extra line has been added at the top of the monolithic lintel, rather spoiling the intended contrast between plain lintel and inscribed flat relieving arch. The reason for the change in length of the inscription, and apparently also for the fact that the building was only half-finished during the initial campaign of building, is that its patron died at that point, and the inscription on the portal was composed later, as Ibn Shaddād says.(7)

The extra-fine finish of this portal occurs on earli erbuildings ,such as the Madrasah al-Shuᶜaybīyah, but it is used here to create ambiguities between the actual and perceived form of the masonry, which was not the case in the ornamented style. It is worth reflecting also on the limited role that inscriptions have in the design of portals at this date: the *ṭirāz* inscription of the Ayyūbid Madrasah al-Firdaus is a big change in this pattern. The visitor who so desires can follow the changes in masonry finish right around the building, and discover for himself its successive rebuildings.

Citadel entry

The Citadel of Aleppo is the *ne plus ultra* of Islamic fortifications. It is at the same time a fine example of Ayyūbid style and a successful combination of different periods of design.(8) The upper entry block (Fig. 9), which includes work of several periods, is the focus of the fortifications. The original portion of this massive block is a superbly designed work of al-Malik al-Ẓāhir Ghāzī, built in 606–08–1209–12. (9)

The upper entry block originally topped out at the level of the brattices or machicolations.(10) After passing through the lower tower (*bashūrah*) and crossing the viaduct, the Ayyūbid visitor entered the upper entry block between two massive towers bristling with crenellation, and turned right to enter the eastern tower beneath the first gate, with its serpent archivolt (Fig. 10). After climbing a ramp with two turns of 180° the visitor turned left (bnorth) to pass through the walls at the third gate, which is decorated, like the second gate, with lions in Romanesque style. This uppermost gate, the third one, is also a fine example of moldings of the ornamented style, popular in Aleppo forty years previously (Fig. 11).

In its original state, the upper entry block was not only a story lower in elevation, it lacked the wrap-around *tiraz* inscription added in 69–1292 by Qarāsunqur, the governor of the Mamluk sultan al-Malik al-Ashraf Khalil b. Qalā'ūn. It has long been a puzzle why Qarāsunqur also inscribed a short version of this text in the recessed panel under the serpent archivot.

Ibn Shaddād, however, says that the Madrasah al-Ẓāhirīyah, as he terms it, was founded by the Sultan al-Malik al-Ẓāhir Ghāzī and begun in 610–1213–14, and that the tomb was founded next to it.(6) The inscription within the entry bay cites Qur'ān 9 :18, a passage common in this context, and goes on to say essentially the same thing as the inscription on the cavetto but more fulsomely and devoting more words to the living: al-Malik al-Ẓāhir Ghāzī's son and successor al-Malik al-ᶜAzīz and his regent, Shihāb al-Dīn Tughril. Thus the building was begun by the father and finished by the son.

The masonry of the entry bay is bevelled along its horizontal joints up to the zone of the vaulting, where the main joints of the vault are also bevelled. The bevel stops short of outer edge of outer face of portal by nine centimeters. The voussoirs of the frontal arch are bevelled on all sides. All the surfaces are finished to an extremely fine texture, so fine that it can be mistaken for the natural grain of the stone. The next degree of finish in fineness is sufficiently coarse to show the toothing of the adze used to produce it; to either side of the portal the set-back faces were finished with a medium-toothed tool using medium-length strokes (about a half centimeter to one centimeter long) .

As Herzfeld noted, the frontal arch of the entry bay (and indeed the whole vault) appears depressed, or splayed, because its intrados begins at a higher level than its extrados. This is because the inscription was cut up into the vault. On the courtyard side of the portal is a bay covered with a barrel vault, which has a slight notch where the arch of the bay meets the wall surface facing the courtyard. This vault shows how the exterior vault may have been planned originally. The vaults of these buildings are inset slightly from the walls that support them, to allow wooden centerini to be removed more readily.

Inscriptions such as the one in the entry bay were commonly inscribed when the building was endowed, not necessarily when it was completed. Many buildings of this period in Aleppo never were inscribed although space was left for inscriptions. In this case the text evidently proved to be longer than planned. It was increased in height by a line, and the inscription panel was cut upwad into the lowest course of the vault. Even though the inscription panel stops short of the outer face of the portal, the level established by its upper edge was carried out to that point, creating the odd notches in the frontal arch. Even so the inscription burst the buonds of its panel on the left end, where letters are cropped and one of them laps onto the surface of the plain stone (Fig. 7). Below, the panel was enlarged just a bit on the two lateral faces so that it cuts into the course below, and in the

The Shādhbakhtīyah is an early plain-style monument, retaining many features of the ornamented style that were later to be abandoned. This stylistic shift can be explored a bit, as the architect's name, Qāsim b. Saᶜīd, is inscribed on the portal. As Ernst Herzfeld suggested, Qāsim may have been the son of Saᶜīd al-Muqaddasī, who signed the Madrasah al-Shuᶜaybīyah. (4)If Qāsim was indeed the son of Saᶜīd, then the transition from Saᶜīd's ornamented style to the plain style occured even within the same family and in a very short time. In monuments of the plain style the artistic effect must have been more dependent than before on their furnishings-their great wooden doors, shutters, and grilles; their carpets, and their metalwork. It is as if architects had renounced the primacy of their own contribution in favor of a larger balance, but this is not a satisfactory interpretation.

Instead, it may be that the immense volume of military construction, which swelled throughout the twelfth century, affected the availability of masons sufficiently skilled to carve the ornament of the ornamented style. Or it may be that the aesthetics of military architecture affected the design of nonmilitary buildings. Or it may be that a florescence of Syrian craftsmenship in woodwork and the portable arts influenced the coices of architects and their patrons. One way or another, the Shādhbakhtīyah is unusually sensitive evidence for the transition from one architectural style to the next within a continuous construction tradition.

Madrasah al-Sulṭānīyah

The portal of the Sulṭānīyah is as understated as any Ayyūbid portal, and is also an excellent example of fine masonry finish. It projects only two centimeters from the wall to either side, as though it were a separate piece of masonry (Fig. 5), but this is not the case. Alternating courses of stone cross this apparent break, but the illusion is maintained by a shift in stone dressing even within these transitional stones (Fig. 6) .

The portal is crowned with an inscribed cavetto cornice. The entry bay is covered with a mitered vault extended by short section of barrel vault, notched at the springing level by the upper line of the inscription. The door frame is plain, and there are small benches on either side of the bay. The minaret is a later addition.

The inscription on the cavetto molding over the entry bay says that the building was founded, for the recitation of the Qur'ān and the study of the law, in the reign of al-Malik al-ᶜAzīz Muḥammad (who was then still a minor), and included the mausoleum of his father, al-Malik al-Ẓāhir Ghāzī; it was built by the hand of al-Malik al-ᶜAzīz Muḥammad's regent, Shhiāb al-Din Tughril, and was finished in 620–1223 – 24 .(5)

example of the muqarnas in Aleppo, would have been far more visible.(3) The visitor passes through a small but carefully built vestibule (Fig. 2) and enters a small courtyard, whose east and west arcades are lost The iwan-hall on the north side of the courtyard and the tomb chamber in the northeast corner of the building survive nearly intact. The iwan-hall (Fig. 3) originally backed onto the *sūq*, but it has been cut into to provide space for several shops. This is hardly surprising; it is remarkable that Shādhbakht should have devoted so much valuable commercial frontage to his madrasah.

The prayer hall facade is entirely plain. The prayer hall itself is covered with a dome and two mitered valuts; the cut-stone dome is ringed by cylindrical knobs, evidently for the suspension of lamps ((Fig. 4). The mihrab is the earliest extant in Aleppo to be decorated with inlaid marble, a traditional local technique.

Among the highlights of this building the muqarnas entry vault stands out. I wish to draw attention to several of the other vaults-: those of the vestibule, the iwan-hall, and the prayer hall.

The vestibule dome is set on what I call triangular split pendentives . The stones of the dome, but not those below, are bevelled along their horizontal joints. This is a technique popular in Aleppan architecture of the twelfth century for emphasizing the coursing of the masonry; it is a display of the mason's art. The effect of bevelling here is to emphasize the vault of the dome, a small enclosed space before the arcade and courtyard beyond.

The iwan-hall vault is bevelled, too, though not quite always along the joints of the stonework: in the eastern springing of the frontal arch of the iwan-hall false bevelled joints are carved across the face of a single lerge stone, a device we know to have been used for at least a century prior to this date.

The prayer hall is composed of a dome flanked by two mitered vaults, rather than the usual barrel vaults. The central dome is set on split pendentives that are curved in two dimensions. Like the simpler pendentives of the vestibule, these pendentives are designed to avoid cutting stones curved in three dimensions, as in a true spherical pendentive.

The transition from the pendentives to the circular base of the dome is eased visually by the insertion of stone knobs, for the suspension of lamps. This is unusually plain evidence of the location of such fixtures; I know of no other similar example.

Observations on Ayyūbid Architecture in Aleppo

Terry Allen

Sebastopol, California

In the area of the Citadel of Aleppo half a dozen buildings displaying fine Ayyūbid masonry can be seen in a few minutes walk. These observations point out some of the less obvious features of several of those buildings. I hope that they may be of interest to visitors with antiquarian interests.

Madrasah al-Shādhbakhtīyah

The first extant building constructed inside Aleppo after the death of Nūr al-Dīn b. Zangī, the Madrasah al-Shādhbakhtīyah, or Jāmi^c Shaykh Ma^{c}rūf, at the eastern end of the main *sūq*, near the Citadel, is an early rep-representative of what I call the plain style. The carved relief ornament that is found on Saljūq and Zangid monuments in what I call the ornamented style, such as the minaret of the Masjid al-Jāmi^c, the Madrasah al-Shu^{c}ay-bīyah, and the Masjid al-Jāmi^c of Harran has been abandoned in favor of generally smooth masonry without moldings . The planes of the volumes are emphasized rather than their plasticity.

The madrasah was built by the amir Jamāl al-Dīn Shādhbakht, a Hindu eunuch who was governor of the Citadel of Aleppo for Nūr al-Dīn at the time of that sovereign's death.(1) The building is dated by two insc-riptions of 589/1193 recording Shādhbakht's formal *waqf* (endowment) of the institution. While waqf inscriptions were sometimes added much later than the completion of the building on which they appear, in this case it appears that the madrasah must date to 1193 or shortly before. It was thus founded under the Ayyūbids, in the old age of a survivor of the previous dynasty. The madrasah was located not far from a complex of now-lost governmental buildings constructed by Nūr-al-Dīn below the Citadel of Aleppo, and may reflect their style.

The Shādhbakhtīyah is entered from the *sūq*, which is now vaulted over and a meter higher than it was eight hundred years ago. Abu'l-Ḥusayn Muḥammad ibn Jubayr, writing in the late sixth/twelfth century, says that the *sūq* was roofed with timber, and it may have been open to the sky along this stretch.(2) In contrast to today, the portal (Fig. 1), which is an early

Bibilography

Schulze, peter H.Herrin beider laender - hatschepsut. bergisch - gladlad, 1976

Schulze, peter H.:Auf den schwingen desHorusfalken - Die Geburt der a egyptischen Hochkultur. Bergisch Gladbach, 1980

Helck, Wolfgang: Die Beziehungen Aegyptens zu Vorderasien im 3. und 2. Jahrtausend v. Chr. Wiesbaden, 1971

Helck, wolfgang: Aleppo. In: Lexikon der Aegyptologie, wiesbaden, 1975

Drower, Margaret: Syria before 2200 B. C. in: CAH I/2, cambridge, 1971

Posener, G.: Syria and palestine 2160- 1780 Bc . in CAH, cambridge, 1971

Kupper, J.R. : Northern Mesopotamia and Syria. In: CAH, cambridge, 1973

Gadd, C.J.: Hammurabi and the end of his dynasty. CAH, Cambridge, 1973

Drower, Margaret: Syria after 1550 B.C. In: CAH, Cambridge, 1973

Wolf, Walther: Das alte Aegypten. Muenchen, 1971

teresting facts are, that the messenger is leaving in Upe-the Egyptian name for the region of Damascus-Egyptian territory on his way to Khatti, and then the next question is:«In which cardinal point from Simyra Aleppo is situated? How looks its river like? » Simyra was a town on the Syrian coast north of Byblos, brought by Ramesses II. under influence, and whilst the road to khatti conducts in northern direction, messenger wanting to reach Mari and Babylon avoiding the waythrough the desert had to find their way via Aleppo. The last Egpytian montion of Aleppo in this 2nd millenium we find on a wall in the temple of Ramesses III.(1184-1153 B. c.) in Medinet Habu. The pharao gives here a drematic report on his great battle against the sea-people, who invaded in this century the Mediterranean world, coming from the nrth. Egypt could, with great losses and difficites, resist their assault, but the great empire of khatti collapsed like a house of cards, and with it Aleppo was conquuered by these «nomades of the sea» and completely destroyed, as mentioned in the inscriptions of Medinet habu. By the way- a remainder of these tribes were the philistines of the bible, who gave their name to the country of palestine! as often in its long history, Aleppo was later rebuie and regained its importance as center of commerece under Assyrian rule. But that is an other millenium and anther story.

-spirit and the physical strength of the Egyptian king, who counter -attacked furiously nearly alone on his chariot together with a domesticated lion the Hittites, prevented the compleat defeat of Egyptians, until the final arrival of the three Egyptian divisions caused the Hittites and their allies after two waves of attacks and counter-attacks, to break off the battle and to retire on the other bank of the river Orontes. Though Rames-ses **boasted** this battle as a great victory, it was -as all historians agree at best only a draw.

As Ramesses' report on the battle of Qadesh on the walls of his temple is illustrated, too, we can see there a merry little scene from the retreat across the Orontes: The king of Aleppo, ally of Muwatalli and named Talmi-sarma, is hold high in the air at his feet by Hittite soldiers to let run the water of the Orontes out of his mouth, wich he had swal-lowed crossing the river.

Some years later, the both great ennemies concluded a peace-treaty. It was signed by Ramesses II. and Khattushilish II, of khatti, and this signature was accompanied by solemn oathes to gods of both countries; amongst them we find **«Teshup** (god of the thunderstorm),the Sutekh of kalpa» was the Hittite name of Aleppo.

The next Egyptian document does not treat historical or biological items and is quite amusing: The so-called «papyrus Anastasi», a letter dating of the time of sethos II.(1204-1198 B.C.).In this papyrus a certain Hori, writer of profes-sion, answers a letter of his collegue Amenemopet, putting him problems in mathematics and goegraphy, the letter about the region of palestine and Syria. All these questions are put in a humorous way pretanding that his ad-dressee was completely uneducated and would never find the right answers. For us here the geographical part of this letter is the most interesting one, and it is evident, that most of the questions are just a copy of a «compendium for messengers abroad», which, as we know, existed in Egypt for envoys of the king, diplomats, army officers and merchants. In our context the most in-

respondance of the pharaos Amenophis III. Iv. Akhenaton, Semenkhkare and tutankamum, written with cuneiform letters in babylon language, the diplomatic language of the world, as french to - day,and wich was found only at the beginning of this century in Tell el - Amarna, the deserted capital of Akhenaton. At first this lack seems surprising, as so many letters of much more insignificant little syrian communites are to be found in these archives. But as we have emphasized before, Aleppo belonged in this time tightly to the Hittite sphere of influence, whilst the correspondence of Amarna is carried on by the great powers of the time - khatti, Mitanni, Babylon, and Egypt-and by the little states laying between, so to speak the on- aligned, the thrid world of this epoch.

But less than 100 years latter, Aleppo plays again a great role. Relations between the great powers Khatti and Egypt had suddenly deteriorated, and so Ramses II. Set out for Syria with an army of four divisions, to fight Khatti's king Muwatalli. That happened in the year 1286 B.C., and both armies encountered in the famous «Battle of Qadesh»,whose report on the walls of the Ramesseum in Thebes belongs to the classical battle-descriptions of history. I therefore give you a translation of that part of the report, which concerns Aleppo:

When the advance guard of the Great king, the king of Egypt, reached Qadesh, there came people from the army of khatti and said: The hittite troops are **raised;** three armies approach on the routes and arrived in Aleppo, and the king sits upon his throne in the town of Aleppo...»So far the quotation; but for not to stir up your curiosity in vain, I briefly give you the rest of this exciting story: Ramesses, who was with his advance-guard, run in a Hittite trap. The alleged deserters of the Hittite army followed with their declarations the orders of their king, and wilst Ramesses thought the Hittite king Muwatalli still in Aleppo, this one suddenly attacked the Egyptian encampment near Qadesh with far superior forces. Only the very courageous personal fighting

the great brown bear. But most of Thutmosis' interest in Syria caused the birds, which evidently populated Syria's heaven during the 2nd millenium in many kinds: different sorts of pigeons, geese, the lapwing and the peewit, the heron and the fregate - bird the gull and the cuckoo, the crane, the bustard and the jackdaw, the snipe and the guinea - fowl. You see, it is a very long list of birds and moreover not at all complete. So it gives a true image of the sane ecology of the woods and meadows, the rivers and ponds of ancient Syria . But I have to mention still an other bird, much more important for the Egyptians and which they had not known untill Thutmosis' expedition to Syria - I bet, you will it not find out ! The Egyptians, who had no own word for this newcomer, called it «the bird which bears daily» - it was the hen!

The king's successor, Amenophis II., completes the list, when he mentions in a report on his - not very successful expedition against Khatti, that he hunted in the Syrian woods «south of Qadesh gazelles, hares, and wild donkeys (onager).» From this report we learn, too, that in his 7th reigning (1431 B. c.Aleppo was under Mitanni rule; but a few years after it returned to Hittite one.

Next news about Aleppo and Syria we get by inscriptions of Amenophis III. (1417 - 1397 B.C.), who claims in a geographical list in the temple of karnak Damascus, Qadesh and Aleppo as regions under Egyptian influence. As far as Damascus is concerned, this assertion is true insofar, as Damascus in this time was a loyal ally of Egypt, but as to Aleppo, it seems a conventional boast - you see, the pharaos three and a half thousend years ago are in propaganda quite similar to politicians of to day. After all we know, Ale ppo remained since thutmosis III. always beyond Egypt's grasp.

Aleppo is not mentioned in the famous Amarna - letters, the diplomatic cor-

Syria and to have made 13 prisoners in a fight «on the juniper - hill near Khalaba» This town is no other than Aleppo., but though thutmosis III. defeated in this expedition in his 33rd reigning year (1457 B.C.) Mitanni and crossed the Euphrates near the side, where his grandfather Tuttmosis I. did so, he never conquered Aleppo itself. In the king's list of place - names in the Karnak temple' the town is named Khalabu.

But we are imdefted Tutmosis III. still for an other list on Syria, which is much more important for the knowledge of the country in the middle of the 2nd millenium. We know generally in history all about kings and fights and towns, but vere little about the appearance of a country, its flowers and trees, its meadows and plants, and its animals and birds, though they are often quite different of those of to - day and of higher importance for the daily life of the population than the great state - affairs.

Now, ThutmosisIII. Was not only a great statesman and couragious warrior, but a good observer of the nature, too. And so after the return of this expedition against Syria and Mitanni, he gave order, to carve in a wall of his newly - erected festival Hall in the great temple of Karnak the pictures of plants and animals he had seen in Syria. Sometime it is for us to - day easy to identify these reliefs as for the old Egyptian other characteristics of a plant were of interest than for our eyes, but busy work of generations of Egyptologists brought to light the names of a lot of them, which give an astonishing image of live in Syria. So we find vineyards - Syrian wine was very favourite in E [illegible]pt -, pome - granates, blue lotos, mandragora, chrysantemum, iris and ma[illegible] herbs from woods and meadows. Here as in other sources we find, tha[illegible] Egyptians were enchanted with the blooming meadows of Syria, which they did not know at all in their home - country.

Amongst Syrian animals, which - as the elefant to day are extinct here, we find

It is very interesting to state, that in all Egyptian sources about this expedition - and we have not only royal reports, but narrations of combattants - never is spoken of any fights in syria, though in Mitanni had been hard clashes and high losses. Evidently, the syrians regarded the Egyptians not as ennemies, but as defenders against the Mitanni power. So, Aleppo became a practically independent ally of Egypt. As lord of Aleppo we hear in the times of Tutmosis I. and II. of a certain a **ILILimma** who governed Nija and Alalakh too. But some years later, he was expelled from Aleppo by an interior rebellion, His son **Idrimi** could overtake the rule of the town only after submission to the newly growing strong power of Mitanni under its king **parattarna.**

An interesting sidelight on the animal life in syria of this period is the report on the walls of the famous temple of Thutmosis' I, great daughter Hatehopsut in Der ol - Bohari, where she describes, how she sacrified more than 100 elef-ants' tusks to the god Amun, which her father had captured in a vast hunting near Niji in syria, when he «killed the elefants with his own hands, shooting them with bow and arrow», as Hatshepsut's inscription describes this event. Really a proof of the courage and the mastership of arms of the pharao- I think, nobody of us would be prepared to hunt a herd of wild elefan with bow and arrow!.

In the same time it is a proof, too, for the great changes in syria's animal and vegetal appearnce in the last 3500 yrars!

By the way, these nearby hunting - grounds of Elefants are the explanation for the fact, that Aleppo was in the 2nd millepnium the greatest exporter of ivory, which was demanded all over Syria and Mesopotamia as raw - material for arms, statues, and furniture. THE next time we hear in Egyptian sources of Aleppo, it is in the tomb of a high officer of king Thutmosis III., named Amenemheb, who claims to have accompanied his pharao expedition against

It was until the beginning 16th century B.C., that «the great kingship of Aleppo», as it was mentioned in the Mari tablets, could resist the growing Hittite power and the invasion of Hurrite tribes. But at the end of the 17th century, **Khattushilish** I. conquered it for the first time: his successor **Murshilish** I. ruined the kingship completely in 1595 B.C., when he undertook his expedition against Babylon extinguishing the dynasty of the great Hammurabi his destruction of Yamhad as appearance of the newcomer amongst the great powers in west - Asia, Mitanni, changed the politician situation in Syria completely.

Aleppo was now a town under Hittite domination, governed by a prince from the royal family of khatei, But we can see, that this Hittite grip on Aleppo was not very strong; we hear in the following decades of rebellion in Aleppo under weak Hittite kings.

That was the situation in the middle to the end of the 16th century, when Egypt, after the complete victory over the Hyksos invaders and the foundation of the New king dom under Ahmose I in 1551 B.C., conquered the last Hyksos stronghholds in southern palestine and became more and more interested in Syria, which they called **Retennu,** In this time Egypt had the first diplomatic contact with the kingdom of Khatti and its vassals in northern Syria as well as with the rising kingdom of Mitanni, which they called «Naharina» ‹the two streams› It seems that was in the first reigning years of Thutmosis I. (1505 - 1493 B.C.), that syrian princes and townships informed him of the su en spredding of Mitanni into the syrian territory and asked his help, whilst in same time interior quarrels in the roylal family of khatti weakend this cou .

In a well organised expedition Tutmosis's army crossed in shortest time palestine and Syria pushing forward over the Euphrates in the center of Mitanni.

The Mari letters tell us, that middle syria in the time, when they were impressed in the tablets - about the 18th and 17th centuries B.C. - was split up in a series of small principalities. In the north, we find one of the most important states of the time, the kingdom of yamhad with Aleppo as capital. It was a center of a powerful system of vassal states. Its frontiers reached in the east with **Irrite** over the Euphrates and in the west until the coast, at least in **vassal states.** In the north it bordered the mountains; in the south it had defeated the king of katna, which was situated north - east of Homs, at to - days Tell el - Meshrifeh.

As far as the Mari letters are concerned I think some short remarks will here be enough, for they are widely pulished and commented.

In our connection it is of interest, that the first king of yamhad, whose memory was conserved in a letter of **Zimrilim,** king of Mari (about 1792), beared the name of **Yarimlim** and could claim to rule over twenty princes as vassals. Little we know about the country's history before him. Some remarks prove that the Aleppo monarchy was well established before. Yarimlins succesor on the throne of Yamhad was a certain Hamurabi - not to be confounded with the famous king of Babylonia of the name. Hammurabi of Aleppo was dealt with greatest courtesy by his namesake in Babylon, a new sign for the importance of Yamkhad, as did the king of Mari zimrilim. This latter even marched to Aleppo to venerate **Adad,** the great god of Aleppo. Aleppois kings in this flourishing time controlled the very extensive trade from the coast to the Euphrates and forth to southern Mosopotamia, as that from Mesopotamia to Syria and palestine. The inhabitants of the town, as far as the few names found until now indicate, were of the west - semitic category, but there had been **a Hurritic** element, too, as proven by tablets found in Alalakh, the royal family of Yamhad, as those in Mari and Babylon of the time, time, was of **Amorite** off spring.

Though trade - relations between Egypt and Syria had been very tight since the 4th millenium B.c., we find traces of Egyptian influence in this epoch only at the syrian coast. That changes with the era of the Egyptian Middle kingdom and its 12th dynasty (1991 - 1786 B. c.) when we find suddenly in all syrian towns scarabees, little stautette and parts of furniture, decorated in the Egyptian style. A seal impressi on found near Aleppo at **Alalakh** even bears the image of a god, which has all the characteristics of an Egyptian god; he was worshipped by a member of the royal family of **Yamhad.** Here, we find as far as I know for the first time this name Yamhad for kingdom, the capital of which was Aleppo. In these opening centuries of the second millenium 3c, language, writing, religion, magic and decorative motifs had found their way from the Nile into Syria. A few centuries later, the same happened vice - versa: Under the 19th and 20th dynasties of Egypt (1306 - 1075 Bc) not only strong influences of syria on religion, mode, organisation of state and trade, and arts can be proved , but we find many bearers of syrian names xxxx amongst the highest officials at the court of the pharaos.

But back to the Middle Kingdom of Egypt: From this time date the first representations of Asiatics on the walls of tombs in **Beni Hassan,** erected under **Amenemhet** I (1991 - 1962 Bc) and **sesostris** II. (1897 - 1878 BC). These pictures are another proof of the tight relations between Egypt and syria in the Middle Kingdom; relations, which were completely peaceful in this period. The Asiatics in these representations have hooked and prominent noses, a fair, yellowish skin, black and sometimes red hair. The women have a lighter skin than the men. Clothes are of man colours. The men are dressed in a straight loin - cloth, which may reach down below the knee, and they wear sandals; the women shoes which reach above the ankle.

Ancient Aleppo in Egyptian and Mari Sources of The 3rd and 2nd millenium

Peter . H. Schulze

Unfortunately there were not yet excavations in Aleppo Area proving exactly the date of the foundation of the town. But we can suspect from its possiiby non - semitic name as handed down in Hieroglyphs or cuneiform inscriptions, Khalpu or Khalap, that it was an early foundation, dating at least from the Early Bronze Age. The place was for such a foundation quite favorable: at a crossroad of trade - routes, used at least since the late 4th millenium. One followed the Euphrates from SUMER, past **Rapiqu** and Mari as far as **EMAR** near the modern Meshkeneh, where the river was abandonned, and then via Ebla and Aleppo to the coast, with connection to cyprus, crete, and Egypt by sea. The other imponant route came down from the Anatolian mountains via Aleppo, Qadesh and Damascus, down the Orontes and up the Litani, running into the famous traderoute through palestine and the so called **«Horus - way»** following the coast of sinai to the eastern Delta of the Nile.

The name of Aleppo was first mentioned in documents of the **Agade** era king sargon I. of Agade (2371 - 2316 B. c) conquered the region of the town in his famous campaign up to the syrian coast and called it **«Armanum»** His third successor on the throne, **Naram - sin** (2291 - 2255 Bc) had to repeat this expedition, what shows, that the grip of the Agad - kings on syria was not very solid and scarcerly outlasted the campaigns.

About too years later, the 3rd dynasty of UR spred its power over most of the conquests of sargon including the Aleppo region under the name of **«Armanium»**, as shown by adminitrastive documents excavated in Ur.



Contents

University of Aleppo

INSTITUTE FOR THE HISTORY OF ARABIC SCIENCE

ᶜĀDIYĀT HALAB

An Annual Devoted to the Study of Arabic Science and Civilization



Issued by

THE UNIVERSITY OF ALEPPO

In Collaboration With

THE ARCHAEOLOGICAL SOCIETY

Volume 6-7

1992

UNIVERSITY OF ALEPPO

ARABIC SCIENCE HERITAGE INSTITUTE

ᶜĀDIYĀT ḤALAB

An Annual Devoted to the Study of Arabic Science and Civilization



Issued by
THE UNIVERSITY OF ALEPPO
In Collaboration With
THE ARCHAEOLOGICAL SOCIETY

VOLUME 6 — 7

1992